منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله

الهاشمي الخوئي قدس سره

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران، شارع ١٥ خرداد شرقي

تلفون ٥٢٥٣٢٨-٥٢١٩٦٦

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

شبكة الفكر
alfeker.net

يا علي يا فاطمة

عني بتصحيحه و تهذيبه العالم الفاضل : السيد ابراهيم الميانجي

الجزء الرابع عشر

الطبعة الرابعه

الناشر :

مكتبة الاسلامية بطهران

شارع ابوذرجمهري تليفون (٥٢١٩٦٦)

جميع حقوق الطبع محفوظة

(طبع في المطبعة الاسلامية بطهران)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقام الثامن في الاخبار الواردة في ذم الصوفية

و لعنهم و طعنهم ، و في المنع من التّصوف والرّهبانيّة ، و هي كثيرة لاتحصى ولنشير إلى بعضها فأقول وبالله التّوفيق:

الاول مارواه عليّ بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى « يا أيّها الّذين آمنوا لاتحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم » قال حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن بعض رجاله عن أبيعبدالله عليه السلام ، قال : نزلت هذه الآية في أميرالمؤمنين عليه السلام و بلال و عثمان بن مظعون ، فأمّا أميرالمؤمنين عليه السلام فحلف أن لاينام بالّليل أبداً ، و أمّا بلال فانه حلف أن لايفطر بالنّهار أبداً ، و أمّا عثمان بن مظعون فانّه حلف أن لاينكح أبداً ، فدخلت امرأة عثمان على عايشة و كانت امرأة جميلة فقالت عايشة مالي أراك متعطّلة ؟ فقالت : ولمن ازيّن فوالله ما قرّبني زوجي منذ كذا و كذا فانّه قد ترهّب و لبس المسوح و زهد في الدّنيا ، فلمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرته عايشة بذلك ، فخرج فنادى الصّلاة جامعة ، فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمدالله و أثنى عليه ثمّ قال : مابال أقوام يحرّمون على أنفسهم الطيّبات ألا إنّي أنام الّليل و انكح و افطر بالنهار ، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي ، فقام هؤلاء

فقالوا يارسول الله قدحلفنا على ذلك فأنزل الله « لايؤاخذكم الله باللّغوفي ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفّارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيّام ذلك كفّارة ايمانكم إذا حلفتم » .

الثاني في البحار من اكمال الدّين باسناده عن زيد بن عليّ عن آبائه عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس في امّتي رهبانيّة ولاسياحة ولازمّ يعني سكوت

الثالث في البحار بعدّة طرق عن النّبي صلى الله عليه وآله في جملة وصاياه لأبي ذرّ رضي الله عنه : يا باذرّ يكون في آخر الزّمان قوم يلبسون الصّوف في صيفهم و شتائهم ، يرون أنّ لهم الفضل بذلك على غيرهم ، اُولئك يلعنهم ملائكة السماوات والأرض.

الرابع في روضات الجنّات من الكشكول للشيخ البهائي قال : قال النّبي صلى الله عليه وآله : لاتقوم السّاعة على امّتي حتّى يخرج قوم من امّتي يحلقون للذّكر رؤوسهم ، و يرفعون أصواتهم بالذّكر يظنون أنّهم على طريق إبراهيم عليه السلام ، بل هم أضلّ من الكفّار ، لهم شهقة كشهقة الحمار ، و قولهم كقول الفجار ، وعملهم عمل الجهّال ، وهم ينازعون العلماء ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلاّ التّعب .

الخامس ما تقدّم روايته في المتن في الكلام السابع عشر من المختار في باب الخطب قال أمير المؤمنين عليه السلام هناك : إنّ أبغض الخلايق إلى الله رجلان : رجل و كله الله إلى نفسه جائر عن قصد السّبيل مشعوف بكلام بدعة و دعاء ضلالة ، فهو فتنة لمن افتتن به ضالّ عن هدى من كان قبله ، مضلّ لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته ، حمّال خطايا غيره ، رهن بخطيئته.

و رواه الكليني في باب البدع والرّأي والمقائيس من الكافي نحوه ، وقال شارح الكافي ملاّ خليل القزويني : إنّ مراده عليه السلام بهذا الرّجل هو الصّوفي الغير

المتقيّد بقيود الشريعة و لاخفاء في أنّ الصّوفيّة من مصاديق هذا الكلام لاتّصافهم بالأوصاف المذكورة فيه .

السادس في كتاب الاحتجاج عن أبي يحيى الواسطي قال : لمّا فتح أمير المؤمنين عليه السلام البصرة اجتمع النّاس عليه و فيهم الحسن البصرى و معه الألواح، فكان كلّما لفظ أمير المؤمنين بكلمة كتبها ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته : ما تصنع ؟ فقال : نكتب آثارهم لنحدّث بها بعدكم ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أما أنّ لكلّ قوم سامرياً وهذا سامرىّ هذه الامّة، أمّا انه لايقول : لامساس و لكنّه يقول: لاقتال والحسن البصرى من مقدّم مشايخ الصّوفيّة كما ذكروه في كتبهم .

السابع في البحار في باب احتجاجات الحسن عليه السلام على المخالفين من كتاب العدد للشيخ الفقيه رضى الدّين على بن يوسف بن المطهر الحلّى قال:

كتب الحسن البصرى إلى الحسن بن على عليهما السلام أمّا بعد فانتم أهل بيت النّبوّة و معدن الحكمة و انّ الله جعلكم الفلك الجارية في اللجج الغامرة يلجأ إليكم اللاجى و يعتصم بحبلكم العالى ، من اقتدى بحبلكم اهتدى و نجى و من تخلّف عنكم هلك و غوى ، و إنّى كتبت إليك عند الحيرة و اختلاف الامّة في القدر ، فتقضى الينا ما أفضاه الله إليكم أهل البيت فنأخذ به

فكتب إليه الحسن بن على عليهما السلام أمّا بعد فانّا أهل بيت كما ذكرت عندالله و عند أوليائه فأمّا عندك و عند أصحابك فلو كنّا كما ذكرت ما تقدّمتمونا ولا استبدلتم بناغيرنا، و لعمرى لقد ضرب الله مثلكم في كتابه حيث يقول « أتستبدلون الّذي هو أدنى بالّذي هو خير » هذا لأوليائك فيما سألوا و لكم فيما استبدلتم ، و لولا ما اريد من الاحتجاج عليك و على أصحابك ما كتبت إليك بشيء ممّا نحن عليه ، و لئن وصل كتابى إليك لتجدّن الحجّة عليك و على أصحابك مؤكّدة حيث يقول الله عزّ وجل « افمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لايهدّى إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون» فاتّبع ما كتبت إليك في القدر فانّه من لم يؤمن

بالقدر خيره و شرّه فقد كفر ، و من حمل المعاصى على الله فقد فجر.

إنّ الله عزّ وجلّ لايطاع با كراه ، ولايعصى بغلبة ، ولا يهمل العباد من الملكة ، و لكنّه المالك لما أملكهم ، و القادر على ما أقدرهم ، فان ائتمروا بالطاعة لن يكونوا صادّا مثبطا ، و ان ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم و بين ماائتمروا به فعل ، و إن لم يفعل فليس هو حملهم عليها ولا كلّفهم ايّاها جبراً ، بل تمكينه إيّاهم و إعذاره إليهم طرفهم و مكّنهم ، فجعل لهم السّبيل إلى أخذ ما أمرهم به و ترك ما نهاهم عنه ، و وضع التّكليف عن أهل النّقصان والزّمانة،و السلام .

و هذا الحديث الشريف و إن كان صدره مختصّاً بالطعن على الحسن البصري و أتباعه إلاّ أنّه بتمامه متضمّن للرّد على جميع الصوفيّة في قولهم بالجبر و على الواصليّة والاباحية خصوصاً حيث قالوا بسقوط التكاليف عند الوصول حسبما عرفت فيما تقدّم تفصيلا

الثامن فى الاحتجاج روي أنّ زين العابدين عليه السلام مرّ بالحسن البصري و هو يعظ الناس بمنى فوقف عليه ثمّ قال له : أمسك أسألك عن الحال الّتي أنت عليها مقيم أترضاها لنفسك فيما بينك وبين الله للموت إذا نزل بك غدا؟ قال : لا ،قال : أفتحدّث نفسك بالتحوّل و الانتقال عن الحال التى لا ترضاها لنفسك إلى الحال الّتي ترضاها ؟ قال : فأطرق مليّا ثمّ قال : إنّي أقول ذلك بلا حقيقة ، قال: أفترجو نبيّاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله يكون لك معه سابقة ؟ قال : لا ، قال : أفترجو داراً غير الدّار الّتي أنت فيها فتردّ إليها فتعمل فيها ؟ قال :لا ، قال : أفرأيت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا أنّك على حال لاترضاها ولاتحدّث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة ولاترجو نبيّاً بعد محمّد صلى الله عليه وآله ولا داراً غير الدار الّتي أنت فيها فتردّ إليها فتعمل فيها و أنت تعظ الناس ؟ قال : فلمّا ولّى عليه السلام قال الحسن البصري: من هذا ؟ قالوا : عليّ بن الحسين عليهما السلام قال : أهل بيت علم ، فما رُإي الحسن بعد ذلك يعظ الناس

و هذا الحديث مثل سابقيه كاف في الدّلالة على سوء حال الحسن البصري و كونه من حزب الشيطان ، ومع ذلك عدّه العطار في التّذكرة في الدرّجة الثالثة ونقلوا عنه كرامات عديدة

التاسع في الاحتجاج لقى عبّاد البصري عليّ بن الحسين عليهما السلام في طريق مكّة فقال له : يا عليّ بن الحسين تركت الجهاد و صعوبته و أقبلت على الحجّ ولينه و ان الله يقول « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون و يقتلون — إلى قوله — و بشّر المؤمنين » فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام: إذا رأينا هؤلاء الّذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ

العاشر في الاحتجاج عن ثابت البناني قال : كنت وجماعة عباد البصرة مثل أيّوب السّجستاني و صالح المروى و عتبة الغلام وحبيب الفارسي و مالك بن دينار فلمّا أن دخلنا مكّة رأينا الماء ضيّقاً وقد اشتدّ بالنّاس العطش لقلّة الغيث ، ففزع إلينا أهل مكة والحجّاج يسألوننا أن نستسقي لهم ، فأتينا الكعبة و طفنا بها ثمّ سألنا الله خاضعين متضرّعين بها فمنعنا الاجابة ، فبينا نحن كذلك إذا نحن بفتي قد أقبل قد أكربته أحزانه وأقلقته أشجانه ، فطاف بالكعبة أشواطاً ثمّ أقبل علينا فقال : يا مالك بن دينار و يا ثابت البناني ويا أيّوب السّجستاني ويا صالح المروى ويا عتبة الغلام ويا حبيب الفارسي ويا سعد ويا عمرو يا صالح الأعمى و يا رابعة و يا سعدانة و يا جعفر بن سلمان ، فقلنا : لبّيك وسعديك يا فتي ، فقال : أما فيكم أحد يحبّه الرّحمن ؟ فقلنا : يافتي علينا الدّعاء وعليه الاجابة ، فقال : ابعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبّه الرّحمن لأجابه ، ثمّ أتي الكعبة فخرّ ساجداً فسمعته يقول في سجوده : سيّدي بحبّك لي إلاّ سقيتهم الغيث ، قال : فما استتمّ الكلام حتّى أتاهم الغيث كأفواه القرب ، فقلت : يافتي من أين علمت أنّه يحبّك ؟ فقال عليه السلام : لو لم يحبّني لم يستزرني فلمّا استزارني علمت أنّه يحبّني ، فسألته بحبّه لي فأجابني ثمّ ولّى عنّا وأنشأ يقول :

من عرف الرّب فلم تغنه معرفة الرّب فهذا شقي
ماضرّ فی الطاعة ما ناله فی طاعة الله و ماذا لقي
مايصنع العبد بعزّ الغنی والعزّ كلّ العزّ للمتّقي

فقلت : يا أهل مكة من هذا الفتي ؟ قالوا : عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبيطالب عليهم السلام .

أقول : و هؤلاء المذكورون في هذا الحديث جلّهم من الصّوفيّة ، و كذا عبّاد البصري المذكور في الحديث السابق كما يظهر من كتب المتصوّفة وتذكراتهم .

الحاديعشر في الكافي في باب من يظهر الغشية عند القرآن ، عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن يعقوب بن إسحاق الضبّي عن أبي عمران الأرمنی عن عبدالله بن الحكم عن جابر عن أبيجعفر عليه السلام قال : قلت : إنّ قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أوحدّثوا به صعق أحدهم حتّى نرى أنّ أحدهم لوقطعت يداه أو رجلاه لم يشعر بذلك ، فقال : سبحان الله ذاك من الشّيطان ما بهذا نعتوا إنّما هو اللّين والرّقة والدّمعة و الوجل .

أقول : وهذه الحالة الّتی نقلها جابر للباقر عليه السلام هی حالة الصّوفيّة فی مجالس ذكرهم ويسمّونها بالوجد والجذبة .

الثاني عشر فی حديقة الشيعة بسند صحيح عن أحمد بن محمّد بن أبی نصر البزنطی قال : قال رجل من أصحابنا للصّادق جعفر بن محمّد عليهما السلام : قدظهر فی هذا الزّمان قوم يقال لهم الصوفيّة فماتقول فيهم ؟ فقال عليه السلام : إنّهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم ، وسيكون أقوام يدّعون حبّنا و يميلون إليهم ويتشبّهون بهم ويلقّبون أنفسهم بلقبهم ويؤوّلون أقوالهم ألا فمن مال إليهم فليس منّا وإنّا منهم براء ، ومن ردّهم و أنكر عليهم كان كمن جاهد الكفّار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله .

ورواه المحدّث الجزائری فی الأنوار النعمانيّة عن البزنطي عنه عليه السلام أيضاً

الثالث عشر فی حديقة الشيعة عن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي فی قرب الاسناد عن سعد بن عبدالله عن محمّد بن عبدالجبّار عن الحسن العسكري قال :

سئل عن أبيعبدالله عليه السلام عن حال أبي هاشم الصوفي الكوفي فقال عليه السلام : انه كان فاسد العقيدة جدّاً وهو الّذي ابتدع مذهباً يقال له التّصوف وجعله مفرّاً لعقيدته الخبيثة .

وفي رواية بسند آخر قال عليه السلام : وجعله مفرّاً لعقيدته الخبيثة لنفسه وأكثر الملاحدة ، وجنّة لعقايدهم الباطلة .

الرابع عشر في كشف الغمّة روى محمد بن طلحة عن سفيان الثوري قال : دخلت على جعفر بن محمد عليهما السلام وعليه جبّة خزّ دكناء وكساء خزّ فجعلت أنظر اليه تعجّباً ، فقال لي : يا ثوري مالك تنظر الينا لعلّك تعجب ممّا ترى ؟ فقلت : يا ابن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك ، فقال : يا ثوري كان ذلك زمان إقتار وافتقار وكانوا يعملون على قدر إقتاره وافتقاره ، وهذا زمان قد أسبل كلّ شيء عزاليه، ثمّ حسر ردن جبّته فاذا تحتها جبّة صوف بيضاء يقصر الذّيل عن الذّيل والرّدن عن الرّدن، وقال : يا ثوري لبسنا هذا لله وهذا لكم ، فماكان لله أخفيناه وماكان لكم أبديناه .

الخامس عشر في الكافي في كتاب المعيشة باب دخول الصّوفيّة على أبيعبدالله عليه السلام واحتجاجهم عليه فيما ينهون النّاس عنه من طلب الرّزق

عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن مسعدة بن صدقة قال : دخل سفيان الثّوري على أبيعبدالله عليه السلام فرأى عليه ثياب بياض كأنّها غرقيء البيض فقال له : إنّ هذا اللّباس ليس من لباسك ، فقال عليه السلام : اسمع منّي وعِ ماأقول لك فانّه خير لك عاجلاً وآجلاً إن أنت متّ على السّنّة والحقّ ولم تمت على بدعة، اُخبرك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في زمان مقفر جدب ، فأمّا إذا أقبلت الدّنيا فأحقّ أهلها بها أبرارها لافجّارها ، ومؤمنوها لامنافقوها ، ومسلموها لا كفّارها ، فما أنكرت يا ثوري فوالله إنّني لمع ماترى ماأتى عليّ مذعقلت صباح ولامساء ولله في مالي حقّ أمرني أن أضعه موضعا إلاّ وضعته .

قال: وأتاه قوم ممّن يظهرون الزّهد ويدعون النّاس أن يكونوا معهم على مثل الّذي هم عليه من التّقشّف فقالوا له : إنّ صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حججه ، فقال لهم : فهاتوا حججكم ، فقالوا له : إنّ حججنا من كتاب الله فقال لهم

فادلوابها فانّها أحقّ ما اتبع وعمل به، فقالوا: يقول الله تبارك وتعالى مخبراً عن قوم من أصحاب النبيّ ﷺ «ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فاُولئك هم المفلحون» فمدح فعلهم و قال في موضع آخر «ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناًويتيماً وأسيراً» فنحن نكتفي بهذا ، فقال رجل من الجلساء إنا رأيناكم تزهدون في الأطعمة الطيّبة ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من أموالهم حتى تمتّعوا أنتم منها ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : دعوا عنكم ما لاينتفع به أخبروني أيها النفرألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضلّ من ضلّ وهلك من هلك من هذه الامة ؟ فقالوا له أوبعضه : فأما كلّه فلا ، فقال لهم : فمن هنا اُتيتم ، و كذلك أحاديث رسول الله ﷺ ، فأما ما ذكرتم من اخبارالله عزّ وجل إيانا في كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعالهم فقد كان مباحاً جايزاً و لم يكونوا نهوا عنه و ثوابهم منه على الله عزّ وجلّ ، و ذلك ان الله جلّ وتقدّس أمر بخلاف ماعملوا به فصار أمره ناسخاً لفعلهم وكان نهي الله تعالى رحمة منه للمؤمنين ونظراً لكيلا يضرّوا بأنفسهم وعيالاتهم منهم الضعفة الصغار و الولدان والشيخ الفاني و العجوزة الكبيرة الّذين لايصبرون على الجوع ، فان تصدّقت برغيفي ولارغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعاً .

فمن ثمّ قال رسول الله ﷺ خمس تمرات أوخمس قرص أودنانير أودراهم يملكها الانسان وهويريد أن يمضيهافأفضلها ماأنفقه الانسان على والديه ، ثمّ الثانية على نفسه وعياله ، ثمّ الثالثة على قرابته الفقراء ، ثمّ الرابعة على جيرانه الفقراء ، ثمّ الخامسه في سبيل الله وهوأحسنها، أخسّها خ،أجراً

وقال ﷺ للأنصاري حين اعتق عند موته خمسة أو ستّة من الرّقيق ولم يكن يملك غيرهم و له أولاد صغار : لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفنوه مع المسلمين يترك صبية صغاراً يتكفّفون النّاس .

ثمّ قال عليه السلام حدّثني أبي أنّ رسول الله ﷺ قال : ابدء بمن تعول الأدنى فالأدنى .

ثمّ هذا ما نطق به الكتاب ردّاً لقولكم و نهياً عنه مفروضاً من الله العزيز الحكيم قال «والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً» أفلاترون أنّ الله تبارك وتعالى قال غير ما أراكم تدعون النّاس إليه من الاثرة على أنفسهم وسمّى من فعل ما تدعون إليه مسرفاً في غير آية من كتاب الله يقول «إنّه لا يحبّ المسرفين» فنهاهم من الاسراف ونهاهم عن التّقتير لكن أمر بين أمرين لا يعطى جميع ماعنده ثمّ يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له .

للحديث الّذى جاء عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّ أصنافاً من امتّى لا يستجاب لهم دعاؤهم : رجل يدعو على والديه ، ورجل يدعو على غريم ذهب له بمال فلم يكتب له ولم يشهد عليه ، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده ، ورجل يقعد في بيته و يقول ربّ ارزقني ولا يخرج ولا يطلب الرّزق فيقول الله عزّ وجلّ له : عبدي ألم أجعل لك السّبيل إلى الطّلب و الضّرب في الأرض بجوارح صحيحة فتكون قد أعذرت فيما بيني و بينك في الطّلب لا تّباع أمرى و لكيلا تكون كلّاً على أهلك فان شئت رزقتك و إن شئت قترت عليك و أنت معذور عندي ، و رجل رزقه الله عزّ وجلّ مالاً كثيراً فأنفقه ثمّ أقبل يدعو يا ربّ ارزقني فيقول الله عزّ وجلّ : ألم أرزقك رزقاً واسعاً فهلّا اقتصدت فيه كما أمرتك و لم تسرف و قد نهيتك عن الاسراف ، و رجل يدعو في قطيعة رحم .

ثمّ علّم الله جلّ اسمه نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم كيف ينفق ، و ذلك انّه كان عنده أوقية من الذّهب فكره أن يبيت عنده فتصدّق بها فأصبح و ليس عنده شيء و جاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتمّ هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان صلى الله عليه وآله وسلم رحيماً رفيقاً فأدّب الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بأمره فقال «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً» يقول : إنّ الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فاذا أعطيت جميع ماعندك من المال كنت قد حسرت من المال .

فهذه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصدّقها الكتاب والكتاب يصدّقه أهله من المؤمنين .

و قال أبو بكر عند موته حيث قيل له : أوص فقال : اوصي بالخمس والخمس

كثير فانّ الله عزّ وجلّ قد رضي بالخمس ، وقد جعل الله عزّ وجلّ له الثلث عندموته ولو علم أنّ الثلث خيرله أوصى به.

ثمّ قد علمتم من بعده في فضله و زهده سلمان رضي الله عنه و أبوذرّ رحمه الله .

فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتّى يحضر عطاؤه من قابل ، فقيل له : يا أباعبدالله أنت في زهدك تصنع هذا و أنت لاتدرى لعلّك تموت اليوم أو غداً ، فكان جوابه أن قال : مالكم لاترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء أما علمتم يا جهلة أنّ النّفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ماتعتمد عليه فاذاهي أحرزت معيشتهاالطمأنّت

و أمّا أبوذرّ رضي الله عنه فكانت له نويقات وشويهات يحلبها و يذبح منها إذا اشتهى أهله اللّحم أونزل به ضيف أورأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة نحرلهم الجزور أومن الشّاة على قدر مايذهب عنهم بقرم اللّحم ، فيقسمه بينهم و يأخذ هو كنصيب واحد منهم لايتفضّل عليهم

و من أزهدمن هؤلاء ؟ وقدقال فيهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما قال ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لايملكان شيئاً البتّة كما تأمرون النّاس بالقاء أمتعتهم وشيئهم و يؤثرون به على أنفسهم وعيالاتهم

واعلموا أيّها النّفر أنّي سمعت أبي يروي عن آبائه عليهم السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال يوماً : ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن إنّه إن قرض جسده في دارالدنيا بالمقاريض كان خيراً له ، و إن ملك مابين مشارق الأرض و مغاربها كان خيراً له ، و كلّ ما يصنع الله عزّ وجلّ به فهو خير له.

فليت شعري هل يحقّ فيكم ماقد شرحت لكم منذ اليوم أم أزيدكم أماعلمتم أنّ الله عزّ وجلّ قدفرض على المؤمنين في أوّل الأمر أن يقاتل الرّجل منهم عشرة من المشركين ليس له أن يولّي وجهه عنهم ، و من ولاّهم يومئذ دبره فقد تبوّء مقعده من النّار، ثمّ حوّلهم من حالهم رحمة منه لهم فصار الرّجل منهم

عليه أن يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله عزّ وجلّ للمؤمنين ، فنسخ الرّجلان العشرة.

و أخبروني أيضاً عن القضاة أجورة حيث هم يقضون على الرّجل منكم نفقة امرأته إذا قال إنّي زاهد إنّي لاشيء لي ، فان قلتم جورة ظلمكم أهل الاسلام وإن قلتم بل عدول خصمتم أنفسكم ، و حيث تردّون صدقة من تصدّق على المساكين عند الموت بأكثر من الثلث

أخبروني لو كان الناس كلّهم كالذين تريدون زهاداً لاحاجة لهم في متاع غيرهم فعلى من كان يصدق بكفارات الايمان والنّذور والصدقات من فرض الزكاة من الذّهب والفضة والتّمر والزّبيب وساير ماوجب فيه الزّكاة من الابل والبقر والغنم و غير ذلك إذا كان الأمر كما تقولون لاينبغي لأحد أن يحبس شيئاً من عرض الدنيا إلاّ قدّمه وإن كان به خصاصة فبئس ماذهبتم فيه و حملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله عزّ وجل و سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله و أحاديثه الّتي تصدقها الكتاب المنزل وردّكم ايّاها بجهالتكم وتركم النظر في غرايب القرآن من التّفسير بالنّاسخ من المنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنّهي.

و أخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود عليه السلام ؟ حيث سأل الله ملكاً لاينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه عزّ وجلّ اسمه ذلك و كان يقول الحقّ و يعمل به ثمّ لم نجد الله عزّ وجلّ عاب عليه ذلك ولا أحداً من المؤمنين و داود النّبي صلى الله عليه وآله قبله في ملكه و شدّة سلطانه.

ثمّ يوسف النّبي عليه السلام حيث قال لملك مصر : اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم ، فكان من أمره الذى كان أن اختار مملكة الملك و ما حولها إلى اليمن ، و كان يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم و كان يقول الحقّ و يعمل به فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه.

ثمّ ذو القرنين عليه السلام عبد أحبّ الله فأحبّه الله وطوى له الأسباب وملّكه مشارق الأرض و مغاربها و كان يقول الحقّ و يعمل به ثمّ لم نجد أحداً عاب

ذلك عليه.

فتأدّبوا أيّها النفر بآداب الله عزّ وجلّ للمؤمنين ، اقتصروا على أمر الله ونهيه و دعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به ، وردّوا العلم إلى أهله توجروا و تعذروا عندالله تبارك و تعالى ، و كونوا في طلب علم ناسخ القرآن من منسوخه و محكمه من متشابهه و ما أحلّ الله فيه ممّا حرّم فانّه أقرب لكم من الله و أبعد لكم من الجهل ، ودعوا الجهالة لأهلها فانّ أهل الجهل كثير و أهل العلم قليل ، وقد قال الله عزّ وجلّ : وفوق كلّ ذي علم عليم.

السادس عشر في الكافي في كتاب الحجّة في باب ما أمر النّبي صلّى الله عليه وآله بالنّصيحة لأئمّة المسلمين:

محمّد بن الحسن عن بعض أصحابنا عن عليّ بن الحكم عن الحكم بن مسكين عن رجل من قريش من أهل مكّة قال : قال سفيان الثوري : اذهب بنا إلى جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: فذهبت معه إليه فوجدناه قدر كب دابّته فقال له سفيان : يا أبا عبدالله حدّثنا بحديث خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله في مسجد الخيف قال عليه السلام : دعني حتّى أذهب في حاجتي فانّي قدر كبت فاذا جئت حدّثتك ، فقال أسألك بقرابتك من رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا حدّثتني قال : فنزل ، فقال سفيان : من لي بدواة وقرطاس حتّى اثبته فدعى عليه السلام به ثمّ قال: اكتب :

بسم الله الرّحمن الرّحيم خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله في مسجد الخيف نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها و بلّغها من لم تبلغه يا أيّها الناس ليبلغ الشاهد الغايب فربّ حامل فقه ليس بفقيه ، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهنّ قلب امرء مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصيحة لأئمة المسلمين ، واللّزوم لجماعتهم فانّ دعوتهم محيطة من ورائهم ، المؤمنون إخوة تتكافي دماؤهم و هم يد على من سواهم يسعى بذمّتهم أدناهم.

فكتبه سفيان ثمّ عرضه عليه و ركب أبو عبدالله عليه السلام و جئت أنا و سفيان ، فلمّا كنّا في بعض الطريق فقال لي : كما أنت حتّى أنظر في هذا الحديث، فقلت

له : قد والله الزم أبوعبدالله عليه السلام رقبتك شيئاً لايذهب من رقبتك أبداً ، فقال: وأي شيء ذلك ؟ فقلت : ثلاث لايغل عليهن قلب امرء مسلم :إخلاص العمل لله فقدعرفناه والنصيحة لأئمة المسلمين من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم معاوية بن أبي سفيان و يزيدبن معاوية و مروان بن الحكم و كل من لاتجوز شهادته عندنا ولايجوز الصلاة خلفهم ، و قوله : واللزوم لجماعتهم فأي الجماعة مرجيء (١) يقول من لم يصل و لم يصم ولم يغتسل من جنابة و هدم الكعبة و نكح امه فهو على ايمان جبرئيل و ميكائيل ، أو قدري يقول لايكون ماشاء الله عز وجل ويكون ماشاء إبليس، أوحروري يبرء من علي بن أبيطالب عليه السلام و يشهد عليه بالكفر، أو جهمي يقول إنما هي معرفةالله وحده ليس الايمان شيء غيرها ، قال : و يحك فأي شيء يقولون؟فقلت: يقولون: إن علي بن أبيطالب وآله الامام الذي يجب علينا نصيحته و لزوم جماعتهم أهل بيته قال : فأخذ الكتاب و خرقه ثم قال : لا تخبر بها أحداً .

السابع عشر المحدث الجزائري في الأنوار النعمانية:

في الحديث إن الصوفية لما دخلوا على الصادق عليه السلام وسفيان الثوري لابس الصوف الخشن والصادق عليه السلام لابس الثياب الرقاق فقال له سفيان: إن جدك أمير المؤمنين عليه السلام كان يلبس ما خشن من الثياب فلم لاتقتدي به ؟ فقال له الصادق عليه السلام : إن أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام كان في زمان الضيق و لم تسع الدنيا على

(١) المرجئة بالهمزة فرقة من فرق الاسلام يعتقدون أنه لايضر مع الايمان معصية كما لاتنفع مع الكفر طاعة سموا بذلك لاعتقادهم أن الله أرجي تعذيبهم على المعاصي ، أي أخره عنهم يقال أرجئت الأمر و أرجيته بالهمزة والياء أي أخرته، والحرورية فرقة من الخوارج منسوبة إلى حروراء وهي قرية قريبة من الكوفة ، والجهمية فرقة منسوبة الى جهم بن صفوان اعتقادهم أن الجنة والنار تفنيان وان الايمان هو المعرفة فقط دون الاقرار ودون ساير الطاعات و أنه لافعل على الحقيقة الالله وان العباد فيماينسب اليهم من الأفعال كالشجر يحركها الريح، هكذا في حواشي الكافي، منه .

المسلمين كاتّساعها في هذا الوقت ، ونحن قوم إذا وسّع الله علينا وسّعنا على أنفسنا وإذا ضيّق الله علينا ضيّقنا على أنفسنا و إنّ الله تعالى إنّما خلق الدّنيا ومافيهامن الملاذ للمؤمن لا للكافر لأنّه لاقدر له عنده ولو كان عليّ عليه السلام في هذا العصر لما وسعه إلاّ أن يسلك مثل ما سلك أهله لئلاّ يقال له : إنّه مراء و لئلاّ يشتهر بثيابه و مأكله ، مع أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان والياً و ينبغي لوالي المسلمين أن يكون في المعاش كواحد من فقراء المسلمين ، وقد قيل له : يا أمير المومنين إنك تبيت جائعاً و لك الملك ؟ فقال عليه السلام : أخاف أن أشبع وواحد في اليمامة يبيت جائعاً وحتّى يسهل الفقر على أهله إذا نظروا إلى الوالي مع ما هو عليه، وأمّا أنا فلست بوالي والملك قد غصب منّا ، فلو كنت والياً لاقتديت به .

ثمّ قال عليه السلام لسفيان الثوري : أدن منّي ، فدني منه ، فمدّ يده إلى تحت ثياب سفيان فأخرج ثوباً حريراً كان سفيان لابسه تحت ثياب الصّوف لرفاهيّة بدنه والثياب الصّوف فوقه لخدع النّاس ، ثمّ أخذ يد سفيان فقال انظر ياسفيان ماتحت ثيابي هذه الرّقاق ، فنظر فاذاً هو عليه السلام لابس ثوباً خشناً ، فقال يا سفيان : هذا تواضعاً لله تعالى وهذه الثياب الرّقاق إظهار النّعمة لله تعالى .

الثامن عشر في البحار عن كتاب المسائل لعليّ بن جعفر عن أخيه موسى ابن جعفر عليهما السلام قال : سألت أخي موسى عليه السلام عن الرّجل المسلم هل يصلح أن يسيح في الأرض أو يترهّب في بيت لايخرج منه ؟ قال عليه الصّلاة والسلام : لا .

التاسع عشر في البحار من الدّرة الباهرة قال له «أي للرّضا» عليه السلام : إنّ المأمون قد ردّ هذا الأمر اليك وأنت أحقّ النّاس به إلاّ أنّه تحتاج أن يتقدّم منك تقدّمك إلى لبس الصّوف وما يحسن لبسه ، فقال عليه السلام : ويحكم إنّما يراد من الامام قسطه و عدله إذا قال صدق ، و إذا حكم عدل ، وإذا وعد أنجز ، قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيّبات من الرّزق ، إنّ يوسف عليه السلام لبس الدّيباج المنسوج بالذّهب وجلس على متّكات آل فرعون .

و قدمرّ هذا الحديث برواية الشارح المعتزلي في شرح المتن بأبسط من

ذلك فليراجع هناك .

العشرون في حديقة الشيعة عن أحمدبن محمّد بن أبي نصر البزنطي وإسماعيل ابن بزيع عن الرّضا عليه السلام قال : من ذكرعنده الصّوفيّة ولم ينكرهم بلسانه وقلبه فليس منّا ، و من أنكرهم فكانّما جاهد الكفّار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و رواه أيضاً المحدّث الجزائرى في الأنوار النّعمانيّة عن البزنطي عن الرّضا عليه السلام مثله .

الحادى و العشرون في حديقة الشّيعة عن السيّد المرتضى ابن الدّاعي الحسن الرّازى وابن حمزة جميعاً عن المفيد بسنده عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب وكان من خواصّ أصحاب الأئمّة عليهم السلام .

قال : كنت مع الهادى عليّ بن محمّد عليهما السلام في مسجد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبوهاشم الجعفرى ، وكان رجلا بليغاً وكانت له منزلة عظيمة عنده عليه السلام ، ثمّ دخل المسجد جماعة من الصوفيّة وجلسوا في جانبه مستديراً وأخذوا بالتهليل .

فقال عليه السلام : لاتلتفتوا بهؤلاء الخدّاعين فانّهم خلفاء الشياطين ومخرّبوا قواعدالدّين ، يتزهّدون لراحة الأجسام و يتهجّدون لتصييد الأنعام ، يتجوّعون عمراً حتّى يذبحوا للايكاف حمراً ، لايهلّلون إلاّ لغرور النّاس ولا يقلّلون الغذاء إلاّ الملاء العساس ، و اختلاس قلب الدّفناس يتكلّمون النّاس باملائهم في الحبّ ، ويطرحونهم بازاليلهم «١» (باوليائهم) في الجبّ ، أورادهم الرقص والتّصدية، وأذكارهم الترّنم والتّغنية ؛ فلايتّبعهم إلاّ السّفهاء ، ولايعتقدهم إلا الحمقاء ، فمن ذهب إلى زيارة أحدمنهم حيّا أو ميّتا فكأنّما ذهب إلى زيارة الشّيطان ، و عبادة الأوثان ومن أعان أحداً منهم فكانّما أعان يزيد و معاوية وأباسفيان

فقال رجل من أصحابه : و إن كان معترفا بحقوقكم ؟

قال : فنظر اليه شبه المغضب و قال عليه السلام : دع ذاعنك ، من اعترف

---

١ ــ بأضاليلهم ظاهر .

بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا ، أماتدري انهم أخس طوايف الصوفية ، والصوفية كلهم من مخالفينا ، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا ، وإن هم إلا نصارى ومجوس هذه الأمة ، أولئك الذين يجحدون «يسعون ظ » في إطفاء نورالله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

ورواه المحدث الجزائري أيضاً في الأنوار من كتاب قرب الاسناد مسنداً عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب مثله .

الثاني والعشرون في حديقة الشيعة عن السيد المرتضى أيضاً بسنده عن المفيد عن أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عن أبيه عن عبدالله عن محمد ابن عبدالجبار عن الحسن العسكري عليه السلام أنه خاطب أباهاشم الجعفري فقال عليه السلام :

يا أباهاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة ، وقلوبهم مظلمة منكدرة ، السنة فيهم بدعة ، والبدعة فيهم سنة ، المؤمن بينهم محقر ، والفاسق بينهم موقر ، أمراؤهم جاهلون جائرون ، وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون ، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء ، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء ، كل جاهل عندهم خبير ، وكل محيل عندهم فقير ، لا يميزون بين المخلص والمرتاب ، ولا يعرفون الضأن من الذئاب ، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض ، لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف ، وأيم الله إنهم من أهل العدول والتحرف ، يبالغون في حب مخالفينا و يضلون شيعتنا وموالينا ، فان نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشاء ، وان خذلوا عبدوا الله على الرياء ، ألا إنهم قطاع طريق المؤمنين ، والدعاة إلى نحلة الملحدين ، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وايمانه .

ثم قال : يا أباهاشم هذا ماحدثني به أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد عليهما السلام وهو من أسرارنا فاكتمه إلا عن أهله ، ورواه المحدث الجزائري أيضاً في الأنوار مرسلا عن العسكري عليه السلام مثله .

الثالث والعشرون في الاحتجاج روى أصحابنا :

إن أبا محمد الحسن الشريعي كان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ثم الحسن بن علي عليهما السلام ، وهو أول من ادعى مقاماً لم يجعله الله فيه من قبل صاحب

الزّمان عليه السلام وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام و نسب اليهم مالايليق بهم و ماهم منه براء ، ثمّ ظهر منه القول بالكفر والالحاد .

وكذلك كان محمد بن نصير النّميري من أصحاب أبي محمد الحسن ، فلمّا توفّي عليه السلام ادّعى النّيابة لصاحب الزّمان عليه السلام ففضحه الله بماظهر منه من الالحاد والغلوّ والقول بالتناسخ ، وكان يدّعي انّه رسول نبيّ أرسله عليّ بن محمد عليهما السلام ويقول فيه بالرّبوبيّة ويقول بالاباحة للمحارم .

وكان أيضاً من جملة الغلاة أحمد بن هلال الكرخي وقد كان من قبل في عداد أصحاب أبي محمد عليه السلام ثمّ تغيّر عمّا كان عليه وانكر بابيّة أبي جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه ، فخرج التوقيع بلعنه من قبل صاحب الزّمان عليه السلام

وكذا كان أبوطاهر محمد بن عليّ بن بلال ، والحسين بن منصور الحلاّج ، ومحمد ابن عليّ الشّلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر لعنهم الله ، فخرج التّوقيع بلعنهم والبراءة منهم جميعا على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه نسخته :

عرّف أطال الله بقاك و عرّفك الله الخير كلّه و ختم به عملك من تثق بدينه وتسكن إلى نيّته من اخواننا أدام الله سعادتهم بأنّ محمد بن عليّ المعروف بالشّلمغاني عجّل الله النّقمة ولا أمهله قدارتدّ عن الاسلام وفارقه وألحد في دين الله وادّعى بالكفر معه بالخالق جلّ و تعالى و افترى كذبا و زوراً و قال بهتانا و اثماً مبينا ، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالا بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً ، وانّا برئنا إلى الله تعالى و إلى رسوله صلوات الله عليه وآله منه ، ولعنّاه عليه لعائن الله تترى في الظاهر منّا والباطن في السّر والجهر وفي كلّ وقت وعلى كلّ حال وعلى من شايعه وبايعه وبلغه هذا القول منّا فأقام على تولاّه بعده وأعلمهم تولاّكم الله أنّنا في التوقي والمحاذرة منه على مثل ما كنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه من الشريعي والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم ، وعادة الله جلّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة ، وبه نثق وايّاه نستعين ، وحسبنا الله في كلّ امورنا ونعم الوكيل .

بيان

هؤلاء الجماعة المذكورون في هذا الحديث كلّهم من الّذين ادّعوا البابيّة لصاحب الزّمان عليه السلام والسّفارة من جانبه عجّل الله فرجه، وليتهم لعنهم الله تعالى قنعوا بذلك ولم يظهر منهم الكفر والالحاد والقول بالحلول والاتحاد واباحة المحارم كما هو مذهب الصوفية.

قال الشيخ «قده» في محكى كلامه في البحار من كتاب الغيبة: كلّ هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أوّلا على الامام عليه السلام و أنهم وكلاؤه، فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثمّ يترقّى الأمر بهم إلى قول الحلاجية كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائه عليهم جميعاً لعائن الله تترى.

وقد ذكر في كتاب الغيبة على ماحكى عنه في البحار فصلا مبسوطا في أحوال هؤلاء و أقوالهم و عقائدهم المتضمنة للكفر والالحاد، ولابأس بالاشارة إلى بعض ماذكره ليعلم أنهم من الصوفية مشاركون معهم في العقايد والأعمال فأقول:

قال: أوّل المدّعين للبابية الشريعي، قال هارون و أظنّ اسمه كان الحسن و كان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمّد وساق الكلام فيه نحوما رويناه من الاحتجاج إلى قوله وماهم منه براء، ثمّ قال: فلعنته الشيعة وتبرّئت منه و خرج توقيع الامام عليه السلام بلعنه والبراءة منه، ثمّ ظهر منه القول بالكفر والالحاد.

و منهم محمّد بن نصير النّميري قال سعد بن عبدالله: كان محمّد بن نصير النّميري يدّعي انّه رسول نبيّ و أنّ عليّ بن محمّد أرسله و كان يقول بالتناسخ و يغلو في أبي الحسن عليه السلام و يقول فيه بالرّبوبيّة ويقول بالاباحة للمحارم و تحليل نكاح الرّجال بعضهم بعضاً في ادبارهم، ويزعم أنّ ذلك من التّواضع والاخبات والتّذلل في المفعول به، وأنّه من الفاعل إحدى الشّهوات والطّيبات، وأنّ الله عزّ وجلّ لايحرّم شيئاً من ذلك اخبرني بذلك عن محمّد بن نصير أبو زكريّا يحيى بن عبدالرحمن ابن خاقان أنّه رآه عياناً وغلام له على ظهره، قال: فلقيته فعاتبته على ذلك، فقال إنّ هذا من اللّذات وهو من التواضع لله وترك التجبّر.

أقول: و رأيت في بعض مؤلّفات أصحابنا نقلا من الفاضل عبدالوهّاب بن عليّ الحسينيّ الاسترابادى في شرح كتاب الفصول النصير ما هذا لفظه:

قالت النصيريّة و الاسحاقية من غلاة الشيعة ظهور الرّوحانى في الجسمانى لاينكر ، ففى طرف الشرّ كالشّياطين فانّه كثيراً مايتصوّر الشيطان بصورة انسان ليعلّمه ويكلّمه بلسانه ، وفي طرف الخير كالملائكة فانّ جبرئيل كان يظهر بصورة دحية الكلبى والأعرابى .

قالوا : فلا يمتنع أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين واولى الخلق بذلك أشرفهم وأكملهم هو العترة الطّاهرة ، وهو من يظهر فيه العلم والقدرة التامّة من الأئمة من تلك العترة .

و لم يتحاشوا عن اطلاق الالهيّة على أئمّتهم و هذه ضلالة بيّنة لا يحتاج بطلانه إلى بيان ، ومع ذلك نقول ظهورشيء في صورة شيء آخر لا يقتضى الحلول والاتّحاد ، فانّ جبرئيل لم يتّحد بدحية ولا حلّ فيه فلا يلزم مطلوبكم ، انتهى.

و أولى من ذلك أن يقال : إنّ المثال غير مطابق للمثل لأنّه تعالى ليس بروح ولا روحاني ولا جسم و لا جسماني تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، فلا يمكن ظهوره بصورة غيره بل يستحيل استحالة عقليّة ، هذا .

و قال الشّيخ «قده» في أحمد الكرخي ومحمّد البلالي نحو ما نقلناه فيهما من الاحتجاج و ذكر في حسين بن منصور الحلاج ما قدّمنا روايته عنه في المقام السّادس ، و قال في حقّ الشّلمغاني ، قال الصّفواني : سمعت أبا عليّ بن همام يقول سمعت محمّد بن عليّ العزاقرى الشلمغاني يقول : الحقّ واحد وانّما تختلف قمصه فيوم يكون في أبيض ويوم يكون في أحمرويوم يكون في أزرق فهذا أوّل ما أنكرته من قوله لأنّه قول أصحاب الحلول

و أخبرنا جماعة عن أبي محمّد هارون بن موسى عن أبى عليّ محمّد بن همام أنّ محمّد بن على الشّلمغانى لم يكن قط باباً إلى أبى القاسم (١) ولا طريقاً له ، ولانصبه

(١) أى الحسين بن روح النوبختى ره وكيل صاحب الزمان ع، منه.

أبوالقاسم بشيء من ذلك على وجه ولا سبب ، ومن قال بذلك فقد أبطل وإنما كان فقيهاً من فقهائنا فخلط وظهر عنه ما ظهر ، وانتشر الكفر والالحاد منه فخرج فيه التوقيع على يد أبي القاسم بلعنه والبراءة منه وممن تابعه وشايعه وقال بقوله ، هذا

خاتمة

قد تبين وتحقق لك مما أوردناه في شرح هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام أن مذاهب الصوفية بحذافيرها مخالفة لمذهب المتشرعة الامامية الحقة شيدالله بنيانه وأحكم قواعده و أركانه ، كما ظهر لك أن الآيات والأخبار في لعنهم وطعنهم والتعريض والازراء عليهم لعنهم الله تعالى صريحة متظافرة وأن الأخبار التي تمسكت بها هذه الفئة الضالة المضلة المبتدعة المطرودة الملعونة إما موضوعة مجعولة أومتشابهة مؤولة أوضعيفة سخيفة .

فلا ينبغي للفطن الكيس أن يشتبه و ينخدع بما أوردها بعض علماء الشيعة كمحمد بن علي بن أبي جمهور الاحسائي وغيره من الأخبار في كتبهم، فان أكثر هذه الأخبار مأخوذة من كتب متصوفة العامة كما يظهر ذلك لمن راجع إليها .

و بالجملة فالصوفي شيعياً أو سنياً و حدتياً أو اتحادياً مخالف للمتشرع الامامي اصولا وفروعاًواعتقاداً وعملا .

فويل لقوم اتخذوا سلفهم الذين مهدوا لهم البدعات وموهوا لهم الضلالات أرباباً فرضوا بالشبلي و الغزالي وابن العربي و جنيد البغدادي أئمة ، و بالقرمطة فلسفة وبالزهد خلاعة ، وبالمثنوي وساير منظوماتهم كتاباً ، وبالشياطين اخواناً ، وبمرقد أبايزيد البسطامي و عبدالقادر الجيلاني قبلة ، وبالهوى إلهاً ، وبالوسواس إلهاماً ، وبالسحر والشعبدة والسيميا كرامة ومقاماً .

خذلهم الله تعالى في الدنيا وضاعف عليهم العذاب في العقبى بمحمد و آله الأمجاد أئمة المؤمنين وأولياء المتشرعين المتدينين في المبدء والمعاد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ولعنة الله على مخالفيهم ومعانديهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .

استدراك

لا يذهبن عليك ممّا أوردته فى شرح هذا الكلام على طوله من الطّعن والتّعريض والازراء على الصّوفية و ابطال مذاهبهم واضلال مشاربهم واظهار مثالبهم وتسفيه أحلامهم وتزييف مناقبهم و الاعلان بعداوتهم و الحكم بفسق طائفة و كفر الآخرين منهم ، أنّا منكرون لحسن العرفان بالله وجاحدون لسلوك سبيل المعرفة معاندون للعارفين بالحق الّذين سلكوا سبيل الهدى و نهوا النّفس عن الهوى وزهدوا في الدّنيا ورغبوا فى الأخرى وصدّقوا بالحسنى وشربوا من كأس المحبّة و خاضوا فى تيّار المعرفة فلم يكن لهمهم إلاّ رضى المولى و النّيل إلى مقام الزّلفى و السّكنى فى حظاير القدس و التّأنس فى محافل الانس مع النّبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً

و كيف لا ولم يكن بعث الأنبياء والرّسل مبشرين ومنذرين من لدن خلق آدم عليه السلام أبى البشر إلى الختم بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ لذلك المقصود

فانهم على اختلاف شرايعهم و تفاوت مللهم ومذاهبهم لم يكن همّهم الاّ هماً واحداً وهوجذب الخلق إلى الحقّ بالهداية إلى الصراط المستقيم ، والدّلالة على النهج القويم ، والتنحية عن الرزايل والتحلية بالفضايل ، والحثّ على مكارم الأخلاق والحضّ على إحياء العقول بالمعارف و الكمالات ، والتاكيد فى اماتة النفوس بالمجاهدة والرّياضات

فالعارف الحقيقى الذى يحقّ أن يسمّى بهذا الاسم هومن اتّصف بهذه الكمالات لا من أخذ بالبدع والضلالات ، ومن تبع فى أقواله وأفعاله بالأئمة لا من قال : إنّا وجدنا آبائنا على اُمّة وإنّا على آثارهم لمهتدون .

وان شئت أن تعرف تفصيل أوصاف هذا الشخص الذى يليق بهذا الاسم فاعرف ذلك من تضاعيف خطب أمير المومنين عليه السلام لاسيّما الخطبة الماة والثانية والتسعين الوارد فى شرح حال المتّقين ، والكلام المأتين و الثامن عشر المسوق فى وصف حال العارفين

ولئن رجعت اليهما وإلى شرحهما تعرف معنى المعرفة والعرفان ، وتعلم أنّ الصوفية فى متاه الجهل والضلال حيران ،نعوذ باللهمن الضلالة بعدالهدى، ومن تبدّل البصيرة بالعمى ، إنه لا يضلّ من هداه ، والحمدلله على ما هدانا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانااللّه .

يارب أدخل فى عبادك عبدك الرّاجى بفضلك واعطف به نظرا
وجد يا الهى لى بجودك والطف بعبد ذليل عاجز متحيرا
وأدخله فى أرباب علم وحكمة وأصحاب عرفان الذى منك مخبرا
وأشربه كاس الحبّ والصدق والصفا وأكرم به فى روضة الخلد منظرا
وفى محفل الانس انسه بمحمد وأولاده الطهر الكرام المطهّرا

الترجمة

ازجمله كلام هدايت نظام أميرمومنان عليه السلام است دربصره درحالتى كه داخل شد برعلاء پسر زياد حارثى و او از أصحاب آن حضرت بود عيادت مى فرمود اورا پس وقتى كه ديد وسعت خانهٔ اورافرمود:

چه كار مى كنى با وسعت اين خانه در دنيا آگاه باش كه تو بسوى وسعت خانه درآخرت هستى محتاج‌تر ، وبلى اگر بخواهى‌مى‌توانى برسى با آن بآخرت مهماندارى بكنى درآن مهمانان را و صلهٔ أرحام نمائى ، واخراج حقوق الله كنى و در مصارف شرعيه صرف نمائى ، پس دراين صورت تومحققاً رسيدهٔ با او بسوى آخرت .

پس عرض كرد بآن حضرت علاء كه يا أميرالمومنين شكايت ميكنم بسوى تو از برادرم عاصم بن زياد .

فرمودآن حضرت چه خبر است اورا

عرض نمود كه عبا پوشيده واز دنيا خلوت گزيده .

فرمود : كه حاضر كنيداورا نزد من ، پس‌وقتى كه آمد فرمود أى‌دشمنك نفس خود بتحقيق كه سرگردان كرده تورا شيطان خبيث آيا رحم نكردى أهل

خودرا و اولاد خودرا ، آیا همچنین اعتقاد میکنی که خدا حلال کرده از برای تو پاکیزها و طیّبات دنیوی را وحال آنکه آن خدا کراهت دارد که تو فرا گیری آنهارا ، توخوارتری نزد خدا از این .

عرض کرد أی أمیرمؤمنان این توهستی درخشونت وزبری پوشاك وغلظت وبی‌مزگی خوراك .

فرمود : وای برتو بدرستی من‌نیستم مثل تو ، بدرستی خداوند تعالی‌واجب ساختة براماماں حقّ عادل که تنك بگیرند برنفسهای خود یاقیاس نمایندنفسهای خودشان را بضعفا وفقرای خلق در رفتار و کردار تا اینکه غالب نشود ومضطرب نسازد فقیر را فقر و پریشانی‌او ، و بالله التّوفیق ومنه الاستعانة وعليه التوكّل والاعتماد حتّى وفّقنا لما يحبّ ويرضى وهدانا سبيل الرّشد وطريق‌الوصول إليه.

و من كلام له عليه السلام و هو المأتان والتاسع من المختار في باب الخطب

ورواه غير واحد من أصحابنا بطرق مختلفة مع بسط واختلاف كثيرحسبما تطلع عليه في التكملة الآتية إنشاءالله .

قال السيد رحمه الله: و قد سأله سائل عن أحاديث البدع و عما في أيدى النّاس من اختلاف الخبر فقال عليه السلام :

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَ بَاطِلاً، وَ صِدْقاً وَ كِذْباً، وَ نَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعامًّا وخاصًّا، وَ مُحْكَماً وَ مُتَشَابِهاً، وَ حِفْظاً وَ وَهْماً ، وَ لَقَدْ كُذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله عَلَىٰ عَهْدِهِ حَتَّىٰ قَامَ خَطِيباً فَقَالَ : مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ .

وَ إِنَّما أَتاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجالٍ لَيْسَ لَهُمْ خامِسٌ :

رَجُلٌ مُنافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمانِ مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلامِ لا يَتَأَثَّمُ وَلا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُتَعَمِّداً فَلَوْ عَلِمَ النّاسُ أَنَّهُ مُنافِقٌ كاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَ لَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ وَ لٰكِنَّهُمْ قالُوا صاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَآهُ وَ سَمِعَ مِنْهُ وَ لَقِفَ عَنْهُ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ وَ قَدْ أَخْبَرَكَ اللهُ عَنِ الْمُنافِقِينَ بِما أَخْبَرَكَ ، وَ وَصَفَهُمْ بِما وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ السَّلامُ فَتَقَرَّبُوا إِلىٰ أَئِمَّةِ الضَّلالَةِ وَالدُّعاةِ إِلَى النّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتانِ، فَوَلَّوْهُمُ الأَعْمالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكّاماً عَلىٰ رِقابِ النّاسِ، وَ أَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيا وَ إِنَّمَا النّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَ الدُّنْيا إِلاّ مَنْ عَصَمَ اللهُ فَهُوَ أَحَدُ الأَرْبَعَةِ .

وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلىٰ وَجْهِهِ ، فَوَهَمَ فِيهِ ، وَ لَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَ يَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَ يَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَ لَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ لَرَفَضَهُ .

وَرَجُلٌ ثالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهىٰ عَنْهُ وَ هُوَ لا يَعْلَمُ، أَوْسَمِعَهُ يَنْهىٰ عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَ لَمْ يَحْفَظِ النّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَ لَوْ عَلِمَ

الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللهِ وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوفاً مِنَ اللهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ يَهِمْ بَلْ حَفِظَ ما سَمِعَ عَلى وَجْهِهِ، فَجاءَ بِهِ عَلى سَمْعِهِ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَحَفِظَ النّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخاصَّ وَالْعامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ وَعَرَفَ الْمُتَشابِهَ وَمُحْكَمَهُ.

وَقَدْ كانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْكَلامُ لَهُ وَجْهانِ: فَكَلامٌ خاصٌّ، وَكَلامٌ عامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ ما عَنَى اللهُ بِهِ، وَلاَ ما عَنى بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَحْمِلُهُ السّامِعُ وَيُوَجِّهُهُ عَلى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْناهُ وَما قُصِدَ بِهِ وَما خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنْ كانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتّى أَنْ كانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرابِيُّ أَوِ الطّارِيءُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ حَتّى يَسْمَعُوا، وَكانَ لاَ يَمُرُّ بِي عَنْ ذلِكَ شَيْءٌ إِلاّ سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ، فَهذا وُجُوهُ ما عَلَيْهِ النّاسُ فِي اخْتِلافِهِمْ وَعِلَلِهِمْ فِي رِواياتِهِمْ.

اللغة

(الوهم) من خطرات القلب أومرجوح طرفي المتردّد فيه، و الجمع أوهام و وهم في الحساب كوجل غلط، ووهمت في الشيء من باب وعد أى ذهب وهمى إليه ووقع في خلدى وروي وهما بالفتح و السكون كليهما و (بوّأه) منزلا و في

منزل أنزله فيه ، وبوّأته داراً اسكنته إيّاها وتبوّء بيتاً اتّخذه مسكناً و (التّصنّع) تكلّف حسن السّمت والتزيّن و (التّأثم) و (التحرّج) مجانبة الاثم و الحرج أى الضّيق يقال تحرج أى فعل فعلا جانب به الحرج كما يقال تحنث إذا فعل ما يخرج به عن الحنث ، قال ابن الاعرابي : للعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها قالوا : تحرّج وتحنّث وتأثّم وتهجّد إذا ترك الهجود .

و (لقفه) لقفا من باب سمع و لقفاناً بالتحريك تناوله بسرعة قال تعالى : تلقف ما يأفكون ، و (عصمه الله) من المكروه من باب ضرب حفظه ووقاه و (جنبه) واجتنبه وتجنبه وجانبه وتجانبه بعد عنه ، وجنبه إياه أبعده عنه و (طرء) فلان علينا بالهمز يطرء أى جاء بغتة من بلد آخر فهو طارىء بالهمز .

الاعراب

قوله : خطيباً حال من فاعل قام ، و قوله : صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله بالرفع خبر محذوف المبتدا أى هو أو هذا صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله ، و جملة رآه تحتمل الحال والوصف ، و جملة و يرويه عطف على جملة هو في يديه ، وفي بعض النسخ بدون الواو فتكون حالا من الضمير في يديه أو استينافياً بيانياً.

وقوله وقد كان يكون من رسول الله صلّى الله عليه وآله الكلام له وجهان: اسم كان ضمير الشأن المستتر ويكون تامة مستغنية عن الخبر ، و هى مع اسمها أعنى الكلام خبر كان وله وجهان نعت للكلام ، لأنه فى حكم النكرة ويجوز أن يكون حالا منه لأنه في معنى الفاعل ، ويحتمل أن يجعل يكون ناقصة فهو حينئذ خبر له و ليس بنعت ، وقوله : فكلام خاصّ آه ، الفاء عاطفة للتفريع على قوله : له وجهان .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام الشّريف حسبما أشار اليه السيّد (قد) تكلّم به حين (سأله سائل)وهو سليم بن قيس الهلالي حسبما تعرفه في التّكملة الآتية إنشاء الله تعالى وله كتاب مشهور بين أصحابنا .

قال المحدّث العلاّمة المجلسيّ ره في ديباجة البحار : و قد طعن في كتابه

جماعة والحقّ أنّه من الاصول المعتبرة .

وقال العلامة في الخلاصة : سليم بن قيس الهلالي بضم السّين روى الكشي أحاديث يشهد بشكره وصحّة كتابه إلى أن قال : وقال السيّد علي بن أحمد العقيقي كان سليم بن قيس من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام طلبه الحجّاج ليقتله فهرب واوى إلى أبان بن أبي عيّاش ، فلمّا حضرته الوفاة قال لأبان : إنّ لك عليّ حقّاً وقد حضرني الموت يا ابن أخي إنّه كان من الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كيت و كيت ، وأعطاه كتاباً فلم يروعن سليم بن قيس أحد سوى أبان وذكر أبان في حديثه قال : كان شيخاً متعبّداً له نور يعلوه وقال ابن الغضايري : سليم بن قيس الهلالى العامرى روى عن أمير المؤمنين والحسن و الحسين وعليّ بن الحسين عليهم السلام قال العلامة فى آخر كلامه : و الوجه عندى الحكم بتعديل المشار اليه والتّوقّف فى الفاسد من كتابه انتهى .

و كيف كان فقد سأله عليه السلام سليم بن قيس (عن أحاديث البدع) أى الأحاديث المبتدعة الموضوعة أوالمربوطة بالبدعات والامور المحدثة الّتى لاأصل لها فى الشريعة كمايشعر به مارواه جابر بن عبدالله أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى خطبة : إنّ أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمّد ، وشرّ الامور محدثاتها و كلّ محدثة بدعة ، و كلّ بدعة ضلالة .

وقوله (وعمّا فى أيدى النّاس من اختلاف الخبر) أرادبه الأخبار المختلفة المخالفة لماعندهم عليه السلام (فقال عليه السلام) فى جواب السائل :

(انّ فى أيدى النّاس حقّاً وباطلا وصدقا و كذبا) ذكر الصّدق والكذب بعد الحقّ والباطل من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ ، لأنّ الأخيرين من خواصّ الخبر والأوّلان يصدقان على الأفعال أيضاً ، وقيل : الحقّ والباطل هنا من خواصّ الرّأى والاعتقاد والصّدق والكذب من خواصّ النّقل والرّواية

(وناسخاً ومنسوخاً وعامّاً وخاصّاً ومحكماً ومتشابهاً) وقد مضى بيان معانى هذه السّتة جميعاً و تحقيق الكلام فيها في شرح الفصل السّابع عشر من الخطبة الأولى فليراجع هناك

(وحفظاً ووهماً) أي حديثا محفوظا من الزّيادة والنّقصان مصوناً عن الخلل والغلط حفظه راويه على ما سمعه، وحديثاً غير محفوظ من ذلك لسهو الرّاوي أو غلطه وعدم حفظه له على وجهه.

(ولقد كذب) اي افترى (على رسول الله ﷺ على عهده) أي في زمانه.

قال الشّارح البحراني: وذلك نحو ما روى أنّ رجلا سرق رداء رسول الله ﷺ و خرج إلى قوم و قال: هذا رداء محمّد ﷺ أعطانيه لتمكّنوني من تلك المرأة، واستنكروا ذلك، فبعثوا من سأل الرّسول ﷺ عن ذلك، فقام الرّجل الكاذب فشرب ماء فلدغته حيّة فمات، و كان النّبي ﷺ حين سمع بتلك الحال قال لعليّ عليه السلام: خذ السّيف و انطلق فان وجدته وقد كفيت فأحرقه بالنّار، فجاء عليه السلام و أمر باحراقه.

(حتّى) لمّا سمع ﷺ ذلك الخبر وغيره ممّا كذبوا عليه (قام خطيباً فقال) أيّها النّاس قد كثرت عليّ الكذّابة ف(من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار) أي لينزل منزله من النّار، وهو إنشاء في معنى الخبر كقوله تعالى: «قل من كان في الضّلالة فليمدد له الرّحمن مدّاً».

وهذا الحديث النبوي ﷺ ممّا رواه الكلّ وادّعى تواتره واستدلّ به على وجود الأخبار الكاذبة ردّاً على من أنكر وجودها أو استبعدها، وقد حكى أنّ علم الهدى تناظر مع علماء العامّة وبيّن لهم أنّ الأخبار التي رووها في فضايل مشايخهم كلّها موضوعة، فقالوا: من يقدر أن يكذب على رسول الله ﷺ، فقال لهم: قد ورد في الرّواية عنه ﷺ أنّه قال في حياته: ستكثر عليّ الكذابة بعد موتي فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار، فهذا الحديث إمّا صدق أو كذب وعلى التقديرين يحصل المطلوب

ثمّ شرع عليه السلام في بيان وجه اختلاف الأخبار فقال (وانما أتاك بالحديث أربعة رجال لا خامس لهم) قال الشارح البحراني: ووجه الحصر في الأقسام الأربعة أنّ الناقل للحديث عنه ﷺ المتسمّين بالاسلام إمّا منافق أولا، و الثاني إمّا أن

يكون قدوهم فيه أولا ، والثانى إما أن لايكون قد عرف ما يتعلّق به من شرايط الرّواية أويكون .

فأشار عليه السلام إلى القسم الأوّل بقوله (رجل منافق مظهر للايمان) بلسانه منكرله بقلبه (متصنّع بالاسلام) أى متكلّف بآدابه ولوازمه ومراسمه ظاهراً من غير أن يعتقد به باطنا يعنى أنه ليس مسلما فى نفس الأمر وإنما تسمّى بالاسلام لتدليس الناس (لايتأثم ولايتحرّج) أى لايكفّ نفسه عن موجب الاثم ولايتجنّب عن الوقوع فى الضيق والحرج ، أولا يعدّ نفسه آثما بالكذب بل (يكذب على رسول الله ﷺ متعمّداً) لغرضه الدّنيوى و داعية هواه النفسانى (فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه) حديثه كما قبلوه (ولم يصدّقوا قوله) كماصدّقوه (ولكنهم) اشتبهوا و(قالوا) هذا (صاحب رسول الله ﷺ رآه وسمع منه ولقف) أى تنال الحديث (عنه فيأخذون بقوله) غفلة عن كذبه لحسن ظنهم به (وقد أخبرك الله عن المنافقين) فى كتاب المبين (بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك)

الظاهر أنه عليه السلام أراد به قوله تعالى فى سورة المنافقين « و إذا رأيتهم تعجبك اجسامهم» الآية كما صرّح عليه السلام به فى ساير طرق الرّواية حسبما تعرفه فى التكملة الآتية ، وقد أفصح تعالى عن أحوالهم وأوصافهم بهذه الآية والآيات قبلها فى السورة المذكورة قال «والله يشهد انّ المنافقين لكاذبون ۞ اتّخذوا أيمانهم جنّة فصدّوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ۞ ذلك بأنهم آمنوا ثمّ كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون ۞ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنّهم خشب مسنّدة»

قال أمين الاسلام الطبرسيّ قد « و الله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون» في قولهم إنّهم يعتقدون أنك رسول الله ، فكان إكذابهم في اعتقادهم و أنّهم يشهدون ذلك بقلوبهم ، ولم يكذبوا فيما يرجع إلى ألسنتهم ، لأنّهم شهدوا بذلك وهم صادقون فيه «اتّخذوا ايمانهم جنّة» أى سترة يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا ولايسبوا ولايؤخذ أموالهم « فصدّوا عن سبيل الله » فأعرضوا بذلك عن دين الاسلام ، وقيل :

منعوا غيرهم عن اتّباع سبيل الحقّ بأن دعوهم إلى الكفر في الباطن، وهذا من خواصّ المنافقين، يصدّون العوام عن الدّين كما تفعل المبتدعة «انّهم ساء ما كانوا يعملون» أي بئس الّذى يعملونه من اظهار الايمان مع ابطان الكفر والصّدعن السّبيل «ذلك بأنّهم آمنوا» بألسنتهم، عند الاقرار بلا إله إلاّ الله محمّد رسول الله «ثمّ كفروا» بقلوبهم لمّا كذبوا بهذا «فطبع على قلوبهم» أى ختم عليها بسمة تميّز الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة «فهم لا يفقهون» أى لا يعلمون من حيث إنّهم لا يتفكرون حتّى يميّزوا بين الحقّ والباطل «وإذا رأيتهم تعجبك اجسامهم» بحسن منظرهم وتمام خلقتهم وجمال بزّتهم «و إن يقولوا تسمع لقولهم» لحسن منطقهم وفصاحة لسانهم وبلاغة بيانهم «كأنّهم خشب مسنّدة» أى كأنّهم أشباح بلا أرواح، شبّههم الله في خلوّهم من العقل والافهام بالخشب المسنّدة إلى شيء لا أرواح فيها

وفي الصّافي مسنّدة إلى الحايط في كونهم أشباحا خالية عن العلم والنّظر.

(ثمّ بقوا) أى المنافقون (بعده عليه وآله السلام فتقرّبوا إلى أئمّة الضّلالة) كمعاوية وأضرابه من رؤساء بني اميّة (والدّعاة إلى النّار) فيه تلميح إلى قوله تعالى «وجعلنا منهم أئمّة يدعون إلى النّار» (بالزّور) أى الكذب (والبهتان فولّوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب النّاس) أى أئمّة الضّلال بسبب وضع الأخبار اعطوا هؤلاء المنافقين الولايات وسلّطوهم على النّاس، ويحتمل العكس أى بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا والين على النّاس وصنعوا ماشاؤا وابتدعوا ما أرادوا قال المحدّث العلامة المجلسيّ: ولكنّه بعيد.

أقول: ولعلّ وجه استبعاده أنّ ظاهر كلامه عليه السلام يفيد كون إمامة أئمّة الضلالة متقدّمة على وضع الأخبار حيث تقرّبوا بها إليهم فلا يكون حينئذ ولايتهم وإمامتهم مستندة إلى وضعها و مسبّبة منها، ولكن يمكن رفع البعد بأن يكون المراد أنّ ثبات حكومتهم و ولايتهم و استحكامها كان بسبب مفتريات المنافقين وإن لم يكن أصل الولاية بسببها

وقوله (وأكلوا بهم الدّنيا) أى معهم أو باعانتهم، و الضّمير الأوّل راجع إلى

أئمة الضلالة ، والثاني إلى المنافقين المفترين ، ويحتمل العكس أيضاً .

وأشار إلى علة تقربهم إلى الولاة بمفترياتهم بقوله (وانما الناس) جميعا (مع الملوك والدنيا) لكون هواهم فيها فهم عبيدها ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت زالوا إليها وحيثما أقبلت أقبلوا عليها (إلا من عصمه) (الله) تعالى منها ومن أهلها ، وهم الدين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم (ف) هذا (هوأحدالأربعة)

(و) الثاني منهم (رجل سمع من رسول الله ﷺ شيئاً لم يحفظه على وجهه) الذى صدرمن لسانه الشريف (فوهم فيه) أى غلط وسهى (ولم يتعمد كذبا) كتعمد الرجل السابق الذكر (فهو في يديه) ينقله (ويرويه) لغيره (ويعمل به) في نفسه (يقول أنا سمعته من رسول الله) يسنده إليه ﷺ بزعم أنه عين ماقاله ﷺ (فلوعلم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه ولوعلم هوأنه كذلك لرفضه) أى نبذه وتركه ولم يروه

أقول : ومن ذلك اشترط علماء الدراية الضبط في الراوى يرى ضبطه لما يرويه بمعنى كونه حافظاً له متيقظاً غير مغفل إن حدث من حفظه ضابطا لكتابه حافظا من الغلط والتصحيف والتحريف ان حدث منه عارفاً بمايختل به المعني ان روى به أى بالمعنى على القول بجوازه حسبما تعرفه إنشاءالله تفصيلا .

(ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً يأمر به ثم نهى عنه وهولا يعلم) بنهيه (أوسمعه ينهى عن شيء ثم امر به وهولايعلم) بأمره (فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم أنه منسوخ لرفضه و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه) ولكنه لجهله وغفلته عن الناسخ روى المنسوخ لغيره فقبلوه منه بحسن وثوقهم به

روى في الكافي بسند موثق عن محمد بن مسلم عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قلت له : مابال أقوام يروون عن فلان وفلان عن رسول الله ﷺ لا يتهمون بالكذب ، فيجيء منكم خلافه ؟ قال عليه السلام : إن الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن .

وفيه بسنده عن منصور بن حازم عن أبيعبدالله عليه السلام في حديث قال : قلت

فأخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدقوا على محمد أم كذبوا ؟ قال : بل صدقوا ، قال : قلت : فما بالهم قد اختلفوا ؟ فقال عليه السلام : أما تعلم أنّ الرّجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب ، ثمّ يجيئه بعد ذلك بما ينسخ ذلك الجواب فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً .

قال الشهيد الثاني في دراية الحديث عند تعداد أقسام الأحاديث : وسادس عشرها الناسخ والمنسوخ ، فانّ من الأحاديث ما ينسخ بعضها بعضاً كالقرآن .

والأوّل وهو الناسخ ما أي حديث دلّ على رفع حكم شرعيّ سابق ، فالحديث المدلول عليه بما بمنزلة الجنس يشمل الناسخ وغيره ومع ذلك خرج به ناسخ القرآن والحكم المرفوع شامل للوجودي و العدمي وخرج بالشرعي الذي هو صفة الحكم الشرعيّ المبتدا بالحديث ، فانه يرفع به الاباحة الأصلية لكن لا يسمى شرعياً ، وخرج بالسابق الاستثناء والصفة والشرط والغاية الواقعة في الحديث ، فانها قد ترفع حكما شرعيا لكن ليس سابقا .

و الثاني و هو المنسوخ ما رفع حكمه الشرعي بدليل شرعيّ متأخّر عنه وقيوده يعلم بالمقايسة على الأوّل ، وهذا فنّ صعب مهمّ حتّى أدخل بعض أهل الحديث فيه ما ليس منه لخفاء معناه ، وطريق معرفته النصّ من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مثل كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها ، و نقل الصحابي مثل كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنه ترك الوضوء مما مسّته النار ، أو التاريخ فانّ المتأخّر منهما يكون ناسخا للمتقدّم لما روى عن الصحابة كنا نعمل بالأحاديث فالأحاديث أو الاجماع كحديث قتل شارب الخمر في المرّة الرّابعة نسخه الاجماع على خلافه حيث لا يتخلّل الحدّ والاجماع لا ينسخ بنفسه وانما يدلّ على النسخ ، انتهى كلامه رفع مقامه .

وينبغي أن يعلم أنّ النسخ إنما يكون في الأحاديث الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا ينسخ بعده .

(وآخر رابع) له عناية بأمر الدّين واهتمام بمدارك الشرع المبين (لم يكذب على الله ولا على رسوله) صلى الله عليه وآله وسلم كالرّجل الأوّل المنافق المتصنّع بالاسلام تحرّجا

من الكذب والزّور (مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله صلّى الله عليه وآله ولم يهم) أي لم يغلط ولم يسه كالرّجل الثاني الغير الضابط (بل حفظ) و وعى (ماسمع على وجهه) كما اشير إليه في قوله عزّ وجلّ «وتعيها اذن واعية»

(فجاء به على سمعه) أي نقله على الوجه المسموع ، وفي بعض النسخ على ما سمعه بزيادة ما وهو أقرب (لم يزد فيه ولم ينقص منه) أي رواه من غير زيادة ولا نقصان فاستحقّ بذلك البشارة العظيمة من الله تعالى في قوله «فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه» .

فقد روى في البحار من الاختصاص باسناده عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام في هذه الآية قال عليه السلام : هم المسلمون لآل محمّد صلّى الله عليه وآله إذا سمعوا الحديث أدّوه كما سمعوه لا يزيدون ولا ينقصون .

وفيه عن الكليني بسنده عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام قول الله جلّ ثناؤه «الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه» قال عليه السلام : هو الرّجل يستمع الحديث فيحدّث به كما سمعه لا يزيد فيه ولا ينقص .

(فحفظ النّاسخ فعمل به و حفظ المنسوخ فجنّب عنه) لا كالرّجل الثالث يحفظ المنسوخ ويرويه ولم يحفظ النّاسخ ويغيب عنه (وعرف الخاصّ والعامّ فوضع كلّ شيء موضعه) أي أبقي العمومات الغير المخصّصة على عمومها وحمل المخصّصات على الخصوص و كذا المطلق والمقيّد وساير أدلّة الأحكام (وعرف المتشابه) فوكل علمه إلى الله تعالى ورسوله والراسخين في العلم عليهم السلام (ومحكمه) فأخذ به واتّبعه

ثمّ أكّد كون كلام الرّسول صلّى الله عليه وآله ذا وجوه مختلفة بقوله (وقد كان يكون من رسول الله صلّى الله عليه وآله الكلام له وجهان) ككتاب الله العزيز وكلامه عزّ شأنه (ف) بعضه (كلام خاصّ و) بعضه (كلام عامّ فيسمعه من لا يعرف ما عني الله سبحانه به ولا ماعني به رسول الله صلّى الله عليه وآله) من العموم و الخصوص (فيحمله السّامع) على غير معناه المراد من أجل اشتباهه وعدم معرفته (ويوجّهه) أي يؤوّله (على غير معرفة بمعناه وما قصد به وما خرج من أجله) أي العلّة المقتضية لصدور الكلام منه صلّى الله عليه وآله ؛ و كذا الحال

والمقام الّذى صدر فيه.

(وليس كلّ أصحاب رسول الله ﷺ يسأله ويستفهمه) لمهابته أو اعظاماً له (حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الاعرابي) من سكّان البادية (أو الطّارىء) أى الغريب الّذى أتاه عن قريب من غير انس به ﷺ وبكلامه (فيسأله عليه السلام حتّى يسمعوا) وإنّما كانوا يحبّون قدومهما إمّا لاستفهامهم و عدم استعظامهم إياه، أو لأنه ﷺ كان يتكلّم على وفق عقولهم فيوضحه حتى يفهم غيرهم .

ثمّ أشار عليه الصلاة و السلام إلى علوّ مقامه و رفعة شأنه وبلوغه ما لم يبلغه غيره بقوله (و كان لا يمرّ بي عن ذلك) أي من كلام رسول الله ﷺ (شيء إلاّ سألت عنه ﷺ وحفظته) لمزيد اختصاصه عليه الصلاة والسلام به و كونه عيبة علمه وقد كان يجب عليه عليه الصلاة والسلام السؤال و الحفظ كما كمان يجب عليه ﷺ التعليم والتفهيم لاقتضاء تكليف الاستخلاف ووظيفة الخلافة ذلك

(فهذا وجوه ماعليه الناس في اختلافهم) في الرّوايات (و)ضروب (عللهم) وأمراضهم (في رواياتهم) المختلفة .

و ينبغي تذييل المقام بامور مهمة = الاول

قال الشيخ الشهيد الثاني في كتاب دراية الحديث عند تعداد أصناف الحديث الضعيف :

الثامن الموضوع وهو المكذوب المختلق الموضوع بمعني أنّ واضعه اختلق وضعه لا مطلق حديث الكذوب ، فانّ الكذوب قد يصدق ، وهو أى الموضوع شرّ أقسام الضعيف ، ولا تحلّ روايته للعالم به إلاّ مبيناً لحاله من كونه موضوعاً بخلاف غيره من الضعيف المحتمل للصدق حيث جوّزوا روايته فى الترغيب والترهيب

ويعرف الموضوع باقرار واضعه بوضعه فيحكم حينئذ عليه بما يحكم على الموضوع في نفس الأمر لا بمعني القطع بكونه موضوعا ، لجواز كذبه في إقراره ، وإنما يقطع بحكمه لأنّ الحكم يتبع الظنّ الغالب ، وهو هنا كذلك ولولاه لما ساغ

قتل المقرّ بالقتل ولارجم المعترف بالزّنا ، لاحتمال أن يكونا كاذبين فيما اعترفا به .

و قد يعرف أيضا بركاكة ألفاظه و نحوها ، و لأهل العلم بالحديث ملكة قوية يميّزون بها ذلك ، و إنما يقوم به منهم من يكون اطلاعه تاماً ، وذهنه ثاقباً ، و فهمه قوياً ، و معرفته بالقراين الدّالة على ذلك ممكنة ، و بالوقوف على غلطه و وضعه من غير تعمّد، كما وقع لثابت بن موسى الزّاهد فى حديث من كثرت صلاته باللّيل حسن وجهه بالنّهار ، فقيل كان شيخ يحدّث في جماعة فدخل رجل حسن الوجه فقال الشيخ في أثناء حديثه : من كثرت صلاته باللّيل «الخ» فوقع لثابت ابن موسى أنّه من الحديث فرواه .

والواضعون أصناف :

منهم من قصد التقرّب به إلى الملوك وأبناء الدّنيا ، مثل غياث بن إبراهيم دخل على المهدى بن المنصور و كان تعجبه الحمام الطيارة الواردة من الأماكن البعيدة ، روى حديثاً عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : لاسبق إلاّ في خفّ أوحافر أونصل أوجناح ، فأمرله بعشرة آلاف درهم ، فلما خرج قال المهدى : اشهد أنّ قفاه قفا كذّاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جناح ولكن هذا أراد أن يتقرّب إلينا ، فأمر بذبحها وقال : أناحملته على ذلك

و منهم قوم من السؤّال يضعون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث يرتزقون بها كما اتّفق لأحمد بن حنبل و يحيى بن معين في مسجد الرّصافة .

وأعظم ضرراً من انتسب منهم إلى الزّهد والصّلاح بغير علم فاحتسب بوضعه أى زعم أنّه وضعه حسبة لله تعالى و تقرّباً إليه ليجذب بها قلوب النّاس إلى الله تعالى بالتّرهيب و التّرغيب ، فقبل النّاس موضوعاتهم فنقلوا منهم و ركنوا إليهم بظهور حالهم بالصّلاح والزّهد .

ويظهر ذلك من أحوال الأخبار الّتي وضعها هؤلاء في الوعظ والزّهد وضمّنوها أخباراً عنهم ونسبوا إليهم أفعالا و أحوالا خارقة للعادة و كرامات لم يتّفق مثلها لأولى العزم من الرّسل بحيث يقطع العقل بكونها موضوعة و إن كانت كرامات الأولياء

ممكنة في نفسها

ومن ذلك ما روى عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي أنّه قيل له : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضايل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إنّ النّاس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة و مغازي محمّد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة و كان يقال لأبي عصمة هذا : الجامع فقال : أبو حاتم بن الحيّان : جمع كلّ شيء إلاّ الصّدق

وروى ابن حيّان عن أبي مهدي قال : قلنا لميسرة بن عبد ربّه : من أين جئت بهذه الأحاديث من قرء بكذا فله كذا ، فقال : وضعتها أرغّب النّاس فيها

وهكذا قيل في حديث أبي الطّويل في فضايل سور القرآن سورة سورة ، فروى عن المؤمّل بن إسماعيل قال : حدّثني شيخ به فقلت للشيخ من حدّثك ؟ فقال حدّثني رجل بالمدائن و هو حيّ ، فصرت إليه وقلت : من حدّثك ؟ فقال : حدّثني شيخ بواسط وهو حيّ ، فصرت إليه وقلت : من حدّثك ؟ فقال : حدّثني شيخ بالبصرة ، فصرت إليه فقال : حدّثني شيخ بعبّادان ، فصرت إليه فأخذ بيدي و أدخلني بيتاً فاذا فيه قوم من الصّوفيّة ومعهم شيخ فقال : هذا الشيخ حدّثني ، فقلت : يا شيخ من حدّثك ؟ فقال : لم يحدّثني أحد ولكن رأينا النّاس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذه الأحاديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن .

و كلّ من أودع هذه الأحاديث في تفسيره كالواحدي والثعلبي والزّمخشري فقد أخطأ في ذلك و لعلّهم لم يطلعوا على وضعه مع أنّ جماعة من العلماء قد نبّهوا عليه ، وخطب من ذكره مستندا كالواحدي أسهل .

ووضعت الزّنادقة كعبد الكريم بن أبي العوجاء الّذي أمر بضرب عنقه محمّد بن سليمان بن عليّ العبّاسي ، و بيان الّذي قتله خالد القشيري «القسري» و أحرقه بالنّار ، والغلاة من فرق الشّيعة كأبي الخطاب و يونس بن ظبيان و يزيد الصّايغ و أضرابهم جملة من الحديث ليفسدوا بها الاسلام ويبصروا به مذهبهم .

روى العقيلي عن حمّاد بن يزيد قال : وضعت الزّنادقة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

أربعة عشر ألف حديث .

وروى عن أبي عبدالله « عبدالله خ ل» بن يزيد المقرى أنّ رجلا من الخوارج رجع عن مذهبه فجعل يقول : انظروا هذا الحديث عمّن تأخذونه كنّا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً .

ثمّ نهض جهابذة النقّاد ـ جمع جهبذ وهو النّاقد البصير ـ يكشف عوارها ـ بفتح العين وضمّها والفتح أشهر وهو العيب ـ ومحوا عارها ، فللّه الحمد حتّى قال بعض العلماء : ماستر الله أحداً يكذب في الحديث .

و قد ذهب الكراميّة ـ بكسر الكاف و تخفيف الرّاء و بفتح الكاف و تشديد الرّاء على اختلاف نقل الضّابطين لذلك ـ وهم الطايفة المنتسبون بمذهبهم إلى محمّد ابن كرام وبعض المبتدعة من المتصوّفة إلى جواز وضع الحديث للترغيب والترهيب للنّاس وترغيباً في الطاعة و زجراً لهم عن المعصية .

واستدلّوا بماروى في بعض طرق الحديث من كذب عليّ متعمّداً ليضلّ به النّاس فليتبوّء مقعده من النّار ، وهذه الزّيادة قد أبطلها نقلة الحديث وحمل بعضهم من كذب عليّ متعمّداً ، على من قال : إنّه ساحر أو مجنون ، حتّى قال بعض المخذولين إنّما قال من كذب عليّ ، و نحن نكذّب له و نقوّى شرعه نسأل الله السّلامة من الخذلان .

و حكى القرطبي في المفهّم عن بعض أهل الرّأى : إنّ ما وافق القياس الجلي جاز أن يعزى إلى النّبي صلى الله عليه وآله .

ثمّ المروىّ تارة يخترعه الواضع ، وتارة يأخذ كلام غيره كبعض السلف الصّالح وقدماء الحكماء والاسرائيليّات ، أو يأخذ حديثاً ضعيف الاسناد فير كّب له اسناداً صحيحا ليروّج .

وقد صنّف جماعة من العلماء كتبا في بيان الموضوعات .

وللصّغاني الفاضل الحسين بن محمّد في ذلك كتاب الدّر الملتقط في تبيّن الغلط جيّد في هذا الباب ولغيره كأبى الفرج ابن الجوزى دونه في الجودة ، لأنّ كتاب

ابن الجوزي ذكر فيه كثير من الأحاديث الّتي ادّعي وضعها لا دليل على كونها موضوعة والحاقها بالضعيف أولى وبعضها قد يلتحق بالصحيح والحسن عند أهل النّقد، بخلاف كتاب الصّغاني فانّه تامّ في هذا المعنى يشتمل على انصاف كثير

الثاني

اعلم أنّ اكثر أخبار الموضوعة قد وضعت في زمن بني اميّة لعنهم الله قاطبة كما ظهر لك تفصيل ذلك في شرح الكلام السّابع والتّسعين ممّا رويناه من البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالي و نضيف إليه ما ذكره و نقله الشّارح المعتزلي هنا لاشتماله على زيادة لم يتقدّم ذكرها مع كونه مؤيّداً لما قدّمنا فأقول:

قال الشّارح بعد ما ذكر أنّه خالط الحديث كذب كثير صدر عن قوم غير صحيحي العقيدة قصدوا به الاضلال وتخليط القلوب والعقايد، وقصد به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم في التنويه بذكرهم غرض دنيويّ ما صريح عبارته:

وقد قيل إنّه افتعل في أيّام معاوية خاصّة حديث كثير على هذا الوجه، ولم يسكت المحدّثون الرّاسخون في علم الحديث عن هذا بل ذكروا كثيراً من هذه الأحاديث الموضوعة وبيّنوا وضعها وأنّ رواتها غير موثق بهم إلاّ أنّ المحدّثين إنّما يطعنون فيما دون طبقة الصّحابة ولا يتجاسرون على الطّعن في أحد من الصّحابة لأنّ عليه لفظ الصحبة على أنهم قد طعنوا في قوم لهم الصحبة كثير «كبسر ظ» بن ارطاة وغيره.

فان قلت: من أئمة الضلال (١) الذين تقرّب إليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله ﷺ وصحبوه بالزّور والبهتان، وهل هذا إلاّ تصريح بما تذكره الامامية و تعتقده؟

قلت: ليس الأمر كما ظننت وظنّوا، وإنما يعني معاوية وعمرو بن العاص ومن شايعهما على الضلال.

كالخبر رواه من رواه في حقّ معاوية: اللّهمّ قِهِ العذاب والحساب وعلّمه الكتاب

---

(١) أراد بهم ما تقدم ذكرهم في المتن، منه

وكرواية عمرو بن العاص تقرّبا إلى قلب معاوية : إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، وإنما وليّي الله وصالح المؤمنين

وكرواية قوم في أيام معاوية أخباراً كثيرة من فضايل عثمان تقرّباً إلى معاوية بها

ولسنا نجحد فضل عثمان وسابقته ، ولكنا نعلم أنّ بعض الأخبار الواردة فيه موضوع كخبر عمرو بن مرّة فيه وهو مشهور وعمرو بن مرّة ممّن له صحبة وهو شاميّ .

وليس يجب من قولنا إنّ بعض الأخبار الواردة في حقّ شخص فاضل مفتعلة أن تكون قادحة في فضل ذلك الفاضل ، فانّا مع اعتقادنا أنّ عليّاً عليه السلام أفضل النّاس نعتقد أنّ بعض الأخبار الواردة في فضايله مفتعل ومختلق .

وقد روى أنّ أباجعفر محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام قال لبعض أصحابه :

يا فلان ما لقينا من ظلم قريش ايّانا وتظاهرهم علينا وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس ، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قبض وقد أخبر أنّا أولى الناس بالناس ، فتمالئت علينا قريش حتى اخرجت الأمر عن معدنه ، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا ، ثمّ تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتّى قتل .

فبويع الحسن عليه السلام ابنه وعوهد ثمّ غدر به واسلم ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ، وانتهب عسكره وعولجت خلاخيل امهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل.

ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفا ثمّ غدر به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم .

ثم لم تزل أهل البيت تستذلّ وتستضام ونقصي ونمتحن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً

يتقرّبون به إلى أوليائهم ؛ و قضاة السوء و عمال السوء في كلّ بلدة ، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنا مالم نقله ليبغضونا إلى الناس .

وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة ، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره .

ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ و يزداد إلى زمان عبيدالله بن زياد لعنه الله قاتل الحسين عليه السلام .

ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلة و أخذهم بكلّ ظنّة و تهمة حتّى أنّ الرّجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شيعة عليّ عليه السلام ، و حتّى صار الرّجل الّذي يذكر بالخير و لعلّه ورعا صدوقا يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة و لم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت و هو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قدرواها ممّن لم يعرف بكذب و لا بقلّة ورع

و روى أبوالحسن عليّ بن محمّد بن أبي سيف المدايني في كتاب الأحداث قال كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذّمة ممّن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته.

فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليّاً عليه السلام و يبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته ، وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة عليّ عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سميّة وضمّ إليه البصرة فكان يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف لأنّه كان منهم أيّام عليّ عليه السلام فقتلهم تحت كلّ حجر و مدر ، و أخافهم و قطع الأيدي والأرجل و سمل العيون و صلبهم على جذوع النخل و طردهم وشرّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم.

و كتب معاوية لعنه الله إلى عمّاله في جميع الآفاق : لايجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة.

وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان و محبّيه وأهل ولايته والّذين يروون فضايله ومناقبه. فادنوا مجالسهم و قرّبوهم وأكرموهم و اكتبوا إليّ بكلّ مايروى كلّ رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا حتّى أكثروا في فضايل عثمان ومناقبه لماكان يبعثه إليهم معاوية من الصلاة والكساء والحباء والقطايع و يفيضه في العرب منهم والموالى وكثرذلك في كلّ مصر و تنافسوا في المنازل والدّنيا، فليس يجزى‌ءمردود من الناس عاملا من عمّال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أومنقبة إلاّ كتب اسمه وقرّبه و شفّعه فلبثوا بذلك حينا.

ثمّ كتب إلى عمّا له: أنّ الحديث في عثمان قدكثر وفشا في كلّ مصر و في كلّ وجه و ناحية، فاذاجائكم كتابى هذا فادعوا الناس إلى الرّواية في فضايل الصحابة والخلفاء الأوّلين ولاتتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وأتونى بمناقض له في الصحابة مفتعلة لاحقيقة لها

وجدّ الناس في رواية مايجرى هذاالمجرى حتّى أشاروا يذكروا ذلك على المنابر، وألقى إلى معلّمى الكتّاب فعلّموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثيرالواسع حتّى رووه و تعلّموه كما يتعلّمون القرآن وحتّى علّموه بناتهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ماشاءالله.

ثمّ كتب نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من أقامت عليه البيّنة أنّه يحبّ علياً و أهل بيته فامحوه من الدّيوان، و اسقطوا عطاءه ورزقه.

و شفّع ذلك بنسخة اخرى: من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به و اهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشدّ ولاأكثر منه بالعراق ولاسيّما بالكوفة حتّى أنّ الرجل من شيعة علىّ عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه و يخاف من خادمه و مملوكه ولايحدّثه حتّى يأخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمنّ عليه.

فظهر حديث كثير موضوع و بهتان منتشر، و مضى على ذلك الفقهاء والقضاة

والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بليّة القرّاء المراؤون، و المتصنّعون الّذين يظهرون الخشوع والنّسك، فيفتعلون ذلك ليحظوا بذلك عند ولاتهم و يقرّبوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل.

حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لايستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها و رووها وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولاتديّنوا.

فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسن بن عليّ عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ و هو خائف على دمه أو طريد في الأرض.

ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه الصلاة و السلام وولي عبدالملك بن مروان فاشتدّ على الشيعة

و ولّى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرّب إليه أهل النّسك والصلاح و الدّين ببغض عليّ عليه السلام و موالاة أعدائه و موالاة من يدعي قوم من الناس أنّهم أيضاً أعداؤه فاكثروا في الرّواية في فضلهم و سوابقهم و مناقبهم، و أكثروا من الغضّ من عليّ عليه السلام و عيبه والطعن فيه والشنان له.

حتّى أنّ إنساناً وقف للحجاج و يقال جدّ الأصمعي عبد الملك بن قريب فصاح به أيّها الأمير إنّ أهلي عقّوني فسمّوني علياً، و إنّي فقير بائس و أنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج و قال: للطف ماتوسّلت به قد وليتك موضع كذا.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه و هو من أكابر المحدّثين و أعلامهم في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، و قال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني امية تقرّباً إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنف بني هاشم.

ثمّ قال الشارح بعد جملة من الكلام:

و اعلم أنّ أصل الأكاذيب في أحاديث الفضايل كان من جهة الشيعة: فانّهم

و ضعوا فى مبدء الأمر أحاديث كذا مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم.

نحو حديث السطل ، وحديث الرّمانة ، و حديث غزوة البئر التي كان فيها الشياطين و يعرف كما زعموا بذات العلم ، و حديث غسل سلمان الفارسي و طىّ الأرض ، و حديث الجمجمة و نحو ذلك.

فلمّارأت البكريّة ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث.

نحو لو كنت متّخذاً خليلا ، فانّهم وضعوه في مقابلة حديث الاخاء.

و نحو سدّ الأبواب فانّه كان لعليّ عليه السلام فقلبته البكريّة إلى أبي بكر.

و نحو ايتونى بدواة و بياض اكتب فيه لأبي بكر كتاباً لايختلف عليه اثنان ثمّ قال : يأبي الله والمسلمون إلاّ أبابكر.

فانّهم وضعوه في مقابلة الحديث المرويّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه : ايتونى بدواة و بياض أكتب لكم مالاتضلّون بعده أبداً ، فاختلفوا عنده و قال قوم منهم: لقدغلبه الوجع حسبنا كتاب الله.

و نحو حديث أنا راض عنك فهل أنت عنّي راض و نحو ذلك.

فلمّا رأت الشيعة ما وقد وضعت البكريّة أو سعوا في وضع الأحاديث.

فوضعوا حديث الطوق الحديد الّذي زعموا أنه فتله في عنق خالد.

و حديث اللّوح الذى زعموا أنّه كان في غدائر الحنفية أمّ محمّد

و حديث : لايفعل خالد ما امر به.

و حديث الصحيفة علّقت عام الفتح بالكعبة.

و حديث الشيخ الّذي صعد المنبر يوم بويع أبوبكر فسبق الناس إلى بيعته

و أحاديث مكذوبة كثيرة تقتضي نفاق قوم من أكابر الصحابة و التابعين الأوّلين و كفرهم و على أدون الطبقات فسقهم.

فقابلتهم البكريّة بمطاعن كثيرة في عليّ و في ولديه ، و نسبوه تارة إلى ضعف

العقل ، و تارة إلى ضعف السياسة ، و تارة إلى حب الدنيا والحرص عليها ، ولقد كان الفريقان في غنية عمّا اكتسباه و اجترحاه.

أقول: ولقد أجاد الشارح فيما نقل و أفادإلاّ أنّ ما قاله أخيراً في ذيل قوله: و اعلم أنّ أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل إلى آخر كلامه غير خال من الوهم والخبط .

و ذلك أنّا لاننكر صدور بعض المفتريات و الأحاديث الموضوعة من غلاة الشيعة وجهّا لهم و ممّا لامبالاة له في الدّين كما صدر أكثر كثير من هذه من علماء العامّة وجهّا لهم و أكابرهم و أصاغرهم حسبما تعرفه في التّنبيه الآتي إنشاءالله تعالى

لكن الأحاديث الخاصّيّة التي أشار إليها بخصوصها من حديث السطل والرمانة و غزوة الجنّ و غسل سلمان والجمجمة و حديث الطوق واللوح والصحيفة الملعونة والشيخ الّذى سبق إلى بيعة أبي بكر لا دليل على وضع شيء منها ، بل قد روى بعضها المخالف والموافق جميعاً كحديث السطل

فقد رواه السيد المحدّث الناقد البصير السيّد هاشم البحراني في كتاب غاية المرام في الباب السابع والتسعين منه بأربعة طرق من طرق العامّة ، و في الباب الثامن والتسعين منه بأربعة طرق من طرق الخاصّة.

و قد روى حديث الرّمانة أيضاً في الباب السابع عشر و مأة منه بطريق و احد من طرق العامة ، و في الباب الذى يتلوه بطريق واحد أيضاً من طرق الخاصة.

و أمّا حديث غزوة الجنّ فقد مضى روايته في شرح الفصل الثامن من الخطبة المأة و الاحدى و التسعين ، و قد رواه الشيخ المفيد « قد » في الارشاد بنحو آخر .

و لعلّ زعم الشارح وضعه مبنيّ على اُصول المعتزلة

ولقد أبطله المفيد في الارشاد فانّه بعد ما قال في عداد ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام و من ذلك ما تظاهر به الخبر من بعثه رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى وادى

الجنّ وقد أخبره جبرئيل عليه السلام أنّ طوايف منهم قداجتمعوا لكيده فاغنى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله و كفى الله المؤمنين به كيدهم و دفعهم عن المسلمين بقوّته التي بان بها عن جماعتهم

ثمّ روى الحديث عن محمّد بن أبى السرى التميمى عن أحمد بن الفرج عن الحسن بن موسى النّهدى عن أبيه عن وبرة بن الحرث عن ابن عباس وساق الحديث إلى آخره قال بعد روايته ما هذا لفظه:

و هذا الحديث قد روته العامّة كما روته الخاصة ، و لم يتنا كروا شيئاً منه و المعتزلة لميلها إلى مذهب البراهمة تدفعه ولبعدها عن معرفة الأخبار تنكره وهي سالكة في ذلك طريق الزّنادقة فيما طعنت به في القرآن وما تضمنه من أخبار الجنّ وايمانهم بالله ورسوله وماقصّ الله من نبائهم في القرآن في سورة الجنّ وقولهم « إنّا سمعنا قرآناً عجبا يهدى إلى الرّشد فآمنّا به » إلى آخر ما تضمّنه الخبر عنهم في هذه السّورة

و إذا بطل اعتراض الزّنادقة في ذلك بتجويز العقول وجود الجنّ و إمكان تكليفهم وثبوت ذلك مع إعجاز القرآن والاعجوبة الباهرة فيه كان مثل ذلك ظهور بطلان طعون المعتزلة فى الخبر الّذى رويناه ، لعدم استحالة مضمونه في العقول وفي مجيئه من طريقين مختلفين وبرواية فريقين في دلالته متباينين برهان صحّته

و ليس إنكار من عدل عن الانصاف في النّظر من المعتزلة و المجبّرة قدح فيما ذكرناه من وجوب العمل عليه .

كما أنّه ليس في جحد الملاحدة و أصناف الزنادقة و اليهود و النّصارى و المجوس و الصابئين ما جاء صحّته من الأخبار بمعجزات النّبيّ صلّى الله عليه وآله كانشقاق القمر و حنين الجذع و تسبيح الحصى في كفّه و شكوى البعير و كلام الذّراع ومجيء الشّجرة وخروج الماء من بين أصابعه فى الميضاة وإطعام الخلق الكثير من الطعام القليل قدح فى صحّتها وصدق رواتها وثبوت الحجّة بها .

بل الشّبهة لهم فى دفع ذلك وإن ضعفت أقوى من شبهة منكرى معجزات

أمير المؤمنين عليه السلام و براهينه لما لاخفاء عليها وعلى أهل الاعتبار به مما لا حاجة إلى شرح وجوهه في هذا المكان

ثمّ قال قدّس الله روحه بعد جملة من الكلام :

ولازال أجد الجاهل من الناصبة والمعاند يظهر التعجّب من الخبر بملاقات أمير المؤمنين عليه السلام الجنّ و كفّه شرّهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ويتضاحك لذلك وينسب الرّواية له إلى الخرافات الباطلة ، ويضع مثل ذلك في الأخبار الواردة بسوى ذلك من معجزاته عليه السلام ويقول : إنه من موضوعات الشيعة وتخرّص من افتراه منهم للتكسب بذلك أو التعصّب .

و هذا بعينه مقال الزّنادقة كافّة و أعداء الاسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجنّ وإسلامهم في قوله تعالى « إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرّشد »

و فيما ثبت به الخبر عن ابن مسعود في قصّة ليلة الجنّ و مشاهدته لهم كالزّط ، و في غير ذلك من معجزات الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّهم يظهرون التعجّب من جميع ذلك و يتضاحكون عند سماع الخبر به و الاحتجاج بصحّته و يستهزؤن ويلغطون (١) فيما يسرفون به من سبّ الاسلام وأهله واستحماق معتقديه والناصرين له ونسبتهم إيّاهم إلى العجز والجهل ، ووضع الأباطيل .

فلينظر القوم ماجنوه على الاسلام بعداوتهم لأمير المؤمنين عليه السلام واعتمادهم في دفع فضايله ومناقبه وآياته على ماضاهوا به أصناف الزّنادقة والكفّار ممّا يخرج عن طريق الحجاج إلى أبواب الشغب والمسافهات ، انتهى كلامه رفع مقامه .

وبذلك كلّه ظهر أيضاً فساد زعم وضع حديث بيعة الشّيطان لأبي بكر وظهوره بصورة شيخ وصعوده المنبر وسبقته إلى البيعة حسبما عرفت روايته تفصيلا في المقدّمة الثانية من مقدّمات الخطبة الثّالثة المعروفة بالشّقشقيّة .

إذ الظاهر أنّ زعم وضعه أيضاً مبنيّ على استبعاد ظهوره بصورة إنسان ، و يدفع ذلك ما اجتمع عليه أهل القبلة من ظهوره لأهل دار النّدوة بصورة شيخ

---

(١) لغط في الكلام قال مالا يفهم معناه ، منه

من أهل نجد واجتماعه معهم في الر ّ أى على المكر برسول الله صلى الله عليه وآله وظهوره يوم بدر للمشركين في صورة سراقة بن جعثم «جعشم» المدلجي وقوله «لا غالب لكم اليوم من النّاس و إنّي جار لكم» قال الله عزّ وجلّ «فلمّا ترائت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريء منكم إني أرى مالا ترون إنّي أخاف الله والله شديد العقاب»

وأما ساير الأحاديث فلا استبعاد بشيء منها حتى يزعم وضعها . وقد أتى آصف ابن برخيا الذى عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس بطيّ الأرض من مكان بعيد في طرفة عين ، فكيف يستبعد في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام الذى عنده علم الكتاب كلّه حسبما عرفت في غير موضع من تضاعيف الشرح حضوره عليه السلام بطيّ الأرض عند جنازة سلمان مع اختصاصه الخاصّ به عليه السلام وفوزه درجة السلمان منّا أهل البيت .

و قد قال عليه السلام و هو أصدق القائلين في حال حياته ما رواه عنه المخالف و المؤالف :

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا

وبالجملة فالأخبار المذكورة ليس على وضعها دليل من جهة العقل ، ولا من جهة النقل فدعواه مكابرة محضة ، فبالله التوفيق وعليه التكلان .(١)

المجلد السابع من منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة

الثالث

في جملة من الأخبار الموضوعة فأقول :

أما الأخبار الخاصية

فقد دسّ فيها بعض الأخبار الموضوعة وضعها الغلاة و المغيريّة و الخطابيّة والصّوفية وأمثالهم من أهل الفساد في العمل والاعتقاد ، ومن ذلك اهتمّ علماؤنا الأخيار غاية الاهتمام بحفظ الأخبار وضبطها ونقدها وتميز غثّها من سمينها وصحيحها

١ ـ هنا آخر المجلّد السادس على ما في الطبعة الأولى .

من سقيمها ، وقسّموها إلى الصحيح والموثّق والحسن و الضّعيف ، وصنّفوا كتباً في علم الدّراية وعلم الرّجال، وقد اُشير إلى ماذكرنا في مؤلفات أصحابنا وأخبار أئمّتنا سلام الله عليهم .

وارشدك إلى بعض مارواه في البحار من رجال الكشي عن محمّد بن قولويه والحسين بن الحسن بن بندار معاً عن سعد عن اليقطيني عن يونس بن عبدالرّحمن انّ بعض أصحابنا سأله و أنا حاضر فقال له : يابا محمّد ما أشدّك في الحديث و أكثر إنكارك لمايرويه أصحابنا ، فماالّذي يحملك على ردّ الأحاديث ؟ فقال : حدّثني هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول : لاتقبلوا علينا حديثاً إلاّ ماوافق القرآن و السنّة أوتجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدّمة ، فانّ المغيرة بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدّث بها أبي فاتّقوا الله ولاتقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى و سنّة نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فانا إذا حدّثنا قلنا: قال الله عزّ وجلّ ، و قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ،قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر عليه السلام ووجدت أصحاب أبي عبدالله عليه السلام متوافرين ، فسمعت منهم وأخذت كتبهم فعرضتها بعد على أبي الحسن الرّضا عليه السلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبدالله عليه السلام ، وقال لي: إنّ أبا الخطاب كذب على أبي عبدالله عليه السلام فلاتقبلوا علينا خلاف القرآن ، فانّا إن حدّثنا حدّثنا بموافقة القرآن وموافقة السنّة إنّا عن الله تعالى وعن رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم نحدّث ، ولانقول قال فلان وفلان فيتناقض كلامنا إنّ كلام آخرنا مثل كلام أوّلنا و كلام أوّلنا مصداق لكلام آخرنا، وإذا أتاكم من يحدّثكم بخلاف ذلك فردّوه عليه و قولوا أنت أعلم وما جئت به ، فانّ مع كلّ قول منّا حقيقة وعليه نور ، فما لاحقيقة معه ولانورعليه فذلك قول الشّيطان .

وفي البحار أيضاً عن الكشي بهذا الاسناد عن يونس عن هشام بن الحكم أنّه سمع أباعبدالله عليه السلام يقول : كان المغيرة بن سعيد يتعمّد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه ، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة ، فكان يدسّ فيها الكفر والزّندقة و يسندها إلى أبي

ثمّ يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبثّوها في الشّيعة ، فكلّما كان في كتب أصحاب أبي من الغلوّ فذاك ممادسّه المغيرة بن سعيد في كتبهم.

وفيه أيضاً عن الكشّي باسناده عن زرارة قال : قال يعني أباعبدالله عليه السلام : إنّ أهل الكوفة نزل فيهم كذّاب ، أمّا المغيرة فانّه يكذب على أبي يعني أباجعفر قال : حدّثه أنّ نساء آل محمّد إذا حضن قضين الصّلاة ، و ان والله عليه لعنة الله ما كان من ذلك شيء ولا حدّثه ، وأمّا أبوالخطاب فكذب عليّ وقال : إنّي أمرته أن لا يصلّي هو و أصحابه المغرب حتّى يروا كواكب كذا ، فقال القندانى : و الله إن ذلك لكوكب لانعرفه .

و أما الاخبار العامية

فالموضوعة فيها أكثر من أن تحصى ، وقد تقدّم الاشارة إلى بعضها في التنبيهات السابقة من الشهيد والشّارح المعتزلي وسبق بعضها في شرح الكلام السّابق ، ووقعت الاشارة إلى جملة منها فيما رواه في الاحتجاج .

قال : و روى أنّ المأمون بعد ما زوّج ابنته أمّ الفضل أباجعفر عليه السلام كان في مجلس و عنده أبوجعفر عليه السلام و يحيى بن اكثم و جماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن اكثم : ما تقول يابن رسول الله في الخبر الّذى روي أنّه نزل جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: يا محمّد إنّ الله يقرؤك السلام ويقول لك : سل أبابكر هل هو عنّى راض فانّي راض عنه.

فقال أبوجعفر عليه السلام: إنّي لست بمنكر فضل أبي بكر ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذه مثل الخبر الّذى قاله رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع : قد كثرت عليّ الكذّابة و استكثر فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النار، فاذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنّتى فما وافق كتاب الله وسنّتى فخذوا به ، و ما خالف كتاب الله و سنّتى فلاتأخذوا به ، وليس يوافق هذا الحديث كتاب الله قال الله تعالى : « و لقد خلقنا الانسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن أقرب إليه من حبل الوريد» فالله تعالى خفى عليه رضا أبي بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون

سره هذا مستحيل في العقول.

ثمّ قال يحيى بن اكثم : وقد روى أنّ مثل أبي بكر و عمر في الأرض كمثل جبرئيل و ميكائيل في السماء

فقال عليه السلام: و هذا أيضاً يجب أن ينظر فيه ، لأنّ جبرئيل و ميكائيل ملكان مقرّبان لم يعصيا الله قطّ و لم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ و جلّ و إن أسلما بعد الشرك ، فكان أكثر أيامهما الشرك بالله فمحال أن يشبهما بهما .

قال يحيى : و روى أيضاً إنّهما سيّدا كهول أهل الجنة فماتقول فيه؟

فقال عليه السلام : و هذا الخبر محال أيضاً ، لأنّ أهل الجنة كلّهم يكونون شاباً ولا يكون فيهم كهل ، و هذا الخبر وضعه بنو امية لمضادّة الخبر الّذى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين عليهما السلام : بأنّهما سيّداشباب أهل الجنة

فقال يحيى بن اكثم : و روى أنّ عمرسراج أهل الجنة.

فقال عليه السلام : و هذا أيضاً محال لأنّ في الجنة ملائكةالله المقرّبين و آدم ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، و جميع الأنبياء والمرسلين لاتضىء بأنوار حتى تضيء بنور عمر.

فقال يحيى : وقد روى أنّ السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عليه السلام: لست بمنكر فضله ولكن أبابكر أفضل من عمر و قد قال على رأس المنبر إنّ لى شيطاناً يعتريني فاذا ملت فسدّ دوني.

فقال يحيى : قد روى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لولم ابعث لبعث عمر.

فقال عليه السلام : كتاب الله أصدق من هذا يقول الله في كتابه « و لقد أخذنا من النّبيين ميثاقهم و منك و من نوح » فقد أخذالله ميثاق النّبيّين، فكيف يمكن أن يبدّل ميثاقه ، و كلّ الأنبياء لم يشركوا بالله طرفة عين فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك و كان أكثر أيّامه مع الشرك بالله ، و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نبئت و آدم بين الرّوح والجسد.

فقال يحيى بن اكثم: وقدروى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : ما احتبس الوحي عنّي

قطّ إلاّ ظننته قد نزل على آل الخطاب

فقال عليه السلام: و هذا أيضاً محال لأنّه لايجوز أن يشكّ النبي صلى الله عليه وآله في نبوّته قال الله تعالى «الله يصطفى من الملائكة رسلا و من الناس» فكيف يمكن أن تنتقل النبوّة ممّن اصطفاه الله إلى من أشرك به

قال يحيى: وقد روى انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلاّ عمر بن الخطاب.

فقال عليه السلام: و هذا أيضاً محال، لأنّ الله يقول «و ما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم و ما كان الله معذّبهم وهم يستغفرون» فأخبر الله تعالى أنه لايعذّب أحداً مادام فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله ومادامو يستغفرون الله تعالى.

واشير إلى جملة اخرى أيضاً فيما رواه في البحار من عيون الأخبار عن أبيه وابن الوليد عن محمد العطار واحمد بن ادريس معاً عن الأشعري عن صالح بن أبي حماد الرّازي عن إسحاق بن حاتم عن إسحاق بن حماد بن زيد قال سمعنا يحيى بن اكثم القاضي قال:

أمرني المأمون باحضار جماعة من أهل الحديث و جماعة من أهل الكلام والنظر، فجمعت له من الصنفين زهاء أربعين رجلا، ثمّ مضيت بهم فأمرتهم بالكينونة في مجلس الحاجب لأُعلمه بمكانهم، ففعلوا فأعلمته فأمرني بادخالهم ففعلت فدخلوا و سلّموا فحدّثهم ساعة وآنسهم

ثمّ قال: إنّي اُريد أن أجعلكم بيني و بين الله في هذا اليوم حجّة فما أحد تقرّب إلى مخلوق بمعصية الخالق إلاّ سلّطه الله عليه فناظروني بجميع عقولكم انّي رجل أزعم أنّ عليّاً خير البشر بعد النّبي صلى الله عليه وآله فان كنت مصيباً فصوّبوا قولي، وإن كنت مخطئاً فردّوا عليّ و هلمّوا فإن شئتم سألتكم وان شئتم سألتموني

فقال له الذين يقولون بالحديث: بل نسألك

فقال: هاتوا وقلّدوا كلامكم رجلا منكم فاذا تكلّم فان كان عند أحدكم زيادة فليزد و إن أتى بخلل فسدّدوه.

فقال قائل منهم: أمّا نحن فنزعم أنّ خير الناس بعد النّبي صلى الله عليه وآله أبو بكر

من قبل أنّ الرّواية المجمع عليها جائت عن الرّسول صلى الله عليه وآله قال : اقتدوا باللّذين من بعدى أبي بكر و عمر ، فلمّا أمر نبيّ الرّحمة بالاقتداء بهما علمنا أنّه لم يأمر إلاّ بالاقتداء بخير النّاس.

فقال المأمون : الرّوايات كثيرة و لابدّ من أن يكون كلّها حقاً أو كلّها باطلا أو بعضها حقّاً و بعضها باطلا، فلو كانت كلّها حقّاً كانت كلّها باطلا من قبل أن بعضها ينقض بعضاً، ولو كانت كلّها باطلا كان في بطلانها بطلان الدّين ودروس الشريعة ، فلمّا بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار و هو أنّ بعضها حقّ و بعضها باطل فاذا كان كذلك فلابدّ من دليل على ما يحقّ منها ليعتقد و ينفى خلافه ، فاذا كان دليل الخبر في نفسه حقّاً كان أولى ما أعتقد و آخذ به و روايتك هذه من الأخبار الّتي أدلّتها باطلة في نفسها ، و ذلك إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أحكم الحكما و أولى الخلق بالصّدق و أبعد النّاس من الأمر بالمحال و حمل النّاس على التّدين بالخلاف و ذلك إنّ هذين الرّجلين لايخلو من أن يكونا متّفقين من كلّ جهة أو مختلفين ، فان كانا متّفقين من كلّ جهة كانا واحداً في العدد والصفة والصّورة والجسم ، وهذا معدوم أن يكون اثنان بمعنى واحد من كلّ جهة ، وإن كانا مختلفين فكيف يجوز الاقتداء بهما ، و هذا تكليف ما لايطاق لأنّك إذا اقتديت بواحد خالفت الآخر ، و الدّليل على اختلافهما إنّ أبابكر سبى أهل الرّدة وردّهم عمر أحراراً ، و أشار عمر إلى أبي بكر بعزل خالد وبقتله بمالك بن نويرة فأبي أبوبكر عليه ، و حرّم عمر المتعة ولم يفعل ذلك أبوبكر ، ووضع عمر ديوان العطية ولم يفعله عمر ، و استخلف أبوبكر ولم يفعل ذلك عمر ، ولهذا نظاير كثيرة.

«قال الصدوق رضى الله عنه في هذا فصل لم يذكره المأمون لخصمه وهو أنّهم لايرووا أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال : اقتدوا بالّذين من بعدي أبي بكر و عمر ، و إنّما رووا أبوبكر و عمر و روى أبابكر و عمر ، فلو كانت الرّواية صحيحة لكان معنى قوله بالنّصب اقتدوا باللّذين من بعدى كتاب الله والعترة يا أبابكر وعمر، و معنى قوله بالرّفع اقتدوا أيّها النّاس و أبوبكر وعمر باللّذين من بعدى كتاب الله والعترة»

رجعنا إلى حديث المأمون

فقال آخر من أصحاب الحديث : فان النبي صلى الله عليه وآله قال : لو كنت متخذاً خليلا لاتخذت أبابكر خليلا.

فقال المأمون : هذا مستحيل من قبل أن رواياتكم أنه عليه السلام آخا بين أصحابه و أخر علياً عليه السلام فقال له في ذلك فقال عليه السلام : ما أخرتك إلا لنفسي، فأي الروايتين ثبتت بطلت الأخرى

قال آخر : إن علياً عليه السلام قال على المنبر :خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر و عمر.

قال المأمون : هذا مستحيل من قبل أن النبي صلى الله عليه وآله لو علم أنهما أفضل ماولى عليهما مرة عمرو بن العاص ، و مرة اسامة بن زيد ، و مما يكذب هذه الرواية قول علي عليه السلام : قبض النبي صلى الله عليه وآله وأنا أولى بمجلسه مني بقميصي ولكني أشفقت أن يرجع الناس كفاراً . و قوله عليه السلام أنى يكونان خير أمتي وقد عبدت الله عز وجل قبلهما و عبدته بعدهما.

قال آخر : فان أبابكر أغلق بابه فقال هل من مستقيل فاقيله فقال علي عليه السلام : قدمك رسول الله صلى الله عليه وآله فمن ذايؤ خرك.

فقال المأمون : هذا باطل من قبل أن علياً عليه السلام قعد عن بيعة أبي بكر ورويتم أنه عليه السلام قعد عنها حتى قبضت فاطمة عليها السلام وأنها أوصت أن تدفن ليلا لئلا يشهدا جنازتها ، و وجه آخر و هو أنه إن كان النبي صلى الله عليه وآله استخلفه فكيف كان له أن يستقيل وهو يقول للأنصارى : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أباعبيدة وعمر.

قال آخر : إن عمرو بن العاص قال: يا رسول الله من أحب الناس إليك من النساء ؟ فقال : عايشة ، فقال : من الرجال؟ فقال: أبوها.

فقال المأمون:هذا باطل من قبل أنكم رويتم أن النبي صلى الله عليه وآله وضع بين يديه طائر مشوى فقال صلى الله عليه وآله اللهم ائتني بأحب خلقك إليك،فكان علي عليه السلام فأي روايتكم تقبل؟!

فقال آخر : فان علياً عليه السلام قال : من فضلني على أبي بكر جلدته حد المفتري .

قال المأمون : كيف يجوز أن يقول علي عليه السلام اجلد الحد من لا يجب عليه

الحدّ، فيكون متعدّياً لحدود الله عزّ وجلّ، عاملا بخلاف أمره، وليس تفضيل من فضّله عليهما فرية، وقد رويتم عن إمامكم أنّه قال: وليتكم ولست بخيركم فأيّ الرّجلين أصدق عندكم أبوبكر على نفسه أو عليّ على أبي بكر مع تناقض الحديث في نفسه، ولابدّ له من قوله من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فان كان صادقاً فانّى عرف ذلك بالوحي فالوحي منقطع أو بالنّظر فالنّظر متحيّر منحتّ؛ وإن كان غير صادق فمن المحال أن يلي أمر المسلمين ويقوم بأحكامهم ويقيم حدودهم وهو كذّاب.

قال آخر: فقد جاء أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إنّ أبابكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة.

قال المأمون: هذا الحديث محال لأنّه لا يكون في الجنّة كهل، ويروى أنّ أشجعيّة كانت عند النّبي فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: لا يدخل الجنّة عجوز فبكت، فقال النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله عزّ وجلّ يقول «إنّا أنشأناهنّ إنشاء ✿ فجعلناهنّ أبكاراً ✿ عرباً أتراباً» فان زعمتم أنّ أبابكر ينشأ شابّا إذا دخل الجنّة فقد رويتم أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال للحسن والحسين: إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين و أبوهما خير منهما.

قال آخر: قد جاء أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر.

قال المأمون: هذا محال لأنّ الله عزّ وجلّ يقول «إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنّبيّين من بعده» وقال عزّ وجلّ «وإذ أخذنا من النّبيّين ميثاقهم و منك ومن نوح و إبراهيم و موسى وعيسى بن مريم» فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ «منه خ» ميثاقه على النّبوّة مبعوثاً ومن أُخذ ميثاقه على النّبوّة مؤخّراً

قال آخر: إنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم نظر إلى عمر يوم عرفة فتبسّم وقال: إنّ الله تعالى باهى بعباده عامّة وبعمر خاصّة.

فقال المأمون: فهذا مستحيل من قبل أنّ الله تعالى لم يكن ليباهي بعمر ويدع نبيّه عليه السلام فيكون عمر في الخاصّة و النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في العامّة، وليست هذه الرّواية

بأعجب من روايتكم أنّ النّبي صلى الله عليه وآله قال : دخلت الجنّة فسمعت خفق نعلين فاذا بلال مولى أبي بكر قدسبقني إلى الجنّة ، و إنّما قالت الشّيعة علي عليه السلام خير من أبي بكر فقلتم عبد أبي بكر خير من رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّ السابق أفضل من المسبوق ، وكما رويتم أنّ الشّيطان يفرّ من حسّ عمر ، وألقي على لسان النّبي صلى الله عليه وآله إنّهن الغرانيق العلى ففرّ من عمر ، وألقي على لسان النّبي صلى الله عليه وآله بزعمكم الكفر .

قال آخر : قال النّبي صلى الله عليه وآله : لو نزل العذاب ما نجي إلاّ عمر بن الخطّاب .

قال المأمون : هذا خلاف الكتاب أيضاً ، لأنّ الله عزّ وجلّ يقول «وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم» فجعلتم عمر مثل الرّسول صلى الله عليه وآله .

قال آخر : فقد شهد النّبي صلى الله عليه وآله لعمر بالجنّة في عشرة من الصحابة .

فقال : لو كان هذا كما زعمت كان عمر لا يقول لحذيفة : نشدتك بالله امن المنافقين أنا ، فان كان قال له : أنت من أهل الجنّة ولم يصدّقه حتّى زكاه حذيفة وصدّق حذيفة ولم يصدّق النّبي فهذا على غير الاسلام ، وإن كان قد صدّق النّبي صلى الله عليه وآله فلم سأل حذيفة ؟ وهذان الخبران متناقضان في أنفسهما .

فقال آخر . فقد قال النّبي صلى الله عليه وآله : وضعت امّتي في كفّة الميزان و وضعت في اخرى فرجّحت بهم ، ثمّ مكاني أبوبكر فرجح بهم ، ثمّ عمر فرجح ، ثمّ رفع الميزان .

فقال المأمون : هذا محال من قبل أنّه لايخلو من أن يكون أجسامهما أو أعمالهما ، فان كانت الأجسام فلا يخفى على ذي روح أنه محال ، لأنّه لا يرجح أجسامها بأجسام الأمة ، وإن كانت أفعالهما فلم يكن بعد فكيف يرجّح بماليس ، وخبّروني بمايتفاضل النّاس ؟ .

فقال بعضهم : بالأعمال الصّالحة

قال : فأخبروني فمن فضل صاحبه على عهد النّبي صلى الله عليه وآله ثمّ إنّ المفضول عمل بعد وفاة النّبي صلى الله عليه وآله بأكثر من عمل الفاضل على عهد النّبي صلى الله عليه وآله أيلحق به ؟ فان قلتم: نعم أوجدتكم في عصرنا هذا من هو أكثر جهاداً وحجّاً وصوماً وصلاة وصدقة من أحدهم .

قالوا : صدقت لايلحق فاضل دهرنا فاضل عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال المأمون: فانظروا فيما رويت عن أئمتكم الذين أخذتم عنهم أديانكم في فضايل علي عليه السلام وقائسوا إليها ماروو في فضايل تمام العشرة الذين شهدوا لهم بالجنة فان كانت جزء من أجزاء كثيرة فالقول قولكم، وان كانوا قدروو في فضايل علي عليه السلام أكثر فخذوا عن أئمتكم ماروو ولاتعدوه .

قال : فأطرق القوم جميعاً .

فقال المأمون : مالكم سكتتم ؟

قالوا : استقصينا .

اقول : هذا انموزج من أحاديثهم الموضوعة التي هي خارجة عن حد الاحصاء

الرابع

لاريب في جواز نقل الحديث بالمعني ، ويدل عليه أخبار كثيرة .

و تفصيل القول في ذلك على ما حققه المحدث العلامة المجلسي ره أنه إذا لم يكن المحدث عالماً بحقايق الألفاظ ومجازاتها ومنطوقها ومفهومها ومقاصدها لم تجزله الرواية بالمعنى بغير خلاف ، بل يتعين اللفظ الذى سمعه إذا تحققه وإلا لم تجزله الرواية .

وأما إذا كان عالماً بذلك .

فقد قال طايفة من العلماء لايجوز هي ، لأن لكل تركيب معني بحسب الوصل والفصل والتقديم والتأخير وغيرذلك لولم يراع ذلك لذهبت مقاصدها ، بل لكل كلمة مع صاحبتها خاصية مستقلة كالتخصيص و الاهتمام وغيرهما ، و كذا الألفاظ المشتركة والمترادفة ، ولووضع كل موضع الآخر لفات المعني المقصود ، ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نصرالله عبداًسمع مقالتي وحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه و رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . و كفى هذاالحديث شاهداً

بصدق ذلك .

واكثر الأصحاب جوّزوا ذلك مطلقا مع حصول الشرايط المذكورة ، وقالوا كلّما ذكرتم خارج عن موضوع البحث لأنّا إنّما جوّزنا لمن يفهم الألفاظ ويعرف خواصّها و مقاصدها ويعلم عدم اختلال المراد بها فيما أدّاه .

وقدذهب جمهورُ السّلف والخلف من الطوايف كلّها إلى جواز الرّواية بالمعنى إذا قطع بأداء المعنى بعينه ، لأنّه من المعلوم أنّ الصّحابة وأصحاب الأئمّة عليهم السلام لم يكونوا يكتبون الأحاديث عند سماعها ، ويبعد بل يستحيل عادة حفظهم جميع الألفاظ على ما هي عليه ، وقد سمعوها مرّة واحدة خصوصاً في الأحاديث الطويلة مع تطاول الأزمنة و لهذا كثيراً ما يروى عنهم المعنى الواحد بألفاظ مختلفة ولم ينكر ذلك عليهم ولا يبقى لمن تتبّع الأخبار في هذا شبهة

و **يدل** عليه أيضاً مارواه الكليني عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن الحسين عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عن محمّد بن مسلم قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أسمع الحديث منك فازيد وأنقص ؟ فقال عليه السلام : إن كنت تريد معانيه فلابأس ·

نعم لا مرية في أنّ روايته بلفظه أولى على كلّ حال لاسيّما في هذه الأزمان لبعد العهد وفوت القراين وتغيّر المصطلحات .

و **قد** روى الكليني عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن منصور بن يونس عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : قول الله جلّ ثناؤهُ « الّذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه » قال: هو الرّجل يسمع الحديث فيحدّث به كما سمعه لا يزيد فيه ولا ينقص

تذنيب

قال بعض الأفاضل: نقل المعنى إنّما جوّزوه في غير المصنّفات ، أمّا المصنّفات فقد قال أكثر الأصحاب : لايجوز حكايتها ولا نقلها بالمعنى ولا تغيير شيء منها على ماهو المتعارف

تكملة

هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام مرويّ في البحار من خصال الصّدوق «قد» عن

أبيه عن عليّ عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني وعمر بن اذينة عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم بن قيس الهلالي قال :

قلت لأمير المؤمنين عليه السلام : يا أمير المؤمنين إنّي سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم غير ما في أيدي الناس ثمّ سمعت منك تصديق ماسمعت منهم ورأيت في أيدي الناس شيئاً كثيراً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم أنتم تخالفونهم فيها وتزعمون أنّ ذلك كلّه باطل أفترى النّاس يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتمدين ويفسّرون القرآن بآرائهم؟ .

قال : فأقبل عليّ عليه السلام عليّ فقال : قد سألت فافهم الجواب : إنّ في أيدي النّاس حقا وباطلا و صدقا و كذباً وناسخاً و منسوخاً وعامّاً و خاصّاً و محكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً ، وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حتّى قام خطيباً فقال : أيّها النّاس قد كثرت عليّ الكذّابة فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار ، ثمّ كذب عليه من بعده .

إنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس :

رجل منافق يظهر الايمان متصنّع بالاسلام لا يتأثّم و لا يتحرّج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمّداً ، فلو علم النّاس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه ولم يصدّقوه ، ولكنّهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و رآه و سمع منه ، فأخذوا منه وهم لا يعرفون حاله ، وقد أخبر الله عزّ وجلّ عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عزّ وجلّ « و إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم و إن يقولوا تسمع لقولهم » ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة والدّعاة إلى النّار بالزور والكذب والبهتان ، فولّوهم الأعمال وولّوهم على رقاب النّاس و أكلوا بهم الدّنيا و إنّما النّاس مع الملوك والدّنيا إلاّ من عصم الله ، فهذا أحد الأربعة .

ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً لم يحفظه على وجهه و وهم فيه و لم يتعمّد كذباً ، فهوفي يده يقول به ويعمل به ويرويه ويقول : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلو علم المسلمون أنّه وهم لم يقبلوه ، ولوعلم هوأنّه وهم لرفضه .

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً أمر به ثمّ نهى عنه و هو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم ، فحفظ منسوخه ولم يحفظ النّاسخ ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون أنّه منسوخ لرفضوه .

و آخر رابع لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله مبغض للكذب خوفاً من الله عزّ وجلّ وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لم يسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه و لم ينقص منه ، و علم النّاسخ من المنسوخ فعمل بالنّاسخ ورفض المنسوخ .

وإنّ أمر النّبيّ صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاصّ وعامّ ومحكم ومتشابه ، وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان : كلام عامّ و كلام خاصّ ، وقال الله عزّ وجلّ في كتابه « ما آتيكم الرّسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا » فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله ، وليس كلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يسأله عن الشيء فيفهم كان منهم من يسأله و لا يستفهم ، حتّى كانوا ليحبّون أن يجيء الاعرابي الطّارى، فيسأل رسوله الله صلى الله عليه وآله حتّى يسمعوا

و كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كلّ يوم دخلة فيخليني فيها أدور معه حيثما دار ، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه لم يصنع ذلك بأحد من النّاس غيرى ، وربّما كان ذلك في شيء يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي وكنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني و أقام عنّي نساءه فلا يبقى عنده غيرى ، و إذا أتاني للخلوة معى في بيتي لم تقم عنه فاطمة و لا أحد من بنيّ و كنت إذا سألته أجابني ، وإذا سكتّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني .

فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلاّ أقرأنيها و أملاها عليّ فكتبتها بخطّي وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها وعامّها ، ودعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ و كتبته منذ دعا الله لي بما دعاه .

وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام أمر و لا نهى كان أو يكون و لا كتاب

منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهي عن معصية إلاّ علّمنيه وحفظنيه «حفظته» فلم أنس حرفاً واحداً ، ثمّ وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً ، فقلت : يا نبيّ الله بأبي أنت واُمّي إنّي منذ دعوت الله عزّ وجلّ لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوّف على النّسيان فيما بعد؟ فقال : لا لست أخاف عليك النّسيان ولا الجهل .

ورواه في الكافي أيضاً عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم بن قيس مثله .

ورواه في البحار أيضاً من كتاب الغيبة للنعماني عن ابن عقدة ومحمّد بن همام وعبدالعزيز و عبدالواحد ابنا عبدالله بن يونس عن رجالهم عن عبدالرّزاق و همام عن معمّر بن راشد عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم مثله .

ورواه في الاحتجاج عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال :

خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كيف أنتم إذا البستم الفتنة ينشؤ فيها الوليد ، ويهرم فيها الكبير ، ويجري النّاس عليها حتّى يتّخذوها سنّة ، فاذا غيّر منها شيء قيل أتى النّاس بمنكر غيّرت السنّة ، ثمّ تشتدّ البليّة وتنشؤ فيها الذرّيّة وتدقّهم الفتن كما تدقّ النّار الحطب و كما تدقّ الرّحى بثفالها ، فيومئذ يتفقّه النّاس لغير الدّين ويتعلّمون لغير العمل ويطلبون الدّنيا بعمل الآخرة

ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام و معه ناس من أهل بيته وخاصّ من شيعته فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال:

لقد عملت الولاة قبلي باُمور عظيمة خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمّدين لذلك ولو حملت النّاس على تركها و حوّلتها إلى مواضعها الّتي كانت عليها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرّق عنّي جندي حتّى أبقى وحدي إلاّ قليلا من شيعتي الّذين عرفوا فضلي وامامتي من كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم

أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى المكان الّذي وضعه فيه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام و رددت صاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومدّه إلى ما كان ، و أمضيت قطايع كان رسول الله صلى الله عليه وآله أقطعها للنّاس مسمّين ورددت دار جعفر بن أبيطالب إلى ورثته و هدمتها من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله ، ورددت قضاء كلّ من قضى بجور ، ورددت سبى ذرارى بنى تغلب ، ورددت ما قسم من أرض خيبر ، ومحوت ديوان العطاء وأعطيت كما كان يعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم أجعلها دولة بين الأغنياء .

والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا« يجمعوا خ» فى شهر رمضان إلاّ في فريضة فنادى بعض أهل عسكرى ممّن يقاتل سيفه معى انعى به الاسلام وأهله: غيّرت سنّة عمر ونهى أن يصلّى فى شهر رمضان فى جماعة حتّى خفت أن يثور فى ناحية عسكرى ما لقيت ولقيت هذه الامّة من أئمة الضلالة والدّعاة إلى النار.

و أعظم من ذلك سهم ذوى القربى قال الله « واعلموا أنّما غنمتم من شىء فأنّ لله خمسه وللرّسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ـ منّا خاصة ـ إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان » نحن والله عنى بذوى القربى الّذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجعل لنا فى الصدقة نصيباً أكرم الله نبيّه صلى الله عليه وآله وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدى الناس .

فقال له عليه السلام رجل : إنى سمعت من سلمان وأبى ذرّ والمقداد شيئاً من تفسير القرآن و الرّواية عن النبىّ صلى الله عليه وآله و سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ـ ثمّ ساق الحديث نحواً مما مرّ إلى قوله ـ حتى أن كانوا ليحبّون أن يجىء الاعرابى أو الطارىء فيسأله حتى يسمعوا ، و كان لا يمرّ بى من ذلك شىء إلاّ سألته و حفظته ، فهذه وجوه ما عليه النّاس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم .

الترجمة

ازجملۀ کلام آن إمام متّقين است درحالتى که سؤال کرد ازاو سؤال کنندۀ ازحديثهاى بدعتها وازآن خبرى که در دست مردمان است از اختلاف أخبار نبويّه پس فرمود :

بتحقیق که در دست مردم حقّ است و باطل است وراست است ودروغ است وناسخ است ومنسوخ است ومحکم‌است که معنی آن ظاهر ومتشابه است که معنی آن مشتبه ومحفوظ‌است از تحریف‌وزیاده ونقصان وموهوم‌است که غیر محفوظ از خطا وخلل وغلط بوده ، وبتحقیق که دروغ بسته شد بررسول خدا ﷺ درحال حیاة تا اینکه برخاست درحالتي که خطبه خواند پس فرمود : کسیکه دروغ‌بندد برمن عمداً پس‌باید منزل دهد جای نشیمن خودرا درآتش جهنّم ، وجزاین‌نیست آورد بتوحدیث را چهار کس که نیست پنجمي ازبرای‌آنها :

اوّل کسي است که منافق است که ظاهر ساخته ایمان را و بخود بسته اسلام را ، پرهیز ندارد از گناه و باك نمی کند از تنگی معصیت دروغ می‌بندد بررسول خدا ﷺ ازروی عمد ' پس اگر بدانند مردمان که او منافق و دروغ‌گو است قبول نمیکنند از او ، و تصدیق نمیکنند قول اورا ، ولیکن‌ایشان میگویند که این شخص مصاحب رسول خدا است دیده است او را و شنیده است ازاووأخذ نموده ازاو ، پس فراگیرند قول او را ، وبتحقیق که خبرداده‌است تورا خدای‌تعالی در قرآن از حال منافقان‌بآنچیز که خبر داده ، و وصف‌فرموده ایشان را بآن چیز که وصف کرده است‌از برای تو ' پس باقی ماندندآن‌منافقان بعد از رحلت حضرت رسول‌ﷺ وتقرّب جستند بسوی امامان ضلالت‌وگمراهی و دعوت کنندکان بسوی آتش جهنم بسبب دروغ و بهتان گفتن بر رسول خدا ﷺ ، پس گردانیدند ایشان را صاحبان اختیار کارها و حاکمان بر مردان ، و خوردند با دست یکی بودن ایشان مالها را ، و جز این نیست که‌مردمان مایلند بپادشاهان و راغبند بدنیا مگر کسی که حفظ نماید اورا خدا ، پس این کس یکی از آن چهار کس است

دویمی کسی است که شنید از حضرت رسول‌ﷺ چیزیرا که حفظ نکرد آنرا با وجهی که پیغمبر فرموده بود ، پس غلط کرد در آن و عمداًدروغ نگفت پس آنحدیث که شنیده بود در دست او بود و روایت میکرد آنرا و عمل مینمود

بآن و میگفت که من شنیده‌ام آنرا از رسول خدا ﷺ، پس اگر میدانستند مسلمانان که او غلط کرده است در آن قبول نمیکردند آنحدیث را از او، و اگر میدانست آنکس که آنحدیث همچنین است هر آینه ترك مینمود آنرا.

و شخص سیّمی شنید از حضرت رسالتمآب ﷺ چیزیرا که أمری نمود بآن پس نهی فرمود آن و آنشخص ندانست نهی آنرا، یا اینکه شنید که رسول خدا ﷺ نهي میکرد از چیزی پس أمر فرمود بآن و آنشخص ندانست امر بآنرا پس حفظ نمود منسوخرا که حکم أولیست وحفظ نکرد ناسخ را که حکم ثانوی بود، پس اگر میدانست که حکم أولی منسوخ است هر آینه ترك میکرد آن حکم را، و اگر مسلمانان میدانستند وقتی که از او شنیدند آنرا که آن منسوخ است هر آینه ترك می کردند آنرا.

و شخص دیگر چهارمی است که دروغ نگفته بر خدای تعالی و نه بر رسول خدا، دشمن دارنده دروغست از جهت ترس خدا و تعظیم رسول خدا، و توهّم و غلط نکرده است بلکه حفظ نموده آنچه که شنیده است بروجهی که شنیده است پس آورد آنرا یعنی روایت نمود بهمان قرار شنیده شده بدون زیاده و نقصان، پس حفظ کرده ناسخ را و عمل کرده بآن، و حفظ کرده منسوخ را و اجتناب نموده از آن، و شناخته است خاص و عام راپس گذاشته هر خبر را در مکان خود، وشناخته متشابه و محکم را

و گاهی بود که صادر میشد از رسول خدا ﷺ کلامیکه از برای او دووجه بود پس کلامی که مخصوص بود و کلامی که عموم داشت پس میشنید آنرا کسی که نمیشناخت آنچه را که قصد کرده بود خدا بآن و نه آنچه راقصد کرده بود بآن رسول خدا ﷺ پس حمل‌مینمود سامع آن کلام را و توجیه مینمود آنرا بدون معرفت بمعنای آن و بآنچه که قصد شده بآن و بآنچه که صادر شده آن کلام از برای آن.

و نبودند جمیع صحابهٔ رسول خدا ﷺ که سؤال کنند از او و طلب فهم

نمایند از آن تا اینکه دوست میداشتند اینکه بیاید عرب بادیه نشینی یاغریب تازه واردی پس سؤال کند ازاو عليه السلام تا اینکه بشنوند جواب را ، و بود که نمیگذشت بمن در کلام حضرت رسول صلى الله عليه وآله وسلم خبری مگر اینکه می‌پرسیدم رسول خدا رااز آن و حفظ مینمودم آنرا .

پس این است وجههای آن چیزی که بودند مردمان بر آن درمختلف شدن ایشان و علّتهای ایشان در اختلاف روایات ایشان .

و من خطبة له عليه السلام وهی المأتان والعاشرة من المختار فی باب الخطب

وَ كانَ مِنْ إِقْتِدارِ جَبَرُوتِهِ ، وَ بَدِيعِ لَطايِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ ماءِ الْبَحْرِ الزّاخِرِ الْمُتَراكِمِ الْمُتَقاصِفِ يَبَساً جامِداً ، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْباقاً ، فَفَتَقَها سَبْعَ سَماواتٍ بَعْدَ ارْتِتاقِها ، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقامَتْ عَلىٰ حَدِّهِ ، يَحْمِلُها الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ ، وَالْقَمْقامُ الْمُسَخَّرُ ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَ وَقَفَ الْجارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ ، وَجَبَلَ جَلامِيدَها ، وَ نُشُوزَ مُتُونِها وأَطْوادِها ، فَأَرْسيها في مَراسِيها ، وَأَلْزَمَها قَرارَتَها ، فَمَضَتْ رُؤُسُها فِي الْهَواءِ ، وَرَسَتْ أُصُولُها فِي الْماءِ ، فَأَنْهَدَ جِبالَها عَنْ سُهُولِها ، وَأَساخَ قَواعِدَها في مُتُونِ أَقْطارِها ، وَمَواضِعِ أَنْصابِها ، فَأَشْهَقَ قِلالَها ، وَأَطالَ أَنْشازَها ، وَجَعَلَها لِلْأَرْضِ عِماداً ، وَأَرَزَّها فِيها أَوْتاداً ، فَسَكَنَتْ عَلىٰ حَرَكَتِها مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِها ، أَوْ تَسِيخَ بِحَمْلِها ،

أَوْ تَزُولَ عَنْ مَواضِعِها .

فَسُبْحانَ مَنْ أَمْسَكَها بَعْدَ مَوَجانِ مِياهِها ، وَأَجْمَدَها بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنافِها ، فَجَعَلَها لِخَلْقِهِ مِهاداً ، وَبَسَطَها لَهُمْ فِراشاً ، فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍ راكِدٍ لا يَجْرِي ، وَقائِمٍ لا يَسْرِي ، تُكَرْكِرُهُ الرِّياحُ الْعَواصِفُ ، وَتَمْخَضُهُ الْغَمامُ الذَّوارِفُ « إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى » .

اللغة

(الجبروت) وزان ملكوت فعلوت من الجبر و هوالقهر و الغلبة ، والجبّار من جملة الأسماء الحسنى قال الصدوق : معناه القاهر الّذى لاينال ، و لهالتّجبر والجبروت أى التّعظم والعظمة و يقال للنّخلة الّتي لاتنال : جُبارة و (زخر)البحر كمنع امتدّ أمواجه و ارتفع و (قصف) الرّعد اشتدّ صوته و تقاصف البحر تزاحم أمواجه .

و (اليبس) قال الشارح المعتزلى بالتّحريك المكان يكون رطبا ثمّ يبس و منه قوله تعالى «فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً » و اليبس بالسّكون اليابس خلقة يقال حطب يبس هكذا يقول أهل اللّغة و فيه كلام لأنّ الحطب ليس يابساً خلقة بل كان رطباً من قبل . فالأصوب أن يقال : لاتكون هذه اللّفظة محرّكة إلاّ في المكان خاصّة ، انتهى

و قال الفيومى : شيء يبس ساكن الباء بمعنى يابس ، و حطب يبس كأنه خلقةو مكان يبس إذاكان فيه ماءفذهب، وقال الفارابى : مكان يبْس و يبَس و كذلك غير المكان .

و (الأطباق)جمع طبق كأسباب و سبب و هو غطاء كلّ شيء ، و الطبق من كلّ شيء ما ساواه و(المثعنجر) بصيغة الفاعل كما في النسخ السائل من ماءأودمع

و بفتح الجيم وسط البحر و ليس في البحر ماء يشبهه ، هكذا قال الفيروزآبادي ، و قال الجزري في حديث علي عليه السلام. يحملها الأخضر المثعنجر ، هو أكثر موضع في البحر ماء والميم والنون زايدتان و منه حديث ابن عباس فاذاً علمي بالقرآن في علم علي عليه السلام كالقرارة في المثعنجر ، والقرارة الغدير الصغير.

و (القمقام) بالفتح كما في النسخ وقد يضم البحر و (المسخر) في بعض النسخ بالخاء المعجمة و في بعضها بالجيم من سجر النهر ملأه و تسجير الماء تفجيره و (الجلمد) بالفتح الجلمود بالضم الحجر العظيم الصلب و (النشوز) جمع النشز بالفتح المكان المرتفع و (المتن) ما صلب من الأرض و ارتفع و (الطود) بالفتح الجبل أو العظيم منه و (القرارة) موضع القرار و في بعض النسخ قراراتها بصيغة الجمع .

و (رست) أي ثبتت و في بعض النسخ رسبت يقال رسب في الماء كنصر و كرم رسوبا ذهب سفلا و (نهد) ثدى الجارية كمنع و نصر أي كعب و ارتفع و (السهل) من الأرض ضد الحزن و(الأنصاب)جمع النصب بالفتح و يحرك وهو العلم المنصوب و بالضم و بضمتين كل ما جعل علما و كل ماعبد من دون الله و (القلال) بالكسر جمع قلة بالضم وهي أعلى الجبل و (العماد) بالكسر الخشبة التي يقوم عليها البيت والأبنية الرفيعة العالية

و (أرز) يأرز بتقديم المهملة كنصر و ضرب و علم أي ثبت ، و أرز بتشديد المعجمة أي أثبت ، و في أكثر النسخ بالتخفيف و فتح العين و في بعضها بالتشديد قال في النهاية في كلام علي عليه السلام أرزها فيها أوتاداً أي أثبتها إن كانت الزاي مخففة ، فهي من أرزت الشجرة تأرز إذا أثبت في الأرض ، و إن كانت مشددة فهي من أرزت الجرادة إذا أدخلت ذنبها في الأرض لتلقي فيها بيضها ، ورززت الشيء في الأرض رزاً أثبته فيها و حينئذ تكون الهمزة زايدة ، انتهى.

قيل : و روى آرزها بالمد من قولهم شجرة آرزة أي ثابتة في الأرض و(موجان مياهها)صيغة فعلان بالتحريك في المصدر تدل على الاضطراب كالميدان والنزوان

والخفقان ، وقد قال عليه السلام في الخطبة الأولى :ووتّد بالصخور ميدان أرضه و (المهاد) بالكسر الفراش والموضع يهيّىء للصبيّ و يوطاء ، و(الفراش) البساط و (اللجّة) بالضمّ معظم البحر

و (الكركرة) تصريف الرّياح السّحاب إذا جمعته بعد تفرّق وأصله تكرّره من التّكرر و كركرته عنّي أي دفعته ورددته و (مخض) اللبن يمخضه من باب نصر و ضرب و منع استخرج زبده بصبّ الماء فيه و تحريكه و (الغمام) جمع الغمامة كالسّحاب والسحابة لفظاً و معنا أو خصوص البيضاء منها و (ذرف عينه) أى سال دمعها و ذرفت العين دمعها أى أسال يتعدّى ولايتعدّى

الاعراب

أطوادها بالنصب عطف على جلاميدها و في بعض النسخ بالجرّ عطفا على متونها، وأوتادا حال من مفعول أرزّها، وعلى في قوله على حركتها ، للاستعلاء المجازى و في بعض النسخ عن حركتها بدل على فهى بمعنى بعد كما في قوله تعالى « عمّا قليل ليصبحنّ نادمين» والباء في قوله بأهلها بمعنى مع و كذلك في قوله بحملها ، وقال الشارح المعتزلى هى للتّعدية والأوّل أشبه

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة مسوقة لاظهار عظمة الله تعالى و كمال قدرته و جلاله و جبروته في خلق السماوات و الأرض والجبال ،وقدمضى فصل و اف في هذا المعنى منه عليه السلام في الفصل الثالث والثامن من المختار الأوّل ، و في الفصل الرّابع والسادس من المختار التّسعين ، و قال عليه السلام هنا:

(و كان من اقتدار جبروته) أى من قدرة عظمته و تجبره وجبّاريّته أى قهاريّته و غلابيّته ،و نسبة الإقتدار إلى جبروته تعالى إمّا تعظيماً و تفخيماً كما يقال إذا صدر أمر من السلطان أمر الباب العالي أو الحضرة الشريفة بكذا،أوتنبيهاً على أنّه عزّ و جلّ الأعظم المطلق حيث خلق هذه الأجرام القويّة العظيمة السماوية والأرضية

(و) نسبته إلى (بديع لطايف صنعته) ملاحظة لما أودع فيها من عجايب الصنع

و لطايف التّدبير الّتي يعجز عن إدراك أولّ قليلها عقول البشر، ففيه تنبيه على كمال لطفه و تدبيره و حكمته

و محصل مراده أنّه تعالى كان قدرته و لطفه منشئاً (أن جعل) أي خلق (من ماء البحر) و في بعض النسخ اليمّ بدله وهو بمعناه (الزاخر) المرتفع الممتلي الممتدّ جدّاً (المتراكم المتقاصف) أي الّذى اجتمع بعضه فوق بعض و تزاحمت أمواجه و اشتدّ صوته الهايل من كثرة الأمواج (يبسا جامداً) أراد به الأرض، فانه سبحانه خلقها من زبد الماء حسبما عرفته تفصيلا في التّذييل الثاني من شرح الفصل الثامن من الخطبة الأولى.

(ثمّ فطر منه) أي خلق من الماء أي من بخاره و دخانه حسبما عرفته أيضاً في شرح الفصل المذكور (أطباقا) أي طبقا بعد «فوق» طبق (ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها) يريد أنّها كانت طبقات منفصلة في الحقيقة متّصلة في الصورة بعضها فوق بعض ففتقها و فرّقها و باعد بعضها عن بعض فحصل سبع سماوات متميّزات بينها أمكنة الملائكة بعدما كانت ملتزقة متّصلة

و فيه تلميح إلى قوله تعالى «أولم ير الّذين كفروا أنّ السموات و الأرض كانتا رتقاً ففتقناهما و جعلنا من الماء كلّ شيء حيّ أفلا يؤمنون».

قال مجاهد و السّدي في تفسير الآية كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات و كانت الأرض كذلك ففتقنا ها سبع أرضين و قيل في تفسيرها وجوه اخر تقدّمت في شرح الخطبة الأولى و كلامه عليه‌السلام مؤيّد لهذا الوجه.

(فاستمسكت بأمره) أي احتبست و اعتصمت و قامت بأمر الله سبحانه و الغرض عدم تفرّقها كأن بعضها معتصم ببعض (و قامت على حدّه) أي وقفت على ما حدّ لها من المكان والمقدار والهيئة والشكل والأقطار والنّهايات، ولم تجاوز عن حدودها المعيّنة والضمير في حدّه راجع إلى الله سبحانه.

(يحملها الأخضر المثعنجر) أي يحمل الأرض المستفادة من اليبس ماء البحر السائل، ووصف الماء بالخضرة من عادة العرب والتعبير عن البحر بالأخضر لأنّه بصفة لون السّماء فيري أخضر (والقمقام المسخّر) أي البحر الّذى سخّره الله تعالى أي ذلّله

لحملها كما أشار إليه بقوله (قد ذلّ) وانقاد (لأمره) عزّ وجلّ (وأذعن) وخضع (لهيبته) وجلاله (ووقف الجاري منه لخشيته) أي وقف السائل بالطبع فوقوفه عدم جريانه طبعا بارادته سبحانه أو السائل منه قبل إرادته.

(وجبل جلاميدها) أي خلق سبحانه صخور الأرض الصّلبة العظيمة (ونشوز متونها و أطوادها) أي مرتفعات صلبتها وجبالها (فأرساها في مراسيها) أي أثبت هذه الجلاميد والأطواد في مواضعها المعيّنة الّتي اقتضت الحكمة الالهيّة إثباتها فيها (وألزمها قرارتها) أي أمسكها حيث استقرّت (فمضت رؤوسها في الهواء ورست) أي رسبت وثبتت (اصولها في الماء) الّذي بين أجزاء الأرض (فانهد جبالها عن سهولها) أي رفع جبال الأرض و أعلاها عن أراضيها المطمئنّة (و أساخ قواعدها في متون أقطارها) أي غيّب قواعد الجبال في جوانب أقطار الأرض (و) في (مواضع انصابها) وأعلامها (فاشهق قلالها وأطال انشازها) أي جعل قلالها مرتفعة عالية واطالة الأنشاز مؤكّدة لها كما قال تعالى « وجعلنا فيها رواسي شامخات» .

(وجعلها) أي الجبال (للأرض عماداً) قيل المراد جعلها مواضع رفيعة في الأرض و الظّاهر أنّ المراد به ما أوضحه بقوله (وأرزّها فيها أوتاداً) أي أثبتها في الأرض حال كونها بمنزلة الوتد لها تمنعها من الحركة والاضطراب كالسّفينة إذا القى فيها جسم ثقيل .

(فسكنت على حركتها) الّتي هي من شأنها لكونها محمولة على سائل متموّج أو على أثر حركتها بتموّج الماء (من أن تميد) وتضطرب (بأهلها) كما قال تعالى « و ألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم » و قال « وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم » أي لئلاّ تميد أو كراهة أن تميد قيل : إنّ الأرض كانت تميد وترجف رجوف السّقف بالوطيء فثقّلها بالجبال الرّواسي ليمنع من رجوفها ، وقد تقدّم في شرح الفصل الثّالث من الخطبة الاُولى بيان الاختلاف في كيفيّة كون الجبال سبباً لسكون الأرض فليراجع ثمّة .

ومن جملة الوجوه الّتي قيل في ذلك : إنّ المراد بالأرض قطعاتها وبقاعها

لا مجموع كرة الأرض ، و يكون الجبال أو تادألها أنّها مانعة لها عن الميدان والاضطراب بالزّلزلة ونحوها إمّا لحركة البخارات المختنقة في داخلها باذن الله تعالى أولغير ذلك من الأسباب الّتي يعلمها مبدعها ومنشئها، قال المحدّث العلامة المجلسي قدّس سرّه : و هذا وجه قريب يؤيّده ما سيأتي في باب الزّلزلة من حديث ذي القرنين .

و قوله (أو تسيخ بحملها) أي تغوص في الماء مع ماعليها (أو تزول عن مواضعها) قال الشّارح المعتزلي :

فان قلت : ما الفرق بين الثّلاثة تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها ؟

قلت : لأنّها لو تحرّكت لكانت إمّا على مركزها أو لا على مركزها ، والأوّل هو المراد بقوله تميد بأهلها ، والثّاني ينقسم إلى أن تنزل إلى تحت أو لا تنزل إلى تحت ، فالنّزول إلى تحت هو المراد بقوله أو تسيخ بحملها ، والثّاني هو المراد بقوله أو تزول عن مواضعها .

وقال المحدّث العلامة المجلسي : ويحتمل أن يراد بقوله عليه السلام : تميد بأهلها تحرّكها واضطرابها بدون الغوص في الماء كما يكون عند الزّلزلة ، و بسوخها بحملها حركتها على وجه يغوص أهلها في الماء سواء كانت على المركز أم لا فتكون الباء للتّعدية ، و بزوالها عن مواضعها خراب قطعاتها بالرّياح والسّيول أو بتفرّق القطعات و انفصال بعضها عن بعض ، فانّ الجبال كالعروق السّارية فيها تضبطها عن التّفرّق ، ويؤيّده ايراد المواضع بلفظ الجمع ، هذا .

و لمّا نبّه عليه السلام على كمال اقتداره تعالى وجلاله وعظمته في خلق الأرض والجبال مضافاً إلى خلق السّماء أردفه بتنزيهه على ذلك وقال :

(فسبحان من أمسكها) أي الأرض بقدرته (بعد موجان مياهها) قال في البحار : لعلّ المراد بهذا الموجان ماكان غامراً للأرض أو أكثرها وامساكها بخلق الجبال الّتي تقدّم في الكلام (وأجمدها بعد رطوبة اكنافها) أي جوانبها لميدانها

قبل خلق الجبال وقول الشّارح البحراني : بأنّه اشارة إلى أنّ أصلها من زبد الماء ليس بشيء .

وقوله عليه السلام (فجعلها لخلقه مهاداً) كقوله تعالى في سورة النّبأ « ألم نجعل الأرض مهاداً » أى وطاء وقراراً ومهياء للتّصرّف فيه من غير أذية ، و في سورة طه « الّذى جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلا » وفي سورة الزّخرف « الّذى جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلّكم تهتدون » أى كالمهد تتمهّدونها

و قوله عليه السلام (وبسطها لهم فراشاً) كقوله عزّ وجلّ في سورة البقرة « الّذى جعل لكم الأرض فراشا والسّماء بناء » وفي سورة نوح « الّذى جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلا فجاجاً »

قال بعض المفسّرين: الفراش اسم لما يفرش كالبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش أن يكون مسطحا مستويا كالفراش على ماظنّ ، فسواء كانت كذلك أو على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد أطرافها ولكنّه لا يتمّ الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي وهو وسط الأفلاك لأنّ الأثقال بالطبع تميل إلى تحت كما أنّ الخفاف بالطبع تميل إلى فوق و الفوق من جميع الجوانب مايلى السّماء والتحت مايلى المركز، فكما أنّه يستبعد حركة الأرض فيما يلينا إلى جهة السماء فكذلك يستبعد هبوطها فى مقابل ذلك ، لأنّ ذلك الهبوط صعود أيضاً إلى السّماء ، فاذاً لاحاجة فى سكون الأرض و قرارها فى حيّزها إلى علاقة من فوقها ، ولا إلى دعامة من تحتها ، بل يكفى فى ذلك ماأعطاها خالقها ورکز فيها من الميل الطبيعى إلى الوسط الحقيقى بقدرته واختياره .

وقوله عليه السلام (فوق بحر لجىّ) كثير الماء (راكد لا يجرى) اى ساكن لا يجرى إلى أحد الجوانب (وقائم) أى ثابت (لايسرى) عن مكانه و ذلك لملازمة مركزه على حذوما عرفت آنفاً فى بيان فراشيّة الأرض (تكركره) أى تردّده وتكرّره (الرّياح العواصف) الشّديدة (و تمخضه الغمام الذّوارف) أى تحرّكه السّحاب المواطر وذلك لأنّ الحرّ إذاوقع فيه المطر يرتجّ ويتمخّض ويضطرب كثير التحريك

انصباب المطر بكثرة وقوّة له

ولمّا ذكر عليه السلام عظيم قدرته عزّ وجلّ في خلق السّماء و الأرض والجبال والماء اتبعه بقوله عليه السلام (انّ في ذلك لعبرة لمن يخشى) أي فيما قدّمناه من آثار القدرة و دلائل الجبروت والعظمة اعتبار لمن خشي ربّه ، وإنّما خصّه به لأجل أنّ عدم الخشية يوجب عدم المبالات بالعبر والالتفات إليها ، و المراد بمن يخشى العلماء بمقتضى الحصر الوارد في قوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وتخصيص الخشية بهم لأنّ شرطها معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله وقدرته وقهره فمن كان أعلم به كان أخشى منه ، اللّهم ارزقنا هذه المرتبة .

الترجمة

ازجمله خطب شريفهٔ آن حضرتست در اشاره بعجايب قدرت مي‌فرمايد :

وهست از قدرت و توانائی سلطنت آفريدگار و عجايب صنعتهای لطيفهٔ او اينكه خلق فرمود از آب دريای بسيار موج زنندهٔ برهم نشسته بر صدا زمين خشك بی رطوبت را ، پس از آن خلق فرمود از بخار آن آب طبقاتی بر روی هم چيده ، پس جدا ساخت آن طبقات را هفت آسمان بعد از جمع بودن ويكجا بودن آنها ، پس بايستادند بفرمان او وقايم شدند باندازهٔ مقرّرهٔ او در حالتی كه بر ميدارد آن زمين را آب كبود سيلان كننده ، ودريای مسخّر شده در تحت قدرت در حالتی كه ذليل بود از برای امر او ، ومنقاد بود به هيبت وجلال او ، وايستاد و ساكن گشت جاری از آن آب از ترس حكم او ، وخلق فرمود سنگهای زمين را و بلند پستهای آنرا ، و كوههای آنرا پس برقرار گردانيد آنهارا در قرارگاههای آنها ، ولازم گردانيد آنهارا درجای ثبات آنها پس گذر كرد سرهای آنها در هوا ، و فرو رفت بيخهای آنها در آب دريا پس بلند گردانيد كوههای زمين را ازهمواری زمين ، و فرو برد اساس آنها را در پشتهای اطراف آن ودر مواضع علامتهای آن ، پس بلند كرد سرهای كوهها را ، ودراز گردانيد بلند

شدن اززمین آنها را ، و گردانید آن کوهها را از برای زمین ستون ، وفرو گرفت آنها را در زمین درحالتی که میخهای زمین بودند ، پس ساکن شد زمین از حرکت خود از اینکه بلرزاند أهل خودرا ، یا اینکه فرو برد حمل خودرا ، یا اینکه زایل گردد ازمواضع خود .

پس تنزیه میکنم تنزیه کردنی کسی را که نگاه داشت زمین را بعداز موج زدن آبهای آن ، وخشك گردانید آنرا بعد ازتر بودن اطراف آن ، پس گردانید آن را ازبرای مخلوقات خود آرام گاه و گسترانید آنرا از برای ایشان فرش وبساط بالای دریای بزرگ انبوه ساکن غیرجاری وقائم غیرساری درحالتی که بر گرداند وبهم میزند آنهادریا را بادهای تند وزنده. وحرکت میدهد آنراابرهای ریزنده ، بتحقیق که دراین دلائل قدرت وعظمت عبرتیست ازبرای کسی که بترسد از خدا .

ومن خطبة له عليه السلام وهى المأتان والحادية عشر من المختار فى باب الخطب

أَللّٰهُمَّ أَيُّما عَبْدٍ مِنْ عِبادِكَ سَمِعَ مَقالَتَنَا الْعادِلَةَ غَيْرَ الْجائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ ، فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيا ، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَها إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَ الْإِبْطاءَ عَنْ إِعْزازِ دِينِكَ ، فَإِنّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يا أَكْبَرَ الشّاهِدِينَ ، وَ نَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَ سَماواتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ الْبَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَالْاخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ .

اللغة

(المصلحة) بضمّ الميم اسم فاعل من باب الافعال و كذلك المفسدة و(نكص)

عن الأمر نكصاً و نكوصا تكاءكأ عنه وجبن و أحجم ، وعلى عقبيه رجع عمّا كان عليه من خير قال الفيروزآبادى خاصّ بالرّجوع عن الخير ، و وهم الجوهرى في اطلاقه أوفي الشرّ نادراً

الاعراب

مافي أيّما زايدة للتّاكيد ، وغير منصوب على الحاليّة أو الوصفيّة ، وقوله : في الدّين ، متعلّق بالمصلحة ، وقوله : إلاّ النّكوص ، استثناء مفرّغ

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة كمانبّه عليه الشارح البحراني ملتقطة من خطبة كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام.

قال بعد تقاعدأ كثرهم عن صوته منادياًلله عزّ وجلّ (اللّهم أيّما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة) أي قولنا المتّصف بالعدل، وفي وصفه به توسّع، وقال الشارح البحرانى العادلة المستقيمة الّتي هي طريق الله العايدة للنّاس إلى الرّشاد في دينهم ودنياهم، وماقلناه أولى.

و انّما وصفه عليه السلام بالعدل ، لأنّ استنهاضه إلى جهاد أهل الشّام إنّما كان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع فيه من الامتثال لنصّ قوله تعالى «فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله»

وقد كان عليه السلام متّصفا بالعدل في جميع أقواله وأفعاله كما يشهد به قوله تعالى «و كذلك جعلنا كم امّة وسطا» أى أئمة عدلا على ماورد في تفسير أهل البيت عليهم السلام وقوله تعالى «وممّن خلقنا امّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون» .

روى في البحار عن العياشي عن حمران عن أبى جعفر عليه السلام فى هذه الآية قال عليه السلام : هم الأئمّة عليهم السلام

و فيه من الكافى عن الحسين بن محمّد عن المعلّى عن الوشا عن عبدالله بن سنان قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ « وممّن خلقنا اُمة» الآية قال : هم الأئمة صلوات الله عليهم

و يشهد به أيضاً ما فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم فى قوله «ضرب الله

مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدر على شيء و هو كلّ على مولاه أينما يوجّهه لايأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » قال عليه السلام كيف يستوى هذا وهذا الذى يأمر بالعدل يعنى أمير المومنين والأئمة عليه و عليهم السلام ، هذا

وانّما عقّب بقوله (غير الجائرة) إما تاكيداً أو من باب الاحتراس الّذى تقدّم فى ديباجة الشرح فى ضمن المحاسن البديعيّة ، فانّه لمّا وصف مقالته بالعدل وكان هنا مظنّة أن يتوهّم أنّ عدالتها إنّما يتصوّر فى حقّ أهل الكوفة و أمّا فى حقّ أهل الشّام فلا ، لأنّ الاستنهاض إلى حربهم وسفك دمائهم جور فى حقّهم و ظلم عليهم فكيف يكون عدلا ، فدفع ذلك التوهّم بقوله : غير الجائرة ، تنبيهاً على أنّ محاربتهم من باب النهى عن المنكر والرّدع لهم عن متابعة معاوية ومنعهم عن الايتمام بالامام الباطل وردعه عن ظلمه وطغيانه ودعويه الخلافة من غير استحقاق ، و هذا فرض شرعاً فلا يكون جوراً بل عين العدل واللّطف ، هذا .

مضافا إلى ما فيه من التعريض على معاوية حيث إنّ حضّه لأهل الشّام على حرب أهل الكوفة وحربه عليه السلام محض الجور والعدوان ، لأنّه من باب الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف ، وأىّ جور أعظم من ذلك .

أمّا فى حقّ أهل الشام فلأنه يدعوهم بذلك التحضيض إلى النار .

و أما فى حقّ أهل الكوفة فلردعهم عن الايتمام بالامام الحقّ و إرادة دفعه عن مقامه الذى يستحقّه وايهام أنّ الحقّ معه لمطالبته بدم عثمان المظلوم كما قال تعالى «و إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليه آبائنا والله أمرنا بها قل انّ الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون» .

روى فى البحار من كتاب الغيبة للنعمانى عن الكلينى باسناده عن محمّد بن منصور قال : سألته يعنى أباعبدالله عليه السلام عن هذه الآية فقال عليه السلام فهل رأيت أحداً زعم أنّ الله أمر بالزّنا و شرب الخمر أو شيء من هذه المحارم ؟ قلت : لا ، قال عليه السلام : فما هذه الفاحشة التى يدّعون ان الله أمرهم بها ؟ قلت : الله أعلم ووليه ، قال عليه السلام : فان هذا فى أولياء أئمة الجور ادّعوا أنّ الله أمرهم بالايتمام بهم فردّ الله ذلك عليهم

وأخبرهم أنهم قالوا عليه الكذب وسمّى ذلك منهم فاحشة

وفيه من تفسير عليّ بن إبراهيم بسنده عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمّد عليهما السلام عن أبيه قال: الأئمة في كتاب الله إمامان قال الله «و جعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا» لا بأمر الناس يقدّمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، قال: «وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار» يقدّمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلافا لما في كتاب الله.

والحاصل انه عليه السلام بمقتضى ملكة العصمة التي فيه إنما يأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي تبعاً لأمر الله، لأنه والأئمة من صلبه عليهم السلام محالّ مشيّة الله وما يشاؤون إلاّ أن يشاء الله وهم بأمره يعملون.

وقوله عليه السلام (و المصلحة غير المفسدة في الدّين والدّنيا) أي فيها صلاح حال السامعين في الدارين وانتظام امورهم في النشأتين.

أما في الآخرة فلأنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصّة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنّته الوثيقة، حسبما عرفته في الخطبة السابعة والعشرين، ففي نهوضهم إلى قتال القاسطين عقيب استنهاضه عليه السلام امتثال لأمر الله، إعزاز لدين الله، تحصيل لرضوان الله تعالى شأنه، وفي تقاعدهم عنه سخط عظيم وعذاب أليم.

وأما في الدّنيا فلأنّ مبارزة الأقران من عادة الأبطال والشجعان والمنع من الذمار من آثار الفتوّة و شعار المروّة و المجاهد في سبيل الله ينتظر من الله إحدى الحسنيين إمّا الظفر والغنيمة أو الشهادة الموجبة للذكر الجميل و الثناء الباقي، و النكوص عن الجهاد محصّل للخذلان معقّب للهوان و عار في الأعقاب ونار يوم الحساب، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ و شمله البلاء وديّث بالصغار والقماء هذا

وتعقيب المصلحة بغير المفسدة إما من باب التأكيد أيضاً أو تعريضاً على الطرف المقابل أعني معاوية اللّعين الذي كان يستنهضهم إلى حربه، فانّ نظر ذلك اللّعين في جميع مقالاته وكلماته لم يكن إلاّ إلى شقّ عصا الاسلام وإفساد حال المسلمين و هدم

أركان الدين ، ولذلك قال : عليه الصلاة والسلام في الخطبة الثانية والتسعين : ألا إنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة ، إلى آخر مامرّ هناك .

وقوله عليه الصلاة والسلام (فأبى بعد سمعه لها إلاّ النكوص عن نصرتك والابطاء عن اعزاز دينك) لايخفى ما في هذا الكلام من بديع البيان وحسن التقرير وعجيب التعبير ، حيث لم يقل فأبى بعد سمعه لها عن قبولها أو اجابتها ، بل عدل عنه إلى قوله: إلاّ النكوص آه للطافة معناه وبعد غوره وغزارة فحواه .

وذلك لأنّ في التعبير بهذه من التنبيه على عظيم خطاء الممتنعين المتقاعدين عن قبول أمره عليه السلام و مزيد تقصيرهم و كبير ذنبهم ما لا يخفى على الفطن الخبير بمحسنات البيان .

أمّا أوّلا فلما مرّ من أنّ النكوص مخصوص بالرّجوع عن الخير أو نادر الاستعمال في الرّجوع عن الشرّ و على التقديرين ففيه دلالة على أنّهم بتقاعدهم قدفوّتوا على أنفسهم الخير الكثير الّذي كان لهم عاجلا وآجلا .

وأمّا ثانياً فانّ في قوله: عن نصرتك دلالة على أنّهم بقتال القاسطين ناصرون لله سبحانه كما أنّهم بترك القتال ناكصون عن نصرته ، و الله سبحانه يقول « إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم » وقال «ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقويّ عزيز» فلم يكن استنصاره من ضعف وذلّ بل استنصرهم وله جنود السّماوات والأرض ليبلوهم أيّهم أحسن عملا وليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب فيستوجب بالقتال ثواب الامتثال

ثمّ في اضافة النّصرة إلى كاف الخطاب إشارة إلى أنّ نصرته عليه السلام هو نصرة الله ، لأنّ إطاعة الرّسول وإطاعة وليّ الأمر هو إطاعة الله ، لكونهم مبلّغين عن الله والآمر والنّاهي في الحقيقة هو الله ، ولذلك قرن الله طاعتهم بطاعته في قوله «وأطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم» بل جعل طاعتهم عين طاعته في قوله «من يطع الرّسول فقد أطاع الله ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً» .

روى في الصّافي عن العياشي عن الباقر عليه السلام قال : ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه

وباب الأشياء ورضى الرّحمن الطّاعة للامام بعد معرفته ، ثمّ قال : إنّ الله تبارك وتعالى يقول« من يطع الرّسول فقد أطاع الله » .

فانّ استشهاد الامام عليه السلام لوجوب طاعة الامام بالآية مفيد لكون طاعته طاعة الرّسول كما أنّ طاعته طاعة الله .

وأمّا ثالثا فانّ قوله: والابطاء عن إعزاز دينك تقريع شديد على المتقاعدين لافادته انّهم بتقاعدهم مذلّون للدين مضيّعون لمسالك الشّرع المبين ، فقد ظهر بماذكرنا كلّه أنّ في قوله عليه الصّلاة والسلام تحذيراً عظيماً للمتقاعدين .

واكّد ذلك الغرض بقوله عليه السلام (فانّا نستشهدك عليه) حيث خالف أمرك وترك نصرتك وأهان دينك (ياأكبر الشاهدين) الّذى لايعزب عنه شىء فى السّماء والأرض وهو على كلّ شيء شهيد .

(و نستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك وسماواتك) من الملائكة و الانس والجنّ ليشهدوا يوم الدّين بأنّى ماقصرت ولافرطت فى تبليغ أمرك إلى المتخاذلين ولكنّهم تولّوا عنه معرضين (ثمّ أنت البعد) أى بعد تلك الشّهادة (المغنى) لنا (عن نصره) إذ بيدك جنود السماوات والأرض وأنت لما تشاء قدير وفى هذه الفقرة تعظيم لربّ العالمين واستحقار للمتخاذلين (والآخذله بذنبه) وفيه تحذير عظيم لهم وتهديد شديد من سخطه و عقابه لكونه عزّ وجلّ شديد العقاب و أشدّ بأساً وأشدّ تنكيلا ، لايعجزه من طلب ، ولايفوته من هرب ، نعوذبالله من سخطه وغضبه .

الترجمة

ازجمله خطب شريفهٔ آن امام أنام عليه السلام است كه گفته .

بارالها هر كدام بندهٔ ازبندگان تو كه شنيد گفتار ما عدالت ما راكه ظلم كننده نيست و گفتار اصلاح كنندهٔ ما راكه افساد كننده نيست دردين ودنيا ، پس امتناع كرد بعد ازشنيدن اومر آنرا مگراز بر گشتن ازيارى تو، وتأخير نمودن از اعزاز دين تو ، پس بدرستى كه ماشاهد مى گيريم تورا بر آن شخص أى بزرگترين شاهدهاوشاهدميگيريم تورا وجميع كسانى راكه ساكن فرمودهٔ ايشان رادرزمين خود

وآسمانهاى خود ، پس تو بعد از آن شهادت غنى كننده از يارى او ، ومؤاخذه كننده اورا بگناه ومعصيت او ، والله الهادي .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأتان و الثانية عشر من المختار فى باب الخطب

أَلْحَمْدُ للهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ ، اَلْغالِبِ لِمَقالِ الْواصِفِينَ ، الظَّاهِرِ بِعَجايِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ ، وَالْباطِنِ بِجَلالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ ، الْعالِمِ بِلا اكْتِسابٍ وَلا ازْدِيادٍ ، وَلا عِلْمٍ مُسْتَفادٍ ، الْمُقَدِّرُ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلا رَوِيَّةٍ وَلا ضَمِيرٍ ، الَّذي لا تَغْشاهُ الظُّلَمُ ، وَلا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوارِ ، وَلا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ وَلا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهارٌ ، لَيْسَ إِدْراكُهُ بِالْأَبْصارِ ، وَلا عِلْمُهُ بِالْأَخْبارِ .

منها فى ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

أَرْسَلَهُ بِالضِّياءِ ، وَقَدَّمَهُ فِي الْإِصْطِفاءِ ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفاتِقَ ، وَساوَرَ بِهِ الْمَغالِبَ ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ .

اللغة

(الشّبه) بالتحريك كالشّبه و الشّبيه بمعنى المثل والمشابه و شبّهت الشيء بالشيء أقمته مقامه بصفة جامعة بينهما وأشبه الولد أباه و شابهه إذا شاركه فى صفة

من الصّفات و (رهق) الدّين رهقاً من باب تعب غشيه و رهقت الشيء أدركته و(الاخبار)في أكثر النسخ بالكسر مصدر اخبر وفي بعضها بالفتح جمع الخبر و كذلك الابصار .

و (رتقت) الفتق رتقاً من باب قال سددته فارتتق و (فتق) الثّوب شقّه فانفتق و تفتق و الفتق أيضاً شقّ عصا الجماعة ووقوع الحرب بينهم ومفتق الثّوب محل شقّه ويجمع على مفاتق كمقعد ومقاعد و (ساور) فلاناً واثبه سواراً ومساورة وساوره اخذه براسه والوثوب الظفر و (غلبه) غلباً وغلبا وغلبة ومغلباً قهره والمغلب وزان معظم المغلوب مراراً والمحكوم له بالغلبة ضدّ ، والمغلنبي وزان مسلنقى الذى يغلبك ويعلوك و (الحزونة) ضدّ السّهولة والحزن ما غلظ من الأرض والسّهل مالان منها و (سرحت) المرأة تسريحاً طلّقتها قال تعالى « فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » أى تطليق .

الاعراب

الباء في قوله بالضياء للمصاحبة كما في دخلت عليه بثياب السّفر ، و في قوله : به للسّببيّة ، و قوله : عن يمين وشمال ، ظرف لغو متعلّق بسرّح على تضمين معنى الطّرد والابعاد .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة كما ذكره بعض الشراح وأشار إليه السيّد «ره» مشتملة على فصلين :

الفصل الاول

في تمجيد الله عزّ وجلّ و ثنائه بنعوت جلاله و جماله وأثنى عليه تعالى باعتبارات :

أولها قوله (الحمد لله العليّ عن شبه المخلوقين) أى المتعالى عن مشابهة مخلوقاته فلا يشابه شيئاً منها ، ولا يشابهه شيء ، فليس له شبه و شبيه ونظير .

و ذلك لما عرفت مراراً في تضاعيف الشّرح لا سيما شرح الخطبة المأة والخامسة والثمانين وشرح الكلام المأتين والثّامن أنّ المخلوقات كلّها محدودة بالحدود الاصطلاحيّة المركّبة من الجنس والفصل ، وبالحدود اللّغويّة أى النّهاية والله سبحانه منزّه عن الحدّ اصطلاحيّاً كان أولغويّاً لاستلزام الأوّل للتّركيب والثاني للافتقار إلى محدّد ، وكلّ مركب ومفتقر ممكن ، فالواجب تعالى لايمكن أن يكون له مشابه ومشارك في ذاته وصفاته وأفعاله .

و الحاصل أنّ الواجب تعالى أجلّ و أعلى من أن يتّصف بالصّفات الامكانية ، فيشابه المحدثات ويشاركهم في جهة من الجهات .

الثانى انه (الغالب لمقال الواصفين) يعني أنه تعالى شأنه أجلّ من أن يقدر الواصفون على وصفه وبيان محامده ، لعدم وقوف صفاته الكمالية وأوصافه الجمالية والجلالية إلى حدّ معين حتى يحيط بها العقول ويصفه الألسنة كيف وقد اعترف سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم بالعجز عن ذلك ، و قال : لااحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فأنّى لغيره بذلك .

وهذه الفقرة مساوقة لقوله عليه السلام فى الخطبة الأولى : الحمدلله الذى لايبلغ مدحته القائلون ، فانّ المدح والثناء والوصف كلها بمعنى

لايدرك الواصف المطرى محامده وإن يكن سابقاً فى كلّ ما وصفا

فحيث قصرت ألسنة الواصفين و كلّت عن تعداد صفاته الحميدة فهو كالغالب على أقوالهم لعجزها عن البلوغ إلى مدى صفاته.

الثالث أنه (الظاهر بعجايب تدبيره للناظرين) يعنى أنه تعالى ظاهر للناظرين وليس ظهوره بذاته كما توهمه المجسمة وغيرهم من المجوّزين للرّؤية ، بل بآثار قدرته واعلام عظمته وبدايع صنعه وعجايب تدبيره وحكمته حسبما عرفته تفصيلا فى شرح الخطبة التّاسعة والأربعين والخطبة الرّابعة والسّتين وغيرهما .

(و) **الرابع** أنّه (الباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين) يعني أنّه محتجب عن الأوهام و العقول ، وليس احتجابه واختفاؤه بصغر جسمه و حقارته أو

لطافة قوامه كالهواء والرّوح ونحوهما ، بل باعتبار جلاله وعزّته وجبروته وعظمته حسبما عرفت في شرح الخطبتين المذكورتين والحاصل أنّه ظاهر بآياته باطن بذاته .

قال الشّارح البحراني : وإنما قال : فكر المتوهّمين ، لأنّ النفس الانسانية حال التفاتها إلى استلاحة الامور العلوية المجرّدة لابدّ أن يستعين بالقوّة المتخيلة بباعث الوهم في أن تصوّر تلك الامور بصور خيالية مناسبة لتشبيهها بها و تحطها إلى الخيال ، وقد علمت أنّ الوهم إنما يدرك ما كان متعلّقا بمحسوس أو متخيل من المحسوسات ، فكل أمر يتصوّره الانسان وهو في هذا العالم سواء كان ذات الله سبحانه أو غير ذلك فلابدّ أن يكون مشوباً بصورة خيالية ومعلقاً بها ، وهو تعالى منزّه بجلال عزّته عن تكييف تلك الفكر له وباطن عنها ، انتهى .

و قد تقدّم ما يوضح ذلك في شرح الفصل الثانى من الخطبة الاولى و شرح الخطبة الماة والخامسة والثمانين فليراجع هناك .

الخامس انه (العالم بلا اكتساب ولا ازدياد و لا علم مستفاد) يعنى أنـه عزّ وجلّ عالم بذاته و العلم ذاته وليس علمه باكتساب له بعد الجهل ، ولا بازدياد منه بعد النقص ، ولا باستفادة وأخذله عن غيره كما هو شأن علم المخلوقين ، إذلو كان كذلك لكان سبحانه متغيّراً وناقصاً فى ذاته مستكملا بغيره وهو باطل .

السادس انه (المقدّر لجميع الامور بلا رويّة ولاضمير) أى الموجد لمخلوقاته على وفق حكمته و قضائه كلاّ منها بقدر معلوم و مقدار معيّن من دون أن يكون ايجادها مستنداً إلى الرّوية و الفكر ، و لا إلى مايضمر فى القلب من الصور كما يحتاج إليها ساير الصناع ، لأنه سبحانه منزّه من الضمير والقلب ، والرّويات لا تليق إلاّ بذوى الضماير حسبما عرفت تفصيلا فى شرح الفصل الأوّل من الخطبة الماة والسابعة .

السابع أنه (الذى لاتغشاه الظلم ولايستضيء بالأنوار) أى لايغطيه ظلام كما يغطى ساير الأجسام لكونه منزّهاً عن الجسمية، ولا يستضيء بالأنوار كما يستضيء بها ذوات الابصار لكونه منزّهاً من حاسّة البصر وساير الحواسّ ، مضافاً إلى أنه تعالى

نور السماوات و الأرض ، و الجميع به يستضيء فكيف يستضيء بغيره والاّ لزم أن يكون مفتقراً إلى غيره مستكملا به وهو باطل .

(و) الثامن انه (لايرهقه ليل ولا يجرى عليه نهار) يعنى لايتعور عليه ليل ونهار لكونه منزّها عن الزّمان والحركة فلو تعاورا عليه لتفاوتت ذاته و تغيّرت صفاته وامتنع من الأزل معناه .

(و) التاسع انه (ليس إدراكه بالابصار) لتنزّهه من الاحتياج فى الادراك إلى الآلات والمشاعر والأدوات .

و العاشر ماأشار إليه بقوله (ولاعلمه بالأخبار) أى بأن يخبره غيره بشيء فيحصل له العلم بذلك الشيء بسبب هذا الخبر ، لاستلزام ذلك للجهل أوّلا والافتقار إلى حاسة السمع ثانياً ، والنقص بالذات والاستكمال بالغير ثالثاً ، وهذا كلّه مناف لوجوب الوجود .

الفصل الثانى

(منها فى ذكر النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال عليه السّلام (أرسله بالضياء) السّاطع والنور اللاّمع .

و المراد به إمّا نور الايمان ، و به فسر قوله تعالى « الله ولىّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » أى ظلمات الكفر إلى نور الايمان « و الذين كفروا أولیائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات »

و إمّا نور العلم يعنى النبوة الذى كان فى قلبه صلّى الله عليه وآله ، و به فسّر المصباح فى قوله تعالى « مثل نوره كمشكوة فيها مصباح » .

روى فى الصافى من التوحيد عن الصادق عليه السّلام فى هذه الآية « الله نور السموات والأرض » قال : كذلك عزّ و جلّ « مثل نوره » قال محمّد صلّى الله عليه وآله « كمشكوة » قال صدر محمّد صلّى الله عليه وآله « فيها مصباح » قال فيه نور العلم يعنى النبوّة الحديث .

وإمّا القرآن كما فى قوله تعالى « قد جائكم من الله نور و كتاب مبين ✿ يهدى

به الله من اتبع رضوانه سبل السّلمْ ويخرجهم من الظلمات إلى النور » فهو نور عقلي يهتدى به في سلوك سبيل الجنان ويستضاء به في الوصول إلى مقام الزلفى والرضوان

(و قدّمه في الاصطفاء) أي قدّمـه على جميع خلقه في أن اختاره منهم وفضّله عليهم كما قال الشاعر :

لله في عالمه صفوة و صفوة الخلق بنو هاشم

وصفوة الصفوة من هاشم محمّد الطهر أبو القاسم

و قد مضى أخبار لطيفة في هذا المعنى في شرح الخطبة الثالثة والتسعين فليراجع هناك .

وقوله (فرتق به المفاتق) أي أصلح به المفاسد، وهو إشارة إلى ما كانت عليه أهل الجاهلية حين بعثه من سفك الدّماء وقطع الأرحام وعبادة الأصنام واجتراح الآثام قد استهوتهم الأهواء ، واستزلّتهم الكبرياء ، و استخفّتهم الجاهلية الجهلاء ، تائهين حائرين في زلزال من الأمر و بلاء من الجهل ، فبالغ صلى الله عليه وآله وسلم في نصحهم وموعظتهم ودعائهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى سبيل ربّهم ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، فأصلح الله بوجوده الشريف ما فسد من امور دنياهم وآخرتهم ، ورفع بـه ضغائن صدورهم ، وهداهم به من الضلالة ، وأنقذهم بمكانه من الجهالة

(و ساور به المغالب) في إسناد المساورة إلى الله سبحانه توسّع ، و المراد تسليطه على المشركين والكفّار والمنافقين الذين كان لهم الغلبة على غيرهم كما قال عزّ من قائل «إنّ الّذين يحادّون الله و رسوله اولئك في الأذلّين۞ كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إنّ الله قويّ عزيز» و قال « هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون».

قال في مجمع البيان في تفسير الآية الأولى: روى أنّ المسلمين قالوا لمّا رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى ليفتحنّ الله علينا الرّوم و فارس فقال المنافقون أتظنون أنّ فارس والرّوم كبعض القرى الّتي غلبتم عليها ، فأنزل الله هذه الآية.

و قال في الآية الثانية في تفسير قوله « ليظهره على الدّين كلّه » معناه

ليغلب دين الاسلام على جميع الأديان بالحجّة والغلبة والقهر لها حتّى لا يبقى على وجه الأرض دين إلاّ مغلوب.

(و ذلل به الصعوبة) صعوبة الجاهلية الّتي أشرنا إليها في شرح قوله: فرتق به المفاتق (وسهل به الحزونة) أى حزونة طريق الحقّ و تسهيلها بالارشاد إلي معالمه والهداية إليه.

(حتّى سرّح الضّلال عن يمين و شمال) غاية للجملات السابقة جميعاً أو لخصوص الجملة الأخيرة أى إلى أن طرد و ابعد ظلمات الجهل والضلال بميامين بعثته و أنوار هدايته عن يمين النّفوس و شمالها.

قال الشارح البحراني: و هو إشارة إلى القائه رذيلتى التّفريط والافراط عن ظهور النّفوس كتسريح جنبى الحمل عن ظهر الدّابة، و هو من ألطف الاستعارات و أبلغها

الترجمة

حمد و ثنا خدائيراست كه برتر است از مشابهت مخلوقات، و غلبه كننده است مر گفتار وصف كنندكان كنه ذات و صفات ـ يعنى او غالب است بتوصيف هر واصفى و هيچكس قدرت وصف او ندارد ـ ظاهر است و هويدا با عجايب و غرايب تدبير خود از براى متفكران، و پنهانست بجهت جلال عظمت و شدّت نور خود از فكر صاحبان وهم و عقل دانا و عالم است بدون حاجت بكسب علم از ديگرى و بدون احتياج بأفزون كردن علم و بدون علمى كه استفاده شود از خارج، مقدر است جميع امورات را بدون فكر و خطور خاطرى، چنان خدائى كه احاطه نميكند او را ظلمتها، و طلب روشنى نميكند بنورها، و درك نميكند او را شب، و جارى نمى شود بر او روز، نيست ديدن او با ديدن بصر، و نه دانستن او بخبر دادن كسى ديگر.

از جمله فقرات اين خطبه در ذكر أوصاف پيغمبر صلّى الله عليه و آله و سلّم است ميفرمايد:

فرستاد خداى تعالى او را با نور پرظهور، و مقدم فرمود او را بجميع مخلوقات

در پسند کردن او ، پس بست بوجود او گشاد گیهارا ، و سد کرد شکافتگیها را ، و شکست داد با قوت او اشخاصی را که همیشه غلبه داشتند ، وذلیل کرد بسبب او سر کشی را ، و هموار گردانید با او ناهموار را تااینکه برطرف ساخت ودور نمود ضلالت رااز راست وچپ طریق حق.

و من خطبة له عليه السلام وهى المأتان و الثالثة عشر من المختار في باب الخطب

وَ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ ، وَحَكَمٌ فَصَلَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَسَيِّدُ عِبادِهِ ، كُلَّما نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِما ، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عاهِرٌ ، وَلا ضَرَبَ فِيهِ فاجِرٌ .

أَلا وَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً ، وَ لِلْحَقِّ دَعائِمَ ، وَ لِلطَّاعَةِ عِصَماً ، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طاعَةٍ عَوْناً مِنَ اللهِ يَقُولُ عَلَى الأَلْسِنَةِ ، وَ يُثَبِّتُ الأَفْئِدَةَ ، فِيهِ كِفاءٌ لِمُكْتَفٍ ، وَ شِفاءٌ لِمُشْتَفٍ .

وَ اعْلَمُوا أَنَّ عِبادَ اللهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ ، وَ يُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ ، يَتَواصَلُونَ بِالْوِلايَةِ ، وَيَتَلاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ ، وَ يَتَساقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ ، وَ يَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ ، لا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ ، وَ لا تُسْرِعُ فِيهِمُ

ٱلْغَيْبَةُ ، عَلَىٰ ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْـلاقَهُمْ ، فَعَلَيْهِ يَتَحابُّونَ ، وَبِهِ يَتَواصَلُونَ ، فَكانُوا كَتَفاضُـلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقَى ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى ، قَدْ مَيَّزَهُ التَّلْخِيصُ ، وَهَذَّبَهُ التَّمْحِيصُ ، فَلْيَقْبَلِ امْرُؤٌ كَرامَـةً بِقَبُولِها ، وَلْيَحْذَرْ قارِعَةً قَبْلَ حُلُولِها ، وَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيّامِهِ ، وَقَلِيلِ مُقامِهِ ، فِي مَنْزِلٍ حَتّىٰ يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً ، فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ ، وَمَعارِفِ مُنْتَقَـلِهِ ، فَطُوبىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ ، وَأَصابَ سَبِيلَ السَّلامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ ، وَطاعَةِ هادٍ أَمَرَهُ ، وَبادَرَ الْهُدَىٰ قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوابُهُ ، وَتُقْطَعَ أَسْـبابُهُ ، وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ ، وَأَماطَ الْحَوْبَةَ ، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ .

اللغة

(نسخت) الكتاب نسخا من باب منع نقلته و انتسخته كذلك ، و نسخت الشّمس الظل أى أزالته قال ابن فارس : و كلّ شيء خلف شيئاً فقد انتسخه فيقال انتسخت الشّمس الظلّ و الشّيب الشّباب أى أزاله و كتاب منسوخ و منتسخ منقول ، والنّسخة الكتاب المنقول و تناسخ الأزمنة والقرون تتابعها و تداولها ، لأنّ كلّ واحد ينسخ حكم ماقبله و يثبت الحكم لنفسه ، و منه تناسخ المواريث لأنّ الارث لايقسّم على حكم الميّت الأوّل بل على حكم الثاني و كذلك ما بعده .

و (يسهم) بالبناء على المفعول من اسهمت له أعطيته سهماً أى نصيباً و(عهر) عهراً من باب تعب زناوفجر فهوعاهر و عهر عهوراً من باب قعد لغة و في الحديث : الولد للفراش و للعاهر الحجر ، أى إنّما يثبت الولد لصاحب الفراش وهوالزّوج

و للعاهر الجنبة «الخيبة» ولا يثبت له نسب و هو كما يقال له التّراب أي الخيبة لأنّ بعض العرب كان يثبت النّسب من الزّنا فأبطله الشرع .

و (الدّعامة) بالكسر ما يستند به الحائط إذا مال يمنعه من السّقوط والجمع دعائم كعمائم ، و يستعار بسيّد القوم فيقال هو دعامة القوم كما يقال : هو عمادهم ، و (عصمه) الله من المكروه من باب ضرب حفظه و وقاه ، و الاسم العصمة بالكسر و يجمع على عصم وزان عنب و جمع الجمع أعصم و عصمة و جمع جمع الجمع أعصام .

و (كفى) الشيء يكفي كفاية فهو كاف إذا حصل به الاستغناء عن غيره قال الشّارح المعتزلي : فيه كفاء لمكتف و شفاء لمشتف ، الوجه فيه كفاية فانّ الهمز لاوجه له ههنا لأنّه من باب آخر و لكنّه أتى بالهمزة للازدواج بين كفاء و شفاء كما قالوا: الغدايا والعشايا ، و كما قال عليه السلام ، مأزورات غير مأجورات ، تأتي بالهمزة والوجه الواو للازدواج.

و(الولاية) بفتح الواو المحبّة والنّصرة و (الكأس) بهمزة ساكنة و يجوز تخفيفها القدح المملوّ من الشّراب ولا تسمّى كأسا إلاّ و فيها شراب و هي مؤنثة سماعيّة و(ربى) من الماء واللّبن كرضى ريّا وريّا و تروّى وارتوى و الاسم الرى بالكسر ، و ماء رويّ كغنيّ و رواء كسماء كثير مرو و (القارعة) الدّاهية لأنّها تقرع الناس بشدّتها ومنه سمّي الموت قارعة و كذلك القيامة لمزيد هو لها و(معارف) الدّار ما يعرفها المتوسّم بها واحدها معرف مثل معاهد الدّار و معالم الدار و (طوبى) مصدر من الطيب قلبت ياؤه و اواً لضمّة ما قبلها أو اسم شجرة في الجنّة .

الاعراب

قوله : كلمّا نسخ الله بنسخ كلّ على الظرف ، والفاء في قوله فليقبل فصيحة، و قوله : حتّى يستبدل ، متعلّق بقوله و لينظر ، و قوله : فطوبى لذي قلب سليم الفاء فصيحة ، وطوبى مرفوع على الابتداء خبره لذي قلب ولهج السّبيل بالنّصب

على نزع الخافض.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة مسوقة لوصف حال عباد الله الصالحين وأوليائه الّذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، و ختمها بالذّكرى والموعظة و افتتحها با لشّهادة بعدل الله عزّوجلّ و فصله ثمّ بنعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و تزكية نسبه و أصله فقال :

(و أشهد أنّه عدل عدَلَ) قال الشّارح المعتزلي : الضمير في أنّه راجع إلى القضاء والقدر المذكور في صدر هذه الخطبة ولم يذكره الرّضي رحمه الله ، قال : و نسبة العدل إلى القضاء على طريق المجاز ، و هو بالحقيقة منسوب إلى ذي القضاء والقاضي به هو الله تعالى اه ، و محصّله أنّه تعالى عدل مبالغة أو عادل حقيقة في جميع أفعاله و أحكامه لكون الظلم قبيحا عقلا و نقلا فيستحيل في حقّه.

قال الشّارح البحراني : والباري تعالى عادل بالنظر إلى حكمه و قضائه أى لايقضى في ملكه بأمر إلاّ وهو علي وفق النّظام الكلّي والحكمة البالغة ، و يدخل في ذلك جميع أفعاله و أقواله ، فانّه لايصدر منها شيء إلاّ وهو كذلك و أما الجزئيات المعدودة شروراً و صورة جور في هذا العالم ، فانّها إذا اعتبرت شروراً نسبة و مع ذلك فهى من لوازم الخير والعدل لابدّ منها ، ولايمكن أن يكون الخير والعدل من دونها كما لايمكن أن يكون الانسان إنساناً إلاّ وهو ذوغضب و شهوة يلزمهما الفساد والشّرّ الجزئى ، ولمّا كان الخير أكثر وكان ترك خير الكثير لأجل الشرّ القليل شرّاً كثيراً في الجود والحكمة وجب تلك الشّرور الجزئية لوجود ملزوماتها ، و أشار بقوله عدل إلى ايجاد العدل بالفعل، انتهى.

(وحكم فصل) أى حاكم بالحقّ فصل بين الحقّ والباطل بما بعث به رسوله من كتابه العزيز ، وإنّه لقول فصل وماهو بالهزل ، ويفصل أيضاً بين عباده يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون كما قال عزّ من قائل «إنّ يوم الفصل كان ميقاتا» وقال «إنّ ربّك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » أى يقضى فيميّز الحقّ من الباطل تمييز المحقّ من المبطل والطيّب من الخبيث فيما كانوا يختلفون فيه

من أمر الدّين ، وفي آية أخرى «ان الّذين آمنوا والّذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والّذين أشركوا إنّ الله يفصل بينهم يوم القيمة» أى بالحكومة بينهم واظهار الحقّ من المبطل وجزاء كلّ بما يليق به .

(وأشهد أن محمّداً) صلّى الله عليه وآله (عبده وسيّد عباده) .

أما أنه عبده فقد شهد به الكتاب العزيز في مواضع عديدة مقدما على شهادته عليه السلام قال سبحانه «الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا» وقال «تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» و قال «فأوحى الى عبده ما أوحى» وقال «هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور» إلى غير ذلك مما لاحاجة إلي ذكره و قد تقدّم بيان حقيقة العبوديّة فى شرح الخطبة الحادية والسبعين تفصيلا فليراجع ثمة ، واجمال ماقدّمناه هنا أنّ العبد لايكون عبداً حقيقة إلاّ أن لايرى لنفسه مالا ولا له فى أُموره تدبيراً ، و يكون أوقاته مستغرقة بخدمة مولاه ، وهكذا كان حال سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و الطيّبين من آله سلام الله عليهم . فانهم رأوا جميع ما فى أيديهم مال الله فصرفوه فى عيال الله وهم الفقراء و المساكين ، و وكلوا جميع امورهم الى الله رضاء بقضائه فشكروا على نعمائه و صبروا على بلائه و كانت أوقاتهم مصروفة إلى عبادته و قيام أوامره و نواهيه وطاعته .

وأما أنه سيّد عباده فلاريب فيه ، والظاهر أنّ المراد به جميع البشر لاخصوص عباد الله الصالحين الكمّلين من الأنبياء و الرّسل ومن دونهم ، لدلالة الأدلّة على العموم حسبما عرفت تفصيلا فى تضاعيف الشرح وأقول هنا مضافا إلى ماقدّمنا :

روى فى البحار من الكافى باسناده عن صالح بن سهل عن أبي عبدالله عليه السلام انّ بعض قريش قال : سئل رسول الله صلّى الله عليه وآله بأيّ شيء سبقت ولد آدم ؟ قال : إنني أوّل من أقرّ بربّي إنّ الله أخذ ميثاق النبيّين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى فكنت أوّل من أجاب .

وفيه من الخصال فى وصيّة النّبى صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام يا علي إنّ الله عزّ وجلّ

أشرف على الدّنيا فاختارني منها على رجال العالمين ، ثمّ اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدى، ثمّ اطلع الثالثة فاختار الأئمّة من ولدك على رجال العالمين بعدك ، ثمّ اطلع الرّابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين .

وفيه من تفسير فرات بن إبراهيم بسنده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا اسرى بي إلى السماء قال لي العزيز الجبّار : يا محمّد انّي اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها واشتققت لك اسماً من أسمائي لا اذكر في مكان إلاّ وأنت معي ، فأنا محمود وأنت محمّد الحديث

وفيه من العيون عن الهروى عن الرّضا عليه السلام في حديث طويل قال : إنّ آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام لمّا أكرم الله تعالى باسجاد ملائكته وبادخال الجنّة قال في نفسه : هل خلق الله بشراً أفضل منّي ، فعلم الله عزّ وجلّ ماوقع في نفسه فناداه ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي ، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبا : لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله عليّ بن أبيطالب أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة ، فقال آدم : يا ربّ من هؤلاء ؟ فقال عزّ وجلّ : هؤلاء من ذريّتك وهم خير منك ومن جميع خلقي ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنّار ولا السّماء والأرض إلى آخر ماتقدّم روايته في التّذنيب الثّاني من شرح الفصل الثاني عشر من الخطبة الاُولى.

وفيه أيضاً من اكمال الدين عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن موسى عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا سيّد من خلق الله وأنا خير من جبرئيل وميكائيل و حملة العرش وجميع الملائكة المقرّبين و أنبياء الله المرسلين ، و أنا صاحب الشفّاعة والحوض الشريف وأنا وعليّ أبوا هذه الائمّة، «الامة» من عرفنا فقد عرف الله ، ومن أنكرنا فقد أنكر الله عزّ وجلّ الحديث .

وفى شرح المعتزلي عنه صلى الله عليه وآله قال : أنا سيّد ولد آدم ولا فخر .

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً : ادعوا لى سيّد العرب علياً ، فقالت عايشة : ألست سيّد العرب ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أنا سيّد البشر وعليّ سيّد العرب .

والأخبار في هذا المعنى فوق حدّ الاحصاء ولا حاجة إلى الاطالة بروايتها .

قال الصدوق في الهداية : يجب أن يعتقد أنّ النّبوة حقّ كما اعتقدنا أنّ التوحيد حقّ ، وأنّ الأنبياء الّذين بعثهم الله مأة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ ، جاؤوا بالحقّ من عند الحقّ ، و أنّ قولهم قول الله و أمرهم أمر الله و طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، وأنهم لم ينطقوا إلاّ من الله عزّ وجلّ وعن وجهه وأنّ سادة الأنبياء خمسة الذين عليهم دارة الرّحى وهم أصحاب الشرايع وهم اُولوا العزم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمّد صلوات الله عليهم وأنّ محمّداً صلوات الله عليه سيّدهم وأفضلهم ، وأنه جاء بالحقّ وصدّق المرسلين ، وأنّ الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون ، و يجب أن يعتقد أنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمّد صلى الله عليه وآله و من بعده الأئمة صلوات الله عليهم ، وأنهم أحبّ الخلق إلى الله عزّ وجلّ وأكرمهم عليه وأولهم اقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذرّ إلى آخر ما قال :

(كلّما نسخ الله الخلق فرقتين) أى خلّفهم حيث نقلهم من البطن الأول إلى البطن الثاني وقسمهم إلى فرقتين فرقة خير وفرقة شرّ (جعله في خيرهما) حسبما عرفت تفصيلا في شرح الخطبة الثالثة والتسعين

قال الشارح المعتزلي : و هذا المعني قد ورد مرفوعاً في عدّة أحاديث نحو قوله صلى الله عليه وآله : ما افترقت فرقتان منذ نسل آدم ولده إلاّ كنت في خيرهما ، و نحو قوله صلى الله عليه وآله : إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل مضر واصطفى من مضر كنانة واصطفى من كنانة قريش واصطفى من قريش هاشما واصطفاني من بني هاشم .

(لم يسهم فيه عاهر) أى لم يجعل في نسبه الشريف ذا سهم و نصيب (ولا ضرب فيه فاجر) أى لم يكن لفاجر فيه شرك ، يقال : ضرب في كذا بنصيب إذا كان شريكاً فيه

و المراد طهارة نسبه الشامخ من شوب دنس الجاهلية و نجس السفاح أى تناسخته كرايم الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام و كان نوراً في الأصلاب الشامخة

والأرحام المطهرة ، لم تدنس نسبه الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسه من مدلهمات ثيابها وقدعرفت تفصيله أيضاً في شرح الخطبة الثالثة والتسعين ، هذا .

ولما فرغ عليه السلام من وصف النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رغّب المخاطبين في دخولهم في زمرة أهل الخير والحق والطاعة بقوله :

(ألاوانّ الله قدجعل للخير أهلا) وهم الأبرار المتّقون وأهل الزّهد والصلاح من المؤمنين قال سبحانه «ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلّكم تفلحون» أى تحروا ما هو خير و أصلح فيما تأتون وتذرون كنوا فل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق .

وقال الصادق عليه السلام جعل الخير كلّه في بيت ومفتاحه الزّهد في الدّنيا ، وخير الخير هو رضوان الله تعالى ، وشرّ الشرّ سخطه والنار .

والخيرات الاخروية إنما تكسب بالخيرات الدّنيوية ولذلك أمر الله سبحانه بها في الآية السابقة بقوله «وافعلوا الخير» وفي قوله «فاستبقوا الخيرات» أى الأعمال الصالحة والطاعات المفروضة والمندوبة ورئيس أهل الخير هم الأئمة عليهم الصلاة والسلام كما اُشير اليه في زيارتهم الجامعة بقوله : إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه و منتهاه .

(وللحقّ دعائم) الظاهر أنّ المراد بالحقّ ضدّ الباطل و بدعائمه الأئمة عليهم السلام لأنهم أئمة الحقّ بهم قوامه ودوامه وثباته وغيرهم أئمة الباطل كما اشير إلى ذلك في قوله تعالى «وممّن خلقنا امة يهدون بالحقّ و به يعدلون» و قوله «أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لايهدّى إلاّ أن يهدى» **و قد** قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتفق عليه بين الفريقين : الحقّ مع عليّ و هو مع الحقّ أينما دار **و من طرق** الخاصة مستفيضاً بل متواتراً كما قيل عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : الحقّ مع الأئمة الاثنى عشر ، وفي زيارتهم الجامعة : الحقّ معكم وفيكم ومنكم واليكم و أنتم أهله ومعدنه .

وفى رواية الكافى عن محمّد بن مسلم قال سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : ليس عند

أحد من الناس حقّ ولا صواب ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حقّ إلاّ ما خرج منا أهل البيت ، وإذا تشعّبت بهم الأمور كان الخطاء منهم والصواب من علي عليه السلام

وقوله (و للطاعة عصما) يحتمل أن يكون المراد بالعصمة ما يعتصم به كما فسّر به قوله تعالى « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » أى بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب أى لا تمسكوا بنكاح الكوافر ، وسمّى النّكاح عصمة لأنّها لغة المنع والمرأة بالنّكاح ممنوعة من غير زوجها .

و على ذلك فالمراد بعصم الطاعة هم الأئمة عليهم السلام و القرآن إذ بهما يعتصم ويتمسّك في الطاعات

أمّا الأئمّة عليهم السلام فلاستناد الطّاعة والعبادة إليهم لأنهم عليهم السلام نشروا شرايع الأحكام وبموالاتهم علّمنا الله معالم ديننا ، وبموالاتهم تقبل الطّاعة المفترضة كما ورد في فقرات الزّيارة الجامعة وفي رواية الكافي المتقدّمة في شرح الفصل الخامس من الخطبة الثانية عن مروان بن مياح عن الصّادق عليه السلام **قال** : وبعبادتنا عبدالله ولولا نحن ما عبدالله ، **وفى** غير واحد من أخبارهم : بنا عرف الله و بنا عبدالله و سبّحنا فسبّحت الملائكة وهلّلنا فهلّلت الملائكة ، والحاصل أنّهم أساس الدّين وعماد اليقين

و أمّا القرآن فلكونه مدرك التكاليف و الطاعات كما قال تعالى « انّ هذا القرآن يهدى للّتي هي أقوم » أى طريق الشّريعة والطّاعة ولذلك أمر الله بالاعتصام به في قوله :« واعتصموا بحبل الله » أى بالقرآن استعير له الحبل لأنّ الاعتصام والتّمسك به سبب النّجاة من الرّدى كما أنّ التّمسك بالحبل سبب النّجاة من الرّدى .

و يحتمل أن يكون المراد بها أى بالعصمة الحفظ والوقاية كما في قولهم عصمه الله من المكروه أى حفظه ووقاه ، وعصمة الله للعبد منعه وحفظه له من المعصية وعلى ذلك فالمراد بعصم الطّاعة الخواص الكامنة لها المانعة له من هلكات الدّنيا وعقوبات الآخرة كما قال تعالى : « والّذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفّرنّ عنهم سيّئاتهم ولنجزينّهم أحسن الّذى كانوا يعملون »

والاتيان بصيغة الجمع أعني عصما إمّا باعتبار تعدّد أنواع الطّاعة أو تعدّد

خواصها أو كثرة مايعصم بها منها من أنواع العقوبات ، فان كلّ طاعة فله عصمة من نوع مخصوص أوأنواع من العذاب ، وبقبالها الذّنب والمعصية ، فان لكلّ ذنب أثراً خاصّاً في جلب نوع مخصوع أوأنواع من السّخط كما اشير إلى ذلك في الدعاء اللّهمّ اغفرلي الذّنوب الّتي تهتك العصم اللّهمّ اغفرلي الذّنوب الّتي تنزل النّقم اللّهمّ اغفرلي الذّنوب الّتي تغيّر النعم ، اللهمّ اغفرلى الذّنوب الّتى تحبس الدّعاء ، اللهمّ اغفرلى الذنوب الّتى تنزل البلاء ، اللهمّ اغفرلى الذنوب الّتى تقطع الرّجاء ، هذا .

و أنت بعد الخبرة بما حقّقناه فى شرح هذه الفقرة و سابقتيه تعرف أنّ ما قلناه أولى :

ممّا قاله الشارح البحراني في شرح تلك الفقرات حيث قال : قوله عليه السلام ألا و انّ الله - إلى قوله عصما - ترغيب للسّامعين أن يكونوا من أهل الجنّة ودعائم الحقّ وعصم الطاعة .

و ممّا قاله الشارح المعتزلي من أنّ دعائم الحقّ الأدلّة الموصلة إليه المثبت له في القلوب و عصم الطاعة هى الادمان على فعلها والتّمرن على الاتيان بها ، لأنّ المروّن على الفعل يكسب الفاعل ملكة تقتضى سهولته عليه .

و ممّا قاله بعض الشرّاح من أنّ المراد بعصم الطاعة العبادات الّتي توجب التوفيق من الله سبحانه و ترك المعاصى الموجبة لسلبه أو الملائكة العاصمة للعباد عن اتباع الشياطين انتهى ، فافهم جيّداً.

قوله عليه السلام (و انّ لكم عند كلّ طاعة عونا من الله) الظاهر أنّ المراد بالعون توفيق الله و لطفه المخصوص في حقّ المطيعين ، فانّ الاتيان بالطاعات إنّما هو بعونه و توفيقه كما أنّ المعاصى بخذلانه وسلب توفيقه كما اشير إلى ذلك في قوله تعالى « و الّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا » و اشير إليه أيضاً فى أخبارهم عليهم السلام.

روى في البحار من توحيد الصّدوق باسناده عن جابر الجعفى عن أبي جعفر عليه السلام

قال : سألته عن معنى لاحول ولا قوّة إلاّ بالله ، فقال عليه السلام : لاحول لنا عن معصية الله إلاّ بعون الله ، ولا قوّة لنا على طاعة الله إلاّ بتوفيق الله عزّ وجلّ .

وفيه من كنز الكراجكي قال الصادق عليه السلام : ما كلّ من نوى شيئاً قدر عليه ، ولا كلّ من قدر على شيء وفق له ، ولا كلّ من وفق لشيء أصاب به فاذا اجتمعت النيّة والقدرة والتوفيق والاصابة فهنا لك تمّت السعادة .

وفيه أيضاً من التّوحيد عن الهاشمي قال : سألت أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام عن قوله « و ما توفيقي إلاّ بالله » و قوله « إن ينصركم الله فلا غالب لكم و إن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده » فقال عليه السلام : إذا فعل العبد ما أمره الله عزّ وجلّ به من الطاعة كان فعله وفقاً لأمر الله عزّ وجلّ و سمّي العبد به موفّقاً ، و إذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله فحال الله تبارك و تعالى بينه وبين المعصية كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ، و متى خلّى بينه و بين المعصية فلم يحل بينه و بينها حتّى يرتكبها فقد خذله ولم ينصره ولم يوفّقه .

فقد ظهر بما ذكرنا أنّ طاعة الله عزّ وجلّ لايتمكّن منها إلاّ بعونه وتوفيقه لأنّ التوفيق عبارة عن أن يجمع بين جميع الأسباب الّتي يحتاج إليها في حصول الفعل ، ولهذا لايقال فيمن أعان غيره وفّقه لأنّه لايقدر أن يجمع بين جميع الأسباب المحتاجة إليها في حصول الفعل

ولانحصار التوفيق فيه تعالى جيء بكلمة الحصر في قوله إيّاك نستعين أى نستوفق ونطلب المعونة على عبادتك وعلى امور ما كلّها منك وان غيرك « كذا » إذا لايقدر عليه أحد سواك ، و إذا حصل التوفيق و شمله اللّطف و علم أنّ له في فعل العبادة الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه و رغبته ، فيسهل للعبد حينئذ القيام بوظايف الطاعات لأنّه يعين عليها ويقوى الأعضاء والجوارح على الاتيان بها.

و لتقويته لها قال عليه السلام (يقول على الألسنة) فاسند إليه القول توسّعاً لكونه معدّاً له

و لكونه سبباً لتثبيت القلوب و اطمينانها قال عليه السلام (ويثبت الأفئدة) فأسند

التثبيت إليه مجازاً لأنّه في الحقيقة فعل الله سبحانه كما قال تعالى « يثبّت الله الّذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا» وقال «لنثبّت به فؤادك».

و إلى هذا التثبيت و توضيحه اشير في قوله تعالى « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يردأن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاكأنّما يصّعّد في السماء كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لايؤمنون».

روى في البحار من محاسن البرقي عن أبيه عن فضالة عن أبي بصير عن خثيمة بن عبدالرحمن الجعفي قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إنّ القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته مالم يصب الحقّ فاذا أصاب الحقّ قرّ ثمّ ضمّ أصابعه وقرء هذه الآية : فمن يردالله أن يهديه ، الآية.

وفى البحار أيضاً من التّوحيد والعيون عن ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن حمدان بن سليمان قال : سألت أباالحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام» قال عليه السلام: من يردالله أن يهديه بايمانه في الدّنيا إلى جنّته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتّسليم بالله و الثّقة به والسّكون إلى ماوعده من ثوابه حتّى يطمئنّ ، و من يرد أن يضلّه عن جنّته و دار كرامته في الآخرة لكفره به و عصيانه له في الدّنيا يجعل صدره ضيّقاً حرجا حتّى يشكّ في كفره و يضطرب من اعتقاده قلبه حتّى يصير كأنّما يصّعّد في السّماء ، كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لايؤمنون

فقد علم بما ذكرنا كلّه أنّ لله سبحانه في حقّ عباده المطيعين المقرّبين الّذين لايشاؤون الاّ أن يشاء الله ولايريدون إلاّ ماأراد الله ألطافا خاصّة وعناية مخصوصة يستولى على قلوبهم بلطفه ، ويتصرّف في جوارحهم بأمره ففى كلّ آن يحصل منه التوفيق والافاضات على أرواحهم والتّصرف في أبدانهم فيطمئنّ به قلوبهم و ينظرون بنور الله و يبطشون بقوّة الله كما قال تعالى فيهم : فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يمشي وبى يبطش ، وقال عزّ وجلّ: كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه.

(فيه كفاء لمكتف وشفاء لمشتف) يعنى في عون الله عزّ وجلّ غناء لمن استغنى،

إذ مع عونه لايبقى افتقار إلى غيره ، وشفاء لمن استشفى لأنّه تعالى الكافي الشّافي لاكافي سواه كماقال «ومن يتوكّل على الله فهو حسبه» ولاشافي غيره كماقال «وإذا مرضت فهو يشفين» ولايحصل الغنى والشفاء إلّا بعونه و حوله و قوّته و لذلك أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله باكثار الحوقلة عند الفقر والمرض .

كما رواه في الرّوضة من الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله من ألحّ عليه الفقر فليكثر من قول لاحول ولاقوة الّا بالله العليّ العظيم.

و قال عليه السلام فقد النبيّ صلّى الله عليه وآله رجلا من الأنصار، فقال : ماغيّبك عنّا ؟، فقال: الفقر يا رسول الله وطول السقم فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا اُعلّمك كلاما إذاقلته ذهب عنك الفقر والسقم؟ فقال: بلى يارسول الله فقال: إذا أصبحت وأمسيت فقل لاحول ولاقوّة إلّا بالله توكّلت على الحيّ الّذي لايموت والحمدلله الّذي لم يتّخذ صاحبة ولاولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذّل و كبره تكبيراً ، فقال الرّجل : فوالله ما قلته إلّا ثلاثة أيام حتّى ذهب عنّي الفقر والسّقم.

ثمّ شرع في وصف عباد الله الكمّلين ترغيباً للمخاطبين إلى اقتفاء آثارهم واقتباس أنوارهم و سلوك مسالكهم فقال عليه السلام:

(و اعلموا أنّ عباد الله المستحفظين علمه) المستحفظين في أكثر النّسخ بصيغة المفعول أى الّذين طلب منهم الحفظ ، و في بعضها بصيغة الفاعل أى الطالبين للحفظ .

والمراد بهم إمّا الأئمّة عليهم السلام خصوصاً أوهم مع خيار شيعتهم لاتّصافهم جميعاً بالاستحفاظ و بغيره من الأوصاف الآتية و إن كان اتّصافهم بها آكد و أقوى لكونهم عليهم السلام حفظة لسرّه و خزنة لعلمه كماورد في فقرات الزّيارة الجامعة ، و فيها أيضاً و ائتمنكم على سرّه ، وقد وصفهم عليه السلام بذلك في الفصل الرّابع من الخطبة الثانية حيث قال : هم موضع سرّه و لجاء أمره و عيبة علمه ، و قدّمنا هنا لك مطالب نفيسة ، و إلى ذلك الحفظ اشير في قوله تعالى « و تعيها اُذن واعية » أى

تحفظها اُذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظها بتذكّره و اشاعته و التفكر فيه والعمل بمقتضاه.

روى في الصافي من مجمع البيان عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال لعليّ عليه السلام: يا على إنّ الله تعالى أمرنى أن ادنيك ولااقصيك و أن اُعلّمك وتعي و حقّ على الله أن تعي فنزل: «وتعيها اذن واعية».

وفيه منه ومن العيون والجوامع عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه لمّا نزلت هذه الآية قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: سألت الله عزّ وجلّ أن يجعلها اذنك يا علي.

وفى رواية لمّا نزلت قال: اللهمّ اجعلها اذن عليّ، قال عليّ عليه السلام: فما سمعت شيئاً من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فنسيته، و زاد في اخرى: وماكان لى ان انسى

وفى الكافى عن الصادق عليه السلام لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: هى اذنك يا علي.

و بالجملة فالأئمة سلام الله عليهم خزنة علم الله أمرهم الله بحفظه كما أنّ خيار شيعتهم أوعية علومهم المتلقاة من الله عزّ وجلّ، وهم أيضاً طلبوا منهم حفظها عن الضّياع والنّسيان.

(يصونون مصونه و يفجرون عيونه) أى يحفظون ما يجب حفظه لكونه من الأسرار الّتي لايجوز اظهارها أصلا، فانّ حديثهم صعب مستصعب لايحتمله ملك مقرّب ولانبيّ مرسل ولامؤمن امتحن الله قلبه للايمان على ماعرفت تحقيقه في شرح الفصل الرّابع من الخطبة الثانية.

أو لايجوز اظهارها إلاّ للأوحدى من شيعتهم الحافظين لها و إليه أشار عليّ ابن الحسين عليهما السلام بقوله: لوعلم أبوذر ما في قلب سلمان لقتله.

ويفجرون ينابيعه ويظهرون ماليس من قبيل الأسرار بل من قبيل التكاليف والأحكام ونحوها و يعلّمونها غيرهم.

و تشبيه العلم بالعين استعارة بالكناية وذكر العيون تخييل والتفجير ترشيح الجامع أنّ في العلم حياة الأرواح كما أنّ في الماء حياة الأبدان، و إنّما شبّه

بماء العين بخصوصه لكونه زلالا صافياً وفيه من العذوبة والصّفاء ماليس في ساير المياه ؛ فكان أبلغ في التشبيه

وقد وقع نظير ذلك التشبيه في قوله تعالى « إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين » يعني إن غاب إمامكم فمن يأتيكم بعلم الامام كما فسّر به في عدّة روايات

ولما أشار عليه السلام إلى كمال المستحفظين في الحكمة النظرية عقّبه بالتنبيه على كمالهم في الحكمة العمليّة فقال :

(يتواصلون بالولاية) أي بالمحبّة والنصرة أو القرب والصداقة يعني أنّ مواصلتهم عن وجه الصدق والصفا والودّ والوفا ، لاعن وجه النفاق كماهوالغالب في وصل أبناء الزّمان ، و يحتمل أن يكون المراد بالولاية القرابة فيكون المراد بالجملة التواصل بالأرحام وصلة الرّحم والأوّل أظهر.

(و يتلاقون بالمحبّة)هذه الجملة كالتفسير للجملة السابقة أي يكون ملاقاتهم عن حبّ كلّ منهم لصاحبه .

فقد قال أبوعبدالله في رواية الكافي عن صفوان الجمال عنه عليه السلام : ما التقى مؤمنان قط إلاّ كان أفضلهما أشدّ حبّاً لأخيه.

وفيه أيضاً عن شعيب العقرقوفي قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول لأصحابه : اتّقوا الله و كونوا اخوة بررة متحابّين في الله متواصلين متراحمين تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا و أحيوه .

(ويتساقون بكأس روية) أي يسقى كلّ منهم للآخر بكأس العلم والمعرفة الّتي بها رواء كلّ غليل .

أمّا الأئمة فلأنّ كلاّمنهم أخذ علمه عن الآخر حتّى انتهى إلى أمير المؤمنين و أخذه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله بوحي أو إلهام.

و **يشهد** بذلك ما رواه في الكافي عن الحكم بن عتيبة قال لقي رجل الحسين بن عليّ عليهما السلام بالثعلبيّة و هو يريد كربلا فدخل عليه فسلّم فقال له الحسين عليه السلام

من أيّ البلاد أنت ؟ قال : من أهل الكوفة، قال عليه السلام: أما والله يا أخا أهل الكوفة لولقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل من دارنا ونزله بالوحي على جدّي ، يا أخا أهل الكوفة أفمستقي الناس العلم من عندنا فعلموا و جهلنا ؟ هذا مالايكون .

وفيه عن محمّد بن مسلم قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: نزل جبرئيل على محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم برمّانتين من الجنّة فلقيه عليّ عليه السلام فقال: ماهاتان الرّمانتان اللّتان في يدك؟ فقال: أمّا هذه فالنّبوّة ليس لك فيها نصيب، وأمّا هذه فالعلم ، ثمّ فلقها رسول الله صلّى الله عليه وآله بنصفين فأعطاه نصفها و أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله نصفها ثمّ قال : أنت شريكي فيه و أنا شريكك فيه قال : فلم يعلم والله رسول الله صلّى الله عليه وآله حرفاً ممّا علّمه الله عزّ وجلّ إلاّ وقد علّمه عليّاً ، ثمّ انتهى العلم إلينا ، ثمّ وضع يده على صدره.

وفيه عن هشام بن سالم و حمّاد بن عثمان و غيره قالوا سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول : حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي ، و حديث جدّي حديث الحسين عليه السلام ، و حديث الحسين عليه السلام حديث الحسن عليه السلام ، و حديث الحسن عليه السلام حديث أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه ، و حديث أمير المؤمنين عليه السلام حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، و حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قول الله عزّ وجلّ.

و أمّا أصحاب الأئمة عليهم السلام فلأنّهم قد استقوا من منهل علومهم عليهم السلام وتعلّموها منهم وعلّموها غيرهم بأمرهم عليهم السلام.

كما يشير إليه مارواه في الكافي عن يزيد بن عبدالملك عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تزاوروا فان في زيارتكم إحياء لقلوبكم وذكراً لأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فان أخذتم بها رشدتم و نجوتم ، و إن تركتموها ضللتم و هلكتم فخذوا بها و أنا بنجاتكم زعيم .

وفي الوسائل عن الكافي عن محمّد بن حكيم قال : قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : فقّهنا في الدّين وأغنانا الله بكم من الناس حتّى أنّ الجماعة منّا ليكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه إلاّ يحضره المسألة و يحضره جوابها فيما منّ الله علينا بكم.

فقد ظهر بذلك أنّ المستحفظين علم الله عزّ وجلّ من الأئمة عليهم السلام وأصحابهم

يأخذون العلوم الحقّة والمعارف اليقينية من عين صافية و يستقون بكأس مروية (و يصدرون) عنها (بريّة) لاظمأ بعدها.

و أما غيرهم فقد استقوامن سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتّى إذاجائه لم يجده شيئاً ووجدالله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب.

(لا تشوبهم الرّيبة) يحتمل أن يكون المراد نفى الشكّ عنهم لشدّة يقينهم و مزيد تقواهم و رسوخهم في الايمان.

قال الرّضا عليه السلام فيما رواه في الكافي عن أحمد بن محمّدبن أبي نصرعنه عليه السلام: الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتّقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التّقوى بدرجة ، ولم يقسم بين العباد شيء أقلّ من اليقين.

و يحتمل أن يكون المراد نفى التّهمة و سوء الظنّ أى لايتّهم بعضهم بعضاً لأنّه اذااتّهم المؤمن أخاه انماث الايمان من قلبه كما ينماث الملح فى الماء ، رواه في الكافي عن إبراهيم بن عمر اليمانى عن أبي عبدالله عليه السلام

(ولاتسرع فيهم الغيبة) أي إذاأراد أحد غيبتهم فلا يتسرّع غيبته إليهم كما يتسرّع إلى غيرهم بطهارة نفوسهم من القبايح والمساوى الموجبة لسرعتها بمالهم من ملكة العصمة والعدالة (على ذلك) أى على ماذكر من الأوصاف الكماليّة (عقد) الله (خلقهم و أخلاقهم) يعنى أنّ اتّصافهم بتلك الكمالات ليس بتكلّف ، بل هي مقتضى سجيتهم وهم مجبولون عليها لأنّ طينتهم عليهم السلام من أعلا علّيّين و شيعتهم مخلوقة من فاضل طينتهم عجينة بنور ولايتهم

كماقال الصادق عليه السلام : شيعتنا منّا خلقوا من فاضل طينتنا و عجنوا بنور ولايتنا .

وفى الكافى باسناده عن أبي حمزة الثمالى قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول إنّ الله عزّ وجلّ خلقنا من أعلاعلّيّين و خلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه و خلق أبدانهم من دون ذلك و قلوبهم تهوى إلينا لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه ، ثمّ تلى هذه الآية « كلاّ إنّ كتاب الأبرار لفى علّيّين ✿ و ما أدراك ماعلّيّون ✿ كتاب

مرقوم يشهده المقرّبون».

(فعليه) أي على ذلك العقد (يتحابّون و به يتواصلون) لأنّ الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف و ما تخالف منها اختلف كما في النّبوي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فقد قيل: إنّ المراد به انّ الأرواح خلقت مجتمعة على قسمين مؤتلفة و مختلفة كالجنود الّتي يقابل بعضها بعضاً ثمّ فرّقت في الأجساد، فاذا كان الايتلاف والمواخاة أوّلا كان التعارف والتوالف بعد الاستقرار في البدن و إذا كان التناكر والتخالف هناك كان التنافر والتناكر هناك.

و لعله إلى ذلك ينظر مارواه في الكافي عن حمزة بن محمّد الطيار عن أبيه عن أبي جعفر عليه السّلام قال: لم تتواخوا على هذا الأمر إنّما تعارفتم عليه.

و مثله عن ابن مسكان وسماعة جميعا عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: لم تتواخوا على هذا الأمر وإنما تعارفتم عليه.

يعني أنّ المواخاة على الولاية والاخوّة في الايمان كانت ثابتة بينكم في عالم الأرواح ولم تقع هذا اليوم وفي هذه النشأة وإنّما الواقع في هذه النّشأة هو التعارف الكاشف عن مواخاة عالم الأرواح الناشي منه.

(فكانوا) في تفاضلهم على ساير الناس (كتفاضل البذر) و هو أوّل ما يعزل من البذر للزراعة من الحبوب (ينتقى) و يزكى (فيؤخذ منه) الرّدى (و يلقى) فلا يبقى منه إلاّ الجيّد الخالص (قد ميّزه) الانتقاء و (التّخليص و هذّبه التّمحيص) والتّميز.

و محصّله أنّ تفاضلهم كتفاضل البذر المنتقى جيّده والملقى ردّيه، و هو من تشبيه المعقول بالمعقول، و تعقيبه بالانتقاء والالقاء ترشيح لأنّهما من خواصّ المسندبه و بالتّخليص والتّمحيص تجريد لكونهما من ملايمات المشبّه، فهو من قبيل التّشبيه المرشّح المجرّد، وقد مرّ توضيحه في ديباجة الشرح عند ذكر أقسام الاستعارات.

وقد وقع نظير هذا التّشبيه في حديث أبي عبدالله عليه السّلام المرويّ في البحار

عن العياشى عن الوشا باسناد له يرسله إليه عليه السلام قال : والله لتمحّصن والله لتميّزن والله لتغربلنّ حتّى لا يبقى منكم إلاّ الأندر ، قلت : و ما الأندر ؟ قال : البيدر ، و هو أن يدخل الرّجل قبّة الطعام يطين (١) عليه ثمّ يخرجه و قد تأكل بعضه ولايزال ينقيه ثمّ يكن عليه ثمّ يخرجه حتّى يفعل ذلك ثلاث مرّات حتّى يبقى مالايضرّه شيء .

ثمّ أصل التمحيص التخليص و كثيراً ما يستعمل في التّخليص الحاصل بالاختبار والامتحان ، قال تعالى « و ليبتلى الله ما في صدوركم و ليمحّص ما فى قلوبكم » أى ليمتحن الله ما في صدوركم و يظهر سرايرها من الاخلاص والنّفاق فيجازى المخلص باخلاصه و المنافق بنفاقه لأنّ المجازات إنّما هي بعد ظهور السّراير و إلاّ فهو سبحانه عالم بالسّرائر والضّماير قبل ظهورها كما هو عالم بها بعد ظهورها، وليمحّص أى، وليكشف ويميّز ما في قلوبكم من الطيب والخبيث.

و قال أيضاً « و ليعلم الله الّذين آمنوا و يتّخذ منكم شهداء والله لا يحبّ الظالمين ✩ و ليمحّص الله الّذين آمنوا و يمحق الكافرين» أى و ليبتلى الله الّذين آمنوا و ليخلصهم من الذّنوب أو ينجيهم من الذّنوب بالابتلاء و يهلك الكافرين بالذّنوب عند الابتلاء.

وفى الكافي عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول:ويل لطغاة العرب من أمر قد اقترب ، قلت : جعلت فداك كم مع القائم عليه السلام من العرب ؟ قال : نفر يسير ، قلت : و الله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير ، قال عليه السلام لابدّ للنّاس من أن يمحّصوا و يميّزوا و يغربلوا و يستخرج في الغربال خلق كثير .

وحاصل المرام أنّ المستحفظين علم الله قدامتازوا عن ساير الناس وتفاضلوا عليهم و خرجوا تامّ العيار من قالب الامتحان لكونهم المخلصين في توحيد الله

---

١. هكذا فى النسخة ولعله تصحيف والصحيح تبين عليه او بطين عليه بالباء الجارة والله العالم منه.

والتّامين في محبةالله، و إخلاصهم العمللله، هذا .

ولمّا فرغ من شرح حال المستحفظين فرّع عليه قوله (فليقبل امرء كرامة بقبولها) أى ليقبل كرامةالله و إفضاله وعوائد موائده بقبول هذه المكارم والصفات الجميلة، يعنى إذا كان المستحفظون متخلّقين بهذه المكارم و الأخلاق الحسنة فليتقبلها المؤمن بقبول حسن و ليحتذى حذوهم حتّى يدخل في زمرتهم ويفوز بالكرامة العظيمة والنّعمة الدّائمة المعدّة في حقّ المخلصين المكرّمين على ما بشّر به في الكتاب الكريم في قوله «انّكم لذائقوا العذاب الأليم ۞ وماتجزون إلاّ ما كنتم تعملون۞إلاّعبادالله المخلصين۞ لهم رزق معلوم۞فواكه وهم مكرمون۞ في جنّات النّعيم ۞ على سرر متقابلين ۞ ويطاف عليهم بكأس من معين۞ بيضاء لذّة للشّاربين » الآيات هذا

ولمّا لم يمكن تحصيل المكارم ونيل هذه الكرامات إلاّ بالتّجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت ، عقّبه بقوله:

(و ليحذر قارعة) أى داهية الموت (قبل حلولها و لينظر امرء في قصير أيّامه و قليل مقامه في منزل) أى ليتفكّر في أيّامه القصيرة و إقامته القليلة في دار الدّنيا (حتّى) يتنبّه من نوم الغفلة و (يستبدل به منزلا) غيره ، وهى دار الخلود الّتي ليس لأيّامه نفاد ولا لاقامته انقطاع (فليصنع لمتحوّله) أى ليصنع المعروف و يعمل بالصّالحات لمحلّ انقلابه (ومعارف منتقله) أى معالم موضع انتقاله.

ثمّ رغّب عليه السلام إلى متابعته و متابعة الطيّبين من أولاده الأئمة الهداة عليه وعليهم السلام بقوله:

(فطوبى لذى قلب سليم)من حبّ الدّنيا وشوب الشرك والرّيا و كدر المعاصى وهو الّذى اشير إليه فى قوله تعالى «يوم لاينفع مال ولا بنون ۞ إلاّ من أتى الله بقلب سليم»

(أطاع من يهديه) من أئمة الهدى (و تجنّب من) يهلكه و (يرديه) من أئمة الضّلال والرّدى (و أصاب سبيل السّلامة) وهى الجادّة الوسطى المحفوظة من رذيلتى الافراط والتّفريط والصّراط المستقيم المؤدّى إلى جنّته والمبلّغ إلى رضوانه

و رحمته (بنصرمن بصره) أي بعون امامه الحقّ الذى جعله بارشاده صاحب بصر و بصيرة فى سلوك سبيل السّلامة (و طاعة هاد أمره) بالمعروف ونهاه عن المنكر فاهتدى بأمره إلى الجادّة المستقيمة.

(و بادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه) عليه (و تقطع أسبابه) عنه بموته ، فانّ الموت إذاحلّ ارتفع التكاليف المحصّلة للسعادة وانسدّ أبواب الهداية.

(و استفتح) باب (التّوبة وأماط الحوبة) أى أزال الاثم و الخطيّة و نحّاها عن لوح نفسه بممحاة استغفاره و توبته (فقد اقيم على الطريق وهدى نهج السّبيل) الواضح أى أقامكم الله على ذلك و هداكم الله بما نزّل في كتابه على نبيّه من محكمات آياته كماأفصح عنه بقوله «قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً انزل من بعد موسى مصدّقا لما بين يديه يهدى إلى الحقّ و إلى طريق مستقيم» و قال «انّ هذا القرآن يهدى للّتى هى أقوم» فلم يبق بعد تلك الا قامة و الهداية معذرة للمذنب ولا عتبى للمستعتب.

تذييل

قال الشّارح المعتزلى فى شرح قوله عليه السلام : لم يسهم فيه عاهر و لا ضرب فيه فاجر :

في هذاالكلام رمز إلى جماعة من الصحابة في أنسابهم طعن كما يقال إنّ آل سعدبن أبي وقاص ليسوا من بنى زهرة بن كلاب وأنهم من بنى عذرة من قحطان، وكما قالوا : إنّ آل الزّبير بن العوام من أرض مصر من القبط و ليسوا من بني اسدبن عبدالعزى ، وكما يقال في قوم آخرين نرفع هذاالكتاب عن ذكر مايطعن فى أنسابهم كى لايظنّ بنا أنّا نحبّ القالة في الناس إلىأن قال:

قال أبوعثمان يعنى الجاحظ : و بلغ عمر بن الخطاب أنّ اناساً من رواة الأشعار و حملة الآثار يعيبون الناس ويثلبونهم في أسلافهم ، فقام على المنبر و قال: إيّاكم و ذكر العيوب والبحث عن الاصول فلوقلت لايخرج اليوم من هذه الأبواب من لاوصمة فيه ، لم يخرج منكم أحد ، فقام رجل من قريش نكره أن نذكره فقال : إذا كنت أنا و أنت يا أميرالمؤمنين نخرج ، فقال : كذبت بل كان يقال لك: ياقين

ابن قين اقعد.

قال الشارح : قلت : الرّجل الّذى قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى كان عمر يبغضه لبغضه أباه خالداً، ولأنّ المهاجر كان علوىّ الرّأى جدّاً وكان أخوه عبدالرّحمن بخلافه شهد المهاجر صفّين مع عليّ عليه السلام وشهدها عبدالرحمن مع معاوية وكان مهاجر مع عليّ عليه السلام يوم الجمل و فقئت ذلك اليوم عينه ، ولا الكلام الّذي بلغ عمر بلغه عن مهاجر ، وكان الوليد بن المغيرة مع جلالته في قريش حدّاداً يصنع الدّروع وغيرها بيده.

قال : وروى أبو الحسن المداينى هذا الخبر في كتاب أمّهات الخلفاء، وقال: إنّه روى عند جعفر بن محمّد عليه السلام بالمدينة ، فقال عليه السلام : لا تلمه يا ابن أخي إنّه أشفق أن يحدج بقضيّة نفيل بن عبدالعزّي وصهّاك امة الزّبير بن عبدالمطلب ، ثمّ قال عليه السلام: رحم الله عمر فانّه لم يعد السّنّة وتلا «إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم» انتهى كلام الشارح .

أقول قول الصادق عليه السلام : إنّه أشفق أن يحدج بقضيّة نفيل آه إشارة إلى ما قدّمنا في شرح الفصل الثاني من الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقيّة من نسب عمر تفصيلا و عرفت هناك أنّ نسبه الكثيف أنجس من جميع أنساب أولاد البغايا المدنسة بأنجاس الجاهليّة لم يسبقه في ذلك سابق و لم يلحقه لاحق ، و أقول هنا مضافا إلى ما سبق:

روى الشيخ الكليني في كتاب الرّوضة من الكافي عن الحسين عن أحمد بن هلال عن زرعة عن سماعة قال :

تعرّض رجل من ولد عمر بن الخطاب بجارية رجل عقيلي فقالت له : إنّ هذا العمري قد أذاني ، فقال لها : عديه و ادخليه الدّهليز ، فأدخلته فشدّ عليه فقتله وألقاه في الطريق فاجتمع البكريّون والعمريّون والعثمانيّون وقالوا: ما لصاحبنا كفو أن يقتل به إلاّ جعفر بن محمّد، وما قتل صاحبنا غيره ، وكان أبو عبدالله عليه السلام قد مضى نحو قبا ، فلقيته بما اجتمع القوم عليه، فقال عليه السلام : دعهم، فلمّا جاء ورأوه

و ثبوا عليه ، و قالوا : ما قتل صاحبنا أحدغيرك وما يقتل به أحدغيرك ، فقال عليه السلام : ليكلمني منكم جماعة فاعتزل قوم منهم فأخذ بأيديهم و أدخلهم المسجد ، فخرجوا وهم يقولون : شيخنا أبوعبدالله جعفر بن محمد معاذالله أن يكون مثله يفعل هذا ولا يأمر به انصرفوا .

قال : فمضيت معه فقلت : جعلت فداك ماكان أقرب رضاهم من سخطهم
قال عليه السلام : نعم دعوتهم فقلت : أمسكوا وإلاّ أخرجت الصحيفة .
فقلت : وما هذه الصحيفة جعلني الله فداك ؟

فقال عليه السلام : إنّ امّ الخطّاب كانت أمة للزّبير بن عبدالمطّلب ، فسطر بها نفيل فأحبلها ، فطلبه الزّبير فخرج هارباً إلى الطايف، فخرج الزّبير خلفه ، فبصرت به ثقيف فقالوا : ياابا عبدالله ماتعمل ههنا ؟ قال : جاريتي سطر بها نفيلكم ، فهرب منه إلى الشّام ، وخرج الزّبير في تجارة له إلى الشّام ، فدخل على ملك الدّومة فقال له : ياباعبدالله لي اليك حاجة ، قال : وما حاجتك أيّها الملك ؟ فقال : رجل من أهلك قد أخذت ولده فاحبّ أن يردّه عليه ، قال : ليظهر لي حتّى أعرفه ، فلمّا أن كان من الغد دخل إلى الملك، فلمّا رآه الملك ضحك فقال : مايضحكك أيّها الملك ؟ قال : ماأظنّ هذا الرّجل ولدته عربيّة لمارآك قددخلت لم يملك استه أن جعل يضرط ، فقال أيّها الملك إذاصرت إلى مكّة قضيت حاجتك ، فلمّا قدم الزّبير تحمّل(١) عليه ببطون قريش كلّها أن يدفع اليه ابنه فأبي ، ثمّ تحمّل عليه بعبدالمطّلب فقال : مابيني و بينه (٢) عمل أما علمتم مافعل في ابني فلان ، ولكن امضوا أنتم اليه فكلّموه ، فقصدوه و كلّموه فقال : لهم : إنّ الشّيطان له دولة و إنّ ابن هذا ابن الشّيطان ولست آمن أن يترأس علينا ، ولكن ادخلوه من باب المسجد عليّ على أن أحمي له حديدة وأخطّ في وجهه خطوطاً وأكتب عليه وعلى ابنه أن لايتصدّر في مجلس ولايتأمّر على أولادنا ولايضرب معنا بسهم ، قال : ففعلوا وخطّ

(١) أى استشفع (٢) أى الزبير

وجهه بالحديدة و كتب عليه الكتاب ، وذلك الكتاب عندنا ' فقلت لهم : إن أمسكتم وإلاّ أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم ، فأمسكوا.

بيان

قول عبدالمطلب: أما علمتم ما فعل في ابني فلان أراد به العبّاس و كني عنه الامام عليه السلام تقيّة من خلفاء العبّاسيّة .

وهو إشارة إلى ما رواه في الرّوضة أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال : إنّ نثيلة كانت أمة لاُمّ الزّبير وأبي طالب و عبدالله فأخذها عبدالمطّلب فأولدها فلاناً فقال له الزّبير هذه الجارية ورثناها من امّنا وابنك هذا عبدلنا ، فتحمل عليه ببطون قريش ' قال : فقال : قد أجبتك على خلّة على أن لا يتصدّر ابنك هذا معنا في مجلس ولا يضرب معنا بسهم ، فكتب عليه كتاباً و أشهد عليه .

الترجمة

ازجمله خطبهای بلاغت نظام آن امام عليه السلام است میفرماید :

شهادت میدهم بر اینکه بتحقیق خداوند تعالی عادلی است که عدالت کرده دراحکام و أفعال خود ، وحاکمی است که فصل فرموده میان حق و باطل ، وشهادت میدهم بر اینکه محمّد صلى الله عليه وآله بندهٔ او وفرستادهٔ اوست و آقای بندگان اوست ، هر وقتی که نقل کرد خلق را ازأصلاب بأرحام وقسمت کرد ایشان را بدو فرقه ' گردانید آن بزرگوار را در بهترین آن دوفرقه ، صاحب سهم نشد در نسب شریف آن زناکاری ، وشریك وصاحب نصیب نگردید دراصل آن فاسق فاجری .

آگاه باشید که بتحقیق خدای تعالی قرار داده است ازبرای عمل خیر که طاعات و قرباتست اهل معیّنی ، و از برای عقاید وأعمال حقّه ستونها و پایهائی ، وازبرای عبادت واطاعت حافظان ونگاه دارندگانی یا حفظهائی ازمهالك دنیا وآخرت

وبتحقیق که شماراست نزد هرطاعتی معینی وناصری ازجانب خدا که میگوید بزبانها وبرقرار میگرداند دلها را ودرآن معین کفایت است ازبرای اکتفا کننده وشفاست از برای طالب شفا .

و بدانید که بتحقیق بندگان خدا که از ایشان طلب حفظ علم اوشده حفظ میکنند آن علمی را که لازم الحفظ وازقبیل اسرار است ، وجاری میکنند چشمهای آن علمی را که باید بمردم اظهار نمود از قبیل تکالیف و احکام ، وصلت می کنند ایشان با یکدیگر با نصرت ویاری ، وملاقات میکنند باآشتی ومحبّت ، وسیراب می کنند یکدیگررا باکاسهٔ سیراب کنندهٔ علم و معرفت ، و بازمی گردند باسیرابی مخلوط نمی‌شودباعتقادات ایشان شك وشبهه ، ونشتابدبسوی ایشان غیبت کنندگان بجهت طهارت‌نفوس ایشان، براین‌أوصاف بسته وعقدکرده است‌خدای تعالی خلقت واخلاق‌ایشان را پس‌بالای‌این‌عقد خُلقی وخلقتی باهمدیگر درمقام محابه میباشند وبسبب آن‌درمقام‌وصالند،پس‌هستندایشان درزیادتی‌مرتبه‌وتفاوت‌درجه‌نسبت‌بسایرین مثل زیادتی تخم‌نسبت‌ببقیّهٔ آن درحالتی که امتیازداده است‌اورا خالص گردانیدن، وپاکیزه کرده اورا تمیز کردن.

پس باید قبول نماید مرد کرامت را بسبب قبول این‌صفات ، وباید بپرهیزد از مرگ باشدّت پیش ازحلول آن ، پس باید نگاه کند مرد در کوتاهی روزگاش وکمی درنگش‌درمنزلی تاآنکه بدل کند بآن منزل منزل دیگررا ، پس بایدکاری کند از برای مکان رجوع خود ، و ازبرای علامات محلّ انتقال خود .

پس خوشحالی ازبرای صاحب قلب با سلامتی است که اطاعت کرد کسی را که هدایت کند اورا ، و بیگانگی کرد از کسی که هلاك نماید اورا ، ورسیده راه سلامت‌رابسبب نصرت‌ویاری کسی که‌صاحب‌بصیرت کرد اورا، واطاعت‌هدایت کنندهٔ که امر کرد او را و مبادرت نمود بهدایت پیش از آنی که بسته شود درهای آن ، وبریده شود اسباب آن ، وطلب نمود گشودن درتوبه را ؛ وازالهٔ نمود گناه را پس بتحقیق که اقامه شد براه حق وهدایت شد برراه راست .

ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيرا وهو المأتان والرابع عشر من المختار في باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذي لَمْ يُصْبِحْ بي مَيِّتاً، وَلا سَقِيماً، وَلا مَضْرُوباً عَلى عُرُوقي بِسُوءٍ، وَلا مَأْخُوذاً بِأَسْوَءِ عَمَلي، وَلا مَقْطُوعاً دابِري، وَلا مُرْتَدّاً عَنْ ديني، وَلا مُنْكِراً لِرَبّي، وَلا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إيماني، وَلا مُلْتَبِساً عَقْلي، وَلا مُعَذَّباً بِعَذابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلي، أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظالِماً لِنَفْسي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ، وَلا حُجَّةَ لي، لا أَسْتَطيعُ أَنْ آخُذَ إِلّا ما أَعْطَيْتَني، وَلا أَتَّقي إِلّا ما وَقَيْتَني، أَللّٰهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ في غِناكَ، أَوْ أَضِلَّ في هُداكَ، أَوْ أُضامَ في سُلْطانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ، أَللّٰهُمَّ اجْعَلْ نَفْسي أَوَّلَ كَريمَةٍ تَنْتَزِعُها مِنْ كَرائِمي، وَأَوَّلَ وَديعَةٍ تَرْتَجِعُها مِنْ وَدايِعِ نِعَمِكَ عِنْدي، أَللّٰهُمَّ إِنّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَتَنَ عَنْ دينِكَ، أَوْ تَتايَعَ بِنا أَهْواؤُنا دُونَ الْهُدَى الَّذي جآءَ مِنْ عِنْدِكَ.

اللغة

(الدّابر) الآخر من دبر إذا أدبر قال تعالى «انّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين» يعني آخرهم أي يستأصلون عن آخرهم، وقال «ويقطع دابر الكافرين» أي باستيصالهم

وقتلهم واسرهم ، وقال « فقطع دابر القوم الذين ظلموا » أى آخر من بقي منهم
و(الضّيم) الذّل و(ضهده) كمنعه قهره (نفتتن) بصيغة المتكلّم المجهول ، وفي بعض النسخ بالبناء على الفاعل وقوله (أوتتايع) بالياء المثنّاة من تحت التهافت والاسراع في الشّر واللّجاج والاقتحام فيه من غير رويّة وركوب الأمر على خلاف النّاس وفي بعض النّسخ تايع بحذف إحدى التّائين ، وفي بعضها تتابع بالباء الموحّدة يقال : تتابعوا على الأمر أى توالوا وتبع بعضهم بعضا .

الاعراب

كثيراً في كلام الرّضي صفة إمّا لظرف محذوف أو لمصدر محذوف أى حيناً كثيراً أودعاءاً كثيراً والأوّل أظهر ، و قوله : ميّتا قال الشارح المعتزلي : منصوب على الحال أى لم يغلق الصّباح عليّ ميّتاً ولايجوز أن يكون يصبح ناقصة ويكون ميّتاً خبرها كما يقول الرّاوندى ، لأنّ خبر كان و اخواتها يجب أن يكون هو الاسم ، ألاترى أنّهما مبتدء وخبر في الحال ، واسم يصبح ضمير الله تعالى وميّتاً ليس هوالله سبحانه ، انتهى .

أقول: ولقائل أن يقول : إنّ مراد الرّاوندى بكون ميّتاً خبر أصبح أنّه في الأصل خبرها والمخبر به ياء المتكلّم فان أصبح على كونها ناقصة بمعني صار، فلمّا عدّيت بالباء صارت بمعني صيّر وتكون من أفعال التّصيير فيكون المعني لم يصيّرني ميّتاً كما يقال : صيّرني الله فداك ، وهذا ممّا لا غبار عليه ، وقوله عليه السلام إلاّ ما أعطيتني استثناء مفرّغ .

وقوله : أفتقر في غناك قال الشّارح المعتزلي : موضع الجارّ والمجرور نصب على الحال وفي متعلّقة بمحذوف والمعني افتقر وأنت الموصوف بالغنى الفايض على الخلق ، وقوله : دون الهدى ، ظرف متعلّق بقوله : تتايع ، وهو إمّا بمعني عند أو بمعني أمام

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام حمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه بما أنعم عليه من نعمه العظيمة

وقال (الحمدلله الذى لم يصبح بي ميّتاً) أى لم يدخلني في الصّباح والحال أنّي ميّت أو لم يصيّر ني ميّتاً .

فان قلت : كيف يجتمع حمده عليه السلام على عدم موته مع قوله الّذى مازال عليه السلام يقوله من كونه آنس بالموت من الطّفل بثدى امّه ، فانّ الأوّل مشعر بحبّه عليه السلام للبقاء والثاني مفيد للّقاء .

قلت: لاتنا في بين الكلامين لانتفاء المنافاة في المقامين

فانّ الأوّل أعنى الحمدعلى الحياة إنما هوفي مقام الرّضاء بالقضاء والشكر على النعماء ، فانّ وظيفة أهل اليقين لا سيّما أئمة الدّين الذين لايشاؤون إلاّ أن يشاء الله هوأن يرضى بجميع ما قدره الله في حقه وقضاه من الحياة والمماة والصحة والسقم والغنى والفقر ، فقد قال تعالى في الحديث القدسي : من لم يرض بقضائى و لم يصبر على بلائي و لم يشكر على نعمائي و لم يقنع بعطائى فيطلب رباً سوائي ويخرج من تحت أرضى وسمائي ، فهم مالم يقدر في حقهم الموت لابدّ أن يكونوا راضين بالحياة محبّين لها شاكرين عليها لكونها المقدّرة في حقّهم ، حتّى إذا بلغ الكتاب أجله وتمّ مقاديره يكون الموت أحبّ إليهم وقرّة عينهم فيه .

ويشير إلى ذلك ما رواه المحدّث الجزائرى عن الشهيد الثاني أنّ جابر بن عبدالله الأنصارى ابتلى في آخره عمره بضعف الهرم والعجز فرآه محمد بن عليّ الباقر عليه الصلاة والسلام فسأله عن حاله فقال : أنا فى حالة اُحبّ فيها الشيخوخة على الشباب وإن جعلني الله شاباً اُحبّ الشبوبة وإن أمرضنى اُحبّ المرض وإن شفاني اُحبّ الشفاء والصّحة و إن أماتنى اُحبّ الموت وإن أبقانى اُحبّ البقاء ، الحديث

وأما الثانى وهو إظهار فرط انسه بالموت فانما هو فى مقام الزهد و النفرة عن الدنيا وزخارفها ولذاتها وشهواتها الفانية وامنياتها الباطلة .

وأيضاً فانّ الدّنيا من حيث انهامعبد أحبّاء الله ومسجد أولياء الله ومتجرعبادالله والوصلة إلى الرّحمة والوسيلة إلى الرضوان والجنة فحياتهامطلوبة وبقاؤهانعمة عظيمة يجب الشكرعليهابل لانعمة فوقها لكونها المحصّلةلجميع النعم .

و قد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : بقية عمر المؤمن لا ثمن لها يدرك بها مافات ويحيى بها مامات .

وقال بعضهم : الدنيا أحبّ إليّ من الجنة لأنى فيها مشغول بعبادة ربّى و فى الجنة مشغول بلذة نفسى ، و بين الأمرين بون بائن ، ومن حيث إنها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتجلّبت بالامنيات ضرّارة غرّارة تزينت بغرورها وغرّت بزينتها مهانة على ربها مبغوضة إليه تعالى ، ولذلك لم يصفها لأوليائه ولم يضن بها على أعدائه فهى أهون عند أهل المعرفة وأخسّ وأحقر من عراق خنزير فى يد مجذوم ، والموت أحبّ إليهم من هذه الجهة لايصاله إلى الدار الآخرة

وبما حققنا علم سرّ ثنائه على سلامته كما أشار إليه بقوله (ولا سقيما) مضافا إلى أنّ فى حالة المرض احتمال فوات بعض العبادات أوفوات كمالاتها و ان كان المريض معذوراً فيها ، و أما حالة الصّحة ففيها تكميل العبادة و العبودية فهى نعمة عظيمة حريّة بأن يحمد عليها .

(ولا مضروباً على عروقى بسوء) أى على أعضائى بآفة توجب سوء المنظر وقبحه كالجذام والبرص ونحوهما

وقال الشّارح المعتزلي أى و لا أبرص والعرب تكنّي عن البرص بالسّوء ، و في أمثالهم : ما انكرك من سوء ، أى ليس انكارى لك عن برص حدث بك فغيّر صورتك ، وأراد بعروقه أعضاءه ، و يجوز أن يريد ولا مطعوناً في نسبي و الأوّل أظهر انتهى

(و لا مأخوذاً بأسوء عملى) أى معاقباً بأقبح ذنوبي (و لا مقطوعاً دابرى) أى عقبى و آخرى وهو كناية عن انقراض نسله بالاستيصال ومحو اسمه واندراس أثره ورسمه (ولا مرتدّاً عن ديني ولا منكراً لربّى) عطف الثّاني على الأوّل من قبيل ذكر الخاص بعد العام لمزيد الاهتمام و أنّ الارتداد قد يكون بانكار الضّروريّات من دون الجحود (ولا مستوحشا من ايماني) أى غير مستأنس به ومتنفّراً عنه ، أو شاكّا في كونه مستقرّاً أو مستودعاً لأنّ الشّكّ في العقيدة يوجب الوحشة ،

و الأوّل أظهر

(ولاملتبسا عقلي) أي مختلطا بالجنون (ولا معذّباً بعذاب الامم من قبلي) أي بالمسخ والخسف والصّاعقة والظلّة ونحوها .

ولمّا حمدالله تعالى على ما أنعم به عليه من ضروب نعمه الّتي عددها أردفه بالاعتراف بالذّل والتقصير والاستكانة وقال:

(أصبحت عبداً مملوكا) أي صرت داخراً ذليلا في قيد العبوديّة (ظالما لنفسي) لأجل التّقصير في طاعته وعدم التّمكّن من القيام بوظايف عبادته على ما يليق بحضرته عزّ وجلّ وإن كان ماأتى به فوق عبادة جميع البشر ماخلا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

و قد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فيما رواه في الوسائل من الكافي باسناده عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام عنه صلّى الله عليه وآله قال الله عزّ وجلّ : لايتّكل العاملون لي على أعمالهم الّتي يعملونها لثوابي فانّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنّاتي و رفيع الدّرجات العلى في جواري ، ولكن برحمتي فليثقوا ، وفضلي فليرجوا ، وإلى حسن الظنّ بي فليطمئنّوا ، الحديث .

وفي البحار من كتاب فتح الأبواب عن الزّهري قال : دخلت مع عليّ بن الحسين عليهما السلام على عبدالملك بن مروان قال : فاستعظم عبدالملك ما رأى من أثر السّجود بين عيني عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال : ياباتحمّد لقد بيّن عليك الاجتهاد ولقد سبق لك من الله الحسنى وأنت بضعة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قريب النّسب و كيد السّبب وأنّك لذو فضل عظيم على أهل بيتك و ذوي عصرك و لقد اوتيت من العلم والفضل و الدّين والورع مالم يؤته أحد مثلك ولا قبلك إلاّ من مضى من سلفك ـ و اقبل يثني عليه يطريه ـ قال فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : كلّما ذكرته و وصفته من فضل الله سبحانه وتأييده وتوفيقه فأين شكره على ما أنعم يا أميرالمؤمنين كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقف في الصلاة حتى ترم قدماه ويظمأ في الصيام حتي يصعب فوه ، فقيل له : يارسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ، فيقول صلّى الله عليه وآله :

أفلا أكون عبداً شكوراً ، الحمدلله على ما أولى، وأبلى ، وله الحمد في الآخرة والاولى والله لو تقطعت أعضائي وسالت مقلتاى على صدرى لن أقوم لله جلّ جلاله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لايحصيها العادّون ولا يبلغ حدّ نعمة منها عليّ جميع حمد الحامدين ، لا والله أويراني الله لايشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سرّ ولا علانية ، و لولا أن لأهلي عليّ حقاً و لساير الناس من خاصّهم وعامهم عليّ حقوقا لا يسعني إلاّ القيام بها حسب الوسع والطاقة حتى اؤدّيها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء و بقلبي إلى الله ثمّ لم أرددهما حتّى يقضى الله على نفسى وهوخير الحاكمين ، هذا .

وفي ادعية الصحيفة السجادية من اتهام النفس والاعتراف بالتقصير مالايحصى و قد مضى في شرح الخطبة المأة و الثانية و التسعين عند شرح قوله عليه السلام : فهم لأنفسهم متّهمون ومن أعمالهم مشفقون ، أخبار نفيسة ، وكذلك في التنبيه الثالث من الفصل الثالث عشر من فصول الخطبة الاولى تحقيقات عميقة كثيرة الفائدة في هذا المقام .

(لك الحجة عليّ) حيث إنك ما كلّفتني إلاّ ما آتيتني و لا حتمتني إلاّ ما أعلمتني ولافرضت عليّ إلاّ ما أقدرتني عليه ومكّنتني منه كماهوحكمه تعالى في حقّ جميع المكلّفين ، فقد قال « لايكلّف الله نفسا إلاّ ما آتيها » وقال « لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها » و في الدّعاء: أزاح العلل في التكليف وسوّى التوفيق بين الضعيف و الشريف .

(ولاحجة لي) عليك أولم يبق لي عذر في ترك تكاليفك كما لساير المكلّفين لأنه عزّوجلّ إنما كلّف بعد البيان و بعد ما مكّن أداء المأمور وسهّل سبيل اجتناب المحظور ولم يكلّف الطاعة إلاّ دون الوسع والطاقة لئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل ولايقولوا يوم القيامة إنا كنّا عن هذا غافلين ، فلم تبق عاذرة للمعذرين .

و (لا أستطيع أن آخذ) من نعمتك (إلاّ ما أعطيتنى ولا) أقدر أن (أتقى) من نقمتك (إلاّ ما وقيتني) لكوني عبداً داخراً ذليلا مسكينا مستكينا لا يملك

لنفسه موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً .

(اللهم إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك) أى أن أكون محتاجا و الحال أنك الغنيّ المطلق الباسط بالجود والكرم يده على العالمين .

(أوأضلّ في هداك) أى أكون ضالاّ و الحال أنك نورالسماوات والأرضين هادىأهلها إلى نهج اليقين .

(أوأضئم في سلطانك) أى أكون ذليلا مظلوما والحال أنّ السلطنة لك وأنت ذوالقوّة المتين.

(أواضطهدوالأمرلك) أى أكون مغلوباً مقهوراً وأنت صاحبالاختيار والقدرة القاصم لظهور الجبابرة والظّالمين .

(اللّهم اجعل نفسي أوّل كريمة تنتزعها من كرائمي) أى أوّل كلّ كريم وعزيز تنزعه من قوائي وأعضائي وإنّما كنّى عنها بالكرايم لكرامتهاوعزّتهاعنده والمراد بالدّعاء طلب عافية الأعضاء النّفسانية و البدنيّة وبقائها إلىحين الممات وأن لاتكونذهابهاسابقاًعلىالموت .

كما قال زينالعابدين عليه السلام : اللهمّ احفظعليّ سمعيوبصريإلى انتهاء أجلي

ومن دعائه عليه السلام إذا سأل العافية : وامنن عليّ بالصحّة والأمن و السّلامة في ديني و بدني والبصيرة في قلبي والنفاق في أموري والخشيةلك والخوف منك والقوّة على ما أمرتني به منطاعتك والاجتناب لما نهيتنيعنه من معصيتك.

و منهذا الدّعاء يستفاد سرّ طلبأميرالمؤمنين عليه السلام كوننفسهأوّل الكرايم المنتزعة ، لأنّ سبق انتزاعها على نفسه يوجب العجز عن إقامة وظايف الطاعات المربوطة بها و عدمالقدرةعلىتحصيلالضّروريات من المعاش و عدم النّفاذفيالامور

و قوله (و أوّل وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندى) التعبير عنالمشاعر والقوى بالنعمة لعظم الانتفاع بها ولذلك منّ بها على الانسان في قوله تعالى « الم نجعل له عينين ✿ و لساناً و شفتين✿ و هديناه النّجدين» .

و تشبيهها بالوديعة لكونها في معرض الاسترجاع والاسترداد كالوديعة وإليه

يومي قوله سبحانه «يا أيّتها النّفس المطمئنة ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة».

(اللهمّ انا نعوذبك أن نذهب عن قولك) أي أوامرك و نواهيك الّتي نطق بها كتابك الكريم ونفرّ منها ، والاستعاذة منه من أجل أنه كماقال تعالى «ماهو بقول شيطان رجيم٭ فأين تذهبون٭ إن هو إلاّ ذكر للعالمين» قال أمين الاسلام الطبرسي فان تعدلون عن القرآن وهو الشفاء والهدى ما هو إلاّ تذكرة وعظة للخلق يمكنهم أن يتوصّلوا به إلى الحقّ.

(أو نفتتن عن دينك) أي نُضلّ أو نَضلّ عن دينك على اختلاف النسخ في رواية نفتتن على ما قدّمنا ، والمراد على الأوّل الوقوع في الضلال باضلال الغير ، وعلى الثاني الوقوع فيه من تلقاء النفس

(أو تتايع بنا أهواؤنا دون الهدى الّذي جاء من عندك) أراد به ايقاع الأهواء له في مهاوى الهلكات و صرفها إيّاه عن الهدى النازل في محكمات الآيات كما قال عزّ من قائل «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتّقين» وقال «قل من كان عدوّاً لجبريل فانّه نزله على قلبك مصدّقاً لما بين يديه وهدى و بشرى للمؤمنين »

الترجمة

ازجمله دعاى آن حضرتست كه أكثر أوقات دعا مى كرد باين دعا:

حمد وثنا معبود بحقى راسزاست كه داخل نكردمرا درصباح درحالتى كه مرده باشم و نه در حالتى كه مريض باشم، ونه در حالتى كه مؤاخذه شده باشم بقبيح‌تر عمل خودم ، ونه درحالتى كه مقطوع النسل و بى‌عقب باشم، ونه در حالتى كه مرتد باشم ازدينم ، ونه در حالتى كه منكر باشم پروردكار مرا ،ونه در حالتى كه وحشت كننده باشم ازايمان خودم ، ونه درحالتى كه مخلوط باشد عقل من بجنون، ونه در حالتى كه معذب باشم بعذاب امّتان كه پيش از من بودند .

صباح كردم من درحالتى كه بنده مملوكى هستم ظلم كننده مر نفس خودرا ، از براى تو است حجت بر من و نيست حجتى از براى من استطاعت و قدرت ندارم كه دريافت نمايم مكر چيزى را كه توعطا كردۀ مرا ، ونه پرهيز نمايم مكر

ازچیزی که تو نگهداشتهٔ مرا

بارالها بتحقیق که من پناه می‌برم بتو از اینکه فقیر باشم باوجودغنی بودن تو ، یا اینکه گمراه شوم با وجود هادی بودن تو ، یا مظلوم شوم با وجودسلطنت تو ، یا مقهور و مغلوب باشم و حال آنکه اختیار توراست.

پروردگارا بگردان روح مرا اول نعمت عزیزی که انتزاع میکنی تو آن را از نعمتهای عزیز بدن من ، و اول أمانتی که پس میگیری تو آنرا در امانت های نعمتهای تو که در نزد من است، پروردگارا بتحقیق که پناه می‌برم بتو از اینکه بدررویم ازامر وفرمایش تو ، یا اینکه فریفته شویم از دین تو تا اینکه بشتاباند ما را خواهشات نفسانیه ما در ضلالت ، و بر گرداند از هدایتی که آمده است از جانب تو .

و من خطبة له عليه السلام خطبها بصفين
و هی المأتان و الخامسة عشر
من المختار فی باب الخطب

وهي مرويّة في كتاب الرّوضة من الكافي باختلاف كثير و زيادة و نقصان حسبما تعرفه إنشاءالله تعالى بعدالفراغ من شرح تمام الخطبة في التكملةالآتية، و شرحها في فصلين :

الفصل الاول

أمّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلاٰيَةِ أمْرِكُمْ ، وَ لَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلَ الّذي لي عَلَيْكُمْ ، فَالْحَقُّ أوْسَعُ الْأشْياءِ فِي التَّواصُفِ ، وَأضْيَقُها فِي التَّناصُفِ، لاٰ يَجْري لِأحَدٍ إلّاٰ جَرىٰ عَلَيْهِ، وَ لاٰ يَجْري عَلَيْهِ

إِلاَّ جرى لَه ، وَلَوْ كانَ لِأَحدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكانَ ذٰلِكَ خالِصاً للهِ سُبْحانَهُ دُونَ خَلْقِهِ ، لِقُدْرَتِه عَلى عِبادِه ، وَلِعَدْلِه في كُلِّ ما جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضآئِه ، وَلٰكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلى الْعِبادِ أَنْ يُطيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزائَهُمْ عَلَيْهِ مُضاعَفَةَ الثَّوابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ ، وَتَوَسُّعاً بِما هُوَ مِنَ الْمَزيدِ أَهْلُهُ .

ثُمَّ جَعَلَ سُبْحانَهُ مِنْ حُقُوقِه حُقُوقاً افْتَرَضَها لِبَعْضِ النّاسِ عَلى بَعْضٍ ، فَجَعَلَها تَتَكافَوءُ في وُجُوهِها ، وَيُوجِبُ بَعْضُها بَعْضاً ، وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُها إِلاَّ بِبَعْضٍ .

وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوالي عَلى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلى الْوالي ، فَريضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ سُبْحانَهُ لِكُلٍّ عَلى كُلٍّ ، فَجَعَلَها نِظاماً لِأُلْفَتِهِمْ ، وَعِزّاً لِدينِهِمْ ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاحِ الْوُلاةِ ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاةُ إِلاَّ بِاسْتِقامَةِ الرَّعِيَّةِ .

فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوالي حَقَّهُ ، وَأَدَّى الْوالي إِلَيْها حَقَّها ، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقامَتْ مَناهِجُ الدّينِ ، وَاعْتَدَلَتْ مَعالِمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلى أَذْلالِها السُّنَنُ ، فَصَلُحَ بِذٰلِكَ الزَّمانُ ، وَطُمِعَ في بَقاءِ الدَّوْلَةِ ، وَيَئِسَتْ مَطامِعُ الْأَعْداءِ .

وَإِذا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ والِيَها وَأَجْحَفَ الوالي بِرَعِيَّتِه، اخْتَلَفَتْ هُنالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الإِدْغالُ في الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلا يُسْتَوْحَشُ لِعَظيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلا لِعَظيمِ باطِلٍ فُعِلَ، فَهُنالِكَ تَذِلُّ الأَبْرارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعاتُ اللهِ سُبْحانَهُ عِنْدَ الْعِبادِ.

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّناصُحِ في ذلِكَ، وَحُسْنِ التَّعاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنِ اشْتَدَّ عَلى رِضاءِ اللهِ حِرْصُهُ، وَطالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهادُهُ، بِبالِغٍ حَقيقَةَ مَا اللهُ سُبْحانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطّاعَةِ لَهُ، وَلكِنْ مِنْ واجِبِ حُقُوقِ اللهِ سُبْحانَهُ عَلى عِبادِهِ النَّصيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعاوُنُ عَلى إِقامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ امْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضيلَتُهُ، بِفَوْقِ أَنْ يُعانَ عَلى ما حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعينَ عَلى ذلِكَ أَوْ يُعانَ عَلَيْهِ.

اللغة

(تواصفوا) الشيء أي وصفه بعضهم على بعض و (تناصف) النّاس أنصف بعضهم لبعض و (صروف) الدّهر تغيّراته و انقلاباته جمع الصّرف و (التّكافؤ) التّساوي والاستواء و (يستوجب) بالبناء على المفعول و(المنهج) واضح الطريق و (ذلّ) الطريق بالكسر محجّتها والجمع أذلال كحبر و أحبار و (الادغال)

بالكسر أن يدخل في الشيء ما ليس منه و بالفتح جمع الدّغل محرّكة كأسباب و سبب هو الفساد و (المحاجّ) بتشديد الجيم جمع المحجّة بفتح الميم وهى الجادّة .

و (تذلّ) و (تعزّ) بالبناء على الفاعل من باب ضرب و في بعض النّسخ بالبناء على المفعول و (التّبعة) و زان كلمة ما تطلبه من ظلامة و الجمع تبعات و (نصحت) له نصحاً و نصيحة وفي لغة يتعدّى بنفسه فيقال نصحته و هو الاخلاص والصّدق والمشورة والعمل.

و قال الجزرى النّصيحة في اللّغة الخلوص يقال : نصحته و نصحت له ومعنى نصيحة الله صحّة الاعتقاد في وحدانيّته و اخلاص النّية في عبادته ، و النّصيحة لكتاب الله هو التّصديق به والعمل بما فيه، ونصيحة رسول الله صلى الله عليه وآله التّصديق بنبوّته و رسالته والانقياد لما امر به و نهى عنه ، و نصيحة الأئمة أن يطيعهم في الحقّ ، و نصيحة عامّة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم.

الاعراب

قوله : لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه ، خالصاً حال من ذلك والعامل فيه كان ، و على قول بعض النّحويّين من أنّ جميع العوامل اللّفظيّة تعمل في الحال إلاّ كان و اخواتها ، فلابدّ من جعل كان تامّة و دون خلقه في محلّ النصب أيضاً على الحال ، وهى حال مؤكّدة .

و قوله : و توسّعاً بما هو من المزيد أهله ، توسّعاً منصوب على المفعول لأجله ، و ما موصولة و جملة هو أهله مبتدء و خبر صلة ما ومن المزيد بيان لما.

و قوله : فريضة فرضها الله في بعض النّسخ بالنّصب على الاشتغال أو على الحال كما قاله بعض الشّراح ؛ و في بعضها بالرّفع على أنّه خبر لمبتدء محذوف.

وقوله : ببالغ خبر ليس اعترضت بينهما جملة وان اشتدّ آه والباء فيه زايدة ، وقوله : أو يعان عليه في بعض النّسخ بالواو بدل أو .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة حسبما أشار اليه الرّضي ويأتي في رواية الكافي أيضاً في آخر الفصل الثاني من جملة الخطب الّتي خطبها بصفّين ، وعمدة غرضه عليه السلام في هذا الفصل منها نصيحة المخاطبين وارشادهم إلى ماهو صلاحهم فى الدّنيا والآخرة من اتّباعهم لأمره واطاعتهم له وإسراعهم فيما يأمر وينهي واتّفاقهم على التّعاون والتّناصف وغير ذلك من وجوه مصالح محاربة القاسطين لعنهم الله أجمعين

قال عليه السلام (أمّا بعد) حمدالله عزّ وجلّ والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله (فقد جعل الله) عزّ شأنه (لى عليكم حقّا بولاية أمركم) أى لى عليكم حقّ الطّاعة لأنّ الله جعلنى واليا عليكم متولّياً لامور كم وأنزلنى منكم منزلة عظيمة هى منزلة الامامة والولاية والسّلطنة ووجوب الطّاعة كماقال عزّ من قائل «أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول واولى الأمر منكم» .

(ولكم علىّ من الحقّ مثل الّذى لى عليكم) أراد بالحقّ الّذى لهم عليه ماهو حقّ الرّعيّة على الوالى ، والحقّان متماثلان فى الوجوب ، وقد صرّح بهما فى الخطبة الرّابعة والثلاثين بقوله :

أيّها النّاس إنّ لى عليكم حقّا ولكم علىّ حقّ ، فأمّا حقّكم علىّ فالنّصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا ، و أمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة و النصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين أدعوكم والطّاعة حين آمركم .

(فالحقّ أوسع الأشياء فى التواصف) يعني إذا أخذ النّاس في بيان الحقّ ووصفه بعضهم لبعض كان لهم في ذلك مجال واسع لسهولته على الألسنة (وأضيقها في التناصف) يعني إذا حضر التناصف بينهم أى انصاف بعضهم لبعض فطلب منهم ضاق عليهم المجال لشدّة العمل وصعوبة الانصاف .

ومحصّله سعة الحقّ في مقام الوصف والقول وضيقه في مقام الانصاف والعمل .

(لا يجرى لأحد إلاّ جرى عليه ولا يجرى عليه إلاّ جرى له) لمّا ذكر حقّه

عليهم وحقّهم عليه اتبعه بهذه الجملة تأكيداً وايذاناً بأنّ جريان حقّه عليهم إنّما هو بجريان حقّهم عليه و بالعكس ، وفيه توطين لأنفسهم على ماعليهم وتشويق لهم إلى مالهم .

وانّما ساق الكلام مساق العموم تنبيهاً على أنّ اللاّزم على كلّ أحد أن يقوم في الحقوق بماله وماعليه بمقتضى العدل والانصاف ؛ فانّ حقّ الوالي على الرّعيّة و الرّعيّة على الوالي والوالد على الولد والولد على الوالد والزّوج على الزّوجة والزّوجة على الزّوج والمعلّم على المتعلّم والمتعلّم على المعلّم والجار على الجار وغيرهم من ذوى الحقوق حسبما نشير اليهم تفصيلا إنّما هو بالتّناصف بين الطرفين .

ويوضحه ما في البحار من الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النّوفلى عن السّكونى عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قال النّبى صلى الله عليه وآله : حقّ على المسلم إذا أراد سفراً أن يعلم إخوانه ، وحقّ على إخوانه إذا قدم أن يأتوه .

قال العلامة المجلسى فيه ايماء إلى أنّه إذالم يعلمهم عند الذّهاب لايلزم عليهم اتيانه بعدالاياب .

(ولو كان لأحد أن يجرى له) حقّ على غيره (ولايجرى) لغيره (عليه لكان ذلك) الحقّ الجارى (خالصاًلله سبحانه دون خلقه) أى متجاوزاً عن حقّه و ذلك (لقدرته على عباده) وعجز غيره ، فيجوز له أن يجرى حقّه عليهم ويطلب منهم الطّاعة وينفذ أمره فيهم الزاماً فيطيعوه قهراً بدون امكان تمرّد أحد منهم عن طاعته لكونه قاهراً فوق عباده فعّالا لمايشاء ، لارادّ لحكمه ولادافع لقضائه كما قال تعالى «ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلّهم جميعا» .

ولمّا كان هنا مظنّة أن يتوهّم و يقال إنه إذا جرى حقّه عليهم وخرجوا من عهدته وقاموا بوظايف عبوديّته وطاعته طوعاً أو كرها يكون حينئذ لهم حقّ عليه وهوجزاء ما أتوا به فلولم يجزهم لكان ذلك منافياً للعدل دفع ذلك التّوهم بقوله :

(ولعدله فى كلّ ماجرت عليه صروف قضائه) و أنواعه المتغيّرة المتبدّلة ، يعني أنّ الجزاء ليس مقتضي العدل حتّى يكون عدمه منافياً له بل هوالعادل فى

جميع مقضيّاته ومقدّراته لايسأل عمّا يفعل وهم يسألون ، نعم هومقتضى التّفضّل، والتّفضّل ليس بلازم عليه فلايثبت لعباده باطاعتهم له حقّ لهم عليه، هكذاينبغى أن يفهم المقام .

وقدتاه فيه أفهام الشرّاح فمنهم من طوى عن تحقيقه كشحاً ومنهم من خبط فيه خبطة عشواء ، فانظر ماذاترى .

و قريب ممّا حققناه ما قاله العلاّمة المجلسى فى البحار حيث قال فى شرح ذلك : والحاصل أنه لوكان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره ولم يجعل له على نفسه لكان هوسبحانه أولى بذلك ، واستدلّ على الأولويّة بوجهين :

الأوّل القدرة ، فانّ غيره تعالى لوفعل ذلك لم يطعه أحد والله قادرعلى جبرهم و قهرهم

والثانى أنه لولم يجزهم على أعمالهم و كلّفهم بهالكان عادلا لأنّ له من النعم على العباد مالوعبدوه أبدالدّهر لم يوفوا حقّ نعمة واحدة منها ، انتهى

فقد علم بذلك كلّه أنه عزّوجلّ ليس بمقتضى عدله لأحد عليه حقّ .

(ولكنه) عزّشأنه مع ذلك قد (جعل) له على عباده حقاً ولهم عليه كذلك بمقتضى انعامه وفضله فجعل (حقه على العباد أن يطيعوه) ويوحّدوه (وجعل جزاءهم) لم يقل حقّهم رعاية للأدب ودفعا لتوهّم الاستحقاق أى جعل جزاء طاعتهم (عليه مضاعفة الثواب) كما قال تعالى « فأمّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات فيوفّيهم اجورهم ويزيدهم من فضله» وقال «مثل الّذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل فى كلّ سنبلة مأة حبّة والله يضاعف لمن يشاء» .

(تفضّلا منه وتوسعاً بماهو من المزيد أهله) فيه تنبيه على أنّ الحقّ الذى جعل لهم عليه أعظم مما أتوابه مع عدم كونه من جهة الاستحقاق بل لمحض التفضل والانعام بماهو أهله من الزّيادة والتوسعة .

ولما بيّن حقّ الله على عباده وهوالحقّ الذى له لنفسه عقّبه ببيان حقوق الناس بعضهم على بعض فقال :

(ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض) وجعلها من حقوقه لافتراضها من قبله تعالى وفي القيام بها إطاعة له وامتثال لأمره ، فتكون بهذا الاعتبار من حقوقه الواجبة على عباده ، وهذه الجملة توطئة وتمهيد لما يريد أن ينبّه عليه من كون حقه عليه السلام واجباً عليهم من قبله تعالى و كون القيام به اطاعة له عزّ وعلا فيكون ذلك أدعى لهم على أدائه .

(فجعلها) أى تلك الحقوق التى بين الناس (تتكافؤ) وتتقابل (في وجوهها) أى جعل كلّ وجه من تلك الحقوق مقابلا بمثله ، فحقّ الوالى على الرعيّة مثلا وهو الطاعة مقابل بمثله فهو العدل وحسن السيرة الذى هو حقّ الرّعية على الوالى

(ويوجب بعضها بعضا ولايستوجب) أى لايستحقّ (بعضها إلاّ ببعض) كما أنّ الوالى إذا لم يعدل لايستحقّ الطاعة والزّوجة إذا كانت ناشزة لايستحقّ النّفقة .

ولمّا مهّد ما مهّد تخلّص إلى غرضه الأصلي فقال (وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق) المتكافئة (حقّ الوالي على الرّعيّة وحقّ الرّعيّة على الوالي) وإنّما كان من أعظم الحقوق لكون مصلحته عامّة لجميع المسلمين وباعثاً على انتظام أمر الدين .

و لذلك أكّده بقوله (فريضة فرضها الله سبحانه لكلّ على كلّ) وأشار إلى وجوه المصلحة فيها بقوله (فجعلها نظاماً لاُلفتهم وعزّاً لدينهم) لأنّها سبب اجتماعهم وبها يقهرون أعداءهم ويعزون أديانهم

(فليست تصلح الرّعيّة إلاّ بصلاح الولاة) كما هو المشاهد بالعيان والتجربة وشهدت عليه العقول السّليمة (ولاتصلح الولاة إلاّ باستقامة الرّعيّة) في الطاعة إذ بمخالفتهم وعصيانهم يؤل جمعهم إلى الشّتات وحبل نظامهم إلى التّبات .

(فاذا أدّت الرّعيّة إلى الوالي حقّه) و أطاعوه (وأدّى الوالي إليها حقّها) وعدل (عزّ الحقّ بينهم) أى يكون عزيزاً (وقامت مناهج الدّين) وسبله (واعتدلت معالم العدل) أى مظانّه أو العلامات التّي نصبت في طريق العدل لسلوكه (وجرت على أذلالها السّنن) أى جرت على محاجّها ومسالكها بحيث لاتكون فيها اعوجاج

و تحريف .

(فصلح بذلك الزّمان) نسبة الصّلاح إلى الزّمان من باب التوسّع و المراد صلاح حال أهله بانتظام امورهم الدّنيويّة و الأُخرويّة (وطمع في بقاءالدّولة) والسّلطنة (ويئست مطامع الاعداء) أى أطماعها باتّفاق أهل المملكة وقوّتهم .

(و) أمّا (إذا) كان الأمر بخلاف ذلك بأن (غلبت الرّعية واليها وأجحف الوالي برعيّته) أى تعدّى عليهم وظلمهم (اختلفت هنا لك الكلمة) باختلاف الآراء (وظهرت معالم الجور) أى علاماته ، إذ بغلبة الرّعيّة على الوالي و إجحاف الوالي يحصل الهرج والمرج و يختلط النّاس بعضهم ببعض و يتسلّط الأشرار على الأبرار و يظلم الأقوياء الضّعفاء (وكثر الادغال) أى الابداع والتلبيس أوالمفاسد (فى الدّين) لاختلاف الأهواء وأخذ كلّ بمايشتهيه نفسه ممّا هومخالف للدّين ومفسدله (وتركت محاجّ السّنن) أى طرقها الواضحة لاعراض النّاس عنها

(فعمل بالهوى وعطّلت الأحكام) الشرعيّة والتكاليف الدّينية (وكثرت علل النفوس) أى أمراضها بماحصلت لها من الملكات الرّديّة كالحقد والحسد والعداوة و نحوها و قيل عللها وجوه ارتكاباتها للمنكرات فيأتي كلّ منكر بوجه و علة و رأى فاسد

(فلايستوحش لعظيم حقّ عطّل) لكثرة تعطيل الحقوق و كونه متداولامتعارفا بينهم (ولالعظيم باطل فعل) لشيوع الباطل واعتيادهم عليه مع كونه موافقاً لهواهم (فهنا لك تذلّ الأبرار) لذلّة الحقّ الّذى هم أهله (وتعزّ الاشرار) لعزّة الباطل الّذىهم أهله (وتعظم تبعات الله عند العباد) إضافة التّبعات وهى المظالم إليه تعالى باعتبار أنّه المطالب بها والمؤاخذ عليها و إلاّ فالتّبعات فى الحقيقة لبعض النّاس عند بعض .

ولمّا ذكرمصالح قيام كلّ من الوالى والرّعيّة بماعليها من الحقوق ومفاسد تركها أمرهم بالمواظبة على الحقّ وقال :

(فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون) عليه أى بنصيحة بعضكم لبعض وإعانة كلّ منكم لآخر في سلوك نهج الحقّ وإقامة أعلامه .

وأكّد الزامهم بالتّناصح والتعاون بقوله : (فليس أحد وإن اشتدّ على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده) وسعيه (ببالغ حقيقة ماالله أهله من الطاعة له) أى لايمكن لأحد أن يبلغ مدى عبادةالله وحقيقة طاعته وإن أتعب فيها نفسه و بذل جهده وبلغ كلّ مبلغ .

(ولكن من واجب حقوق الله على العباد «عباده» النصيحة) أى نصيحة بعضهم لبعضهم (بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحقّ بينهم) بقدرمايمكنهم لابقدرماهو أهله ويستحقّه ، فانّ ذلك غيرممكن .

ولمّا حثّ على التعاون والتناصح أردفه بقوله : (وليس امرء وان عظمت في الحقّ منزلته وتقدّمت في الدّين فضيلته بفوق أن يعان على ماحمّله اللهمن حقّه)

ودفع بذلك ما ربما يسبق إلى بعض الأوهام من أنّ البالغ إلى مرتبة الكمال في الطّاعة والحايز قصب سبق الفضيلة كمثله عليه السلام وساير ولاة العدل أىّ حاجة له إلى المعين .

وجه الدّفع أنّ البالغ إلى مرتبة الكمال أىّ مرتبة كانت والمتقدّم في الفضيلة أىّ فضيلة تكون لااستغناء له عن المعين ولا مقامه أرفع من أن يعان على ما حمله الله تعالى وكلّفه به من طاعته الذى هو حقه .

وذلك لأنّ من جملة التكاليف ما هو من عظائم الامور كالجهاد في سبيل الله واقامة الحدود ونشر الشرايع والأحكام وجباية الصدقات والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ونحو ذلك مما هو وظيفة الامام ونايبه ، ومعلوم أنه محتاج في هذه التكاليف وماضاهاها إلى إعانة الغير البتّة .

ثمّ أردفه بقوله (ولاامرؤ وإن صغّرته النفوس واقتحمته) أى احتقرته (العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه) .

ودفع بذلك ما ربما يسبق إلى بعض الأوهام أيضاً من أنّ بعض الناس من

السوقة والسفلة أيّ حاجة إلى إعانتهم وأيّ فايدة فى معاونتهم

وجه الدّفع أنّ ذلك البعض وان كان بالغاً ما بلغ فى الحقارة والدّناءه وانحطاط الشأن لكنه ليس بأدون وأحقر من أن يكون معينا على الحقّ ولو فى صغاير الامور و محقّراتها مثل أن يكون راعياً لدواب المجاهدين أوسقاء لهم أوحطاباً أوخياطاً ولا أقلّ من أن يكون خاصفاً لنعلهم ، فانّ فى ذلك كلّه إعانة الحقّ وأهله أومعاناً عليه ولو بأداء الأخماس ودفع الصّدقات إليهم ولا أقلّ من تعليمه معالم دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

ومحصّل المراد بالجملتين المتعاطفتين من قوله عليه الصلاة والسلام ـ وليس امرء ـ إلى قوله عليه السلام ـ يعان عليه ـ دفع توهّم عدم الحاجة إلى الاعانة فى العظماء لرفعة شأنهم و عدم الاحتياج إلى الضعفاء لحقارتهم و انحطاط درجتهم

تذييلان : الاول

لمّا كان هذا الفصل من كلامه عليه السلام مسوقا لبيان حقوق الولاة على الرّعيّة والرّعية على الولاة . أحببت أن أذكر جملة من الأخبار والآثار الواردة في هذا المعني فأقول :

قال: المحدّث الجزائرى في الأنوار النعمانيّة : في بعض الأخبار انّ عدل الحاكم يوماً يعادل عبادة العابد خمسين .

وفى الحديث من ولي من امور المسلمين شيئاً ثمّ لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوء مقعده من النّار

وروى أيضاً أنّه إذا كان يوم القيامة يؤتي بالوالي فيقذف على جسر جهنّم فيأمر الله سبحانه الجسر فينتقض به انتقاضة فيزول كلّ عظم منه عن مكانه ثمّ يأمر الله تعالى العظام فترجع إلى أماكنها ثمّ يسايله فان كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته ، و إن كان لله عاصياً أخرق به الجسر فغرق وهوى به في جهنّم مقدار سبعين خريفاً .

وفى الراوية انّه كان في زمن بني إسرائيل سلطان ظالم فأوحي الله تعالى

إلى نبيّ من أنبيائه أن قل لهذا الظالم: ما جعلتك سلطاناً إلاّ لتكفّ أصوات المظلومين عن بابي ، فو عزّتي وجلالي لاطعمنّ لحمك الكلاب ، فسلّط عليه سلطاناً آخر حتّى قتله فأطعم لحمه الكلاب .

وفي كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى حبيب بن المنتجب والي اليمن : اُوصيك بالعدل في رعيّتك والاحسان إلى أهل مملكتك واعلم أنّ من ولي على رقاب عشرة من المسلمين ولم يعدل بينهم حشره الله يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه لا يفكّها إلاّ عدله في دار الدّنيا

وفي الأثر بعث قيصر ملك الرّوم إلى كسرى ملك الفرس بما ذا أنتم أطول أعماراً و أدوم ملكا ؟

فأجابه كسرى : أمّا بعد أيّها السيّد الكريم والملك الجسيم أمّا سبب الملك و اعزازه في معززه و رسوخه في مركزه فلاُمور أنتم عنها غافلون و لستم لأمثالها فاعلون منها أن ليس لنا نوّاب يرشي و يمنع ولا بوّاب يروع و يدفع ، لم تزل أبوابنا مشرعة ونوّابنا لقضاء الحوائج مسرعة ، لا أقصينا صغيراً ولا أدنينا أميراً ، ولا احتقرنا بذوى الاُصول ، ولا قدّمنا الشبّان على الكهول ، ولا كذبنا في وعد ، ولا صدقنا في ايعاد ، ولا تكلّمنا بهزل ، ولا سمنا وزيراً إلى عزل ، موائدنا مبسوطة ، و عقولنا مضبوطة ، لا نقطع في امل ، ولا لجليسنا نمل ، خيرنا مضمون ، و شرّنا مأمون ، وعطاؤنا غير ممنون ، ولا نحوج أحداً إلى باب ، بل نقضي بمجرّد الكتاب ، ونرقّ للباكي ، ونستقصي قول الحاكي ، ما جعلنا همّنا بطوننا ولا فروجنا ، أمّا البطون فلقمة ، وأمّا الفروج فأمة ، ولا نؤاخذ على قدر غيظنا ، بل نؤاخذ على قدر الجناية ، ولا نكلّف الضعيف المعدم ما يتحمّله الشريف المنعم ، ولا نؤاخذ البرىء بالسقيم ، ولا الكريم باللّئيم ، النّمام عندنا مفقود ، و العدل في جانبنا موجود ، الظّلم لا نتعاطاه ، والجور انفسنا طاباه ، ولا نطمع في الباطل ، ولا نأخذ العشر قبل الحاصل ، ولا ننكث العهود ، ولا نحنث في الموعود ، الفقير عندنا مدعوّ ، و المفتقر لدينا مقصوّ ، جارنا لا يضام ؛ و عزيزنا لا يرام ، رعيّتنا مرعيّة ، و حوائجهم لدينا

مقضيّة ، صغيرهم عندنا خطير ، وذريهم لدينا كبير ، الفقير بيننا لايوجد ، والغنى بمالديه يسعد ، العالم عندنا معظّم مكرّم ، و التّقىّ لدينا موقّر مقدّم ، لا يسدّ بمملكتنا باب ، ولايوجد عندنا سارق ولامرتاب، سماؤنا ممطرة ، وأشجارنا لم تزل مثمرة ، لانعامل بالشهوات، ولانجازى بالهفوات ، الطّيرإليناشاكى ، و البعير أتانا متظلّم باكى عدلنا قدعمّ القاصى و الدّانى ، وجودنا قدعمّ الطائع و العاصى ، عقولنا باهرة ، وكنوزنا ظاهرة ، وفروجنا عفائف ، وزبولنا نظائف ، أفهامنا سليمة ، وحلومناجسيمة ، كفوفنا سوافح ، بحورناطوافح ، نفوسنا أبيّة ، وطوالعناالمعيّة ، إن سئلنا أعطينا ، وإن قدرنا عفونا ، وإن وعدنا أوفينا ، وإن اغضبنا أغضينا

فلمّا وصل الكتاب إلى قيصر قال : يحقّ لمن كان هذه سياسته أن تدوم رياسته

قال انوشيروان : حصن البلاد بالعدل فهو سور لايغرقه ماء ولا يحرقه نار ولا يهدمه منجنيق .

كان كسرى إذا جلس فى مجلس حكمه أقام رجلين عن يمينه وشماله و كان يقول لهما : إذازغت فحرّكونى ونبّهونى ، فقالا له يوما والرّعيّة تسمع : أيّها الملك انتبه فانّك مخلوق لاخالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة أنصف النّاس وانظر لنفسك

و كان يقال : صنفان متباغضان متنافيان السّلطان والرّعيّة وهما مع ذلك متلازمان إن صلح أحدهما صلح الآخر وان فسد أحدهما فسد الآخر

و كان يقال : محلّ الملك من الرّعيّة محلّ الرّوح من الجسد و محلّ الرّعيّة منه محلّ الجسد من الرّوح ، فالرّوح تألم بألم كلّ عضو من البدن وليس كلّ واحد من الأعضاء يألم بألم غيره ، و فساد الرّوح فساد جميع البدن ، وقد يفسد بعض البدن وغيره من سايرالبدن صحيح .

و كان يقال : ظلم الرّعيّة استجلاب البليّة .

و كان يقال: العجب ممّن استفسد رعيّته وهو يعلم أنّ عزّه بطاعتهم .

و كان يقال : أيدى الرّعية تبع ألسنتها حتّى يملك جسومها ، ولن يملك

جسومها حتّى يملك قلوبها فتحبّه ، ولن تحبّه حتّى يعدل عليها في أحكامه عدلا يتساوى فيه الخاصّة والعامّة وحتّى يخفّف عنها المؤن والكلف ، وحتّى يعفيها من رفع أوضاعها وأراذلها عليها ، وهذه الثّالثة تحقد على الملك العلية من الرّعيّة وتطمع السّفلة في الرّتب السنيّة .

وكان يقال: الرّعية ثلاثة أصناف: صنف فضلاء مرتاضون بحكم الرّياسة والسّياسة يعلمون فضيلة الملك وعظيم غنائه ويرثون له من ثقل أعبائه فهؤلاء يحصل الملك موادّتهم بالبشر عند اللّقاء ويلقى أحاديثهم بحسن الاصغاء ، وصنف فيهم خير وشرّ فصلاحهم يكتسب من معاملتهم بالتّرغيب والتّرهيب، وصنف من السّفلة الرّعاع أتباع لكلّ راع لا يمتحنون في أقوالهم و أفعالهم بنقد و لا يرجعون في الموالاة إلى عقد .

وكان يقال : ترك المعاقبة للسّفلة على صغاير الجرايم تدعوهم إلى ارتكاب الكباير العظايم ألا ترى أوّل نشوز المرأة كلمة سومحت بها ، وأوّل حران الدّابة حيدة سوعدت عليها .

وكان يقال : إذا لم يعمر الملك ملكه بانصاف الرّعيّة خرب ملكه بعصيان الرّعيّة .

قيل لأنوشيروان: أىّ الجنن أوقى ؟ قال: الدّين ، قيل : فأىّ العدوّ أقوى؟ قال : العدل .

و في شرح المعتزلي جاء رجل من مصر إلى عمر بن الخطاب متظلّما فقال يا أمير المؤمنين هذا مكان العائذ بك قال : لو عذت بمكان ما شانك ؟ قال : سابقت ولد عمرو بن العاص بمصر فسبقته فجعل يعنفنى بسوطه ويقول: أنا ابن الأمير . وبلغ أباه ذلك فحبسنى خشية أن اقدم عليك ، فكتب إلى عمرو : إذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت و ابنك ، فلمّا قدم عمرو و ابنه دفع الدرّة إلى المصري وقال : اضربه كما ضربك ، فجعل يضربه وعمر يقول: اضرب ابن الأمير اضرب ابن الامير يردّدها حتّى قال يا أمير المؤمنين قد استقدت منه فقال وأشار إلى عمرو :

ضعها على صلعته فقال المصري يا أمير المؤمنين انّما أضرب من ضربني فقال: إنّما ضربك بقوّة أبيه و سلطانه فاضربه إن شئت فوالله لوفعلت لما منعك احد منه حتّى تكون أنت الّذي يتبرّع بالكف عنه، ثمّ قال: ياابن العاص متى تعبّد تم النّاس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحراراً.

كتب عديّ بن ارطاة إلى عمر بن عبدالعزيز: أمّا بعد فانّ قبلنا قوماً لا يؤدّون الخراج إلاّ أن يمسّهم نصب من العذاب، فاكتب إليّ يا أمير المؤمنين برأيك، فكتب: أمّا بعد فالعجب كلّ العجب تكتب إليّ تستأذنني في عذاب البشر كانّ إذني لك جنّة من عذاب الله أو كانّ رضاي ينجيك من سخط الله فمن أعطاك ما عليه عفواً فخذ منه، و من أبي فاستحلفه و كله إلى الله، فلأن يلقوا الله بجرايمهم أحبّ إليّ من أن ألقاه بعذابهم.

التذييل الثاني

لمّا استطرد عليه السلام في هذا الفصل ذكر حقّ الله تعالى على عباده و ذكر حقوق بعضهم على بعض ينبغي أن نذكر طرفا منها من طريق الأخبار وهي كثيرة جدّاً لاتستقصى، ونقنع منها بأجمعها لتلك الحقوق، وهي رسالة عليّ بن الحسين عليهما السلام المعروفة برسالة الحقوق فأقول وبالله التوفيق:

روى في البحار من كتاب تحف العقول تأليف الشّيخ أبي محمّد الحسن بن عليّ بن شعبة قال: رسالة عليّ بن الحسين عليهما السلام المعروفة برسالة الحقوق.

اعلم رحمك الله أنّ لله عليك حقوقاً محيطة بك في كلّ حركة حركتها أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها أو جارحة قلبتها و آلة تصرفت بها بعضها أكبر من بعض وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقّه الّذي هو أصل الحقوق ومنه تفرّع، ثمّ أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك فجعل لبصرك عليك حقا ولسمعك عليك حقا، و للسانك عليك حقّاً، و ليدك عليك حقّاً، ولرجلك عليك حقّا، و لبطنك عليك حقّاً، ولفرجك عليك حقّاً، فهذه الجوارح السبع الّتي بها تكون الأفعال، ثمّ جعل عزّ وجلّ لأفعالك عليك حقوقا فجعل لصلاتك عليك حقّا، ولصومك عليك حقاً، و لصدقتك

عليك حقّاً ، و لهديك عليك حقّا ، و لأفعالك عليك حقا ، ثمّ تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوى الحقوق الواجبة عليك ، و أوجبها عليك حقّا أئمّتك ، ثمّ حقوق رعيّتك ، ثمّ حقوق رحمك ، فهذه حقوق يتشعّب منهاحقوق ، فحقوق أئمّتك ثلاثة أوجبها عليك حقّ سائسك بالسّلطان، ثمّ سائسك بالعلم ثمّ حق سائسك بالملك و كلّ سائس امام ، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك حقّ رعيّتك بالسلطان ، ثمّ حقّ رعيتك بالعلم فانّ الجاهل رعيّة العالم وحقّ رعيتك بالملك من الأزواج و ما ملكت من الأيمان ، و حقوق رحمك كثيرة متّصلة بقدر اتّصال الرّحم في القرابة ، فأوجبها عليك حقّ اُمّك ، ثمّ حقّ أبيك ، ثمّ حقّ ولدك ، ثمّ حقّ أخيك ، ثمّ الأقرب فالأقرب ، و الأوّل فالأوّل ، ثمّ حقّ مولاك المنعم عليك ثمّ حقّ مولاك الجارى نعمتك عليه ، ثمّ حقّ ذى المعروف لديك ، ثمّ حقّ مؤذنك بالصلاة ، ثمّ حقّ امامك في صلاتك ، ثمّ حقّ جليسك ، ثمّ حقّ جارك ، ثمّ حقّ صاحبك ، ثمّ حقّ شريكك ، ثمّ حقّ مالك ، ثمّ حقّ غريمك الذى تطالبه ، ثمّ حقّ غريمك الذى يطالبك ، ثمّ حقّ خليطك ، ثمّ حقّ خصمك المدعي عليك ، ثمّ حقّ خصمك الذى تدعى عليه ، ثمّ حقّ مستشيرك ، ثمّ حقّ المشير عليك ، ثمّ حقّ مستنصحك ، ثمّ حقّ الناصح لك ، ثمّ حقّ من هو أكبرمنك ، ثمّ حقّ من هو أصغر منك ، ثمّ حقّ سائلك ، ثمّ حقّ من سألته ، ثمّ حقّ من جرى لك على يديه مساءة بقول أوفعل أومسرّة بذلك بقول أوفعل عن تعمّد منه أوغير تعمّد منه ، ثمّحقّ أهل ملتك عامة ، ثمّ حقّ أهل الذمّة، ثمّ الحقوق الحادثة بقدرعلل الأحوال وتصرّف الأسباب ، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفّقه وسدّده

١ـ فأما حقّ الله الأكبر فانك تعبده لا تشرك به شيئاً فاذا فعلت ذلك باخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدّنياوالآخرة ويحفظ لك ماتحبّ منها .

٢ـ و أما حقّ نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله فتؤدّى إلى لسانك حقّه،وإلى سمعك حقّه ، وإلى بصرك حقّه ، وإلى يدك حقّها ، وإلى رجلك حقّها ، وإلى بطنك حقّه ،وإلى فرجك حقّه ، وتستعين بالله على ذلك

٣ـ و أما حقّ اللّسان فإكرامه عن الخنا ، وتعويده الخير ، و حمله على

الأدب واجمامه إلّا لموضع الحاجة والمنفعة للدّين والدّنيا، وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلّة عائدتها، وبعد شاهد العقل والدليل عليه وتزين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه، ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

٤ ـ وأمّا حقّ السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً إلى قلبك إلّا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً أو تكسب خلقاً كريماً، فانّه باب الكلام إلى القلب يؤدّي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شرّ، ولا قوّة إلّا بالله.

٥ ـ وأمّا حقّ بصرك فغضّه عمّا لا يحلّ وترك ابتذاله إلّا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً أو يستفيد بها علماً، فانّ البصر باب الاعتبار.

٦ ـ وأمّا حقّ رجليك فان لا تمشي بهما إلى مالا يحلّ لك، ولا تجعلهما مطيّتك في الطّريق المستخفة بأهلها فيها فانّها حاملتك وسالكة بك مسلك الدّين والسّبق لك، ولا قوّة إلّا بالله.

٧ ـ وأمّا حقّ يدك فأن لا تبسطها إلى مالا يحلّ لك فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ومن النّاس بلسان اللائمة في العاجل، ولا تقبضها ممّا افترض الله عليها، ولكن توقّرها بقبضها عن كثير ممّا لا يحلّ لها وبسطها إلى كثير ممّا ليس عليها، فاذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل وجب لها حسن الثّواب من الله في الآجل.

٨ ـ وأمّا حقّ بطنك فأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام ولا لكثير، وأن تقتصد له في الحلال ولا تخرجه من حدّ التّقوية إلى حدّ التّهوين وذهاب المروّة وضبطه إذا همّ بالجوع والظّماء فانّ الشّبع المنتهى بصاحبه إلى التّخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كلّ برّ وكرم وإنّ الرّيّ المنتهى بصاحبه إلى السّكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروّة.

٩ ـ وأمّا حقّ فرجك فحفظه ممّا لا يحلّ لك، والاستعانة عليه بغضّ البصر فانّه من أعون الأعوان وكثرة ذكر الموت والتّهدّد لنفسك بالله والتّخويف لها به وبالله العصمة والتّأييد، ولا حول ولا قوّة إلّا به.

ثم حقوق الافعال

١٠ـ فأمّا حقّ الصّلاة فأن تعلم أنّها وفادة إلى الله وأنّك قائم بها بين يدي الله فاذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذّليل الرّاغب الرّاهب الخائف الرّاجي المستكين المتضرّع المعظم من قام بين يديه بالسّكون والاطراق وخشوع الأطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت به خطيئتك واستهلكتها ذنوبك ، ولا قوّة إلاّ بالله .

١١ـ وأمّا حقّ الصّوم فأن تعلم أنّه حجاب ضرب الله على لسانك و سمعك و بصرك و فرجك وبطنك ليسترك به من النّار و هكذا جاء في الحديث : الصّوم جنّة من النّار ، فان سكنت أطرافك في حجبتها رجوت أن تكون محجوباً ، وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها و ترفع جنبات الحجاب فتطلع إلى ما ليس لها بالنّظرة الدّاعية للشّهوة و القوّة الخارجة عن حدّ التّقيّة لله لم تأمن أن تخرق الحجاب وتخرج منه ، ولاقوّة إلاّ بالله .

١٢ـ وأمّا حق الصّدقة فأن تعلم أنّها ذخرك عند ربّك ووديعتك التي لا تحتاج إلى الاشهاد فاذا علمت ذلك كنت بما استودعته سرّاً أوثق بما استودعته علانية ، وكنت جديراً أن تكون أسررت إليه أمراً أعلنته وكان الأمر بينك وبينه فيها سرّاً على كلّ حال ولم تستظهر عليه فيما استودعته منها اشهاد الاسماع و الابصار عليه بها كأنّها أوثق في نفسك لا كأنّك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك ، ثمّ لم تمتن بها على أحد لأنّها لك فاذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه لأنّ في ذلك دليلا على أنّك لم ترد نفسك بها ولو أردت نفسك بها لم تمتنّ على أحد، ولاقوّة إلاّ بالله .

١٣ ـ وأمّا حقّ الهدى فأن تخلص بها الارادة إلى ربّك والتّعرّض لرحمته وقبوله ولا تريد عيون النّاظرين دونه فاذا كنت كذلك لم تكن متكلّفا ولامتصنّعا وكنت انّما تقصد إلى الله و اعلم أنّ الله يراد باليسير ولا يراد بالعسير كما أراد

بخلقه التيسير ولم يرد بهم التعسير وكذلك التذلل أولى بك من التدهقن لأن الكلفة والمؤونة في المدهقنين فأما التذلل والتمسكن فلا كلفة فيهما ولا مؤونة عليهما لأنهما الخلقة وهما موجودان في الطبيعة ولا قوة إلا بالله .

ثم حقوق الائمة

١٤ ـ فأما حق سائسك بالسلطان فأن تعلم أنك جعلت له فتنة وأنه مبتلي فيك بما جعله الله له عليك من السلطان و أن تخلص له في النصيحة و أن لا تماحكه وقد بسطت يده عليك فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه وتذلل وتلطف لاعطائه من الرضا ما يكفه عنك ولا يضر بدينك وتستعين عليه في ذلك بالله ولا تعازه ولا تعانده فانك إن فعلت ذلك عققته وعققت نفسك فعرضتها المكروهه وعرضته للهلكة فيك وكنت خليقا أن تكون معينا له على نفسك وشريكا له فيما أتى إليك ولا قوة إلا بالله

١٥ ـ وأما حق سائسك بالعلم فالتعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والاقبال عليه والمعونة له على نفسك فيما لاغنى بك عنه من العلم بأن تفرغ له عقلك وتحضره فهمك وتذكي له وتجلي له بصرك بترك اللذات ونقص الشهوات وأن تعلم أنك فيما القي رسوله إلى من لقاك من أهل الجهل فلزمك حسن التأدية عنه إليهم فلاتخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها ولاحول ولاقوة إلا بالله .

١٦ ـ وأما حق سائسك بالملك فنحو من سائسك بالسلطان إلا أن هذا يملك مالا يملكه ذاك تلزمك طاعته فيما دق وجل منك إلا أن تخرجك من وجوب حق الله تعالى و يحول بينك وبين حقه وحقوق الخلق فاذا قضيته رجعت إلى حقه فتشاغلت به ولا قوة إلا بالله .

ثم حقوق الرعية

١٧ ـ فأما حقوق رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنك استرعيتهم بفضل قوتك عليهم فانه إنما أحلهم محل الرعية منك ضعفهم و ذلهم فما أولى من كفاكه ضعفه وذله حتى صيره لك رعية و صير حكمك عليه نافذا لا يمتنع منك بعزة ولاقوة ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلا بالله بالرحمة والحياطة والاناة وما أولاك

إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقوّة الّتي قهرت بها أن تكون لله شاكراً ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه ولا قوّة إلّا بالله

١٨ ـ وأمّا حقّ رعيّتك بالعلم فأن تعلم أنّ الله قد جعلك لهم فيما آتاك من العلم وولّاك من خزانة الحكمة فان أحسنت فيما ولّاك الله من ذلك وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق النّاصح لمولاه في عبيده الصّابر المحتسب الّذي إذا رأى ذا حاجة اخرج له من الأموال الّتي في يديه كنت راشداً وكنت لذلك آملاً معتقداً وإلّا كنت له خائناً ولخلقه ظالماً ولسلبه وعزه متعرّضاً .

١٩ ـ وأمّا حقّ رعيتك بملك النكاح فأن تعلم أنّ الله جعلها سكناً ومستراحاً وأُنساً و واقية و كذلك كلّ واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه و يعلم أنّ ذلك نعمة منه عليه ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها وإن كان حقك عليها أغلظ وطاعتك لها ألزم فيما أحببت و كرهت مالم تكن معصية فانّ لها حقّ الرّحمة والمؤانسة وموضع السكون إليها قضاء اللّذة الّتي لابدّ من قضائها و ذلك عظيم ولا قوّة إلّا بالله .

٢٠ ـ وأما حقّ رعيتك بملك اليمين فأن تعلم أنه خلق ربّك ولحمك ودمك وأنك تملكه لا أنك صنعته دون الله ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً ولا أجريت له رزقاً ولكنّ الله كفاك ذلك بمن سخّره لك و ائتمنك عليه واستودعك إياه لتحفظه فيه وتسير فيه بسيرته فتطعمه مما تأكل وتلبسه مما تلبس ولا تكلّفه مالا يطيق فان كرهت خرجت إلى الله منه واستبدلت به ولم تعذب خلق الله ولا قوّة إلّا بالله .

و أما حق الرحم

٢١ ـ فحقّ أُمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً وأطعمتك من ثمرة قلبها مالا يطعم أحد أحداً وأنها وَقَتْك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها و جميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحة موبلة محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها حتّى دفعتها عنك يد القدرة و أخرجتك إلى الأرض فرضيت أن تشبع و تجوع هي وتكسوك وتعرى وترويك وتظمأ وتظلّك وتضحى وتنعمك ببؤسها

وتلذّذك بالنوم بأرقها وكان بطنها لك وعاءً وحجرها لك حواءً وثديها لك سقاءً ونفسها لك وقاءً تباشر حرّ الدّنيا وبردها لك ودونك فتشكرها على قدر ذلك ولاتقدر عليه إلاّ بعون الله وتوفيقه .

٢٢ـ وأمّا حقّ أبيك فتعلم أنّه أصلك وأنّك فرعه وأنّك لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك ممّا تعجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه واحمدالله واشكره على قدر ذلك

٢٣ ـ وأمّا حقّ ولدك فتعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدّنيا بخيره وشرّه وأنّك مسئول عمّا ولّيته من حسن الأدب والدّلالة على ربّه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه فمثاب على ذلك ومعاقب فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه في عاجل الدّنيا المعذر إلى ربّه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ له منه ولا قوّة إلاّ بالله .

٢٤ ـ وأمّا حقّ أخيك فتعلم أنّه يدك الّتي تبسطها وظهرك الّذي تلتجيء إليه وعزّك الّذي تعتمد عليه وقوّتك الّتي تصول بها فلاتتّخذه سلاحا على معصية الله ولا عدة للظّلم بخلق الله ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوّه والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة إليه والاقبال عليه في الله فان انقاد لربّه وأحسن الاجابة له وإلاّ فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه

٢٥ ـ وأمّا حقّ المنعم عليك بالولاء فأن تعلم أنّه أنفق فيك ماله وأخرجك من ذلّ الرّقّ ووحشته إلى عزّ الحرّية وأنسها وأطلقك من اسر الملكة وفكّ عنك حلق العبودية وأوجدك رايحة العزّ وأخرجك من سجن القهر ودفع عنك العسر وبسط لك لسان الانصاف وأباحك الدّنيا كلّها فملّكك نفسك وحلّ اسرك وفرّغك لعبادة ربك واحتمل بذلك التقصير فيماله فتعلم أنه أولى الخلق بك بعد اولى رحمك في حياتك وموتك وأحقّ الخلق بنصرك ومعونتك ومكانفتك في ذات الله فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك أحداً أبداً

٢٦ ـ وأما حق مولاك الجارية عليه نعمتك فأن تعلم أنّ الله جعلك حامية

عليه وواقية وناصراً ومعقلا وجعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه فبالحرى أن يحجبك عن النار فيكون في ذلك ثوابك منه في الآجل ويحكم له بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم مكافاة لما أنفقته من مالك عليه وقمت به من حقه بعد إنفاق مالك فان لم تخفه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه ولا قوة إلا بالله .

٢٧ ـ وأما حق ذى المعروف عليك فأن تشكره و تذكر معروفه وأن تنشر له المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه فانك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية ثم إن أمكنك مكافاته بالفعل كافأته وإلا كنت مرصداً له موطناً نفسك عليها .

٢٨ ـ وأما حق المؤذن فأن تعلم أنه مذكرك بربك وداعيك إلى حظك وأفضل أعوانك على قضاء الفريضة التى افترضها الله عليك فتشكره على ذلك شكرك للمحسن اليك وإن كنت فى بيتك متهما لذلك لم تكن لله في أمره متهما وعلمت أنه نعمة من الله عليك لاشك فيها فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال ولا قوة إلا بالله

٢٩ ـ و أما حق إمامك في صلاتك فأن تعلم أنه قد تقلد السفارة فيما بينك وبين الله والوفادة إلى ربك وتكلم عنك ولم تتكلم عنه ودعالك ولم تدع له وطلب فيك ولم تطلب فيه و كفاك هم المقام بين يدى الله والمسائلة له فيك ولم تكفه ذلك فان كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك وإن كان آثما لم تكن شريكه فيه ولم يكن لك عليه فضل فوقي نفسك بنفسه ووقي صلاتك بصلاته فتشكر له على ذلك ولاحول ولا قوة إلا بالله .

٣٠ ـ وأما حق الجليس فأن تلين له كنفك وتطيب له جانبك وتنصفه في مجاراة اللفظ ولا تغرق في نزع اللحظ إذا لحظت و تقصد في اللفظ إلى إفهامه إذا لفظت وان كنت الجليس اليه كنت في القيام عنه بالخيار وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ولاتقوم إلا باذنه ولا قوة إلا بالله .

٣١ـ و أما حق الجار فحفظه غائباً و كرامته شاهداً و نصرته و معونته في

الحالين جميعاً ، لاتتبّع له عورة ، ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها ، فان عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلّف كنت لما علمت حصناً حصيناً ، وستراً ستيراً لو بحثت الأسنّة عنه ضميراً لم تتصل إليه لانطوائه عليه ، لا تستمع عليه من حيث لا يعلم ، لاتسلّمه عند شديدة ، ولاتحسده عند نعمة، تقيل عثرته وتغفرزلّته ولاتدّخرحلمك عنه إذا جهل عليك ، ولا تخرج أن تكون سلماً له ، تردّ عنه الشتيمة ، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة ، وتعاشره معاشرة كريمة ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله

٣٢- وأمّا حقّ الصاحب فأن تصحبه بالفضل ماوجدت إليه سبيلا وإلاّفلا أقلّ من الانصاف وأن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كمايحفظك ، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة فان سبقك كافأته ولاتقصد به عمّا يستحقّ من المودّة تلزم نفسك نصيحته وحياطته ومعاضدته على طاعة ربّه ومعاونته على نفسه فيمايهمّ به من معصية ربّه ثمّ تكون رحمة ولا تكون عليه عذاباً ، ولا قوّة إلاّ بالله .

٣٣- و أما حقّ الشريك فإن غاب كفيته و إن حضر ساويته و لا تعزم على حكمك دون حكمه ولاتعمل برأيك دون مناظرته وتحفظ عليه ماله وتنفى عنه خيانته فيما عزّ أوهان ، فانه بلغنا أنّ يدالله على الشريكين مالم يتخاونا ، ولا قوّة إلاّ بالله .

٣٤- وأما حقّ المال فأن لا تأخذه إلاّ من حلّه ولا تنفقه إلاّ في حلّه ولاتحرّفه عن مواضعه ولاتصرفه عن حقايقه ولا تجعله إذا كان من الله إلاّ إليه وسبباً إلى الله ولا تؤثر به على نفسك من لعلّه لايحمدك وبالحرىّ أن لايحسن خلافتك في تركتك ولايعمل فيه بطاعة ربك فتكون معيناً له على ذلك وبما أحدث فيمالك احسن نظراً لنفسك فيعمل بطاعة ربّه فيذهب بالغنيمة وتبوء بالاثم والحسرة والندامة مع التبعة ولا قوّة إلاّ بالله .

٣٥- وأما حقّ الغريم الطالب لك فإن كنت موسراً أوفيته و كفيته وأغنيته ولم تردده وتمطله فانّ رسول الله ﷺ قال : مطل الغنيّ ظلم ، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول و طلبت إليه طلباً جميلا ورددته عن نفسك ردّاً لطيفا و لم تجمع عليه ذهاب ماله وسوء معاملته فانّ ذلك لؤم ، ولا قوّة إلاّ بالله .

٣٦- وأما حقّ الخليط فان لا تغرّه و لا تغشّه ولا تكذبه ولا تغفله ولا تخدعه ولا تعمل في انتقاضه عمل العدوّ الذى لا يبقى على صاحبه وإن اطمأنّ إليك استقصيت له على نفسك وعلمت أنّ غبن المسترسل ربا ، ولا قوّة إلاّ بالله .

٣٧- وأما حقّ الخصم المدعى عليك فان كان ما يدّعى عليك حقاً لم تنفسخ في حجّته ولم تعمل في إبطال دعوته و كنت خصم نفسك له والحاكم عليها والشاهد له بحقه دون شهادة الشهود ، فانّ ذلك حقّ الله عليك وإن كان ما يدّعيه باطلا رفقت به وروعته وناشدته بدينه و كسرت حدته عنك بذكر الله وألقيت حشو الكلام ولغطه الذى لا يردّ عنك عادية عدوّك بل تبوء باثمه و به يشحذ عليك سيف عداوته لأنّ لفظة السوء تبعث الشر والخير مقمعة للشرّ ، ولا قوّة إلاّ بالله .

٣٨- وأما حقّ الخصم المدّعى عليه فان كان ما تدّعيه حقاً أجملت في مقاولته بمخرج الدّعوى ، فانّ للدّعوى غلظة في سمع المدّعى عليه و قصدت قصد حجتك بالرّفق و امهل المهلة وأبين البيان و ألطف اللّطف ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل والقال فتذهب عنك حجّتك ولا يكون لك في ذلك درك ، ولا قوّة إلاّ بالله .

٣٩- و أما حقّ المستشير فإن حضرك له وجه رأى جهدت له في النصيحة وأشرت إليه بما تعلم أنك لو كنت مكانه عملت به ، وذلك ليكن منك في رحمة ولين فانّ اللين يونس الوحشة وإنّ الغلظ يوحش موضع الانس ، وإن لم يحضرك له رأى وعرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك دللته عليه وأرشدته إليه فكنت لم تأله خيراً ولم تدّخره نصحاً ، ولا قوّة إلاّ بالله

٤٠- وأمّا حقّ المشير عليك فلا تتّهمه فيما يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك فانما هي الآراء وتصرّف النّاس فيها واختلافهم فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتّهمت رأيه فأمّا تهمته فلا تجوز لك إذا كان عندك ممّن يستحقّ المشاورة و لا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه و حسن وجه مشورته فاذا وافقك حمدت الله و قبلت ذلك من أخيك بالشكر و الارصاد بالمكافاة في مثلها إن فزع إليك ولا قوّة إلاّ بالله .

٤١- وأمّا حقّ المستنصح فانّ حقه أن تؤدّى إليه النصيحة على الحقّ الذي ترى له أنه يحمل ويخرج المخرج الذى يلين على مسامعه، وتكلّمه من الكلام بما يطيقه عقله، فان لكلّ عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه، وليكن مذهبك الرّحمة، ولا قوّة إلّا بالله.

٤٢- وأمّا حق النّاصح فأن تلين له جناحك ثمّ تشرئب له قلبك وتفتح له سمعك حتّى تفهم عنه نصيحته ثمّ تنظر فيها فان كان وفّق فيها للصّواب حمدت الله على ذلك وقبلت منه وعرفت له نصيحته، وإن لم يكن وفّق لها فيها رحمته ولم تتّهمه و علمت أنّه لم يألك نصحاً إلّا أنّه أخطأ إلّا أن يكون عندك مستحقاً للتّهمة فلا تعبأ بشيء من أمره على كلّ حال، ولا قوّة إلّا بالله.

٤٣- وأمّا حقّ الكبير فإن حقّه توقير سنّه وإجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل في الاسلام بتقديمه فيه وترك مقابلته عند الخصام ولاتسبقه إلى طريق ولا تؤمه في طريق ولا تستجهله و إن جهل عليك تحملت و أكرمته بحقّ إسلامه مع سنّه فانّما حقّ السنّ بقدر الاسلام ولا قوّة إلّا بالله.

٤٤- و أمّا حقّ الصغير فرحمته و تثقيفه و تعليمه والعفو عنه و الستر عليه والرّفق به والمعونة له و السّتر على جرائر حداثته فانه سبب للتوبة والمداراة له وترك مماحكته فانّ ذلك أولى «أدنى» لرشده.

٤٥- و أمّا حقّ السائل فإعطاؤه اذا تهيأت صدقة وقدرت على سدّ حاجته والدّعاء له فيما نزل به والمعاونة له على طلبته، فان شككت في صدقه وسبقت إليه التّهمة له ولم تعزم على ذلك لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدّك عن حظك ويحول بينك وبين التقرّب إلى ربك وتركته بستره ورددته رداً جميلا، و إن غلبت نفسك في أمره وأعطيته على ما عرض في نفسك منه فانّ ذلك من عزم الامور

٤٦- وأما حقّ المسؤول فحقّه إن أعطى قبل منه ما أعطي بالشكر له والمعرفة لفضله وطلب وجه العذر في منعه وأحسن به الظنّ واعلم أنه إن منع ماله منع وان

ليس التثريب في ماله وإن كان ظالماً فانّ الانسان لظلوم كفّار .

٤٧ ـ وأمّا حقّ من سرّك الله به وعلى يديه فان كان تعمّد هالك حمدت الله أوّلاً ثمّ شكرته على ذلك بقدره في موضع الجزاء وكافأته على فضل الابتداء وأرصدت له المكافاة ، فان لم يكن تعمّدها حمدت الله وشكرت له وعلمت أنّه منه توحّدك بها و أحببت هذا إذا كان سببا من أسباب نعم الله عليك وترجوله بعد ذلك خيراً فانّ أسباب النّعم بركة حيث ماكانت وإن كان لم يتعمّد ، ولا قوّة إلاّ بالله .

٤٨ ـ و أمّا حقّ من ساءك القضاء على يديه بقول أوفعل فان كان تعمّدها كان العفو أولى بك لما فيه له من القمع وحسن الأدب مع كثيرأمثاله من الخلق فانّ الله يقول « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل » إلى قوله « من عزم الأمور » وقال عزّ وجلّ « و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين » هذا في العمد فإن لم يكن عمداً لم تظلمه بتعمّد الانتصار منه فتكون قد كافأته في تعمّد على خطاء ورفقت به ورددته بألطف ما تقدر عليه ، و لا قوّة إلاّ بالله .

٤٩ ـ و أمّا حقّ أهل ملّتك عامّة فاضمار السّلامة و نشر جناح الرّحمة و الرّفق بمسيئهم و تألّفهم و استصلاحهم و شكر محسنهم إلى نفسه وإليك فانّ إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كفّ عنك أذاه و كفاك مؤونته وحبس عنك نفسه فعمّهم جميعاً بدعوتك ، و انصرهم جميعاً بنصرتك ، و أنزلهم جميعاً منك منازلهم كبيرهم بمنزلة الوالد و صغيرهم بمنزلة الولد و أوسطهم بمنزلة الأخ ، فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة وصل أخاك بمايجب للأخ «يحبّ الأخ» على أخيه .

٥٠ ـ وأمّا حقّ أهل الذّمّة فالحكم فيهم أن تقبل منهم ماقبل الله و كفى بما جعل الله لهم من ذمّته و عهده و تكلهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم واجبروا عليه وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك من معاملة وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمّة الله والوفاء بعهده وعهد رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم حايل ، فانّه بلغنا أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : من ظلم معاهداً كنت خصمه، فاتّق الله ولاحول و لا قوّة إلاّ بالله

فهذه خمسون حقّا محيطا بك لا تخرج منها في حال من الأحوال يجب عليك رعايتها والعمل في تأديتها والاستعانة بالله جلّ ثناؤه على ذلك ، ولاحول ولا قوّة إلاّ بالله والحمدلله ربّ العالمين .

قال الشّارح عفى الله عنه ووفّقه لأداء حقوقه: وانّما أوردت الرّواية بتمامها مع كون صدرها خارجا عن الغرض لكثرة فوايدها ومزيد عوائدها فضننت بها عن الاسقاط والاقتصار .

ثمّ أقول : النّسخة الّتي رويت منها كانت غير خالية عن السّقم فرويت كما رإيت ، فلعلّ الله يوفّقني على إصلاحها و مقابلتها (١) فيما بعد بتحصيل نسخة صحيحة ، وهوالموفّق والمعين وبه اعتمادی

الترجمة

ازجملۀ خطبهای شریفۀ آن امام مبین وسیّدالوصیّین است که خطبه خواند آن را درصفّین میفرماید

أمّا بعداز حمد خدا ونعت رسول خدا پس بتحقیق گردانیده است خدا از برای من برشما حقّ بزرگی را بسبب صاحب اختیار بودن من برامرشما ، و از برای شماست برمن از حق مثل آن حقي که مراست برشما ، پس حق فراترین خیرهاست درمقام وصف کردن بعضي بابعضي أوصاف آن‌را ، وتنگ‌ترین چیزهاست

---

(١) قلت : إن لم يوفّق الشارح المصنّف «قده» للاصلاح و المقابلة فقد وفّقني الله تعالى وله الحمد لذلك وقابلت النسخة بنفس المصدر كتاب تحف العقول على النسخة المصحّحة التى نشرها أخيراً الأخ الأعزّ والفاضل الفذّ على أكبر الغفارى عامله الله بلطفه الخفي والجلى ، فظهر بعد المقابلة أنّ نسخة المصنف كانت كثيرة السقم كثيرة الخطاء مع مافيها من الاسقاط ، فانّ الواحد والثلاثين من الحقوق وهو حقّ الجار إلى آخره ، وكذا الواحد والأربعين وهو حقّ المستنصح إلى آخره كانا ساقطين ظاهراً عن نسخة المصنف بتمامهما ولذا لم يذكرا في الطبعة الأولى ، فان كنت في ريب مماذكرنا فعليك بتطبيق هذه النسخة مع المطبوعة أوّلا يظهر لك صحّة ماادّعيناه، وصدق ماقلناه والله الموفّق للسداد «المصحّح»

در مقام انصاف کردن بعضی مر بعضی را ، جاری نمیشود آن حق از برای منفعت أحدی مگر اینکه جاری شود بر ضرر او ، و جاری نمی شود برضرر او مگر اینکه جاری شود ازبرای منفعت او

و اگر باشدازبرای کسی که جاری‌شود حق او برغیر وحق غیر بر او جاری‌نشود هر آینه باشد ومختص‌بخداوند سبحانه بدون‌خلق او وازجهت قدرت‌او بر بندگان‌خود وازجهت‌عدالت اودرهرچیزی که جاری شدبر آن چیزاقسام قضا وحکم او ، ولیکن گردانید خدای تعالی حق خودرا بر بندگان اینکه اطاعت او نمایند ، و گردانید جزای طاعت ایشان را بر خود اینکه ثواب ایشان را بالمضاعف کند از حیثیت تفضل واحسان وازروی وسعت دادن‌باچیزی که خوداهل‌اوست‌ازز یاده کردن جزا

پس گردانید حق سبحانه و تعالی ازجملهٔ حقوق خود حقوقی را که واجب گردانیده است آنها را از برای بعضی از مردمان بر بعضی ، پس گردانید آنها را متساوی ومتقابل درجهات آنها وباعث‌می‌شود بعضی‌ازآنها به بعضی ومستحق نمیشود بعضی را مگر بعوض بعضی

وبزرگترین چیزی که واجب گردانید حق‌سبحانه وتعالی ازاین حقوق حق والی وپادشاهست بررعیت ، وحق رعیت است بر والی وپادشاه فریضه‌ایست که فرض کرده خدای‌سبحانه وتعالی آنرا ازبرای هریکی ازوالی ورعیت بردیگری ، پس گردانید آن‌حق راسبب‌نظم ازبرای‌الفت‌ایشان‌ومایهٔ عزت‌ازبرای دین‌ایشان،پس صلاح نمی‌یابد حال رعیت مگربصلاح‌حال پادشاهان‌وصلاح نمی‌یابد حال‌پادشاهان مگربانتظام‌أمر رعیت.

پس وقتی که ادا کند رعیت بوالی حق اورا که اطاعت وفرمان برداریست و ادا کند والی بررعیت حق اورا که عدالت ودادرسی است عزیز می‌شود حق در میانهٔ ایشان ، و مستقیم می‌شود راههای دین ، و معتدل می‌شود علامتهای عدالت ، وجاری میشود سنن شرعیه برراههای خود پس‌صلاح می‌یابد بسبب این روزگار ، وامیدواری می‌شود در دوام وبقاء سلطنت ، ومأیوس‌می گرددجایگاه طمع دشمنان .

و وقتی که غالب گردد وتمرّد نماید رعیّت بر پادشاه خود ، یا ظلم وتعدّی کند پادشاه بر رعیّت خود مختلف میشود در آن وقت سخنان ، و آشکار گردد علامتهای ظلم وستم ، وبسیار گردد دغل و مفاسد در دین ، و ترك شود جادّهٔ سنن شرعیّه ، پس عمل کرده میشود بخواهشات نفسانیّه ، ومعطّل گردد احکام شرعیّهٔ نبویّه ، وبسیارشود ناخوشیهای نفسها ، پس استیحاش نمیشود یعنی مردم وحشت نمی کنند ازبزرگ حقّی که تعطیل افتد ، ونه ازبزرگ باطلی که آورده شود ، پس در آن وقت ذلیل و خار گردند نیکوکاران ، و عزیز گردد بدکرداران ، و بزرگ میشود مظالم خدا بر ذمّهٔ بندگان .

پس برشما باد نصیحت کردن یکدیگررا در آن حقّ واجب ومعاونت خوب همدیگر بالای آن

پس نیست احدی وا گرچه شدید باشددرتحصیل رضای خدا عرض او ، ودراز باشد درعمل سعی و تلاش او که برسد حقیقت آن چیزی راکه خدای تعالی أهل وسزاوار اوست ازاطاعت وعبادت ، ولیکن ازحقوق واجبهٔ خدا بر بندگان نصیحت کردنست بمقدارطاقت ایشان واعانت کردن یکدیگر است بر پاداشتن حق وعدل درمیان خودشان .

و نیست مردی وا گرچه بزرگ شود در حق گذاری مرتبهٔ او ومقدّم باشد در دینداری فضیلت اوبالاتر ازاینکه اعانت کرده شود بر چیزی که بار کرده است خدا بر اوازحقّ خود ، یعنی البته محتاج است بمعین .

ونیست مردی اگرچه کوچك شمرده باشداورا نفسها وحقیر دیده باشداورا چشمها پست تراز اینکه اعانت کند بر آن حقّ یا اعانت کرده شود بر آن

الفصل الثانی

قال السیّد رضي الله عنه : فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثّناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له عليه السلام .

فقال عليه السلام :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلالُ اللهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذٰلِكَ كُلُّ ما سِواهُ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَلَطُفَ إِحسانُهُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللهِ عَلى أَحَدٍ إِلاّ ازْدادَ حَقُّ اللهِ عَلَيْهِ عِظَماً .

وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حالاتِ الْوُلاةِ عِنْدَ صالِحِ النّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْراءَ ، وَاسْتِماعَ الثَّناءِ ، وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللهِ كَذٰلِكَ ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطاطاً للهِ سُبْحانَهُ عَنْ تَناوُلِ ما هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِياءِ ، وَرُبَّما اسْتَحْلَى النّاسُ الثَّناءَ بَعْدَ الْبَلاءِ ، فَلا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَناءٍ لإِخْراجِي نَفْسِي إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ الْبَقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدائِها ، وَفَرائِضَ لا بُدَّ مِنْ إِمْضائِها .

فَلا تُكَلِّمُونِي بِما تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبابِرَةُ ، وَلا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِما يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبادِرَةِ ، وَلا تُخالِطُونِي بِالْمُصانَعَةِ ، وَلا تَظُنُّوا بِي [بِهِ] اسْتِثْقالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ، وَلا الْتِماسَ إِعْظامٍ لِنَفْسِي ، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقالَ لَهُ ، أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ ، كانَ الْعَمَلُ بِهِما أَثْقَلَ عَلَيْهِ ، فَلا تَكُفُّوا عَنْ مَقالَةٍ بِحَقٍّ ، أَوْ مَشْوَرَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي

بِفَوْقَ أنْ أُخْطِىءَ ، وَلاَ آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلاَّ أنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسي ما هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنّي ، فَإنَّما أنا وَأنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لا رَبَّ غَيْرُهُ ، يَمْلِكُ مِنّا ما لا نَمْلِكُ مِنْ أنْفُسِنا ، وَأَخْرَجَنا مِمّا كُنّا فيهِ إلى ما صَلُحْنا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنا بَعْدَ الضَّلالَةِ بِالْهُدى ، وَأَعْطانا الْبَصيرَةَ بَعْدَ الْعَمى.

اللغة

(صغر) الشيء يصغر من باب شرف صغراً وزان عنب إذ اصار صغيراً وصغر صغراً من باب تعب إذ اذلّ وهان قال تعالى : وهم صاغرون ، أى داخرون ذليلون و(عظم) الشيء بالضمّ أيضاً عظما كعنب إذ اصار عظيماً و (سخف) سخفا وسخافة وزان قرب قرباً فهو سخيف و فلان في عقله سخف أى نقص ، وقال الخليل: السّخف في العقل خاصّة والسخافة في كلّ شيء .

و(اطريت) فلانا مدحته بأحسن مافيه وقيل : بالغت في مدحه وجاوزت الحدّ وقال السّرقسطي في باب الهمز والياء أطرأته مدحته وأطريته أثنيت عليه .

وقوله : (من البقيـّة) بالباء الموحدّة كما في نسخة الشّارح المعتزلي وغيرها من بقي الدّين كذا فضل وتأخّر ، والبقيـّة اسم منه والجمع بقايا وبقيـّات مثل عطية وعطايا وعطيات ، والمنقول من خطّ الرّضي من التقية بالتاء المثناة و(البادرة) الحدّة و الكلام الذى يسبق من الانسان في حالة الغضب و (المصانعة) الرّشوة و المداراة و(كفه) عن المكروه أى صرفه فكفّ هو أى انصرف يستعمل متعدّياً و لازماً .

الاعراب

قوله: من حقّ خبر انّ قدّم على اسمها وهو قوله ان يصغر ، وهو مؤوّل بالمصدر و الواو في و انّ أحق آه حرف قسم حذف المقسم به و جواب القسم قوله : لمن عظمت ، ويحتمل أن تكون للعطف فتكون اللام في لمن تأكيداً .

وقوله : وقد كرهت أن يكون جال في ظنـّكم انـّى احبّ ، يكون زايدة بعد

أن النّاصبة جيء بها لمحض اصلاح اللّفظ وتصحيح دخول أن النّاصبة وإلاّ فلاحاجة اليها من حيث المعني ، و الدّليل على زيادتها أنّها لم تعمل شيئاً أصلا ومثلها في الزّيادة قول أم عقيل ابن أبيطالب وهي ترقصه :

أنت تكون ماجد بليل إذا تهبّ شمال بليل

وجملة أن يكون حال في محلّ النّصب مفعول كرهت ، وجملة انّي احبّ فاعل حال وقوله : ولست بحمدالله كذلك ، الباء في بحمدالله إما للمصاحبة والجار والمجرور في موضع الحال أي لست كذلك مصاحبا بحمده أي حامداً له تعالى على حدّ قوله تعالى «فسبّح بحمد ربّك» أي سبّحه حامداً له أي نزّهه عمّا لايليق به واثبت له مايليق وإمّا للاستعانة على أنّه من اقامة المسبّب مقام السّبب كما قاله بعض علماء الأدبيّة في سبحانك اللّهم و بحمدك ، إنّ المعني و بمعونتك الّتي هي نعمة توجب على حمدك سبّحتك لابحولي وقوّتي ، و على هذا فيكون المعني لست كذلك باعانته الّتي توجب حمده تعالى .

وقوله : انحطاطا لله ، مفعول لأجله لتركته ، وعن تناول متعلّق بانحطاطا واضافة تناول إلى مامن اضافة المصدر إلى مفعوله ، وقوله: لاخراجي علّة للمنفي، لاالمنفى وقوله : في حقوق ، متعلّق بالبقيّة والفاء في قوله فلاتكلّموني ، فصيحة .

وقوله فانّه من استثقل الحقّ أن يقال له ، الضمير في أنّه للشّأن وأن يقال له بدل من الحقّ بدل اشتمال و كذلك ان يعرض عليه بدل من العدل ، والباء في قوله : بفوق ، زايدة للتأكيد و زيادتها في خبر ليس مطردة ، والفاء في قوله : فابدلنا آه ، عاطفة للتفصيل على الأجمال .

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام لمّا خطب بما تقدّم في الفصل الأوّل (فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له) وستطلع على كلام هذا الرّجل في التكملة الآتية انشاءالله تعالى .

قال المحدّث العلامة المجلسيّ في البحار عند رواية هذه الخطبة من الكافي :

الظاهر أنّ هذا الرّجل كان الخضر عليه السلام وقد جاء في مواطن كثيرة و كلّمه عليه السلام لاتمام الحجّة على الحاضرين ، وقد أتى بعد وفاته عليه السلام وقام على باب داره وبكى وأبكى وخاطب عليه السلام بأمثال تلك الكلمات وخرج وغاب عن النّاس .

أقول : ويؤيّده ما يأتي في رواية الكافي من انّه لم يكن رُاي في عسكره عليه السلام قبل هذا اليوم ولا بعده ، وكيف كان فلمّا سمع عليه السلام كلامه (فقال عليه السلام) مجيباً له :

(إنّ من حقّ من عظم جلال الله في نفسه وجلّ موضعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه) فانّ من كمل معرفته بالله وشاهد عظمته وجلاله و كبرياءه لايبقى لغيره وقع في نظره ، لما ظهر من جلاله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ما رواه عنه صلى الله عليه وآله في احياء العلوم : لايبلغ عبد حقيقة الايمان حتّى ينظر النّاس كالأباعر في جنب الله ثمّ يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير .

(و انّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه) يعني أحقّ النّاس بتعظيم جلال الله وتصغير ماسواهم الأئمّة عليهم السلام لعظم نعمة الله عليهم و كمال معرفتهم بجلال ربّهم ، فحقّ الله تعالى عليهم أعظم من غيرهم فينبغي أن يصغر عندهم أنفسهم فلايحبّوا الثناء والاطراء .

أو أنّ من عظمت نعمه ولطفه واحسانه إليه فهو أحقّ وأجدر بأن يعظم جلال الله ويجلّ محلّه في قلبه ، ومن كان كذلك فيضمحلّ عند ملاحظة جلاله و مشاهدة عظمة غيره ، فلايكون له التفات وتوجّه إلى الخلق في أعماله حتّى يطلب رضاهم ومدحهم وثناءهم .

ومن هنا لما قال الحواريّون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الأعمال ؟ فقال : الّذى يعمل لله تعالى لايحبّ أن يحمده عليه أحد .

وقال بعضهم : الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط ، وقال آخر: هو اخراج الخلق عن معاملة الرّب .

ويؤيّد الثّاني تعليله بقوله (فانّه لم تعظم نعمة الله على أحد إلاّ ازداد حقّ الله عليه عظما) وأعظم حقّه هو الاخلاص كما قال «وما أُمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين

له الدّين» «فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً» .

(وانّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظنّ بهم حبّ الفخر) .

لظهور مخائل حبّه عليهم ، و ذلك لضعف عقولهم و حبّهم للجاه والمنزلة عند الناس وللثناء والمحمدة منهم.

والنكتة في محبتهم لذلك هو ارتياح النفس والتذاذ القلب به وميل الطبع اليه بسبب استشعار الكمال من قول المادح، وذلك لأنّ الكمال محبوب ، و كلّ محبوب فادراكه لذيذ ، فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت و تلذّذت فالمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها .

فانّ الوصف الذى يمدح به إما أن يكون جليا ظاهراً كوصفه بأنه طويل القامة وحسن الوجه، أوخفياً مشكوكا كوصفه بالقدرة والشجاعة والسخاوة ، والالتذاذ بالأوّل أقلّ وبالثاني أعظم ، لأنّ الانسان ربما يكون شاكا في كمال قدرته وشجاعته وسخاوته ، و بمدح غيره له بذلك يرتفع شكه ويحصل له الطمأنينة باستشعار ذلك الكمال ، فتعظم لذّته لاسيما إذا كان المادح من أهل الخبرة فهذا هو النكتة في حبّ الجاه و الفخر والثناء .

و أيضاً فانّ المدح يدلّ على حشمة الممدوح و اضطرار المادح إلى اطلاق اللسان بحمده ، ومدحه إما عن طوع أو عن قهر والحشمة أيضاً لذيذة لما فيها من القهر والقدرة والسلطنة ، وهذه اللذّة تحصل وإن كان المادح في الباطن غير معتقد بما مدح به لأنّ اضطراره إلى مدحه و وصفه نوع قهر واستيلاء عليه ، فيورث ذلك حبّ الولاة للمحمدة والثناء .

وإنما جعله من أسخف الحالات، لأنّ من غلب على قلبه حبّ الجاه والمنزلة والفخر صار همته مقصوراً على ملاحظة الخلق ومراعاتهم فى أقواله وأفعاله ملتفتاً إلى ما يوجب وقعه فى نظرهم و منزلته عندهم و رضائهم منه رجاء لمدحهم وخوفاً من ذمّهم وهذا من محض ضعف العقل وقصوره

لأنّ هذه الصفة التي يحب المدح بها إما أن يكون متّصفاً بها واقعاً أم لا فان كان متّصفابها فهي إما من الكمالات النفسانية كالقدرة و الشجاعة والعدالة ، أوليست من الكمالات النفسانية بل من الأعراض الدّنيوية كالثروة والجلال والشوكة ونحوها .

أما الأعراض الدنيويّة فالفرح بها كالفرح بما أنبتت الأرض من النبات الذى يصير عن قريب هشيماً تذروه الرياح ، وهذا من قلّة عقل العاقل فلاينبغى أن يفرح بماهوفى معرض الزوال والفناء، وان فرح فلاينبغى أن يفرح بمدح المادح بل بوجوده والمدح ليس سبب وجوده .

و أما الكمالات النفسانية فينبغى أن يكون فرحه فيها بفضل الله تعالى أيضاً لابمدح المادح ، فانّ اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود بفضل الله لابمدح المادح والمدح تابع له

وان لم يكن متّصفاً بها واقعاً فحبّ المدح بهاغاية الجنون ، ومثله كمثل من يهزء به إنسان و يقول له : سبحان الله ما اكثر العطر الذى فى أحشائك وما أطيب الرّوائح التى تفوح منك إذا قضيت حاجتك ، وهويعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقذار والأنتان ومع ذلك فيفرح بمدحه فاذا المادح إن كان صادقاً فليكن فرحه بصفته الّتي هي من فضل الله وإن كان كاذباً فينبغي أن يغمّه مدحه حيث إنه يستهزء به و يستسخر منه فكيف يفرح به .

و أمّا الحشمة الّتي اضطرت المادح إلى المدح فمرجعها أيضاً إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ، فعلم بذلك أنّ حبّ الفخر من أسخف حالات الولاة .

(و) من أسخف حالاتهم أيضاً أن (يوضع أمرهم على الكبر) أى يتّهموا بالكبر لاستعظامهم لنفسهم واستحقارهم لغيرهم وترفعهم عليه وانفهم من عباداتهم وهو ايضاً من ضعف العقل لأنّ الكبر والعزّ والعظمة والجلال لايليق إلاّ بالقادر القاهر مالك الملك والملكوت فأين يليق به العبد الضعيف المسكين المستكين الذى لايملك لنفسه موتاً ولاحياتاً ولا نشوراً .

فالوالى المتكبّر منازع لله تعالى في صفة لايليق إلاّ بجلاله مثل الغلام الّذى أخذ قلنسوة الملك فوضعها على رأسه وجلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت والخزى وماأقبح ماتعاطاه وأشدّ جرأته على مولاه وأفحش سفهه عند أهل البصيرة هذا .

ولمـّا ذكر اجمالا أنّ المشاهد لجمال الربوبيّة يصغر في نظره ماسواه و أنّ أحقّ النّاس بمشاهدة جلاله واستصغار غيره هو من فاز لعظيم نعمة المعرفة وعقّبه بذكر حالة الولاة من حبّهم للفخر والكبر واتّهامهم بذلك .

أردف ذلك بالتصريح على براءة نفسه القدسية من هذه الحالات ونزاهته عن حبّ الاطراء والثناء بمقتضي مشاهدته لجلال الربّ تعالى فقال :

(وقد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أني اُحبّ الاطراء) أى المجاوزة عن الحدّ في المدح و المبالغة فيه (واستماع الثناء) قال بعض الشارحين : جولان الظنّ حصول المعني في النفس من غير إذعان كامل ، وكراهته عليه السلام له يدلّ على كراهته للاذعان التامّ بطريق أولى .

(ولست بحمدالله كذلك) أى محبّاً لها (ولو كنت احبّ أن يقال ذلك) أى لو أحببت الاطراء والثناء والتعظيم والتّبجيل بما فيه من التذاذ النفس (لتركته) قطعاً (انحطاطاً لله) و تذلّلا لأجله و تصاغراً (عن تناول ماهو أحقّ به) منّي ومن كلّ أحد (من العظمة والكبرياء)

و يحتمل أن يكون أحقّ بمعني حقيق غير مراد به التفضيل كما في قولهم العسل أحلي من الخلّ و هو الأظهر بل أولى لأنّ العظمة و الكبرياء لايليق إلاّ به تعالى كما قال في الحديث القدسى: الكبرياء ردائي والعظمة إزارى فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنّم ولا اُبالي .

وفي كلامه عليه السلام إشارة إلى أنّ الاطراء و الثناء يجران إلى الكبر وذلك أنّ المادح إذا بالغ في المدح وذكر مناقب الممدوح و محاسنه واثنى عليه بها يورث ذلك في الممدوح الارتياح والاهتزاز واستعظامه لنفسه بمافيها من المناقب والمحاسن واستحقـاره بغيره لخلوّه منها ، وليس الكبر إلاّ عبارة عن ذلك .

(و ربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء) أى استحلى من أبلى بلاء حسناً من الولاة وغيرهم أن يمدح ويثنى عليه بعد ابتلائه بالشدائد و مكايدته المشاق.

قال الشارح البحراني: هذا يجرى مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه فكأنه عليه السلام يقول: وأنت معذور حيث رأيتني اُجاهد في سبيل الله وأحثّ الناس على ذلك ومن عادة النّاس أن يستحلوا الثناء عند أن يبلوا بلاء حسنا في جهاد أو غيره من الطاعات.

ثمّ أجاب عليه السلام عن هذا العذر بقوله (فلاتثنوا علىّ بجميل ثناء لاخراجي نفسى إلى الله و إليكم من البقيّة في حقوق لم أفرغ من أدائها وفرائض لابدّ من امضائها) أى لاتثنوا علىّ لأجل ماترونه منّى من طاعة الله فانّ ذلك انّما هو لاخراج نفسى إلى الله من حقوقه الباقية علىّ لم افرغ بعد من أدائها، وهى حقوق نعمه وفرائضه التّي لابدّ من المضيّ فيها وكذلك إليكم من الحقوق التي أوجبها الله من النصيحة في الدّين والارشاد إلى الطريق الأفضل والتعظيم لكيفيّة سلوكه.

وفي المنقول من خط الرّضي من التقيّة بالتاء والمعنى فانّ الّذى أفعل من طاعة الله إنما هو لاخراج نفسي الى الله وإليكم من تقيّة الخلق فيما يجب علىّ من الحقوق إذ كان عليه السلام إنّما يعبد الله لله غير ملتفت فى شىء من عبادته و أداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفاً منه أورغبة إليه

أو المراد بها التقيّة الّتي كان يعملها في زمن الخلفاء الثلاثة و تركها في أيام خلافته، وكأنه قال: لم أفعل شيئاً إلاّ وهو أداء حقّ واجب علىّ و إذا كان كذلك فكيف أستحقّ أن يثنى علىّ لأجل إتيان الواجب بثناء جميل، و اقابل بهذا التعظيم، وهو من باب التواضع لله وتعظيم كيفية أداء حقّه، و كسر للنفس عن محبّة الباطل والميل اليه.

ولمّا نهاهم عن الثناء عليه أردف بتعليمهم كيفية سلوكهم معه عليه السلام قولا وفعلا فقال عليه السلام

(فلا تكلّمونى بماتكلّم به الجبابرة) و الظلمة أى لا تكلّمونى بكلام متضمن للتملق لى والتودّد الىّ كما يتكلّم به عند أهل الغرور والنخوة من المتجبّرين العتاة

(ولاتتحفّظوا منّى بما يتحفّظ به عند أهل البادرة) أى لاتحرّزوا منّى بما يتحرّز به عند أهل الحدة من الملوك والسلاطين والامراء؛ فانّ النّاس إنّمايتحفظون عنهم و يتكلّمون عندهم حقّاً أو باطلا بما يعجبهم ويوافق مذاقهم من الثناء والاطراء والملق، و يحتشمون منهم و يقومون بين أيديهم و يخضعون لهم، كلّ ذلك خوفاً من سطوتهم و توقّياً من سورتهم.

(ولا تخالطونى) و عن بعض النّسخ لا تخاطبونى بدله (بالمصانعة) أى بالرّشوة والمداراة، و قال بعض الشارحين: المصانعة أن تصنع لأحد شيئاً ليصنع لك شيئاً آخر والغرض النّهى عن المخالطة أو المخاطبة بحسب ما يرونه صلاحاً في حصول أغراضهم أو مايعجبه عليه السلام على زعمهم.

(ولا تظنوابى استثقالا في حقّ لى ولا التماس إعظام لنفسى) أي لا يذهب ظنّكم إلى أنّ فيّ توانياً من الحقّ الذي قيل لى، وانى أعدّه ثقيلا علىّ، ولاإلى أنّى أطلب من الخلق التعظيم لنفسى، و ذلك لأنّه مع الحقّ والحقّ معه يدور معه كيف دار و لمعرفته بمن هو أهل للاعزاز وأحقّ به لاختصاصه بالعظمة والكبرياء فقط جلّ جلاله دون غيره حسبما صرّح به سابقاً، و من هذا شأنه فكيف يستثقل الحقّ و يلتمس الاعظام.

(فانّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه) يعنى من كان استماع الحقّ والعدل ثقيلا عليه عند إظهارهما عليه كان عمله بهما أثقل و أشق، لكن شيئاً منهما ليس ثقيلا عليه فضلا عن إصغائه إليه، بل المعلوم من حاله عليه السلام مضافاً إلى شهادة قوله تعالى «و ممّن خلقنا امّة يهدون بالحقّ و به يعدلون» النّازل فيه و في الأئمة من ذريّته عليه وعليهم السلام مواظبته على الحقّ والعدل في جميع حالاته.

و لمّا نهاهم عن التحفّظ منه و نبّههم على عدم ثقل استماع القول الحقّ

والعدل عليه كعدم ثقل عمله بهما فرّع عليه قوله (فلاتكفّوا عن مقالة بحقّ) أى لاتمسكوا عنها و فيه تلطف لهم (أومشورة بعدل) وفيه تطييب لقلوبهم

و لهذه النّكتة أيضاً أمر الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله «وشاورهم في الأمر» بالتشاور من دون حاجة لأحدمنهما إلى استخراج الوجه بالمشاورة لعلمهما بوجوه المصالح جميعا في الحرب و غيرها.

و أمّا التعليل بقوله (فانّي لست في نفسى بفوق ان اخطى ولا آمن ذلك من فعلى إلاّ أن يكفى الله من نفسى ما هو أملك بهمنّى) فانّما هو من الانقطاع إلى الله و التّواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ وعدّ نفسه من المقصّرين في مقام العبوديّة والاقرار بأنّ عصمته عليه السلام من نعمه تعالى.

و ليس اعترافا بعدم العصمة كما يتوهّم بل ليست العصمة إلاّ ذلك فانّها عبارة عن أن يعصم الله العبد من ارتكاب الخطاء والمعصية وقد أشار إليه بقوله : إلاّ أن يكفى الله ، على حدّ قول يوسف الصدّيق عليه السلام « وما أبرّء نفسى إنّ النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحم ربّى»

و أراد بقوله ما هو أملك به العصمة من الخطاء فانّه تعالى أقدر على ذلك للعبد من العبد نفسه

ثمّ اتبعه بمزيد الهضم و سوّى بينهم و بينه و قال (فانّما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لاربّ غيره يملك منّا مالانملك من أنفسنا) و يعصمنا ممّالانقدر أن نعتصم منه بأنفسنا من مكاره الدّنيا والآخرة (و أخرجنا ممّا كنّا فيه) من الجهالة وعدم العلم والمعرفة (إلى ما صلحنا عليه) من الكمالات الّتي يسّرها لنا ببعثة الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم (فأبدلنا بعد الضّلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى).

قال الشّارح المعتزلي : ليس هذا إشارة إلى خاصّ نفسه لأنّه لم يكن كافراً فأسلم ، و لكنّه كلام يقوله ويشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من إفناء الناس فيأتى بصيغة الجمع الدّاخلة فيها نفسه توسّعاً ، ويجوز أن يكون معناها لولا ألطاف الله تعالى ببعثة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لكنت أنا وغيرى على مذهب الأسلاف.

تكملة

هذه الخطبة رواها ثقة الاسلام الكليني في كتاب الرّوضة من الكافي والسند عليّ بن الحسن المؤدّب عن أحمدبن محمّدبن خالد و أحمدبن محمّد عن عليّ بن الحسن التّميمي «التيمى» جميعاً عن إسماعيل بن مهران قال: حدّثني عبدالله بن الحرث عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بصفّين فحمدالله وأثنى عليه وصلّى على محمّد النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم ثمّ قال عليه السلام :

أمّا بعد فقد جعل الله لي عليكم حقّاً بولاية أمركم و منزلتي الّتي أنزلني الله عزّ ذكره بها منكم ولكم عليّ من الحقّ مثل الّذى لي عليكم، والحقّ أجمل الأشياء في التراصف «التواصف» وأوسعها في التناصف لايجرى لأحد إلاّ جرى عليه، ولايجرى عليه إلاّ جرى له ،ولو كان لأحد أن يجرى ذلك له ولايجرى عليه لكان ذلك لله عزّ وجلّ خالصاً دون خلقه ، لقدرته على عباده ، و لعدله في كلّ ما جرت عليه ضروب قضائه ، ولكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه ، و جعل كفارتهم عليه حسن الثواب تفضّلا منه وتطوّلا بكرمه وتوسّعاً بما هو من المزيد له أهل، ثمّ جعل من حقوقه حقوقاً فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافا في وجوهها ويوجب بعضها بعضا،ولا يستوجب بعضها إلاّ ببعض

فأعظم ما افترض الله تبارك و تعالى من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرّعيّة و حقّ الرّعيّة على الوالى فريضة فرضها الله عزّ وجلّ لكلّ على كلّ فجعلها نظام الفتهم وعزّاً لدينهم و قواماً لسنن الحقّ فيهم ، فليست تصلح الرعية إلاّ بصلاح الولاة ، ولاتصلح الولاة إلاّ باستقامة الرّعيّة.

فاذا أدّت الرّعية إلى الوالى حقّه و أدّى إليها الوالى كذلك عزّ الحقّ بينهم ، فقامت مناهج الدين و اعتدلت معالم العدل ، و جرت على اذلالها السّنن ، و صلح بذلك الزّمان و طاب به العيش و طمع في بقاء الدولة و يئست مطامع الأعداء .

و إذا غلبت الرّعية و اليهم و علا الوالى الرّعية اختلفت هنا لك الكلمة

و ظهرت مطامع الجور و كثر الادغال في الدّين و تركت معالم السنن ، فعمل بالهوى و عطلت الآثار و كثرت علل النفوس ولا يستوحش لجسيم حدّ عطل ولا لعظيم باطل اثل . فهنا لك تذلّ الأبرار ، وتعزّ الأشرار ، و تخرب البلاد ، وتعظم تبعات الله عزّ وجلّ عند العباد.

فهلمّ أيّها الناس إلى التعاون على طاعة الله عزّ وجلّ والقيام بعد له والوفاء بعهده والانصاف له في جميع حقّه، فانه ليس العباد إلى شيء أحوج منهم إلى التناصح في ذلك و حسن التعاون عليه ، و ليس أحد و إن اشتدّ على رضاء الله حرصه وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله ، ولكن من واجب حقوق الله عزّ وجلّ على العباد النصيحة له بمبلغ جهدهم ، و التعاون على اقامة الحقّ بينهم.

و ليس امرء و إن عظمت في الحقّ منزلته و جسمت في الخلق فضيلته بمستغن عن أن يعان على ما حمله الله عزّ وجلّ من حقّه، ولا لامرؤ مع ذلك خسأت به الأمور و اقتحمته العيون بدون ما أن يعين على ذلك أو يعان عليه و أهل الفضيلة في الحال وأهل النعم العظام أكثر من ذلك حاجة و كلّ في الحاجة إلى الله عزّ وجلّ شرع سواء.

«فأجابه عليه السلام رجل من عسكره لا يدرى من هو و يقال : إنّه لم ير في عسكره قبل ذلك اليوم ولا بعده ، فقام و أحسن الثناء على الله عزّ وجلّ بما أبلاهم وأعطاهم من واجب حقّه عليهم والاقرار بما ذكر من تصرّف الحالات به و بهم ثمّ قال : أنت أميرنا ونحن رعيتك بك أخرجنا الله عزّ وجلّ من الذلّ و باعزازك اطلق على عباده من الغل ، فاختر علينا فامض اختيارك و ائتمر فامض ائتمارك فانّك القائل المصدّق والحاكم الموفق والملك المخول لا نستحلّ في شيء من معصيتك ولا نقيس علما بعلمك يعظم عندنا في ذلك خطرك ويجلّ عنه في أنفسنا فضلك».

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ من حقّ من عظّم جلال الله في نفسه وعظم موضعه

من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلك كلّ ما سواه ، و إنّ أحقّ من كان كذلك لمن عظمت نعم الله عليه و لطف إحسانه إليه فانّه لم تعظم نعم الله تعالى على أحد إلاّ ازداد حق الله عليه عظماً .

و إنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح النّاس أن يظنّ بهم حبّ الفخر و يوضع أمرهم على الكبر ، و قد كرهت أن يكون جال في ظنّكم أنّى أُحبّ الاطراء ، و استماع الثناء ، ولست بحمد الله كذلك ، و لو كنت احبّ أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة والكبرياء ، وربّما استحلى الناس الثناء بعد البلاء ، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لاخراجى نفسى إلى الله و إليكم من البقيّة في حقوق لم افرغ من أدائها و فرائض لابدّ من إمضائها.

فلاتكلّمونى بما تكلّم به الجبابرة ولاتتحفظوا منّى بمايتحفّظ به عند أهل البادرة ولاتخالطونى بالمصانعة ، ولاتظنوا بى استثقالا في حقّ قيل لى ولاالتماس إعظام لنفسى لمالايصلح لى فانّه من استثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه ، فلاتكفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل فانّى لست في نفسي بفوق أن اخطى ولا آمن ذلك من فعلى إلاّ أن يكفى الله من نفسى ماهو أملك به منى، فانّما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لاربّ غيره ، يملك منّا مالانملك من أنفسنا وأخرجنا ممّا كنا فيه إلى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضّلالة بالهدى و أعطانا البصيرة بعد العمى .

«فأجابه الرّجل الّذى أجابه من قبل فقال : أنت أهل ما قلت والله فوق ما قلته فبلاؤه عندنا مالايكفر ، وقد حملك الله تعالى رعايتنا وولاك سياسة أُمورنا فأصبحت علمنا الّذى نهتدى به ؛ و إما منا الذى نقتدى به ، وأمرك كلّه رشد ، وقولك كلّه أدب ، قد قرّت لك في الحياة أعيننا ، وامتلأت بك من سرور قلوبنا ، وتحيّرت من صفة ما فيك من بارع الفضل عقولنا ، ولسنا نقول لك أيّها الامام الصّالح تزكية لك ، ولانجاوز القصد في الثناء عليك ، ولم «لن» يكن في أنفسنا طعن على يقينك أو غشّ في دينك فنتخوّف أن يكون أحدثت بنعم الله تبارك و تعالى تجبّراً ، أودخلك

كبر، ولكنّا نقول ما قلنا تقرّباً إلى الله عزّ وجلّ بتوقيرك، و توسّعاً بتفضيلك وشكراً بإعظام أمرك، فانظر لنفسك و لنا و آثر لأمر الله على نفسك وعلينا فنحن طوع فيما أمرتنا ننقاد من الامور مع ذلك فيما ينفعنا».

فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: وأنا استشهدكم عند الله على نفسي، لعلمكم فيما وليت به من امور كم وعمّا قليل يجمعني و ايّاكم الموقف بين يديه و السؤال عمّا كنّا فيه، ثمّ يشهد بعضنا على بعض، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غداً، فانّ الله عزّ وجلّ لا تخفى عليه خافية، ولا يجوز عنده إلاّ منا صحة الصدور في جميع الأمور

«فأجابه الرّجل ويقال: لم ير الرّجل بعد كلامه هذا لأمير المؤمنين عليه السلام فأجابه وقد عال الذى في صدره والبكاء تقطع منطقه، و غصص الشّجى تكسر صوته إعظاما لخطر مرزأته و وحشة من كون فجيعته، فحمد الله و أثنى عليه ثمّ شكى إليه هول ما أشفى عليه من الخطر العظيم والذّل الطويل في فساد زمانه و انقلاب جده وانقطاع ما كان من دولته، ثمّ نصب المسألة إلى الله عزّ وجلّ بالامتنان عليه والمدافعة عنه بالتّفجع و حسن الثناء فقال:

يا ربّاني العباد و ياساكن البلاد أين يقع قولنا من فضلك، و أين يبلغ وصفنا من فعلك، و أنّى نبلغ حقيقة حسن ثنائك أو نحصي جميل بلائك، كيف و بك جرت نعم الله علينا، و على يدك اتّصلت أسباب الخير إلينا، ألم تكن لذلّ الذليل ملاذا، و للعصاة الكفار إخواناً، فبمن إلاّ بأهل بيتك و بك أخرجنا الله عزّ وجلّ من فظاعة تلك الخطرات، أو بمن فرّج عنّا غمرات الكربات، و بمن إلاّ بكم أظهر الله معالم ديننا و استصلح ما كان فسد من دنيانا، حتّى استبان بعد الجور ذكرنا، وقرّت من رخاء العيش أعيننا لما ولّيتنا بالاحسان جهدك ووفيت لنا بجميع وعدك، وقمت لنا على جميع عهدك، فكنت شاهد من غاب منّا، و خلف أهل البيت لنا، و كنت عزّ ضعفائنا، و ثمال فقرائنا؛ و عماد عظمائنا، يجمعنا في الأمور عدلك، و يتّسع لنا في الحقّ تأنيك فكنت لنا انسا إذا رأيناك، وسكناً إذا ذكرناك، فأيّ الخيرات لم تفعل، وأيّ

الصّالحات لم تعمل ، ولو أنّ الأمر الّذي نخاف عليك منه يبلغ تحريكه جهدنا، و تقوى لمدافعته طاقتنا أويجوزالفداء عنك منه بأنفسنا و بمن نفديه بالنّفوس من أبنائنا لقدمنا أنفسنا و أبناءنا قبلك ، ولأخطرناها و قلّ خطرها دونك ، و لقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك ، و مدافعة من ناواك ، و لكنّه سلطان لايحاول و عزّ لايزاول ، وربّ لايغالب ، فان يمنن علينا بعافيتك ، و يترحّم علينا ببقائك ويتحنّن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامة منك لنا و بقاء منك بين أظهرنا نحدث الله عزّوجلّ بذلك شكراً نعظمه ، و ذكراً نديمه ، و نقسّم انصاف أموالنا صدقات ، و أنصاف رقيقنا عتقاء ، ونحدث له تواضعا في أنفسنا ، و نخشع في جميع امورنا ، و إن يمض بك إلى الجنان و يجرى عليك حتم سبيله ، فغير متّهم فيك قضاؤه ، ولامدفوع عنك بلاؤه ، ولامختلفة مع ذلك قلوبنا بان اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه ، ولكنّا نبكي من غير اثم لعزّ هذا السلطان أن يعود ذليلا، وللدّين والدّنيا أكيلا ، فلانرى لك خلفا نشكو إليه، ولانظيراً نأمله ولانقيمه ».

بيان

لما يحتاج إلى البيان من موارد الاختلاف الّتي لم يتقدّم شرحها عند شرح المتن:

قوله عليه السلام « و الحق أجمل الأشياء في التّراصف » أصل التّراصف تنضيد الحجارة بعضها ببعض ، والمراد أنّ الحقّ أحسن الأشياء في إنفاق الأمور وأحكامها.

قوله «وأوسعها في التّناصف» أي إذا أنصف الناس بعضهم لبعض فالحقّ يسعه ويحتمله ولايقع الناس في العمل بالحقّ ضيق.

قوله « وجعل كفاراتهم عليه حسن الثّواب» قال في البحار: لعلّ المراد بالكفارة الجزاء العظيم لستره عملهم حيث لم يكن له في جنبه قدر ، فكأنّه قدمحاه و ستره ، و في أكثر النسخ بحسن الثواب فيحتمل أيضاً أن يكون المراد بها مايقع منهم لتدارك سيئآتهم كالتوبة و ساير الكفارات ، أى أوجب قبول كفاراتهم و توبتهم على نفسه مع حسن الثواب بأن يثيبهم على ذلك أيضا

قوله « قواما يسرّ الحقّ فيهم» أى بها يقوم جريان الحقّ فيهم و بينهم.

قوله «اثّل» بالثّاء المثلّثة والبناء على المفعول من باب التّفعيل يقال: أثل ماله تأثيلا زكّاه و أصّله وأثّل ملكه عظمه و أثّل أهله كساهم أفضل كسوة والاثال وزان سحاب وغراب المجد والشّرف

قوله «فهلمّ ايّها النّاس» اسم فعل بمعنى تعال يستوى فيه الواحد و الجمع والتذكير والتّأنيث على لغة أهل الحجاز.

قوله «حقيقة ما أعطى الله من الحقّ أهله» أى جزاء ما أعطى الله أهل الحقّ من الدّين المبين وسائر ماهداهم الله إليه ، بأن يكون المراد بالحقيقة الجزاء مجازاً أو يكون في الكلام تقدير مضاف أى حقيقة جزاء ماأعطى من الحقّ ، و قيل : المراد بحقيقة ماأعطى الله شكر نعمة هدايته تعالى إلى دين الحقّ.

قوله «ولا لامرؤ مع ذلك» قال في البحار كأنّه راجع إلى ماحمّل الله على الوالى أو إلى الوالى الّذى اشير إليه سابقاً أى لايجوز أولابدّ لامرؤ أولا استغناء لامرء على الوالى أو مع كون و اليه مكلّفا بالجهاد و غيره من امور الدّين و إن كان ذلك المرء محقّراً ضعيفاً بدون أن يعين على إقامة الدّين أو يعينه النّاس أو الوالى عليه

قوله «خسأت به الأمور» يقال خسأت الكلب خسئاً طردته و خسا الكلب يتعدّى ولايتعدّى و يجوز أن يكون استعمل هنا غير متعدّ بنفسه ، فعدّى بالباء أى طردته الامور ، والمراد أنّه ليس بحيث يتمشّى امر من اموره ولاينفع سعيه في تحصيل شيء من الامور

قوله «بدون ما» لفظة ما زايدة.

قوله «و أهل الفضيلة في الحال» المراد بهم الأئمة عليهم السلام و الولاة و الامراء والعلماء و كذا «أهل النّعم العظام».

قوله « والاقرار» عطف على الثناء أى أقرّ إقراراً حسناً بأشياء ذكرها ذلك الرّجل ولم يذكره عليه السلام اختصاراً أو تقيّة من تغيّر حالاته من استيلاء أئمّة الجور و مظلوميّته و تغيّر أحوال رعيّته من تقصيرهم في حقّه و عدم قيامهم بمايحقّ من طاعته والقيام بخدمته

قوله «من الغلّ» أى أغلال الشرك والمعاصى.

قوله «و ائتمر» أى أقبل ماأمرالله به فامضه علينا.

قوله « والملك المخوّل» أى الملك الّذى أعطاك الله الامرة علينا و جعلنا خدمك و تبعك

قوله « لانستحلّ في شيء من معصيتك» لعلّ التّعدية بفى لتضمين معنى الدخول أو المعنى لانستحلّ معصيتك في شيء من الأشياء على أن يكون من زايدة

قوله « في ذلك» أى في العلم بأن تكون كلمة في تعليليّة ، و يحتمل أن يكون اشارة إلى ما دلّ عليه الكلام من اطاعته عليه الصّلاة والسلام.

قوله «خطرك» أى قدرك و منزلتك.

قوله «و يجلّ عنه» أى عمّا قلته فى وصفك.

قوله «فبلاؤه عندنا مالايكفر » أى نعمته عندنا وافرة بحيث لانستطيع كفرها و سترها ، أو لايجوز كفرانها و ترك شكرها.

قوله « ولم يكن » في بعض النسخ لن يكون و في بعضها لن يكنّ بالبناء على المفعول من كننت الشيء سترته أو بفتح الياء و كسر الكاف من كنّ الطاير بيضه حضنه

قوله « و توسّعا» أى في الفضل والثواب .

قوله « مع ذلك » أى مع طوعنا فيماامرت، و في البحار أى مع طاعتنا لك ، فانّ نفس الطاعة أمر مرغوب فيه و مع ذلك موجب لحصول ما ينفعنا وماهوخير لنا في دنيانا و آخرتنا .

قوله « الاّ مناصحة الصّدور » أى خلوصها من غشّ النّفاق بأن يضمر فيها خلاف ما يظهر أو نصح الاخوان نصحاً يكون في الصّدور لا بمحض اللّسان.

قوله « و قد عال الّذى في صدره » يقال : عالنى الشيء أى غلبنى و عال أمرهم اشتدّ

قوله « و غصص الشّجى » جمع غصّة بالضّم و هو ما يعترض في الحلق ،

والشّجى الحزن.

قوله «لخطر مرزأته» الخطر القدر والاشراف على الهلاك و المرزأة المصيبة و كذا الفجيعة و الضّمير راجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام و القائل كان عالماً بقرب أو ان شهادته عليه السلام فلذا كان يندب و يتفجّع و إرجاعهما إلى القائل بعيد

قوله «ثمّ شكى إليه» أى إلى الله تعالى.

قوله « أشفى عليه» أى أشرف عليه.

قوله « وانقلاب جدّه » أى بخته.

قوله « بالتفجع » متعلّق بقوله نصيب ، و التفجع التّوجّع في المصيبة أى سأل الله دفع هذا البلاء الّذى قد ظنّ وقوعه عنه عليه السلام مع التّفجع والتّضرّع .

قوله «يا ربّاني العباد» قال الجزرى الربّاني منسوب إلى الربّ بزيادة الالف و النّون ، وقيل : هو من الربّ بمعني التّربية لتربيتهم المتعلّمين بصغار العلوم وكبارها ، و الربّاني العالم الرّاسخ في العلم والدّين يطلب بعلمه وجه الله ، وقيل : العالم العاقل المعلّم .

قوله «و يا ساكن البلاد» في بعض النسخ سكن البلاد محرّكة و هو كلما يسكن إليه .

قوله «وبك جرت نعم الله» أى بمجاهداتك ومساعيك الجميلة في ترويج الدّين وتشييد أركان الاسلام في زمن الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعده .

قوله « وللعصاة الكفّار اخوانا » أى كنت تعاشر من يعصيك ويكفر نعمتك بالشّفقه والرّأفة معاشرة الاخوان ، أو المراد الشّفقة على الكفّار والعصاة والاهتمام في هدايتهم ، و يحتمل أن يراد بهم المنافقون الّذين كانوا في عسكره وكان يلزمه رعايتهم بظاهر الشّرع .

قوله «من فظاعة تلك الخطرات» أى قباحتها وشدّتها .

قوله «ثمال فقرائنا» أى غياثهم ولجائهم وقيل: الثمال المطعم في الشّدة .

قوله «يجمعنا من الأمور عدلك» أى هو سبب اجتماعنا في جميع الأمور أو من

بين ساير الامور أوهو سبب لانتظام جميع امورنا وعدلك محيط بجميعنا في جميع الامور .

قوله «ويتّسع لنافي الحقّ تأنّيك» أى صار مداراتك وعدم تعجيلك في الحكم علينا بما نستحقّه سببا الوسعة الحقّ علينا وعدم تضيّق الامور بنا .

قوله «ليبلغ تحريكه» أى تغييره وصرفه وفي النسخة القديمة تحويله .

قوله «ولاخطرناها» لانجعل لها خطرا أى قدراً ومنزلة كما في حديث وصف الأئمة عليهم السلام : ما أجلّ خطركم أى قدركم و منزلتكم عند الله أولانعدّها خطيراً أى رفيعا .

قوله « وقلّ خطرها دونك » أى شرفها أوهلاكها والخطر أيضاً السّبق يتراهن عليه ولايقال إلاّ في الشيء الّذى له قدرومزيّة .

قوله «حاولك» أى قصدك .

قوله «من ناواك» أى عاداك .

قوله «ولكنّه سلطان» أى الربّ تعالى .

قوله «وعزّ» ذوعزّ و غلبة .

قوله «لايزاول» أى لايحاول ولايطالب، وهذا إشارة إلى أن هذه الامور بقضاء الله وقدره والمبالغة في دفعها في حكم مغالبة الله فى تقديراته .

قوله «بان اختياره لك ماعنده» ماعنده خبران أوخبره محذوف أى خيرلك والمعني أنّه لا يختلف قلوبنا بل هي متّفقة على أنّ الله اختارلك بامضائك النعيم والرّاحة الدّائمة على ماكنت فيه من المشقّة والجهد والعناء .

قوله «نبكي من غيرإثم» أى لانأثم على البكاء عليك فانّه من أفضل الطاعات .

قوله «وللدّين والدّنيا كيلا» أى آكلا فالفعيل بمعنى الفاعل لابمعني المفعول أى نبكي لتبدّل هذا السّلطان الحقّ بسلطنة الجور فيكون آكلا للدّين والدّنيا .

قوله « ولانرى لك خلفا » أى من بين السّلاطين لخروج السّلطنة من أهل البيت عليهم السلام .

قال الشارح : أكثر ماأوردته هنا التقطته من كلام المحدّث العلامة المجلسي

قدّس سرّه في البحار .

الترجمة

فصل دوّيم از آن خطبه است سيدرضي گفته : پس جواب داد آن حضرت را مردى از أصحاب او بسخن درازى كه در آن بسيار ستايش مى كرد اورا و ذكر مى نمود در آن شنيدن و اطاعت كردن خود را بآن بزرگوار پس فرمود آن حضرت كه :

بتحقيق از حق كسى كه بزرگ است جلال وعظمت خدا درنفس او وأجلّ است مرتبهٔ اودرقلب اواينست كه كوچك وحقيرباشد درنزد او بجهت بزرگى آن جلال وعظمت هر چيزى كه غير خداى تعالى است ، وبتحقيق سزاوارتر كسى كه باشد براين حال كسى است كه بزرگ شده نعمت خدابراو ولطيف شده احسان و انعام او بسوى او ازجهت اينكه بزرگ نمى گردد نعمت خدا براحدى مگراينكه زايد گردد بزرگ بودن حقّ خدا براو .

و بدرستى كه ازسخيف وخفيف‌ترين حالات پادشاهان در نزد مردمان صالح سالم العقل اين‌است كه گمان برده شود بايشان دوست داشتن افتخار برمردمان را وحمل شود بناء امرايشان بتكبّر بخلقان .

و بتحقيق كه ناخوش داشتم اين را كه جولان كند در ظنّ شما اينكه من دوست دارم زيادت تعريف واستماع ستايش را ، ونيستم من‌بحمدالله همچنين واگر بودم كه دوست مى‌داشتم اينكه گفته شود مدح وثنا دربارهٔ من البتّه ترك ميكردم آنرا از جهت پستى و تواضع ازبراى خدا وفروتنى از اخذ كردن چيزى كه خدا سزاوارتراست بآن از عظمت و كبريا ، وبساهست كه شيرين مى‌دانند مردمان مدح وثنا را بعد اززحمت بلا ، پس ستايش نكنيد برمن باثناء جميل‌بسبب خارج كردن من نفس خودم را بسوى خدا و بسوى شما ازبقيّهٔ حقوقى كه فارغ نگشته‌ام از أداء آنها ، وازواجباتى كه لابد و ناچارم از إمضا و إجراء آنها .

پس‌تكلّم نكنيدبا من‌بسخنانى كه‌تكلّم كرده شود با آن‌ستمكاران وجبّاران ،

وتحفّظ نكنيد از من با چيزى كه تحفّظ كرده مى‌شود با آن در نزد پادشاهان با حدّت و سطوت، و آميزش نكنيد بامن به تملّق وچاپلوسى، و گمان نبريد در من اينكه گرانى دارم درحقّى كه گفته شده بمن، واينكه خواهش دارم بزرگ شمردن نفس خودم را ازجهت اينكه كسى كه گردارد حق را ازاينكه گفته شود مراورا يا عدالت را از اينكه اظهار شود براو باشد عمل كردن بحقّ وعدل گرانتر باو پس خوددارى نكنيد از گفتگوى بحقّ واز مشورت بعدل.

پس بتحقيق كه من نيستم درپيش نفس خودبرتر از اينكه خطا بكنم، وأيمن نيستم خطا را ازكار خودم مگر اينكه كافى باشد خدا از نفس من چيزى را كه قادرتر است بآن چيز از من، پس جزاين نيست كه من وشما بندگان مملوكيم از براى پروردگارى كه غير ازاو پروردگارى نيست، مالك است ازما چيزى را كه ما مالك آن نيستيم از نفسهاى خود ما، و بيرون آورده است ما را از جهالتى كه در آن بوديم بسوى علم ومعرفتى كه صلاح ما بر آن حاصل شد، پس بدل كرد مارا بعداز گمراهى بهدايت، وعطافرمود بما بعد ازنابينائى بصيرت را.

و من كلام له عليه السلام و هو المأتان والسادس عشر من المختار فى باب الخطب

وهو ملتقط من كلام طويل قدّمنا روايته في شرح الفصل الثّالث من الخطبة السّادسة والعشرين: أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلىٰ قُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَ أَكْفَئُوا إِنائِي، وَأَجمَعُوا عَلىٰ مُنازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَ قالُوا: أَلا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَ فِي الْحَقِّ أَنْ تَمْنَعَهُ،

فَاصْبِرْ مَغْمُوماً ، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً ، فَنَظَرْتُ فَإِذاً لَيْسَ لِي رافِدٌ ، وَ لاَ ذابٌّ ، وَلاَ مُساعِدٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي ، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذٰى ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجٰى ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلٰى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ ، وَ آلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشِّفارِ ، وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدّمة إلّا أنّي كرّرته هيهنا لاختلاف الرّوايتين.

ومنه في ذكر السائرين الى البصرة لحربه عليه السلام

فَقَدِمُوا عَلٰى عُمّالِي وَخُزّانِ بَيْتِ مالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذي في يَدَيَّ ، وَعَلٰى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ في طاعَتِي ، وَعَلٰى بَيْعَتِي ، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَماعَتَهُمْ ، وَ وَثَبُوا عَلٰى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً ، وَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ عَضُّوا عَلٰى أَسْيافِهِمْ ، فَضارَبُوا بِها حَتّٰى لَقُوا اللهَ صادِقِينَ .

اللغة

(الاستعداء) الاستعانة والاستنصار ، و قال الشّارح المعتزلي : العدوى طلبك إلى وال أن يعديك على من ظلمك أى ينتقم لك منه يقال استعديت الأمير على فلان فأعداني أى استعنت به عليه فأعانني و(كفاء) الاناء من باب منع قلبته و كبته و(تأخذه) و(تمنعه) بالتّاء المثنّاة فيهما والأوّل بصيغة المعلوم والثاني بصيغة المجهول و في بعض النسخ بالنّون بصيغة المتكلّم والمروىّ عن خطّ الرّضيّ هو الأوّل .

و(رفده) رفداًمن باب ضرب أعانه وأعطاه فهو رافد و(ضنّ) بالشّيء يضنّ من باب تعب وضرب بخل به و (أغضيت) على كذا أى صبرت وسكتّ و(القذى) مايقع في العين من تراب وغيره و(الشجي) ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه و(العلقم) شجر شديد المرارة و(الحزّ) القطع وفي بعض النسخ ذخر الشفار وهو الطّعن الخفيف

بالرّمح و غيره و(الشّفار) جمع الشّفرة وهو السّكين العظيم وما عرض وحدّ من الحديد وجانب النصل وحدّ السيف .

الاعراب

قوله حقّاً منصوب بنزع الخافض أى لحقّ أوفي حقّ وعلى الأوّل فمتعلّق بأجمعوا وعلى الثّاني بعلى منازعتي ، و على في قوله على القذى و على الشّجى وعلى أمرّ جميعاً للاستعلاء المجازى قوله : وطائفة منهم عضّوا برفع طائفة على الابتداء ، وجملة عضّوا خبره ، وفي نسخة الشّارح المعتزلي وطائفةً عضّوا بالنّصب على العطف فتكون جملة عضّوا صفة .

المعنى

اعلم أنّك قد عرفت في شرح الفصل الثالث من الخطبة السّادسة والعشرين أنّ هذا الكلام من جملة فصول كلام طويل له عليه السلام قدّمنا روايته هناك ، و ظهر لك ثمة أنّ هذا الفصل منه وارد في اقتصاص مجلس الشّورى والتّظلّم من ازواء الخلافة عنه عليه السلام إلى عثمان والتشكّى إلى الله عزّوجلّ في ذلك .

إذا عرفت ذلك فأقول : قوله (اللهمّ إنّي أستعديك على قريش) أى أطلب منك الاعانة والنّصرة عليهم و الانتقام منهم (فانّهم قد قطعوا رحمي) أى قرابتي قال الشّارح المعتزلي أى أجروني مجرى الأجانب ويجوز أن يريد أنّهم عدّوني كالأجنبيّ من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويجوز أن يريد أنّهم جعلوني كالأجنبيّ منهم لاينصروني ولايقومون بأمرى .

(و اكفأوا إنائي) وهو استعارة لابطال حقّه فانّ قلب الاناء بما فيه يوجب إضاعته و كذلك إبطال الحقّ مستلزم لاضاعته .

(و أجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيرى) أى اتّفقوا على النزاع معى في حقّ أنا أولى به وهو حقّ الخلافة و الولاية ، و المراد بأولويّته استحقاقه لها بالنّص الجلى من الله ورسوله حسبما عرفت في تضاعيف الشّرح لاسيّما في مقدّمات الخطبة الثّالثة المعروفة بالشّقشقية لا الاستحقاق بمجرّد الأفضليّة فقط كما توهّمه الشّارح المعتزلي وفاقاً لساير المعتزلة .

(و قالوا الا أنّ في الحقّ أن تأخذه و في الحقّ أن تمنعه) قال القطب الرّاوندى في خطّ الرضيّ بالتاء ومعنى ذلك أنّك إن ولّيت أنت كانت ولايتك حقاً و إن ولّي غيرك كانت حقّا على مذهب أهل الاجتهاد ومن رواها بالنّون فالمعنى ظاهر .

(فاصبر مغموماً أومت متأسفا) يحتمل أن يكون هذا القول منهم بلسان القال و أن يكون بلسان الحال يعني إذا كان ممنوعيتك حقّاً أيضاً و لم تكن راضياً به فليس لك إلاّ الصّبر أو الموت متلهفاً متحسّراً (فنظرت) لما رأيت منازعتهم وسمعت مقالتهم (فاذا ليس لي رافد) أى ناصر ومعين (ولاذابّ ولا مساعد) أى دافع ومعاون (إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن المنيّة) أى بخلت بهم عنها .

وهوصريح في أنّ تركه لحقّه لم يكن عن طوع كما زعمه المعتزلة وانما تركه لما شاهد من أنه إذا نهض بطلب حقه لجعل نفسه وأهل بيته أغراضا للمنايا

ويؤكد ذلك قوله (فأغضيت على القذى) لدلالته عاى شدّة تحمله و كذلك قوله (وجرعت) أى ابتلعت (ريقى على الشّجى) لدلالته على مزيد غصّته .

وهكذا قوله (وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم) لافادته غاية غيظه وقوله (وآلم للقلب من حزّ الشفار) لدلالته على منتهى تألمه ومن هذا حاله فكيف يكون سكوته عن قيام غيره بالأمر دليلا على رضاه ، وقد تقدّم في شرح الفصل الثاني من الخطبة السادسة والعشرين فصل واف في هذا المعنى .

\ قال الرضيّ «ره» (وقد مضى هذا الكلام في أثناء خطبة متقدّمة) وهي الخطبة المأة والحادية والسبعون بل هذا الكلام وتلك الخطبة والخطبة السادسة والعشرون جميعاً ملتقطة من كلام طويل له عليه السلام رويته في شرح الفصل الثالث من الخطبة السادسة و العشرين ، والدّاعي على تكراره ما أشار إليه بقوله (إلاّ أني كرّرته ههنا لاختلاف الروايتين)

أقول : ومع هذا التكرار ففيه أيضاً بعض الاختلاف لما قدّمنا روايته كماهو ظاهر لمن راجع هناك ، هذا .

ومنه

أي بعض هذا الكلام ، وفي نسخة الشارح المعتزلي والبحراني العنوان:ومن كلام له عليه السلام ، والظاهر أنه اشتباه من الناسخ لأنه مع ماقبله كلاهما من فقرات الكلام الذى تقدّم روايته و ليس كلّ منهما كلاماً مستقلاً أو ملتقطاً من كلامين متغايرين .

و كيف كان فهو (في ذكرالسايرين إلى البصرة لحربه عليه السلام) من طلحة والزبيروعايشةوجنودهم .

(فقدموا على عمالي) وهوعثمان بن حنيف الأنصارى ومن تبعه كان عاملا له عليه السلام على البصرة (وخزان بيت مال المسلمين الّذى في يدى) و كانوا أربعمأة رجل (و على أهل مصر) يريد بهالبصرة (كلّهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتّتوا كلمتهم) أى ألقوا الاختلاف بينهم (وأفسدوا عليّ جماعتهم) .

وذلك لأنّ عايشة بعد دخول البصرة والتقاء الفئتين أقبلت على جملهاونادت بصوت مرتفع: أيهاالناس أقلّوا الكلام واسكتوا ، فاسكت الناس لها فقالت في جملة كلام تحرّضهم فيه على القتال والاجلاب على قتلة عثمان :

ألا إنّ عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثمّ اجعلوا الأمرشورى بين الرّهط الّذين اختارهم عمربن الخطّاب ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان

قال الرّاوى فماج النّاس واختلطوا فمن قائل يقول : القول ماقالت ، ومن قائل يقول : وماهىوهذا الأمر انماهي امرأة مأمورة بلزوم بيتها ، وارتفعت الأصوات و كثر اللّغط حتّى تضاربوا بالنّعال و تراموا بالحصى ، ثمّ إنّ النّاس تمايزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف وفريق مع عايشة وأصحابها .

والى هذا أشار عليه السلام بقوله : فشتّتوا كلمتهم وأفسدوا جماعتهم (و وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً) وهم السّيابحة حرّاس بيت المال (و طائفة منهم عضّوا على أسيافهم) وهم حكيم بن جبلة العبدى وأتباعه .

قال الشارح المعتزلي: عضّهم على أسيافهم كناية عن الصّبر في الحرب وترك الاستسلام ، وهي كناية فصيحة شبّه قبضهم على السّيوف بالعضّ، انتهى .

يعني أنّهم جدّوا في الحرب ولزموا سيوفهم (فضاربوا بها حتّى لقوا الله صادقين) في ولائهم لأمير المؤمنين عليه السلام وفي تمسّكهم بجبل بيعته المتين أوصادقين فيما عاهدوا الله عليه كما قال تعالى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا »

واعلم أنّ هذا الكلام الذى نقله الرضيّ عنه عليه السلام في السّايرين إلى البصرة مختلف جدّاً لما قدّمنا روايته عنه في شرح الخطبة السادسة و العشرين ، فانّ الموجود فيه هكذا :

فقدما - يعني طلحة والزّبير - على عاملي وخزّان بيت مالى وعلى أهل مصر في الذين كلّهم على بيعتي وفي طاعتي فشتّتوا كلمتهم وأفسدوا جماعتهم ثمّ وثبوا «دثبوا خ» على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة صبراً وطائفة منهم غضبوا لله فشهروا سيوفهم وضربوا بها حتّى لقوا الله صادقين .

ثمّ اعلم أنّه قد تقدّم في شرح الخطبة المأة و الاحدى و السّبعين تفصيل قصّة السّائرين إلى البصرة وما فعلوا فيها من قتل طائفة صبراً وطائفة غدراً وغيره من الفضائح التي لايحصى من أراد الاطّلاع عليها فليراجع هناك .

تنبيه

قال الشّارح المعتزلي بعد شرح الفقرات الاول من هذا الكلام أعني قوله اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش إلى قوله من حزّ الشفار ماعبارته :

واعلم أنّ هذا الكلام قد نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام مايناسبه ويجرى مجراه ولم يورّخ الوقت الذى قاله فيه ولا الحال الّتي عناها به ، وأصحابنا يحملون ذلك على أنّه عليه السلام قاله عقيب الشورى وبيعة عثمان ، فانه ليس يرتاب أحد من أصحابنا على أنه تظلّم و تألّم حينئذ ، ويكره أكثر أصحابنا حمل أمثال هذا الكلام على التألّم من يوم السّقيفة.

ولقائل أن يقول لهم : أتقولون إنّ بيعة عثمان لم تكن صحيحة ؟

فيقولون : لا .

فيقال لهم : فعلى ماذا تحملون كلامه عليه السلام مع تعظيمكم له وتصديقكم لأقواله ؟

فيقولون : نحمل ذلك على تألّمه وتظلّمه منهم إذ تركوا الأولى والأفضل ، فانكم لستم تنكرون أنه كان الأفضل والأحقّ بالأمر بل تعترفون بذلك وتقولون ساغت إمامة غيره و صحّت لمانع كان فيه و هو ماغلب على ظنون العاقدين للأمر من أنّ العرب لاتطيعه فانه تخاف من فتنة عظيمة تحدث إن ولي الخلافة لأسباب يذكرونها ويعدّونها ، و قد روى كثير من المحدّثين أنه عليه السلام عقيب يوم السقيفة تألّم وتظلّم واستنجد واستصرخ حيث ساموه الحضور والبيعة وأنه قال وهو يشير إلى القبر: إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، وأنه قال : واجعفراه ولاجعفر لي اليوم واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم ، وقد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحة فيماتقدّم وكلّ ذلك محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل والقرابة وليس بدالّ عندنا على وجود النصّ ، لأنه لوكان هناك نصّ لكان أقلّ كلفة وأسهل طريقاً وأيسر لما يريد تناولاً أن يقول : يا هؤلاء إنّ العهد لم يطل وإنّ رسول الله أمركم بطاعتي و استخلفني عليكم بعده ، ولم يقع منه بعد ماعلمتموه نصّ ينسخ ذلك و لا يرفعه فماالموجب لتركي والعدول عنّي

فان قالت الامامية: كان خاف القتل لوذكر ذلك .

قيل لهم: فهلّاخاف القتل وهو يقتل ويدفع ليبايع وهو يستصرخ تارة بقبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وتارة بعمّه جعفر وأخيه حمزة وهماميّتان ، وتارة بالأنصار ؛ وتارة ببني عبدمناف ويجمع الجموع في داره ويبثّ الرّسل ليلا ونهاراً إلى النّاس يذكرهم فضله وقرابته ويقول للمهاجرين خصمتم الأنصار بكونكم أقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وأناأخصمكم بما خصمتم به الأنصار ، لأنّ القرابة إن كانت هي المعتبرة فأنا أقرب منكم و هلّا خاف من الامتناع و من هذا الاحتجاج و من الخلوة في داره بأصحابه ومن تنفير النّاس عن البيعة الّتي عقدت حينئذ لمن عقدت له .

وكلّ هذا إذا تأمّله المنصف علم أنّ الشيعة أصابت في أمر وأخطأت في أمر .

أمّا الأمر الّذي أصابت فيه فقولها إنّه امتنع وتلكا و أراد الأمر لنفسه

وأما الأمر الذي أخطأت فيه فقولها إنّه كان منصوصاً عليه نصّاً جلياً بالخلافة تعلمها الصّحابة كلّها أو أكثرها وإنّ ذلك خولف طلباً للرياسة الدّنيويّة وايثاراً للعاجلة ، و إنّ حال المخالفين للنصّ لاتعدو أحد الأمرين إمّا الكفر أوالفسق فانّ قرائن الأحوال وأماراتها لاتدلّ على ذلك وإنّما تدلّ وتشهد بخلافه .

وهذا يقتضي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان في مبدء الأمر يظنّ أنّ العقد لغيره كان من غير نظر في المصلحة ، وأنّه لم يقصد به إلاّ صرف الأمر عنه والاستيثار عليه فظهر منه ماظهر من الامتناع والقعود في بيته إلى أن صحّ عنده وثبت في نفسه أنّهم أصابوا فيما فعلوه و أنّهم لم يميلوا إلى الهوى و لا أرادوا الدّنيا ، و إنّما فعلوا الأصلح في ظنونهم ، لأنّه رأى من بغض النّاس له و انحرافهم عنه و ميلهم عليه وثوران الأحقاد الّتي كانت في أنفسهم واحتدام النّيران الّتي كانت في قلوبهم ، و التّرات الّتي وترهم فيما قبل بها ، والدّماء الّتي سفكها منهم وأراقها ، وتعلّل طائفة اخرى منهم للعدول عنه عليه السلام بصغر سنّه واستهجانهم تقديم الشّاب على الشيوخ والكهول ، وتعلّل طائفة اخرى منهم بكراهيّة الجمع بين النّبوة و الخلافة في بيت واحد فيجفخون(١) على النّاس كما قاله من قاله ،و استصعاب قوم شكيمته و خوفهم شدّته و علمهم بأنّه لايداجي (٢) ولايحابي ولايراقب ولا يجامل (٣) في الدّين ، و انّ الخلافة تحتاج إلى من يجتهد برأيه و يعمل بموجب استصلاحه ، وانحراف قوم آخرين عنه كان للحسد الّذي كان له عندهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لشدّة اختصاصه له وتعظيمه ايّاه وما قال فيه فأكثر من النّصوص الدّالة على رفعة شأنه وعلوّ مكانه، وما اختصّ به من مصاهرته و اخوّته ونحو ذلك من أحواله معه

(١) أي يتكبّرون (٢) أي لايداري

(٣) جامله عامله بالجميل أوأحسن العشرة

و تنكر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب و التّيه كما زعموا و احتقاره العرب واستصغاره النّاس كماعدّدوه عليه و إن كانوا عندنا كاذبين ، و لكنّه قول قيل ، وأمرذكر، وحال نسبت إليه . وأعانهم عليها ما كان يصدرعنه من أقوال توهم مثل هذا نحو قوله : فانّا صنائع ربّنا والخلق بعد صنائع لنا ماصحّ به عنده أنّ الأمر لم يكن ليستتمّ له يوماً واحداً ولاينتظم ولايستمرّ ، وأنّه لوولي الأمرلفتقت العرب عليه فتقايكون فيه استيصال شافة الاسلام وهدم أركانه ، فأذعن بالبيعة وسمح إلى الطّاعة و أمسك عن طلب الامرة و إن كان على مضض و رمض ، وهذا المذهب هو أقصدالمذاهب وأصحّها ، وإليه يذهب أصحابنا المتأخّرون من البغداديّين وبه نقول .

قال : واعلم أنّ حال علي عليه السلام في هذا المعنى أشهرمن أن تحتاج في الدّلالة عليها إلى الاسهاب والاطناب ، فقدرأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافة بعدوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس وعشرين سنة ، وفي دون هذه المدّة تنسى الأحقاد وتموت التّرات وتبردالأكباد الحامية وتسلوالقلوب الواجدة ويعدم قرن من النّاس ويوجد قرن ولايبقي من أرباب تلك الشحناء والبغضاء إلاّ الأقلّ فكانت حاله بعد هذه المدّة الطويلة مع قريش كأنّها حالة لوأفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمّه من إظهار ما في النّفوس وهيجان ما في القلوب حتّى أنّ الأخلاف من قريش والأحداث و الفتيان الّذين لم يشهدوا وقايعه و فتكاته في أسلافهم و آبائهم فعلوابه مالو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله وتقاعست عن بلوغ شأوه ، فكيف كانت تكون حاله لوجلس على منبر الخلافة وسيفه بعد يقطردماً من مهج العرب لاسيّما من قريش الّذين بهم كان ينبغي لودهمه خطب أن يعتضد وعليهم كان وجب أن يعتمد إذا كانت تدرس أعلام الملّة وتتعفّي رسوم الشريعة وتعود الجاهليّة الجهلاء إلى حالها ويفسدما أصلحه رسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاث وعشرين في شهرواحد ، فكان من عناية الله تعالى بهذا الدّين أن ألهم الصّحابة مافعلوه ، والله متمّ نوره ولو كره المشركون، انتهى كلامه جزاه الله مايستحقّه

اقول : ويتوجّه عليه :

أولا أنّ قوله : إنّ هذا الكلام قد نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يناسبه ويجرى مجراه ولم يورّخ الوقت الّذى قاله فيه ولا الحالة الّتي عناها .

فيه إنّ تاريخ هذا الكلام بخصوصه هو أواخر خلافته بعد فتح مصر وشهادة محمّد بن أبي بكر ، ونظره فيه إلى مجلس الشّورى و عدولهم عنه إلى عثمان حسبما ظهر لك ذلك في شرح الخطبة السّادسة والعشرين عندما روينا عنه عليه السلام تمام الخطبة الّتي هذا الكلام ملتقط منها .

والعجب أنّ الشّارح المعتزلي رواها أيضاً في شرح الكلام السّابع والستين من كتاب الغارات كما روينا منه لكنّه أسقط صدرها اختصاراً أو اقتصاراً فلعلّه نسي ماقدّمه فجهل التّاريخ .

وأعجب من ذلك أنّ الشّارح البحراني لقصور باعه وقلّة اطّلاعه على الأخبار والسّير توهّم أنّه عليه السلام عني به السّايرين إلى البصرة حيث قال : ويشبه أن يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحة والزّبير إلى البصرة تظلّماً عليهما فيكون المفهوم من قوله عليه السلام : و أجمعوا على منازعتي حقّاً إنكار إجماعهم منازعة ذلك الحقّ ، هذا .

وأمّا مايجرى مجرى هذا الكلام ويناسبه فتاريخه بعد يوم السّقيفة إلى آخر عمره كما يقف عليه المتتبّع الخبير بالأخبار و النّاقد البصير بماقدّمناه في تضاعيف الشرح في غير موضع .

وثانياً أنّ ماحكاه من أكثر أصحابه المعتزلة من كراهتهم حمل أمثال هذا الكلام على التّألم من يوم السقيفة وعدم استنكافهم لحملها على التّظلم من يوم الشورى .

ففيه أنّ التفرقة بين اليومين شطط من الكلام كما اعترف به الشّارح نفسه أيضاً واعترض به على أصحابه ، و ذلك لأنّ كلماته المتضمّنة للتّظلم والشكاية من جميع الثلاثة فوق حدّ الاحصاء متجاوزة عن طور الاستقصاء ، وليس كلّها مجملا قابلا للحمل على يوم الشورى على زعمهم ، بل أكثرها نصّ في التّظلّم من الشيخين

وكثيرمنها عام لجميع الثلاثة ، وقليل منها ناظر إلى الشورى ، والمجمل منها إن كان فهوأقلّ القليل بل لاوجود له أصلا .

وثالثا أنّ ماحكاه من أصحابه وهومذهبه ومعتقده أيضاً وفاقاً لهم من قولهم : بأنّه ساغت إمامة غيره عليه السلام وصحّت لمانع كان فيه وهوماغلب على ظنون العاقدين للأمر من أنّ العرب لاتطيعه .

ففيه أنّه بعد اعترافهم و اتّفاقهم على أنّه عليه السلام الأولى و الأفضل المقتضى لأحقيّته بها بحكم العقل والنقل فكيف يجوز العدول إلى غيره بمجرّد الظنّ .

و قد نهى الله صريحاً عن اتّباع هذا الظنّ بخصوصه في قوله « أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمن لا يهدّى إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون ✿ و ما يتّبع أكثرهم إلاّ ظنّاً إنّ الظنّ لايغنى من الحقّ شيئاً إنّ الله عليم بما يفعلون»

وعموماً فى سايرالآيات الناهية عن العمل بالظنّ مثل قوله «وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتّبعون إلاّ الظنّ وإن هم إلاّ يخرصون» وقوله «قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتّبعون إلاّ الظنّ و إن أنتم إلاّ تخرصون» و قوله « وما لهم به من علم إن يتّبعون إلاّالظنّ وإنّ الظنّ لايغنى من الحقّ شيئاً فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحيوة الدّنيا✿ ذلك مبلغهم من العلم إنّ ربك أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهوأعلم بمن اهتدى» إلى غيرهذه ممّا لانطيل بذكرها .

و رابعاً أنّ قوله : وكلّ ذلك محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل والقرابة وليس بدالّ عندنا على وجود النصّ لأنه لوكان هناك نصّ لكان أقلّ كلفة وأسهل طريقاً وأسهل لما يريدتنا ولاً .

فيه أنّ إنكار النصّ كإنكار الأعمى للشمس فى رابعة النهار ، ونعم ماقيل :

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة　　فلاغرو أن يرتاب والصبح مسفر

وقد قدّمنا فى مقدّمات الخطبة الشقشقية من النصوص المتواترة والأدلّة العقلية والنقلية كتاباً وسنة مافيه كفاية لمن له إنصاف ودراية ، وقد احتجّ عليه السلام واحتجّ

أصحابه أيضاً بها على المتخلّفين يوم السقيفة والشورى حسبما مرّ تفصيلا في مقدّمات الخطبة المذكورة وغيرها من المواقع المناسبة في تضاعيف الشرح فانظر ماذا ترى لكنّهم خذلهم الله تعالى لم ينفعهم الذّكرى لما غلب عليهم من حبّ الرياسة واتّباع الهوى.

وخامساً أنّ خوفه عليه السّلام من القتل مما لاغبار عليه كما يشهد به مارواه الشارح نفسه هنا عن كثير من المحدّثين أنه عقيب يوم السقيفه تألّم وتظلّم واستنجد واستصرخ حيث ساموه الحضور و البيعة و قال مشيراً إلى قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله: ياابن امّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا أن يقتلونني.

ويشهد به أيضاً قوله في هذا الكلام الذي نحن في شرحه: فنظرت فاذاليس لي رافد ولاذابّ ولا مساعد إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن المنيّة و نظير ذلك في كلماته عليه السّلام لكثير كما هوغير خفيّ على الناقد البصير.

و سادسا قوله إنّ أمير المؤمنين كان في مبتدء الأمر يظنّ أنّ العقد لغيره كان من غير نظر في المصلحة إلى قوله وبه نقول.

محصله على طوله إنّ أمير المؤمنين لم يكن في بدء الأمر عالماً بما علم به أبوبكر و عمر من مصلحة الاسلام وظنّ أنّ قيامهما بالخلافة لمحض حبّ الرياسة والاستيثار عليه، و لذلك تظلّم وتألّم وأراد الأمر لنفسه، فلمّا استبان خلاف ظنّه و صحّ عنده أنّهم راعوا مصلحة الاسلام وأنّه لو قام به لم يكن ليتمّ له ولا ينقاد العرب للسّخائم الّتي في صدورهم أو غيرها من علل النّفوس بل يستأصل شافة الاسلام و ينهدم أركانه و يذهب عن أصله سكت و أمسك عن الطلب و بايع طوعاً و طاب به نفساً

و فيه أوّلا أنّ لازم ذلك أن يكون الأعرابيان الجاهلان الجلفان أعلم بمصالح الاسلام من باب مدينة العلم والحكمة، و كيف يمكن أن يخفى عليه عليه السّلام ما لم يخف على الأعرابي البوّال على عقبيه، وقد اعترفت المعتزلة أيضاً بكونه أكثر

علماً منهم كماهو قول الامامية .

و ثانياً أنه لو كان الأمر على مازعموا من أنه انكشف له خلاف ظنه وصح حقية غيره فأذعن بالبيعة و انقاد للطاعة لوجب له عليه السلام أن يستعتب و يعتذر و يستحل منهم حيث أساء الظن في حقهم ولوجب أن يترك التظلم والشكاية و التوجد مع أنه مازال متظلما إلى آخر عمره الشريف .

ألاترى إلى الخطبة الشقشقية المتضمنة للتظلم والشكوى من أولها إلى آخرها وقد خطبها بعد وقعة الخوارج في أواخر عمره كمايشهد به مضمونها.

وإلى ما قاله في سادس المختار من باب الخطب حين عزمه على المسير إلى البصرة لحرب الجمل من قوله : فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا.

وما قاله في الخطبة السادسة والعشرين التي خطبها بعد شهادة محمد بن أبي بكر وفتح مصر: فنظرت فاذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت إلى آخر مامر.

و ما قاله في المختار المأة والواحد والستين حين سأله بعض أصحابه كيف دفعكم القوم عن مقامكم و أنتم أحق به فقال : و أما الاستبداد علينا بهذا المقام و نحن الأعلون نسباً والأشدون بالرسول صلى الله عليه وآله نوطا فانها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله و المعود إليه القيامة إلى غير هذا مما تقدم في تضاعيف المتن والشرح.

والحاصل أن المعلوم من حاله عليه السلام عند المؤالف والمخالف أنه لم يكن طلبه للخلافة من حب الرياسة و السلطنة بل لاحكام أساس الدين وانتظام حال الاسلام والمسلمين فاذا حصل هذا الغرض بقيام غيره فضلاعن كونه أصلح به منه عليه السلام كمازعمه المعتزلة فوجب عليه أن يرضى منهم أشد الرضا و يشكر لهم ويقبل المنة منهم حيث رفعوا عن عاتقه ثقل ماحملوه لاأن يتظلم منهم و يتشكى عنهم و يزري عليهم دائما ليله و نهاره إلى آخر عمره .

و سابعا أن قوله : و اعلم أن حال علي عليه السلام في هذا المعنى أشهر من أن تحتاج

في الدّلالة عليها إلى الاسهاب و الاطناب إلى آخر قوله : و الله متمّ نوره و لو كره المشركون.

فيه أنّه من تسويلات نفوس المعتزلة وتمويهاتهم وتلبيساتهم ومزخرفاتهم الّتي أوحى بها إليهم أخوهم الشيطان كما قال عزّ وجلّ « و كذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الانس والجنّ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً»

و سبقهم إلى تلك المزخرفات اللّعين بن اللّعين ابن آكلة الأكباد معاوية بن أبي سفيان في كتابه الّذى كتبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فانّه كتب فيه:

و من قبل ذلك ما عيّبت خليفتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيّام حياتهما فقعدت عنهما وألبت عليهما و امتنعت من بيعتهما و رمت أمراً لم يرك الله تعالى له أهلا و رقيت سلّما وعراً و حاولت مقاماً دحصاً و ادّعيت مالم تجد عليه ناصراً ، و لعمرى لو ولّيتها حينئذ لما ازددت إلاّ فساداً و اضطراباً ، ولا أعقبت ولا يتكها إلاّ انتشاراً و ارتداداً ، لأنّك الشامخ بأنفه الذّاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه ويده.

فانّ قوله لعنه الله تعالى : لوولّيتها حينئذ لما ازددت إلاّ فساداً و اضطراباً ولاأعقبت ولايتكها إلاّ انتشاراً وارتداداً عين ما يقوله المعتزلة و يدين به ومحصّل ما زخرفه الشّارح ببياناته الطويلة المموّهة.

و يبطل جميع ما قاله و قالوه ما أبطل به الشارح نفسه قول معاوية ، فانّه عند شرح الثاني والسّتين من المختار في باب الكتب والرّسائل الّذي يأتى عنوانه من السّيد بقوله : و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً أمّا بعد فانّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الالفة والمحبة والجماعة آه أورد هناك الكتاب الّذي كتبه معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام المتضمّن لما قدّمنا ذكره ثمّ أجاب عن جميع ما أدرجه ذلك الملعون في كتابه بجواب مفصل إلى أن بلغ إلى قوله المتقدّم ذكره فقال فيه مالفظه:

فأمّا قوله : لوولّيتها حينئذ لفسد الأمر و اضطرب الاسلام فهذا علم غيب لايعلمه إلاّ الله و لعلّه عليه السلام لو ولّيها حينئذ لاستقام الأمر و صلح الاسلام و تمهّد

فانّه ماوقع الاضطراب عند ولايته بعد عثمان إلاّ لأنّ أمره عليه السلام هان عندهم بتأخّره عن الخلافة و تقدّم غيره عليه ، فصغر شأنه في النّفوس و قرّر من تقدّمه في قلوب النّاس أنّه لايصلح لها كلّ الصّلاحيّة ، والناس على ما يحصل في نفوسهم ولوكان ولّيها ابتداءاً و هو على تلك الجلالة الّتي كان عليها أيّام حياة رسول الله صلّى الله عليه و آله و تلك المنزلة الرّفيعة و الاختصاص الّذي كان له لكان الأمر غير الّذي رأيناه عند ولايته بعد عثمان ، انتهى كلامه .

أقول :فوا عجباً عجباً و مالي لاأعجب من الشارح فانّه مع هذاالكلام الّذي يبطل مذهب المعتزلة من أصله ويزعزع أركانه ويهدم أساسه وبنيانه كيف لايرفع يده عن ذيل مذهب الاعتزال أفيرضى العاقل أن يتديّن بدين بناؤه على الظنّ والتخريص والحسبان و يذعن بمحض الوهم و الاستحسان بصحّة ولاية الجبت و الطاغوت إن مثلهم إلاّ كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً و إنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت بل كمن أسّس بنيانه على شفا جرف هار فانها به في نار جهنّم ، هذا .

وقدمضى تحقيقات لطيفة في ما يتعلّق بهذا المعنى في مقدّمات الخطبة الشّقشقيّة.

الترجمة

از جمله كلام بلاغت نظام آن حضرتست در تظلم و شكايت از أهل شورى و غاصبان خلافت كه گفته :

بار إلها بدرستى كه من طلب اعانت و انتقام ميكنم از تو بر منافقان قريش، پس بدرستيكه ايشان بريدند ريسمان قرابت مرا و پشت رو كردند ظرف خلافت مرا ، و اتفاق كردند بر منازعت من در حقى كه من سزاوارتر بودم بآن از غير من و گفتند كه آگاه باش كه در حق است كه أخذ كنى تو خلافت را و در حق است كه ممنوع بشوى تو از آن ، پس صبر كن در حالت اندوه و غم يا بمير در حالت تأسف و حسرت ، پس نگاه كردم بكار خود پس آن زمان نبود مرا معينى و نه دفع كننده و نه ناصرى مگر أهل بيت خودم ، پس بخل ورزيدم بايشان از اينكه هدف تير مرگ نمايم ايشان را ، پس پوشانيدم چشم خود را بالاى چيزى كه اذيت

رساننده بود ، و بلعیدم آب دهان خود را بالای غم و غصه که گلو گیر بود، وصبر کردم از نگاه داشتن غیظ خود بر چیزی که تلخ‌تر بود از طعم درخت علقم وردناك‌تر بود مر قلب‌را از بریدن کارد بزرك بر آن.

گفته است سیدرضی رحمة‌الله علیه که گذشت‌این کلام در اثنای خطبهٔ که سابقاً گذشته بود لیکن من مکرر نمودم ذکر آن را در اینجا بجهت اختلاف دو روایت .

واز جملهٔ این کلام‌است در بیان‌سیر کنند گان‌بسوی‌شهر بصره ازبرای‌جنك با آن حضرت که طلحه و زبیر و عایشه و متابعان ایشان بودند میفرماید:

پس آمدند ایشان بر حاکمان من که در بصره بود و بر خزینه داران بیت المال مسلمانان که دردست‌تصرف‌من بود وبراهل شهری که همه ایشان در طاعت و بر بیعت من بودند ، پس مختلف ساختند کلمهٔ ایشان را ، و فاسدنمودندجمعیت آنها را ، و بر جستند بر شیعیان من ، پس کشتند طایفهٔ از ایشان را از راه مکر و حیله ، و طایفهٔ‌دیگرازایشان سخت گرفتند شمشیران خودشان را ، پس محاربه کردند با آنها تا اینکه ملاقات نمودند پروردگار را و بدرجهٔ شهادت رسیدند در حالتیکه صادق‌الاعتقاد بودند.

ومن كلام له عليه السلام و هو المأتان والسابع عشر من المختار فی باب الخطب

لمّا مرّ بطلحة و عبد الرّحمن بن عتاب بن اسيد وهما قتيلان يوم الجمل:

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُومُحَمَّدٍ بِهٰذَا الْمَكَانِ غَرِيباً ، أَما وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ ، أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ ، وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيانُ بَنِي جُمَحٍ ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْناقَهُمْ إِلىٰ

أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ ، فَوُقِصُوا دُونَهُ .

اللغة

(قريش) قبيلة و أبوهم النّضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقرشيّ ، وقيل: قريش هو فهد بن مالك و من لم يلده فليس بقرشيّ ، و أصل القرش الجمع وتقرشوا إذا تجمّعوا و بذلك سمّيت قريش لاجتماعها بعد تفرّقها في البلاد، و قيل قريش دابة تسكن البحر وبه سمّي الرجل قال الشّاعر:

و قريش هي الّتي تسكن البحر　　بها سمّيت قريش قريشاً

قالوا : إنّ النّضر بن كنانة ركب في البحر الهند فقالوا قريش كسرت مركبنا فرماها النّضر بالحراب فقتلها و حزّ رأسها و كان لها اذان كالشّراع تأكل ولاتؤكل و تعلو ولاتعلى فقدم به مكّة فنصبه على أبي قبيس فكان النّاس يتعجّبون من عظمه فيقولون : قتل النّضر قريشاً فكسر الاستعمال حتّى سمّوا النضر قريش و قيل في وجه التّسمية وجوه اخر لاحاجة إلى ذكرها.

و (القتلى) جمع قتيل كالجرحى و جريح و(الوتر) بكسر الواو الجناية الّتي يجنيها الرّجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى و (أفلت) الطاير و غيره افلاتا تخلّص و أفلتّه أنا إذا أطلقته وخلّصته يستعمل لازما و متعدّياً و انفلت وتفلت خرج بسرعة و (الأعيان) بالنّون الرّؤساء والأشراف ، و في بعض النّسخ بالرّاء المهملة جمع العير بفتح العين و جمع الجمع عيارات والعير الحمار و غلب على الوحشى و يقال أيضاً للسّيد و الملك.

و (بنى جمح) في نسخة الشّارح المعتزلي بضمّ الجيم و فتح الميم ، و في بعض النّسخ بسكون الميم و ما ظفرت بعد على ضبطه فيما عندي من كتب اللّغة و (التّلع) محرّكة طول العنق و تلع الرّجل من باب كرم و فرح طال عنقه فهو اتلع وتليع وتلع الرّجل من باب منع أخرج رأسه من كلّ شيء . كان فيه واتلع مدّ عنقه متطاولا و (وقص) عنقه كوعد كسرها فوقصت يستعمل لازما و متعدّيا ووقص الرّجل بالبناء على المفعول فهو موقوص.

الاعراب

الباء في قوله عليه السلام بهذا المكان بمعنى في، و في قوله أفلتتنى على الحذف والايصال أي أفلتت منّي ، و قوله أهله بالنّصب على أنّه خبر كان ويحتمل الانتصاب بحذف الجار فيكون الجار والمجرور خبراً لها أي لم يكونوا من أهله.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه الرّضي تكلّم به عند تطوافه على القتلى بعد انقضاء الحرب فانّه (لمّا مرّ بطلحة) بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرّة (و عبدالرحمن بن عتاب بن اسيد) بن أبي العيص بن اميّة ابن عبدشمس (وهما قتيلان يوم الجمل) وقف على جسد طلحة وقال :

(لقد أصبح أبو محمّد) و هو كنية طلحة(بهذا المكان غريباً) ووقف على جسد عبدالرّحمن بن عتاب و قال :لهفى عليك يعسوب قريش هذا فتى الفتيان هذا اللّباب المحض من بني عبدمناف شفيت نفسي و قتلت معشرى إلى الله عجرى و بجرى ، فقال له قائل : لشدّ ما أطريت الفتى يا أميرالمؤمنين منذ اليوم قال عليه السلام إنّه قام عنّي و عنه نسوة لم يقمن عنك ، هكذا نقله الشارح المعتزلى ، و قال أيضاً: وعبدالرحمن هذا هو الّذي احتملت العقاب كفّه يوم الجمل و فيها خاتمه فألقتها باليمامة فعرفت بخاتمه و عرف أهل اليمامة بالوقعة ، و قال أيضا: إنّه ليس بصحابيّ و لكنّه من التّابعين و أبوه عتاب بن اسيد من مسلمة الفتح ، و لمّا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكّة إلى حنين استعمله عليها فلم يزل أميرها حتّى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثمّ أقسم بالقسم البار فقال (أما و الله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب) أي مقتولين في معارك القتال مصر و عين تحت السّماء في الأودية و الفلوات بحالة الذّل والابتذال لايكنّهم كنّ ولايوارى أجسادهم سقف ولا ظلال .

و إنّما استكره عليه السلام قتلهم لأنّ المطلوب الذاتى للأنبياء والأولياء عليهم السلام

جذب الخلق إلى الحقّ وهدايتهم إلى الصراط المستقيم واستقامة امورهم في المعاش والمآب و حصول هذا المطلوب إنّما هو بوجودهم وحياتهم، فاهتداؤهم بنورهدايته يكون أحبّ إليه من موتهم على الضّلال.

و لذلك انّه عليه السلام لمّا استبطأ أصحابه اذنه لهم في القتال بصفّين أجاب لهم بقوله المتقدّم في الكلام الرّابع والخمسين : وأمّا قولكم شكّا في أهل الشّام فوالله ما دفعت الحرب يوما إلاّ و أنا أطمع أن تلحق بى طائفة فتهتدى بى وتعشو إلى ضوئى و ذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء بآثامها .

و تخصيص قريش بالذّكر لاقتضاء المقام و لمزيد حبّه لاهتدائهم بملاحظة الرّحم والقرابة .

و قوله (ادركت و ترى من بنى عبدمناف) قال الرّاوندي في محكيّ كلامه: يعنى طلحة والزّبير كانا من بنى عبد مناف و اعترض عليه الشارح المعتزلى بأنّ طلحة من تيم بن مرّة والزّبير من أسدبن عبدالعزّى بن قصيّ، و ليس منهما أحد من بنى عبدمناف وولد عبدمناف أربعة: هاشم ، وعبدشمس ، و نوفل ، والمطلب ،فكلّ من لم يكن من ولد عبد هؤلاء الأربعة، فليس من ولد عبدمناف ، وردّ بأنّهما من بنى عبد مناف من قبل الأمّ لامن قبل الأب .

و كيف كان فالمراد بقوله عليه السلام ادركت و ترى أدركت جنايتى الّتي جناها عليّ بنو عبد مناف ، والمراد بتلك الجناية ما فعلوها بالبصرة من قتل النّفوس ، و نهب بيت المال وغيرها ممّا كان راجعاً إليه عليه السلام فانّ الجناية على شيعته وبيت ماله جناية عليه.

و قوله (و أفلتتنى أعيان بنى جمح) أى ساداتهم و أوتادهم و على كون أعيار جمع عير بمعنى الحمار فهى استعارة بالكناية حيث شبّهوا بحمر مستنفرة فرّت من قسورة .

قال الشارح المعتزلى : بنوجمح من بنى حصيص بن كعب بن لوى بن غالب و اسم جمح تيم بن عمرو بن حصيص ، و قد كان مع عايشة منهم يوم الجمل جماعة

هربوا و لم يقتل منهم إلاّ اثنان فمن هرب و نجا بنفسه منهم عبدالله الطويل ابن صفوان بن اميّة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، و منهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن اميّة بن خلف ، و منهم عامر بن مسعود بن اميّة بن خلف كان يسمّى دحروجة الجعل لقصره و سواده، و منهم أيوب بن حبيب بن علقمة بن ربيعة الأعور ابن اهيب بن حذافة بن جمح، و قتل من بنى جمح مع عايشة عبدالرّحمن بن وهب بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافة و عبدالله بن ربيعة بن دراج بن العنبس بن دهيان ابن وهب بن حذافة لاأعرف من بنى جمح انّه قتل ذلك اليوم منهم غيرهما.

(لقد اتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله) أى مدّت قريش بالتطاول أعناقهم إلى الخلافة مع عدم استحقاقهم و أهليتهم لها (فوقصوا دونه) أى كسرت أعناقهم و اندقّت عند ذلك الأمر و هو كناية عن عدم نيلهم إلى المقصود و قتلهم قبل وصوله،خسروا الدّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

تذييل

روى في البحار من الكافية في إبطال توبة الخاطئة قال : روى خالد بن مخلّد عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام على طلحة و هو صريع فقال : اجلسوه ، فأُجلس ؛ فقال : أم و الله لقد كانت لك صحبة و لقد شهدت و سمعت و رأيت و لكن الشيطان أزاغك و أما لك فأوردك جهنّم.

وقد قدّمنا هذه الرّواية في شرح الكلام الثا نيعشر و كرّرنا هنا باقتضاء المقام و تقدّمت أيضا هناك مطالب نفيسة من أراد الاطلاع فليراجع ثمّة هذا.

وفى الارشاد و من كلامه عليه السلام عند تطوافه على القتلى : هذه قريش جدعت أنفى و شفيت نفسى لقد تقدّمت إليكم احذّركم عضّ السّيف و كنتم أحداثاً لا علم لكم بما ترون، و لكنّه الحين وسوء المصرع وأعوذ بالله من سوء المصرع

ثمّ مرّ على معيد بن المقداد فقال : رحم الله أبا هذا لو كان حيّا لكان رأيه أحسن من رأى هذا، فقال عمار بن ياسر : الحمدلله الّذى أوقعه و جعل خدّه الأسفل

أما والله يا أمير المؤمنين لا نبالي من عند عن الحق من والد و ولد ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : رحمك الله و جزاك عن الحق خيراً .

ومر بعبدالله بن ربيعة بن دراج في القتلي فقال : هذا البائس ماكان أخرجه أدين أخرجه أم نصر لعثمان ؟ والله ماكان رأى عثمان فيه ولافي أبيه بحسن .

ثم مر بمعبد بن زهير بن أبي امية فقال : لوكانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام والله ما كان فيها بذى نحيرة ولقد أخبرني من أدركه وأنه ليولول فرة من السيف .

ثم مر بمسلم بن قرظة فقال: البر أخرج هذا والله لقد كلمني أن اُكلم عثمان في شيء كان يدعيه قبله بمكة فأعطاه عثمان وقال : لولا أنت ما اعطيته ان هذا ما علمت بئس أخو العشيرة ثم جاء المشوم للحين ينصر عثمان .

ثم مر بعبدالله بن حميد بن زهير فقال : هذا أيضاً ممن أوضع في قتالنا زعم يطلب الله بذلك ولقد كتب إلي كتباً يؤذى عثمان فيها فأعطاه شيئاً فرضى عنه .

ثم مر بعبدالله بن حكيم بن حزام فقال ، هذا خالف أباه في الخروج وأبوه حين لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا وإن كان قد كف و جلس حين شك في القتال ما اُلوم اليوم من كف عنا وعن غيرنا ، ولكن المليم الذى يقاتلنا

ثم مر عليه السلام بعبدالله بن المغيرة بن الأخنس فقال : أما هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار فخرج مغضباً لقتل أبيه وهو غلام حدث جبن لقتله .

ثم مر عليه السلام بعبدالله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق فقال : اما هذا فكأني أنظر إليه وقد أخذ القوم السيوف هاربا يعدو من الصف فنهنهت عنه فلم يسمع من نهنهت حتى قتله وكان هذا مما خفى على فتيان قريش اغمار لاعلم لهم بالحرب خدعوا واستزلوا فلما وقفوا لججوا فقتلوا

ثم مشى قليلا فمر بكعب بن سور فقال : هذا الذى خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر امة يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم مافيه ، ثم استفتح فخاب كل جبار عنيد اما أنه دعا الله أن يقتلني فقتله الله ، اجلسوا كعب بن سور

فاُجلس فقال له أمير المؤمنين: يا كعب لقد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربّك حقاً ؟ ثمّ قال عليه السلام : اضجعوا كعبا.

و مرّ على طلحة بن عبيدالله فقال : هذا الناكث بيعتي والمنشيء الفتنة في الاُمّة والمجلب عليّ و الدّاعي إلى قتلي وقتل عترتي اجلسوا طلحة بن عبيدالله ، فاُجلس ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : يا طلحة قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّا ؟ ثمّ قال عليه السلام : اضجعوا طلحة .

وسار فقال له عليه السلام بعض من كان معه : أتكلّم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟ فقال عليه الصلاة و السلام : و الله لقد سمعوا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم بدر .

ايضاح

قوله « جدعت أنفي » أي قطعت والفاعل راجع إلى قريش و هو كناية عن جنايتهم التي جنوها عليه عليه السلام حسبما عرفت في شرح المتن ، وقال المحدّث العلامة المجلسيّ ره : جدعت أنفي أي لم أكن احبّ قتل هؤلاء وهم من قبيلتي وعشيرتي ولكن اضطررت إلى ذلك، انتهى ، وعلى تفسيره فجدعت بصيغة المتكلّم والأظهر أنه بصيغة الغائب كما قلناه و « العضّ » المسك بالأسنان فاستعير لحدّ السيف و « الحين » الهلاك .

قوله « ما كان بذي نخيرة » النخير صوت بالأنف أي كان يقيم الفتنة لكن لم يكن بعد قيامها صوت وحركة بل كان يخاف .

قوله « ويولول » يقال ولولت المرأة أعولت والفرق شدّة الفزع قوله « هذا ماعلمت » أي فيما علمت وفي علمي قوله « ممّن اوضع » على البناء على الفاعل أي ركض دابّته وأسرع أو على البناء على المفعول ، قال الجوهري : وضع الرّجل في تجارته واوضع على ما لم يسمّ فاعله فيهما أي خسر و « المليم » المذموم قوله « فنهنهت عنه » أي كففت وزجرت.

قوله « و كان هذا مما خفي على آه » قال العلاّمة المجلسيّ ره : أي لم أعلم

بوقت قتله فتيان قريش مبتدء و « الاغمار » جمع غمر بالضم وبضمّتين وهو الذين لم يجرّب الأمور انتهى .

« و لجج » السيف يلجج لججا من باب تعب أى نشب فلا يخرج و مكان لجج ضيق .

و « كعب بن سور » قاضى البصرة ولاه عمربن الخطاب على قضائها فلم يزل عليها حتى قتل عثمان فلما كان يوم الجمل خرج مع أهل البصرة وفى عنقه مصحف فقتل هو يومئذ وثلاثة اخوة له أو أربعة فجائت أُمّهم فوجدتهم فى القتلى فحملتهم وجملت تقول :

أيا عين ابكى بدمع سرب | على فتية من خيار العرب
فما ضرّهم غير جبن النفوس | و أىّ امرء لقريش غلب

قوله « ثمّ استفتح » تلميح إلى قوله تعالى : واستفتحوا فخاب كلّ جبار عنيد ، أى سألوا من الله الفتح على أعدائهم و « اجلب » عليه الناس أى حرّضهم و جمعهم و « القليب » البئر التى لم تطو يذكّر ويؤنث وكان حفر يوم بدر قليب الفى فيه القتلى من الكفار .

الترجمة

ازجملهٔ كلام آن امام است عليه وآله السلام وقتى كه مرور كرد به طلحه وعبدالرّحمن بن عتاب بن اسيد درحالتى كه كشته شده بودند درروز جنگ جمل مى فرمايد:

هر آينه بتحقيق صباح كرد أبو محمّد يعنى طلحه دراين مكان درحالتى كه غريبست آگاه باش قسم بخدا بتحقيق بودم من ناخوش مى گرفتم اينكه شوند طايفهٔ قريش كشته شدگان درزير شكم ستارگان ، دريافت نمودم جنايت خودرا ازپسران عبدمناف ورميدند و گريختند ازمن اشراف وبزرگان قبيلهٔ جمح ، بتحقيق دراز كردند ايشان يعنى قريش گردنهاى خودشانرا بسوى چيزيكه أهل آن نبودند ، يعنى طلب خلافت نمودند بدون استحقاق پس شكسته شد گردنهاى ايشان نزد آنچيز .

و من كلام له عليه السلام وهو المأتان والثامن عشر من المختار في باب الخطب

قَدْ أَحيا عَقْلَهُ وَأَماتَ نَفْسهُ ، حَتّىٰ دَقَّ جَلِيلُهُ ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ ، وَبَرَقَ لَهُ لامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ ، فَأَبانَ لَهُ الطَّرِيقَ ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ ، وَتَدافَعَتْهُ الْأَبْوابُ إِلىٰ بابِ السَّلامَةِ ، وَدارِ الْإِقامَةِ ، وَثَبَتَتْ رِجْلاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ ، بِما اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضىٰ رَبَّهُ .

اللغة

(دقّ) الشيء يدقّ دقة من باب ضرّ خلاف غلظ فهو دقيق وغلظ الشيء بالضمّ غلظا وزان عنب والاسم الغلظة وهو غليظ و (أبان) وبين وتبين واستبان كلّها بمعنى الوضوح والانكشاف وجميعها يستعمل لازماً ومتعدّيا إلاّ بان الثلاثى فلا يستعمل إلاّ لازماً قاله الفيومى .

الاعراب

جليله وغليظه مرفوعان على الفاعل للزوم فعليهما ، و الباء فى قوله سلك به للتعدية ، وفى قوله بطمأنينة بدنه للمصاحبة ، وفى قوله بما استعمل للسببية ، و كلتا الأخيرتين متعلقتان بقوله ثبتت .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام على غاية وجازته جامع لجميع صفات العارف الكامل

ولكيفيّة سلوكه ولمآل أمره ولعمري إنّه لايوجد كلام أوجزمن هذا الكلام في أداء هذا المعني ، وهوفي الحقيقة قطب دائرة العرفان و عليه مدارها ، وفي الايجاز الّذي هوفنّ نفيس من علم البلاغة تالي كلام الملك الرّحمن ، مثل قوله : «لكيلا تأسوا علىمافاتكم ولاتفرحوا بماآتاكم» الجامع للزّهد كلّه وقوله «خذ العفووأمر بالعرف وأعرض عنالجاهلين» الجامع لمكارم الأخلاق جميعاً ، وشرحه يحتاج إلى بسط فيالمقال بتوفيق الربّ المتعال فأقول مستعيناً بالله وبوليّه عليه السلام :

قوله عليه السلام (قدأحيا عقله وأمات نفسه) المراد بعقله العقل النظرى والعملي وبنفسه النفس الأمّارة بالسّوء والمرادبحياة الأوّل كونه منشئاً للآثار المترتّبة عليه مقتدراً على تحصيل الكمالات و المعارف الحقّة و مكارم الأخلاق المحصّلة للقرب والزّلفي لديه تعالى ، و بموت الثّاني بطلان تصرّفاته و آثاره المبعدة عنه عزّ وجلّ بحذا فيره ، فانّ الحياة و الموت عبارة اخرى عن الوجود و العدم لا أثر له أصلا .

و أراد باحيائه الأوّل و إماتته الثاني تقويته و تغليبه له عليه بحيث يكون الأوّل بمنزلة سلطان قادر قاهر يفعل مايشاء ويحكم مايريد ، والثاني بمنزلة عبد ذليلداخرمقهور لايرد ولايصدر إلاّ باذن مولاه .

ولا يحصل تقوية الأوّل و تذليل الثاني إلاّ بملازمة الكمالات العقلانية والمجاهدة والرّياضةالنفسانية ، والمجاهدة عبارة عن ذبح النفس بسيوف المخالفة كما قال تعالى « و أما من خاف مقام ربّه و نهى النفس عن الهوى فانّ الجنة هى المأوى» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث سرية و رجعوا : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغروبقى عليهم الجهاد الأكبر ، فقيل : يا رسولالله وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس .

وقال بعضأهلالعرفان : جاهدنفسكبأسيافالرّياضةوالرّياضةعلىأربعةأوجه القوت من الطعام ، و الغمض من المنام ، والحاجة من الكلام ، وحمل الأذى من جميع الأنام، فيتولّدمنقلّة الطعام موتالشهوات ، ومنقلّة المنام صفوالارادات ،

و من قلّة الكلام السّلامة من الآفات ، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات ، وليس على العبد شيء أشدّ من الحلم عند الجفا ، والصبر على الأذى ، وإذا تحرّكت من النّفس إرداة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جرّدت عليها سيوف قلة الطّعام من غمد التهجّد و قلة المنام و ضربتها بأيدى الخمول و قلّة الكلام حتّى تنقطع عن الظّلم و الانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام و تصفّيها من ظلّة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة و نورية خفيفة روحانيّة ، فتجول في ميدان الخير و تسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان و كالمسلك المتنزّه في البستان .

وقال أيضاً : أعداء الانسان ثلاثة : دنياه ، وشيطانه ، ونفسه ، فاحترس من الدّنيا بالزّهد فيها ، ومن الشّيطان بمخالفته ، ومن النفس بترك الشّهوات .

وتفصيل ذلك على ماقرّر في علم السّلوك إنّ للسّالك لطريق الحقّ المريد للوصول إلى حظيرة القدس شروطاً ووظايف لابدّ من ملازمتها .

أمّا الشروط الّتي لابدّ من تقديمها في الارادة فهي رفع الموانع والحجب الّتي بينه وبين الحقّ ، فانّ حرمان الخلق من الحقّ سببه تراكم الحجب ووقوع السّد على الطريق قال الله تعالى «وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لايبصرون» .

والسّد بين المريد وبين الحقّ ثلاثة : المال ، والجاه ، والمعصية ورفع حجاب المال إنّما يحصل بالخروج منه حتّى لا يبقي منه إلاّ قدر الضرورة فمادام يبقى له درهم ملتفت إليه فهو مقيّد به محجوب عن الله عزّ وجل ، ورفع حجاب الجاه إنما يحصل بالبعد من موضع الجاه و الهرب منه و ايثار خمول الذّكر ، و رفع حجاب المعصية إنما يحصل بالتّوبة و النّدم على مامضى من المعاصى و تدارك مافات من العبادات وردّ المظالم و إرضاء الخصوم

وإذا قدّم هذه الشّروط فلابدّ له من المواظبة على وظائف السّلوك ، و هى خمس : الجوع ، والصّمت ، والسّهر ، والعزلة ، والذّكر .

أمّا الجوع فانّه ينقص دم القلب ويبيضه و يلطفه و فى بياضهوتلطيفه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رقّته ورقته مفتاح انكشاف الحجب كما أنّ قساوته سبب الحجاب ، ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدوّ الشيطان فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : إنّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدّم فى العروق فضيّقوا مجاريه بالجوع ، أوقال بالصوم وفى حديث آخر ألا اخبركم بشىء ان أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال ﷺ : الصّوم يسوّد وجهه الحديث .

ففائدة الجوع فى كسر شهوات المعاصى كلّها والاستيلاء على النفس الأمّارة بالسوء أمر ظاهر لأنّ منشأ المعاصى كلّها الشهوات والقوى ومادّة القوى والشهوات لامحالة الأطعمة ، فتقليلها يضعف كلّ شهوة وقوّة ويكسر سورة النفس الأمّارة كالدابّة الجموح إذا شبعت شرّرت وجمحت لايمكن ضبطها باللجام وإذا جاعت ذلّلت وانقادت

و بالجملة فالشبع يورث القسوة و الشهوة والسبعية، والجوع يوجب الرّقة وانكسار الشهوة و الصولة ، وهو مشاهد بالتجربة ، ومن هنا قيل : مفتاح الدّنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع ، وقال النبىّ ﷺ من أجاع بطنه عظم فكرته وفطن قلبه و قال أيضاً أحيوا قلوبكم بقلّة الضحك وقلّة الشبع وطهّروها بالجوع تصفووترق .

وأما الصمت فينبغى أن لايتكلّم إلاّ بقدر الضرورة لأنّ الكلام يشغل القلب وميل القلوب إلى الكلام عظيم ، فانه يستروح اليه ويستثقل التجرّد للذّكر والفكر وفى الحديث طوبى لمن أنفق فضول ماله وأمسك عن فضول كلامه ؛ هذا فى الكلام المباح وأما الكلام الغير المباح من الكذب والنميمة والبهت وغيرها فبينه وبين السلوك إلى الحقّ بون بعيد بعد المشرقين .

وأما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوّره ولذلك مدح الله سبحانه المستغفرين بالأسحار لأنها أوقات صفاء الذّهن و نزول الرّحمة و الألطاف الالهيّة ، فيضاف صفاء السّهر إلى الصفاء الحاصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدّرىّ والمرآة المجلوة مستعداً لافاضة الأنوار الالهيّة ، فيلوح فيه سبحات جمال الحقّ ويشاهد

رفعة الدّرجات الأُخرويّة وعظم خطرها وخسّة الزّخارف الدّنيويّة و حقارتها، فتتمّ بذلك رغبته عن الدّنيا وشوقه إلى الآخرة، والسّهر أيضاً من خواصّ الجوع وبالشبع غير ممكن.

و أمّا العزلة والخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر، فانهما دهليز القلب والقلب بمنزلة حوض تنصبّ إليه مياه كريهة كدرة من مجارى الحواس والمقصود بالرّياضة تفريغ الحوض من المياه الردغة ومن الطّين الحاصل منها فينفجر أصل الحوض فيبع منه ماء نظيف سائغ صاف ولا يمكن نزح ماء الحوض والأنهار إليه مفتوحة فيتجدّد في كلّ حال أكثر ممّا ينقص.

قال الرّضا عليه التحيّة و الثناء إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة و لم يشغل قلبه بما تراه عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه الحديث.

فلابدّ من ضبط الحواس إلّا عن قدر الضرورة ولا يتمّ ذلك إلّا بالعزلة والخلوة.

قال بعض السّياحين: قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق إلى الحقّ؟ قال: أن تكون في الدّنيا كأنّك عابر طريق، وقلت له مرّة: دلّني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدّوام، فقال لى: لا تنظر إلى الخلق فانّ النّظر إليهم ظلمة، قلت: لابدّ لى من ذلك، قال: فلا تسمع كلامهم، فانّ فى سماع كلامهم قسوة، قلت: لابدّ لى من ذلك، قال: فلا تعاملهم فانّ معاملتهم وحشة، قلت: أنا بين أظهرهم لابدّ لى من معاملتهم، قال: فلا تسكن إليهم فانّ السكون إليهم هلكة، قال: قلت: هذا لعلّه يكون، قال يا هذا أتنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين و تريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدّوام، ولا يمكن ذلك إلّا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلّا بطول المجاهدة، وقد عرفت أنّ طريق المجاهدة مضادّة الشهوات ومخالفة هوى النّفس، فاذا حصل للسالك هذه المقدّمات اشتغل بذكر الله تعالى بالأذكار الشرعيّة من الصّلاة وتلاوة القرآن والأدعيّة المأثورة والتسبيح والتهليل وغير ذلك بلسانه وقلبه، فلا يزال يواظب عليها حتّى لا يبقى على قلبه ولسانه

غير ذكره تعالى . ولايكون له منظور غيره أصلا ، فعند ذلك يتجلّى له من أنوار جماله وسبحات عظمته وجلاله مالا يحيط به لسان الواصفين ، ويقصر عنه نعت الناعتين .

هذا من الشّرايط و الوظايف المقرّرة قد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام فى مطاوى كلماته وخطبه المتقدّمة وغيرها كثيراً .

مثل مارواه في الوسايل من أمالى ابن الشيخ قال روى انّ أمير المؤمنين عليه السلام خرج ذات ليلة من المسجد و كانت ليلة قمراء فأمّ الجبّانة ولحقه جماعة تقفون أثره فوقف عليهم ثمّ قال عليه السلام : من أنتم ؟ قالوا : شيعتك يا أمير المؤمنين ، فتفرّس في وجوههم قال : فمالى لاأرى عليكم سيماء الشّيعة ، قالوا : و ما سيماء الشيعة يا أمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام : صفر الوجوه من السّهر عمش العيون من البكاء حدب الظهور من القيام خمص البطون من الصّيام ذبل الشفّاه من الدّعاء عليهم غبرة الخاشعين .

و قال عليه السلام في الخطبة الثانية والثمانين : فاتّقوا الله تقاة ذى لبّ شغل التفكّر قلبه وأنصب الخوف بدنه و أسهر التهجّد غرار نومه وأظمأ الرّجاء هواجر يومه و أظلف الزّهد شهواته و أوجف الذّكر بلسانه و قدّم الخوف لابانه وتنكب المخالج عن وضح السبيل وسلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب .

وغير ذلك ممّا تقدّم في ضمن خطبه المسوقة فى الحثّ على الزهد و التقوى ووصف حال المتقين ولاحاجة إلى الاعادة .

ثمّ لايخفى عليك أنّ مطلوبيّة الاعتزال والخلوة إنّما هى للفراغ للذّكر والخلوة والعبادة وكون المعاشرة مانعة منه ، و أمّا إذا لم تكن المعاشرة مانعة بل تبعثه على سلوك الصّراط المستقيم كالجمعة والجماعات وزيارة الاخوان المؤمنين والاجتماع فى مجالس الذّكر و نحوها فهى من أعظم العبادات، وسلوك نهج الحقّ على ماذكرنا من الآداب والوظايف هو المتلقّى من صاحب الشرع .

و أمّا غيرها ممّا ذكره الصّوفية من الآداب و الوظايف فى المجاهدة و الرّياضة و كيفيّة السّلوك مثل قولهم بالجلوس فى بيت مظلم و الخلوة أربعين

يوماً ، واشتراطهم الاعتصام بالشيخ و كون السلوك بارشاده ، وقولهم بالمداومة على ذكر مخصوص ألقاه الشيخ إلى المريد من الأذكار الفتحيّة أو غيرها نحوها من الأذكار المبتدعة أو من الأذكار الشرعيّة لكن على هيئة مخصوصة وعدد مخصوص لم يرد به نصّ ، وقولهم بأنّ المريد إذ اتمّ مجاهدته ولم يبق في قلبه علاقة تشغله يلزم قلبه على الدّوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرايض والرواتب ويكون ورده ورداً واحداً وهو ملازمة القلب لذكر الله بعد الخلوّ عن ذكر غيره ، فعند ذلك يلزمه الشيخ زاوية ينفرد بها و يلقّنه ذكراً من الأذكار حتّى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا : الله الله أو سبحان الله أو مايراه الشيخ من الكلمات فلايزال يواظب عليه حتّى تسقط حركة اللّسان وتكون الكلمة كأنّها جارية على اللّسان من غير تحريك ، ثمّ لايزال يواظب عليه حتّى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثمّ لايزال كذلك حتّى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ من كلّ ماسواه و نحو ذلك مما قالوه فشيء منها لم يرد به اذن من الشارع بل هو من بدعاتهم التي أبدعوها اللهمّ إلاّ أن يستدلّ على الأخير أعني المواظبة على الذّكر باللسان و القلب على ما وصل بعمومات أدلّة الاكثار من ذكر الله والتفكر في الله .

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح المتن فأقول :

قوله عليه السلام (حتى دقّ جليله ولطف غليظه) غاية لاماتته لنفسه أولها ولاحيائه لعقله أيضاً . والجملة الثانية إما مؤكّدة للاُولى فالمعنى أنّ تكميله لعقله وتركه لشهوات نفسه انتهى إلى مرتبة أوجبت هزال جسمه ونحول بدنه ، أوالمراد بالجليل أعضاؤه العظام كالرأس واليدين و الفخذين والساقين ، و بالغليظ غيرها ، أو المراد بالأوّل عظامه وبالثاني جلده وأعصابه ، أو بالأوّل بدنه وبالثاني قلبه .

وعلى أىّ معني فالمقصود كونه ناحل الجسم ضعيف البدن إما من خوف الله تعالى وتحمله لمشاق العبادات أولجوعه و كفه عن الأكل والشرب وساير الشهوات .

كما قال عليه السلام في الخطبة المأة والثانية والتسعين في وصف المتقين : قدبراهم الخوف برى القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض .

وقال في الخطبة الثانية والثمانين : فاتّقوا الله تقيّة ذي لبّ شغل التفكر قلبه وأنصب الخوف بدنه ، أي أمرضه وأتعبه .

وقال في الخطبة المأة والتاسعة والخمسين حكاية عن كليم الله على نبيّنا وعليه السلام إذ يقول ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير: والله ماسأله إلاّ خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذّب لحمه .

وقوله عليه السلام (وبرق له لامع كثير البرق) الظاهر أنه عطف على سابقه فيكون هو أيضاً غاية لتكميل عقله وجهاد نفسه يعني أنه بلغ من كمال قوّته النظرية والعملية إلى مقام شروق الأنوار المعارف الالهية على مرآة سرّه فصار مشاهداً بعين بصيرته أنوار قدسه وسبحات وجهه عين اليقين .

كما أشار عليه السلام إليه في الخطبة السادسة والثمانين في وصف أحبّ عباد الله تعالى إليه عزّ وجلّ بقوله : فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس .

وقال زين العابدين وسيد السّاجدين عليه السلام **في** المناجاة التّاسعة من المناجاة الخمس عشرة وهى مناجاة المحبّين : يامن أنوار قدسه لأبصار محبّيه رائقة (١) وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة (٢)

وقال عليه السلام في المناجاة الثّانية عشر منها وهى مناجاة العارفين : إلهى فاجعلنا من الّذين ترسّخت أشجار الشّوق إليك في حدائق صدورهم ، وأخذت لوعة محبّتك بمجامع قلوبهم ، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون ، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون ، ومن حياض المحبّة بكاس الملاطفة يكرعون ، وشرايع المصافات يروون ، قد كشف الغطاء عن أبصارهم ، وانجلت ظلمة الرّيب عن عقائدهم في ضمائرهم

---

(١) الروق الصافي من الماء وغيره والعجب .

(٢) شفته شوقاً جلوته ودينار مشوف مجلو.

وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم ، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم، وعلت لسبق السّعادة فى الزّهادة هممهم ، وعذب فى معين المعاملة شربهم ، وطاب فى مجلس الانس سرّهم ، و أمن فى موطن المخافة سربهم ، و اطمأنّت بالرّجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم ، و تيقّنت بالفوز والفلاح أرواحهم ، وقرّت بالنّظر إلى محبوبهم أعينهم ، واستقرّ بادراك السؤل ونيل المأمول قرارهم، هذا.

ولأهل السّلوك والصّوفيّة كلام طويل فى البروق اللامعة أسندوها إلى الشّهود والمكاشفة .

قال الرّئيس أبوعليّ بن سينا فى محكيّ كلامه من الاشارات فى ذكر السّالك إلى مرتبة العرفان مالفظه :

ثمّ إنّه إذا بلغت به الرّياضة والارادة حدّاً ما عنت له خلسات من اطّلاع نور الحقّ عليه لذيذة كأنها بروق تومض إليه ثمّ تخمد عنه ، وهى الّتى تسمّى عندهم أوقاتاً و كلّ وقت يكتنفه وجداليه و وجد عليه ، ثمّ إنّه ليكثر عليه هذا الغواشى إذا أمعن فى الارتياض، ثمّ إنّه ليتوغّل فى ذلك حتّى يغشاه فى غير الارتياض فكلّما لمح شيئاً عاج منه إلى جانب القدس فتذكّر من أمره أمراً فغشيه غاش فيكاد يرى الحقّ في كلّ شيء ولعلّه إلى هذا الحدّ تستولى عليه غواشيه ويزول عن سكينته ويتنبّه جليسه لاستنفاره عن قراره ، فاذا طالت عليه الرّياضة لم يستنفره غاشية وهدى للتّأنس بما هو فيه ، ثم إنّه لتبلغ به الرّياضة مبلغا ينقلب له وقته سكينته فيصير المخطوب مألوفا والوميض شهابا بيّنا ، و يحصل له معارفه مستقرّة كأنّها صحبة مستمرّة ويستمتع فيها ببهجته فاذا انقلب عنها انقلب حيران أسفا .

وقال أبو القاسم القشيري فى رسالة القشيريّة : المحاضرة قبل المكاشفة فاذا حصلت المكاشفة فبعدها المشاهدة وقال: هى أرفع الدّرجات ، فالمحاضرة حضور القلب وقد تكون بتواترها البرهان والانسان بعد وراء السّتر و إن كان حاضراً باستيلاء سلطان الذكر، وأمّا المكاشفة فهى الحضور البيّن غير مفتقر إلى تأمل الدّليل وتطلّب السّبيل، ثمّ المشاهدة وهى وجود الحقّ من غير بقاء تهمة وقال أيضاً: هى ثلاث

مراتب : اللّوايح ، ثمّ اللّوامع ، ثمّ الطّوالع ، فاللّوايح كالبروق ما ظهرت حتّى استترت ، ثمّ اللوّامع وهي أظهر من اللّوايح وليس زوالها بتلك السّرعة فقد تبقى وقتين وثلاثة ولكن كما قيل: والعين باكية لم تشبع النظّرا ، فأصحاب هذا المقام بين روح وتوح لأنهّم بين كشف و ستر يلمع ثمّ يقطع لايستقرّ لهم نور النّهار حتّى تكرّ عليهم عساكر اللّيل ، ثمّ الطوالع وهي أبقى وقتاً وأقوى سلطاناً وأدوم مكثاً وأذهب للظّلمة وأنفى للتّهمة .

وقال عمرو بن عثمان المكّي: المشاهدة أن تتوالى أنوار التّجلّي على القلب من غير أن يتخلّلها ستر و لا انقطاع كما لو قدر اتصال البروق في اللّيلة المظلمة فكما أنّها تصير بذلك في ضوء النّهار فكذلك القلب إذا دام له التّجلّي منع النّهار فلا ليل وانشدوا شعراً :

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في النّاس سار
والنّاس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهّار

وقال الشّارح البحراني قوله عليه السلام: وبرق له لامع كثير البروق أشار باللاّمع إلى ما يعرض للسّالك عند بلوغ الارادة بالرّياضة به حدّاً ما من الخلسات إلى الجناب الأعلى فيظهر له أنوار إلهيّة لذيذة شبيهة بالبرق في سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللّوامع مسمّاة عند أهل الطّريقة أوقاتاً وكلّ وقت فانّه محفوف بوجد اليه ما قبله ووجد عليه ما بعده لأنّه لماذاق تلك اللذّة ثمّ فارقها حصل فيه حنين و أنين الي مافات منها ، ثمّ إنّ هذه اللوامع في مبدء الأمر تعرض له قليلا فاذا أمعن في الارتياض كثرت فأشار عليه السلام، باللاّمع إلى نفس ذلك النّور وبكثرة برقه الى كثرة عروضه بعد الامعان في الرّياضة، انتهى.

وهو كما ترى محصّل ما قدّمنا حكايته عن الشّيخ الرّئيس ومثل هذه المقالات في كتب المتصوّفة كثير لكنها لم يرد بها خبر من الأئمة عليهم السلام ، مع أنّهم رؤساء السّالكين وأقطاب العارفين ونادر في أخبارهم عليهم السلام مثل هذا الكلام لأمير المؤمنين

عليه السلام الّذى نحن فى شرحه ، فانّما هو من المجملات و حملها على مايوافق مذاق أهل الشّرع بأن يراد باللّوامع أنوار العلوم الحقّة ولوامع المعارف الالهيّة البالغة إلى مرتبة الكمال ومقام عين اليقين وببروقها فيضانها عليه من الحضرة الأعلى أولى ، والله العالم بحقايق كلام وليّه .

وقوله عليه السلام (فأبان له الطريق وسلك به السّبيل) أى أظهر ذلك البرق اللاّمع وأوضح له الطّريق المؤدّى إلى رضوانه وسلك به السّبيل المبلغ إلى جنانه وهو الطّريق المطلوب من الله تعالى الاهتداء إليه فى قوله : إهدنا الصّراط المستقيم

قال الصّادق عليه السلام فى تفسيره : يعنى أرشدنا للزوم الطّريق المؤدّى إلى محبّتك و المبلّغ إلى جنّتك والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام يعنى أدم لنا توفيقك الّذى أطعناك به فى ماضى أيامنا حتّى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمارنا

قال فى الصّافى : لمّا كان العبد محتاجاً إلى الهداية فى جميع أُموره آناً فآناً ولحظة فلحظة فادامة الهداية هى هداية أُخرى بعد الهداية الأُولى فتفسير الهداية بادامتها ليس خروجاً عن ظاهر اللفظ .

وفيه من معانى الأخبار عن الصّادق عليه السلام هى الطريق إلى معرفة الله و هما صراطان صراط فى الدّنيا وصراط فى الآخرة فأمّا الصّراط فى الدّنيا فهو الامام المفترض الطّاعة من عرفه فى الدّنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصّراط الذى هو جسر جهنّم فى الآخرة، ومن لم يعرفه فى الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط فى الآخرة فتردى فى نار جهنّم .

قال الفاضل الفيض بعد نقله لتلك الأخبار: ومآل الكلّ واحد عند العارفين بأسرارهم ، وبيانه على قدر فهمك :

أنّ لكلّ إنسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبليّة باطنية في الكمال و حركات نفسانيّة و طبيعيّة تنشؤ من تكرّر الأعمال و تنشؤ منها

المقامات والأحوال، فلا يزال ينتقل من صورة إلى صورة ومن خلق إلى خلق ومن عقيدة إلى عقيدة ومن حال إلى حال ومن مقام إلى مقام ومن كمال إلى كمال حتّى يتّصل بالعالم العقلي والمقرّبين ويلحق الملأ الأعلى والسابقين ان ساعده التّوفيق وكان من الكاملين، أو بأصحاب اليمين إن كان من المتوسّطين أو يحشر مع الشياطين وأصحاب الشّمال إن ولاه الشيطان و قارنه الخذلان في المآل' وهذا معنى الصّراط والمستقيم منه إذا سلكه سالكه وصله إلى الجنّة و هو ما يشتمل عليه الشّرع كما قال الله عزّ وجلّ «و إنّك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله» وهو صراط التّوحيد والمعرفة والتّوسط بين الأضداد في الأخلاق و التزام صوالح الأعمال، و بالجملة صورة الهدى الّذي أنشأه المؤمن لنفسه مادام في دار الدّنيا مقتدياً فيه بهدى إمامه و هو أدقّ من الشّعر و أحدّ من السّيف في المعنى مظلم لايهتدى إلاّ من جعل الله له نوراً كما يمشي به في الناس يسعى عليها على قدر أنوارهم، انتهى.

فان قلت : إنّ العارف إذا أحيا عقله و أمات نفسه فيكون واقعا قصد على الطريق و سالكا للسّبيل البتّة فما معنى قوله ﷺ : فأبان له الطريق آه ، فانّ ظاهره بمقتضى افادة الفاء للتّرتيب كون وضوحها وظهورها و سلوكها مترتّباً على الاحياء و الاماتة .

قلت : و إن كان المكمّل لعقله والمجاهد لنفسه سالكاً سبيل الحقّ، لكن في سلوك هذا السبيل احتمال خلجان الشكّ و طريان القواطع عن سلوكه بعروض الوساوس الشيطانيّة كما قال الله تعالى حكاية عنه «قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم* ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين» وأمّا بعدما أكمل عقله بعلم اليقين وأمات نفسه و استنار قلبه بأنوار العلم و المعارف و تجلّى عليه اللّوامع الغيبيّة و الألطاف الالهيّة و بلغ في الكمال إلى مرتبة عين اليقين فانّه يشاهد حينئذ بعين بصيرته الصراط المستقيم الّذى هو سبيل مقيم ، ويكون مشيه و سلوكه فيه بذلك النّور الّذي تجلّى له كما قال تعالى « يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله و آمنوا

برسوله يؤتكم كفلين من رحمته و يجعل لكم نوراً تمشون به» و إذا كان سلوكه به فلا يضلّ ولا يشقى ولحق بالملاء الأعلى.

(وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الاقامة) الظاهر أنّ المراد بالأبواب مقامات العارفين و درجات السّالكين اللاّتى بعضها فوق بعض ، و أراد بتدافعها إيّاه ترقيه من مقام إلى مقام و من درجة إلى درجة إلى أن ينتهى ترقّياته إلى مرتبة حقّ اليقين .

فوصل به الصراط الأقوم إلى باب الله الأعظم الّذى من دخل منه كان سالما فى الدّنيا من المعاطب والمهالك و من الزّيغ والضّلال ، و سالما في الآخرة من الخزى والنّكال ، و هو في الحقيقة باب دار السّلام الموعود للمذّكّرين في قوله «و هذا صراط ربّك مستقيماً قد فصّلنا الآيات لقوم يذّكّرون۞ لهم دار السلام عند ربّهم و هو وليّهم بما كانوا يعملون» والمدعوّ إليه في قوله «والله يدعو إلى دار السلام و يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » أى دار السلامة الدّائمة من كلّ آفة و بليّة ممّا يلقاه أهل النار والعذاب.

و وصل به أيضاً إلى دار الاقامة وهي دار المخلصين في التّوحيد في الدّنيا والمقيمين عليه وهم « الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا و أبشروا بالجنّة الّتى كنتم توعدون» والجنّات المخصوصة في الآخرة وهي «جنّات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب و لؤلؤاً ولباسهم فيها حرير۞ و قالوا الحمدلله الّذى أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور۞ الّذى أحلّنا دار المقامة لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب ».

قال في التّفسير : جنّات عدن أى جنّات إقامة و خلد وهى بطنان الجنّة أى وسطها ، وقيل :هى مدينة في الجنّة فيها الرّسل والأنبياء والشهداء وأئمّة الهدى والناس حولهم والجنان حولها ، و قيل : إنّ عدن أعلى درجة في الجنّة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطّاة من يوم خلقها الله حتّى ينزلها أهلها الأنبياء والصدّيقون والشهداء والصالحون و من شاء الله

(وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والرّاحة) يعني أنّه بعد اندفاعه إلى باب السلامة ودار الاقامة الّتي هي مقرّ الأمن والرّاحة استقرّ فيها ، وثبوت رجليه كناية عنه و حصل له برد اليقين الموجب للطمأنينة الكاملة و هو منتهى سير السالكين و غاية غايات المريدين و آخر مقامات العارفين ، وأعلى درجات المقرّبين.

و هو الّذى أشار إليه سيد الساجدين عليه السلام فيما قدّمنا حكايته عنه عليه السلام قريباً بقوله في وصف العارفين: وطاب في مجلس الانس سرّهم وأمن في موطن المخافة سربهم و اطمأنّت بالرّجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم و تيقّنت بالفوز و الفلاح أرواحهم و قرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم و استقرّ بادراك السؤل و نيل المأمول قرارهم

قال الشارح البحرانى : قوله : و ثبتت رجلاه آه إشارة إلى الطور الثاني للسالك فانّه مادام في مرتبة الوقت يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق في سرّه اضطراب و قلق ، لأنّ النفس إذا فاجاها أمر عظيم اضطربت و تقلقلت ، فاذا كثرت تلك الغواشي ألفتها بحيث لا تنزعج عنها ولا يضطرب لورودها عليها البدن بل يسكن ويطمئنّ لثبوت قدم عقله في درجة أعلى من درجات الجنّة الّتي هي قرار الأمن والرّاحة من عذاب الله . انتهى.

وهو متفرّع على ماقدّمنا حكايته عن المتصوّفة في شرح البروق اللاّمعة، و كلام السّجاد عليه السلام غير خال عن الاشارة إليه.

و يجوز أن يراد بقرار الأمن والرّاحة جنة الآخرة كما قال عليه السلام في الخطبة المأة والثانية والتسعين في وصف المتّقين : صبروا أيّاما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسّرها لهم ربّهم.

و قال تعالى « اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحيّة وسلاماً ✿ خالدين فيها حسنت مستقرّاً و مقاماً » و قال « والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب ✿ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار » و قال « انّ المتّقين في جنّات و عيون ✿ ادخلوها بسلام آمنين » أى يقال لهم : ادخلوا الجنات بسلامة من الآفات

و براءة من المكاره والمضرّات آمنين من الاخراج منها ساكني النفس إلى انتفاء الضّرر فيها قال الزّجاج: السلام اسم جامع لكلّ خير لأنّه يتضمّن السلامة و قول الملائكة ادخلوها بسلام بشارة لهم بعظيم الثواب.

و ذلك كلّه (بما استعمل قلبه و أرضى ربّه) أى حصول ذلك المقام العالى و نيل تلك الكرامات العظيمة له إنّما هو بسبب استعمال قلبه في الذّكر والتفكر في الله و إرضائه لربّه بالمجاهدة والرّياضات والملازمة على الطاعات والقربات، بل خلوّه عن الارادات والمرادات في جميع الحالات و جعل رضاه تابعاً لرضى مولاه لايشاء شيئاً إلاّ أن يشاء الله.

فينادى من عند ربّ العزّة بنداء « يا أيّتها النفس المطمئنّة ارجعى إلى ربّك راضية مرضيّة فادخلى في عبادى وادخلى جنّتى » و يدخل في حزب من قال تعالى فيهم «إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البريّة ✲ جزآئهم عند ربّهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشى ربّه» « دعويهم فيها سبحانك اللّهمّ و تحيّتهم فيها سلام و آخر دعويهم أن الحمد لله ربّ العالمين ».

الترجمة

از جمله كلام آن امام عاليمقام است عليه الصلاة و السلام در وصف عارف بحق مى‌فرمايد :

بتحقيق زنده كرده است او عقل خود را ، و كشته است نفس خود را تا اينكه ضعيف و نحيف شده أعضاى بزرك او ، و لطافت پيدا نموده اجزاى درشت او، و برق زده بقلب او نور ساطعى كه بغايت برّاقست ، پس ظاهر گردانيده آن نور از براى او راه حق را، و راه رفته بروشنى او در راه حق ، و دفع كرده او را درهاى فضل و كرامت بسوى در سلامت و خانهٔ خلود و اقامت ، و محكم شده پاهاى او با اطمينان و آرامى بدن او در قرار گاه ايمنى و استراحت بسبب استعمال قلب خود در تفكر و معرفت ، وراضى نمودن پروردگار خود را با جهاد نفس و مواظبت

طاعت و عبادت .

و من كلام له عليه السلام وهو المأتان و التاسع عشر من المختار في باب الخطب

بعد تلاوة ألهيكم التّكاثر حتّى زرتم المقابر ، و رواه في البحار من كتاب عيون الحكم و المواعظ لعليّ بن محمّد الواسطي مرسلا كما في المتن ، و شرحه في فصول :

الفصل الاول

يا لَهُ مَراماً ما أبْعَدَهُ ، وَ زَوْراً ما أغْفَلَهُ ، وَ خَطَراً ما أفْظَعَهُ ، لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أيَّ مُدَّكِرٍ ، وَ تَناوَشُوهُمْ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ ، أفَبِمَصارِعِ آبائِهِمْ يَفْخَرُونَ ، أمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكاثَرُونَ ، يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أجْساداً خَوَتْ ، وَ حَرَكاتٍ سَكَنَتْ ، وَ لَأنْ يَكُونُوا عِبَراً أحَقُّ مِنْ أنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً ، وَ لَأنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنابَ ذِلَّةٍ ، أحْجى مِنْ أنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقامَ عِزَّةٍ ، لَقَدْ نَظَرُوا إلَيْهِمْ بِأبْصارِ الْعَشْوَةِ ، وَ ضَرَبُوا مِنْهُمْ في غَمْرَةِ جَهالَةٍ.

وَ لَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصاتِ تِلْكَ الدِّيارِ الْخاوِيَةِ، وَ الرُّبُوعِ الْخالِيَةِ، لَقالَتْ: ذَهَبُوا فِي الْأرْضِ ضُلّالاً، وَ ذَهَبْتُمْ في أعْقابِهِمْ جُهّالاً ، تَطَؤُونَ

في هامِهِمْ، وَتَسْتَنْبِتُونَ في أَجْسادِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ فيما لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ فيما خَرَّبُوا، وَإِنَّما الأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَواكٍ وَنَوائِحُ عَلَيْكُمْ، أُولئِكُمْ سَلَفُ غايَتِكُمْ، وَفُرَّاطُ مَناهِلِكُمْ، الَّذِينَ كانَتْ لَهُمْ مَقاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَباتُ الْفَخْرِ مُلُوكاً وَسُوَقاً

سَلَكُوا في بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً، سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِمْ فيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا في فَجَواتِ قُبُورِهِمْ جَماداً لا يَنْمُونَ، وَضِماراً لا يُوجَدُونَ، لا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الأَهْوالِ، وَلا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الأَحْوالِ، وَلا يَحْفِلُونَ بِالرَّواجِفِ، وَلا يَأْذَنُونَ لِلْقَواصِفِ، غُيَّباً لا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُوداً لا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّما كانُوا جَميعاً فَتَشَتَّتُوا، وَآلافاً فَافْتَرَقُوا، وَما عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَبُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيارُهُمْ، وَلكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً، وَبِالْحَرَكاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّهُمْ في ارْتِجالِ الصِّفَةِ صَرْعى سُباتٍ.

اللغة

(الزّور) بفتح الزّاء و سكون الواو اسم يطلق على الواحد و الجمع كالضّيف فيراد به الزّائر والزّائرون و كذلك الزّور بضمّ الزّاء و فتح الواو و (الخطر) محرّكة الأشراف على الهلاك و (أي مذّكر) بصيغة اسم الفاعل من

التّذكير و في بعض النّسخ أي مدّكر مصدر ميميّ من الادكار و أصله مدتكر قلبت تاؤه دالا و ادغم و (خوت) الدّار و خويت خيا و خواء و خواية تهدّمت و خلت من أهلها ، و أرض خاوية خالية من أهلها ، و الخوا بالقصر والمدّ خلو الجوف من الطعام .

و (الجناب) بفتح الجيم الفناء و (الحجى) العقل والفطنة و هو حجى كفتى أي جدير و (العشوة) كالعشا مقصورة والعشاوة سوء البصر باللّيل و(ضرب) في الماء سبح وضرب في الأرض سار قال تعالى «إذا ضربتم في الأرض» و(غمرة) الشيء شدّته ومعظمه وغمر الماء كثر والغمر معظم البحر و(العرصة) كلّ بقعة من الدّور واسعة ليس فيها بناء والجمع عرصات وأعراص و عراص و (الرّبوع) جمع الرّبع وهي الدار حيث كانت والمحلّة والمنزل و (الهام) جمع الهامة وهي الرّاس.

و (تستنبتون) بالنون من النبات و يروى بالثاء المثلّثة بدل النون و(لفظه) رماه من فيه و (السّلف) محرّكة كلّ من تقدّمك من آبائك و أقوامك وغيرهم والجمع أسلاف و سلاف و (الغاية) الحدّ الّذي ينتهى إليه الشيء و (الفرط) محرّكة المتقدّم إلى الماء يطلق على الواحد والجمع و(المنهل) المشرب والموضع الّذي فيه المشرب والمنزل يكون بالمفازة .

و (المقاوم) المقامة كالمفاوز والمفازة وهي المجلس و قال الشارح المعتزلي جمع القوم وهي الخشبة الّتي يمسكها الحرّاث و(حلبات) جمع حلبة كعرصات وعرصة وهي الخيل تجمع للسباق من كلّ أوب لاتخرج من اصطبل واحد و (سوق) وزان صرد جمع سوقة بالضّم الرّعيّة و (الفجوات) جمع فجوة وهي الفرجة و ساحة الدّار و (لاينمون) بتخفيف الميم من نمى ينمى و ينمو نموّاً و نميّاً و نماء زاد و يروى بالتشديد من النّميمة و (الضّمار) وزان كتاب كلّ مالا يرجى رجوعه من المال والدّين و غيره .

و (حفل) القوم حفلا كاحتفل وتحفّل اجتمعوا و (اذن) إليه وله من باب علم استمع معجبا و (الآف)جمع آلف مثل زهّاد و زاهد و (ارتجل) الكلام تكلّم

به من غير أن يهيّأه و (صرعى) جمع صريع و هوالمصروع من الصّرع وهوالطرح على الأرض و (السّبات) كغراب النوم .

الاعراب

قوله عليه‌السلام : يالهمراماً ماأبعده، النّداء للتّعجب دخل على المتعجّب منه فان هذا النداء إنّما يستعمل في مقامين:

أحدهما أن يرى المتكلّم أمراً عظيما عجيباً فينادى جنسه كقولهم ياللماء وللدّواهى إذا تعجّبوا من كثرتهما .

والثانى أن يرى أمراً يستعظمه ، فينادى من له نسبة إليه ومكنة فيه نحو يا للعلماء و غلب في المنادى المتعجّب منه جرّه باللاّم كما في المنادى المستغاث وقد يستغنى عنها بالألف مثل يا عجباً .

والضمير في له مبهم يفسّره التّميز بعده ، و هذا من جملة المواضع التي جوّزوا فيها عود الضمير على المتأخّر لفظاً و رتبة كما في نعم رجلا زيد ، فانّ فاعل نعم ضمير يفسّره رجلا و كذلك قوله تعالى «ساء مثلا القوم» و «كبرت كلمة تخرج» و قال الزّمخشري في قوله تعالى «إن هى إلاّ حياتنا الدّنيا» هذا ضمير لايعلم مايعنى به إلاّ بمايتلوه ، و أصله إن الحياة إلاّ حياتنا الدّنيا ، ثمّ وضع هي موضع الحياة لأنّ الخبر يدلّ عليها و يبيّنها .

و مراماً منصوب على التّميز كما أشرنا إليه و هو رافع للابهام عن الضّمير مقدّر في المعنى بمن أى يالهمن مرام ، و جملة ماأبعده صفة لمراماً ، ومافيهاللتعجّب مبتدء خبره أبعده كما في قولهم ماأحسن زيداً قال سيبويه : هى نكرة تامّة بمعنى شيء لتضمّنها معني التعجّب وما بعدها من الجملة الفعليّة خبر وقال الفرّاء إنّها استفهاميّة وهوالمنقول عن الكوفيين وهو موافق لقولهم باسميّة افعل لأنّ الاستفهام المشوب بالتّعجب لايليه إلاّ الأسماء نحو «ما أصحاب اليمين» و «مالى لأرى الهدهد»

قوله : وزوراً ما أغفله ، مأخوذ من فعل مفتوح العين من باب قعد ولكن بعد نقله إلى فعل مضموم العين لتصريح علماء الأدبيّة بأنّ فعل التعجّب لايبنى إلاّ من

فعل مضموم العين في أصل الوضع أو من المنقول إلى فعل إذا كان من غيره نحو ما اضرب و ما اقتل ليدلّ بذلك على أنّ التعجّب منه صار كالغريزة لأنّ باب فعل موضوع لهذا المعنى.

و قوله: أيّ مذّكر، بنصب أيّ لكونها حالا من ضمير منهم كما في قولك مررت بزيد أيّ رجل أى كاملا في الرّجوليّة و قوله: أفي مصارع آبائهم الاستفهام للتّوبيخ والانكار، وقوله: يرتجعون منهم أجساداً الجملة لا محلّ لها من الاعراب لأنّها استيناف بيانيّ.

و قوله: الّذين كانت لهم مقاوم العزّ، الجملة في محلّ الرّفع صفة لفرّاط ولهم خبر كانت قدّم على الاسم للتوسّع و قوله: ملوكاً و سوقاً منتصبان على الحال من لهم، و جماداً و ضماراً حالان من ضمير أصبحوا إن كانت تامّة و إلاّ فخبران لها وقوله: طول عهدهم، متعلّق بقوله: عميت، وقدم عليه للتوسّع

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام مسوق في مقام الموعظة والنصيحة و ايقاظ المخاطبين من سبات الغفلة، و خصّهم على الاعتبار بالماضين من الآباء والأسلاف والأقرباء والالاف والأوكار بأهل المقابر حيث نزلوا من معاقل العزّ و ذروة القصور إلى وهدة القبور فعميت عنهم الآثار و انقطعت عنهم الأخبار.

قاله عليه السلام بعد تلاوة قوله تعالى: ألهيكم التكاثر حتّى زرتم المقابر، أى شغلكم التفاخر في الكثرة والتّغالب بها.

و ذكر المفسّرون في تفسيره وجهين:

الأوّل أنّ المراد به التّكاثر بالعدد روى انّ بنى عبدمناف و بنى سهم بن عمرو و تفاخروا و تعادّوا و تكاثروا بالسّادات والأشراف؛ فقال كلّ من الفريقين: نحن أكثر منكم سيّداً وأعزّ عزيزاً وأعظم نفراً، فكثرهم بنو عبدمناف فقال بنوسهم: انّ البغى أفنانا في الجاهليّة فعدّوا مجموع أحيائنا و أمواتنا مع مجموع أحيائكم وأمواتكم، ففعلوا فكثرهم، فنزلت الآية والمعنى أنّكم تكاثرتم بالأحياء

حتّى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى التّفاخر والتكاثر بالأموات فعبّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكّماً بهم ، و قيل : كانوا يزورون المقابر فيقولون : هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك.

الوجه الثاني أنّ المراد به التكاثر بالمال ، و المعنى ألهيكم التكاثر بالأموال وطلب تكثيرها والحرص على جمعها إلى أن متّم و قبرتم مضيّعين أعماركم في طلب الدّنيا معرضين عمّا يهمّكم من السعي للآخرة فتكون زيارة القبور كناية عن الموت.

وعلى كلا الوجهين فالآية واردة في مقام التّوبيخ والتقريع على التكاثر ، و حذف متعلّق ألهيكم ليذهب الوهم والخيال فيه كلّ مذهب ، فيعمّ جميع ما يحتمله المقام من الالهاء عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات في المعرفة والطاعة والتدبّر والتّفكر ، و محصّله إلهاء التكاثر بالأمور الدّنيويّة عن الأمور الدّينية و الأخرويّة .

و ربّما ايّد الوجه الثاني **بما روى** عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه تلا هذه السّورة فقال : يقول ابن آدم مالي مالي و مالك من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدّقت فأمضيت.

و يدلّ على الأوّل كلام أمير المؤمنين عليه السّلام هنا لانكاره عليهم التكاثر بعديد الهلكى والتفاخر بمصارع الآباء و تعجّبه من التكاثر والتفاخر مزيد التعجّب بقوله (ياله مراماً ما أبعده) و فيه من الدلالة على المبالغة في التعجّب مالا يخفى، حيث أتا بنداء التعجّب أولاً وبلام التعجّب ثانياً ، و بالضمير المبهم المفسّر بما بعده لوقعه في النفوس ثالثاً وبماء التعجّب رابعاً و بأفعل التعجّب خامساً والمعنى يا عجباً من مرام هو من البعد بمكان ، وبالغ في التعجّب به غايته.

والمراد بالمرام هو ما كان مقصدهم من التفاخر من إثبات الفخر والمنقبة لأنفسهم ولو بعدد الأموات، فبيّن عليه السّلام أنّ ذلك المرام بعيد جدّاً، لأنّ الفخر بالميّت كالفخر بالجماد في جنب الانسان فحصوله به غير ممكن وطلبه تحصيل لما يتحصّل، وما شأنه ذلك فهو أحرى بأن يتعجّب منه.

و بعد التنزّل عن ذلك نقول : إنّ التفاخر إنّما يكون باثبات الانسان نوعاً من أنواع الكمال لنفسه و خيال الكمال ثلاثة : أحدها في النفس ، والثاني في البدن والثالث فيما له ربط بالبدن من خارج

أما الذى في النفس فهى العلوم و المعارف والأخلاق الفاضلة الّتي بها تنال السّعادة الأبديّة.

و أمّا الّذى في البدن فهي الصحّة والجمال .

وأمّا الّذى له ربط بالبدن فقسمان : أحدهما ضرورىّ و هو المال والجاه ، والآخر غير ضرورىّ وهو القوم والأقرباء، وهذا الّذى عدّدناه في المرتبة الثالثة إنّما يراد كلّه للبدن بدليل أنّه إذا تألّم عضو من أعضائه يجعل المال و الجاه فداء له ، وأمّا الكمال البدنى من الصحّة و السلامة من الآفات فانّما يريده العقلا للنّيل به إلى الكمال النفسانى فانّه ما لم يكن صحيح البدن لا يتفرّغ لاكتساب الكمال النفسانى المحصّل للسعادة الدّائمة.

إذا عرفت ذلك فنقول : العاقل ينبغى أن يكون دائماً نظره إلى الأهمّ والأفضل و يقدّمه على غيره ، فالتّفاخر بكثرة العدد و كذا بالمال والجاه تفاخر بأحسن مراتب الكمال و مانع من تحصيل السعادة النفسانيّة بالعلم و العمل، فيكون ذلك ترجيحاً لأحسن المراتب في الكمال على أشرفها وأفضلها وهو مورد التّعجّب .

و قوله (وزوراً ما أغفله) والكلام في إفادته للمبالغة كالكلام في سابقه .

والمراد بالزّور الزائرون للمقابر المتفاخرون بهم و التّعجّب من غفلتهم لجعلهم الأموات الّتي هى محلّ الاعتبار مناطاً للافتخار و موضع العبرة عدداً للكثرة غافلين عن الصّواب معرضين عمّا ينفعهم في المآب.

و فيه أيضاً من الدّلالة على تماديهم في الغفلة مالايخفى ، لاشتراطهم في فعل التعجّب أن لايبني إلاّ ممّا وقع و استمرّ حتّى يستحقّ أن يتعجّب منه، ويضاف إلى ذلك ما قدّمناه من اشتراطهم أيضاً بنائه من فعل مضموم العين ليدلّ على أنّ المتعجّب منه صار كالغريزة .

و قوله (و خطراً ما أفظعه) والكلام فيه كمافى سابقيه .

والمراد بالخطر الهلاك هلاك من في المقابر المشار إليه بقوله تعالى «زرتم المقابر» وأشار عليه السلام بقوله : ما أفظعه إلى شدّة شناعته وغاية قباحته ، لأنّ كلّ شنيع حقير عند شناعة الموت ، فانّ المرء عند الموت و حالة الاحتضار في سكرة ملهية و غمرة كارثة و أنّة موجعة و جذبة مكربة و سوقة متعبة ، و هو بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردّد طرفه بالنظر في وجوههم يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ، ثمّ قبض بصره كما قبض سمعه و بعد ما خرج الرّوح من جسده صار جيفة بين أهله قد أوحشوا من جانبه و تباعدوا من قربه ، ثمّ حمل إلى دار غربته و منقطع زورته ، و ابتلى هنا لك ببهتة السؤال و عثرة الامتحان متقلّباً بين أطوار الموتات و عقوبات الساعات و نزل الحميم و تصلية الجحيم ، فأىّ شيء يكون أعظم فظاعة منه .

ولمّا نبه عليه السلام على عظم فظاعة هلاك المزورين تعريضاً به على الزّائرين حيث لم يعتبروا بهم مع كونهم محلّ العبرة أكّده بقوله :

(لقد استخلوا منهم أىّ مذّكر) أى استخلوا الدّيار ، فالمفعول محذوف والمعنى أنّ الزّائرين المتفاخرين بالأموات و جدوا الدّيار خالية منهم أى من المزورين حالكونهم كاملين في التّذكير والادكار

و هذا المعنى أقرب و أنسب ممّا ذكره الشارح المعتزلي حيث قال : أراد باستخلوا ذكر من خلا من آبائهم أى من مضى ، والمعنى أنّه عليه السلام استعظم ما يوجبه حديثهم عمّا خلا و عمّن خلامن أسلافهم و آثار أسلافهم من التّذكير فقال أىّ مذّكر وواعظ في ذلك.

(و تناوشوهم من مكان بعيد) أى تناولوهم من مكان بعيد بينهم وبينهم بعد المشرقين بل يزيد لبقاء المتناوشين في الدّنيا و مصير الآخرين إلى الآخرة فكيف يمكن لمن في الدّنيا تناول من في الآخرة و تفاخره به و كسب الفخر و الشرف منه لنفسه وقد قال تعالى في عكس ذلك «و أنّى لهم التّناوش من مكان بعيد» أى كيف يمكن لهم تناول الايمان في الآخرة وقد كفروا به في الدّنيا ، يعني ما محلّه الدّنيا لا يمكن أن يتناوله من هو في الآخرة لغاية بعد الدّارين وتباعد النّشأتين.

و لمّا ذكر تناوشهم من مكان بعيد تعريضاً به عليهم أردفه بقوله (أفبمصارع آبائهم يفخرون) تقريعاً و توبيخاً ، و أكّد بقوله (أم بعديد الهلكى يتكاثرون) انكاراً .

ولما كان هنا مقام أن يسأل عن علّة إنكاره للتكاثر بالهلكى وجهة تقريعه و توبيخه لهم به أجاب عن ذلك بقوله (يرتجعون منهم أجساداً) يعنى استحقاقهم للتّوبيخ والملام من جهة أنّهم يطلبون من الهلكى رجوع أجسادهم إلى الدنيا وهو طلب غير عقلانى لأنّ تلك الأجساد قد (خوت) أى خلت من الأرواح و ارتفعت عليها الحياة فرجوعها إلى الدّنيا محال وطالب المحال يعدّ في زمرة السفهاء ويستحقّ الطعن والتعزير والانكار .

فان قلت : مامعنى ارتجاعهم للأجساد ؟

قلت : إنّهم حيث تكاثروا بالأموات و تفاخروا بهم فكأنّهم طلبوا منهم أن يرجعوا إلى الدّنيا ويدخلوا في حزبهم فيكثر بهم عددهم ويتمّ به فخرهم وشرفهم.

(و) يطلبون أيضاً رجوع (حركات سكنت) أى يرتجعون من الأموات حركات أبدانهم ليتحرّكوا إليهم و يدخلوا في زمرتهم ، و هو أيضاً طلب للمحال لأنّ تلك الحركات قد فنت و نفدت و تبدّلت بالسّكون بطروّ الموت عليها وما هو كذلك فلايطلبه العاقل .

ثمّ أكّد التّوبيخ بقوله (ولأن يكونوا عبراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً) لأنّ مقامهم مقام الاعتبار لامقام الافتخار (و لأن يهبطوا بهم جناب ذلّة أحجى) و أجدر (من أن يقوموا بهم مقام عزّة) لأنّهم بأنفسهم في بيت الوحدة ودار الوحشة على غاية الابتذال والذلّة صار و اعظاماً نخرة و أجزاء متفتّتة وجيفاً منتنة يهرب منها الحيوان و يتنفّر منها كلّ انسان و يكرهها لشدّة الانتان بل صاروا أوراثاً في أجواف الدّيدان ، و من هذا حاله فينبغي أن يهرب منه و يتنفّر لا أن يتعزّز بـه و يفتخر ، بل ينبغي أن يدفع قرابته و تنكر لأنّ النّسبة إليه تورث الذلّة وتبطل العزّة بجلب الابتذال والانكسار لاالشرف والافتخار .

(لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة) أى بأبصار مريضة و لذلك خفيت عليهم معايبهم (و ضربوا منهم في غمرة جهالة) أى خاضوا من ذكر هؤلاء الموتى في بحر الجهل والغفلة و لذلك افتخروا بمصارعهم.

(و لو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدّيار) أى ديارهم (الخاوية) منهم (والرّبوع) أى منازلهم (الخالية) عنهم (لقالت) بلسان حالها (ذهبوا في الأرض ضلاّلا) هالكين (وذهبتم في أعقابهم جهّالا) غافلين (تطأون في هامهم) أى تمشون في رؤوسهم ؛ و تخصيصها بالذّكر لأنّها أشرف الأعضاء و الوطيء عليها أبلغ في إظهار استهانتهم المنافية للمفاخرة بهم المسوق له الكلام، وقد أخذ أبو العلاء المعرّي هذا المعنى في نظمه قال :

خفّف الوطيء ما أظنّ اديم — الأرض إلاّ من هذه الأجساد
ربّ لحد قد صار لحداً مراراً — ضاحك من تزاحم الأضداد
و دفين على بقايا دفين — من عهود الآباء و الأجداد
صاح هذا قبورنا تملاء الأرض — فأين القبور من عهد عاد
سران استطعت في الهواء رويداً — لا اختيالا على رقاب العباد

(و تستنبتون في أجسادهم) أى تنبتون فيها النباتات و تزرعون الزّراعات لأنّ أديم الأرض الظاهر إذا كان من أبدان الأموات يكون الزّرع لامحالة في التّراب المستحيل من أجزاء الحيوانات ، و على رواية تستثبتون بالثّاء فالمراد أنّكم تنصبون في أجسادهم الأشياء المثبتة من الأوتاد و الدّعائم و الأساطين و غير ها .

(و ترتعون فيما لفظوا) أى تأكلون ممّا تركوا (و تسكنون فيما خرّبوا) أى تسكنون في بيوت ارتحلوا عنها و فارقوها ، فانّ البيوت إنّما تكون عامرة بأهلها ، فالتخريب كناية عن الارتحال أو المراد أنّهم لم يعمروها بالعبادة و الطاعات و قد فسّرت العمارة في قوله تعالى « إنّما يعمر مساجد الله من آمن بالله » بذلك قالوا : عمارتها شغلها بالعبادة و تجنّب أعمال الدّنيا و اللّهو و إكثار زيارتها .

وقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : قال الله تعالى : إنّ بيوتى في الأرض المساجد وإنّ زوّارى فيها عمّارها فطوبى لعبد تطهّر في بيته ثمّ زارني في بيتى فحقّ على المزور أن يكرم زائره .

(و إنّما الأيام بينكم و بينهم بواك و نوائح عليكم) يعنى الأيام والليالى الّتي بينكم و بين الأموات وهى بقيّة زمان حياتكم وتحدو كم لالتحاقكم بهم تبكى و تنوح عليكم لمفارقتها إيّاكم .

(اولئكم سلف غايتكم) أى المتقدّمون إلى الموت الّذى هو غايتكم وغايتهم لانتهاء كلّ ذى روح إليها (و فرّاط مناهلكم) أى سابقوكم إلى مشارب الآخرة و منازلها وردّوا إليها فشربوا من كأس الموت المصبّرة و تجرّعوا من نغب سهام الآخرة و غصص أقداح البرزخ جرعة بعد جرعة.

(الّذين كانت لهم مقاوم العزّ) أى مجالسه (و حلبات الفخر) أى خيل السّباق و الصافنات الجياد الّتي يفتخر بها ، و يحتمل أن تكون حلبات الفخر استعارة عن أسباب الفخر الّتي توجّهت إليهم من كلّ جهة كما تجمع الحلبات من كلّ اوب (ملوكا وسوقا) أى بعضهم سلاطين و بعضهم رعايا.

(سلكوا في بطون البرزخ سبيلا) قال الشارح المعتزلي البرزخ الحاجز بين الشيئين والبرزخ ما بين الدّنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فيجوز أن يكون البرزخ في هذا الموضع القبر لأنّه حاجز بين الميّت وبين أهل الدّنيا ، و يجوز أن يريد به الوقت الّذى بين حال الموت إلى حال النشور، والأوّل أقرب إلى مراده عليه السلام لأنّه قال : في بطون البرزخ ولفظة البطون يدلّ على التفسير الأوّل ، انتهى .

اقول أمّا أنّ البرزخ بمعنى الحاجز فعليه قوله تعالى «بينهما برزخ لا يبغيان» و أمّا أنّه من حين الموت إلى وقت البعث فعليه قوله تعالي «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون».

و أمّا كونه بمعنى القبر فيدلّ عليه ما في البحار عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه تلا هذه الآية و قال : هو القبر ؛ و انّ لهم فيه لمعيشة ضنكا ، والله إنّ القبر

لروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ، و في مجمع البحرين في حديث الصادق عليه السلام البرزخ القبر و هو الثواب و العقاب و بين الدّنيا والآخرة .

و أما أنّ المراد بالبرزخ هنا القبر فيؤيّده ما روى عن بعض النسخ من بطون القبور بدل بطون البرزخ .

و أما تأييد إرادته بلفظة البطون كما زعمه الشارح فلا ، بل دلالتها على المعنى الثاني أظهر ، إذ لو أراد الأوّل لكان الأنسب أن يقال في بطن البرزخ بصيغة المفرد و إن كان يمكن تصحيحه بجعل اللاّم في البرزخ للجنس و لعلّ نظر الشارح إلى أنّ البرزخ بالمعنى الثاني ليس له بطن بخلاف القبر . و يدفعه أنّ بطن كلّ شيء جوفه و ما خفى منه فيراد ببطون البرزخ على المعنى الثاني ماخفى علينا و احتجب عنّا نشآته و حالاته .

و كيف كان شبّه مكثهم في البرزخ إلى حين البعث الّذى هو غايتهم بمن سلك طريقاً يسلك به إلى منزله ، فاستعار عليه السلام له لفظ السّلوك .

ثمّ أشار عليه السلام إلى بعض حالاتهم البرزخيّة فقال (سلطت الأرض عليهم فيه) أى في البرزخ (فأكلت لحومهم و شربت من دمائهم) نسبة الأكل والشرب إلى الأرض من باب المجاز والاستعارة ، فانّ المأكول والمشروب يصيران جزء من بدن الآكل الشّارب ، فحيث إنّ أبدانهم في البرزخ تصير بعد البلى تراباً و تنقلب بالأجزاء الأرضيّة فكان الأرض كانت لهم آكلة شاربة .

(فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لاينمون) أى صاروا في فرج القبور بمنزلة الجماد الّذى لاينمو ولايزيد لبطلان حياتهم بالموت ، والنّمو والزّيادة من توابع الحياة (و ضماراً لايوجدون) كناية عن كونهم غيّباً لايرجى رجوعهم .

(لايفزعهم ورود الأهوال) أى لايخافون من توارد أهاويل الدّنيا وأفزاعها عليهم لخروجهم منها و كونهم من أهل العالم الآخر (ولايحزنهم تنكّر الأحوال) أى تقلّب الحالات الدنيويّة و تغيّراتها الموجبة لحزن أهلها .

(ولايحفلون بالرّواجف) أي لايجتمعون بالزّلازل ولا يبالون بها ، و لعلّه كناية عن عدم مبالاتهم بالدّواهى الدّنيويّة الموقعة في الاضطراب (ولاياذنون للقواصف) أي لايصغون إلى الأصوات الشديدة الهايلة كصوت الرّعد والأعاصير و غيرها .

(غيباً لاينتظرون)أي لاينتظر النّاس عودهم (وشهوداًلايحضرون)أي شاهدين صورةحاضرين بالأبدان غيرحاضرين حقيقة لغيابهم بالأرواح (وإنّما كانواجميعاً فتشتّتوا) وكانوا مجتمعين فتفرّقوا(والاّفأفافترقوا) أى مؤتلفين فافترقوابالموت كما قال الشّاعر :

و كنّا باجتماع كالثّريّا ففرّقنا الزّمان بنات نعش

(و ما عن طول عهدهم) و زمانهم (و) لا(بعد محلّهم) و مكانهم (عميت) أى خفيت (أخبارهم و صمّت ديارهم) إسنادالصّمم إلى الدّيار من التّوسع كما في قولهم : سال الميزاب و جرى النّهر.

و المراد أنّ خفاء أخبارهم عن الأحياء ليس من جهة طول العهد وبعد المكان بين الطرفين ، وكذلك صمم ديارهم أي قبورهم و مزارهم حيث لا تجيب داعياً ولاتكلّم منادياً ليس من جهة عدم وصول ندائهم و بلوغ أصواتهم إليهابعد المسافة (و لكنّهم سقوا كأساً) اليؤس للتفخيم أى كأساً و بيئة فيها سمّ ناقع شديدالمرارة عظيم التّأثير وهي كأس الموت (بدّلتهم بالنطق خرساً) فلايستطيعون أن يجيبوا داعياً ولا أن يخبروا عن حالهم و(بالسّمع صمما) فلايقدرون أن يستمعوا منادياً و يردّوا جواب كلامه(و بالحركات سكوناً) أى حركات الألسنةوالصماخ و ساير الأعضاء و الجوارح سكونها ، فعجزوا عن التّكلّم و الاصغاء وعن الحركة والسّعى إلى الاحياء و عن ايصال أحوالهم إليهم.

(فكأنّهم في ارتجال الصّفة صرعى سبات) يعنى إذا وصفهم واصف مرتجلا بلاسبق تأمّل و رويّة شبّههم بمصروعى سبات أى يقول إنّهم سقطوا في الأرض للنّوم فانّ النّوم والموت أخوان ولا شيء أشدّ شباهة من النّائم بالميّت ولا من

الميّت بالنّائم ·

وقد أخذ الماتن الشريف أبو الحسن الرّضي معنى الفقرات الأخيرة في نظمه حيث قال :

و لقد حفظت له فأين حفاظه ... و لقد و فيت له فأين وفاؤه
أدعا الدّعاء فلم يجبه قطيعة ... أم ضلّ عنه من البعاد دعاؤه
هيهات أصبح سمعه و عيانه ... في التّرب قد حجبتهما افذاؤه
يمسى و لين مهاده حصباؤه ... فيه و مونس ليله ظلماؤه
قد قلّبت أعيانه و تنكّرت ... أعلامه و تكشّفت أضواؤه
معف و ليس للذّة إعفاؤه ... مغض و ليس لفكرة أغضاؤه

والبيت الأخير مأخوذ من آخر كلامه عليه السلام و هو قوله : صرعى سبات

الترجمة

از جمله كلام بلاغت و فصاحت نظام آن امام رفيع المقامست بعد از تلاوت آيۀ مباركۀ ألهيكم التّكاثر حتّى زرتم المقابر.

مرويست از مقاتل و كلبى كه بنى عبدمناف و بنى سهم بريكديگر تفاخر كردند بكثرت مردم قبيله و هر يكى گفتند كه مردمان ما بيشترند و سادات و أشراف در ميان ما زيادتر ، چون تعداد مردمان يكديگر كردند وهمه‌را شمردند بنى عبد مناف غالب آمدند . بنى سهم گفتند بسيارى از مردمان ما را در زمان جاهليت كشتند بايد مرده و زندۀ قبيلۀ طرفين را بشماريم ، چون بدين نوع شمردند بنى سهم زياد آمد ، حق سبحانه و تعالى در مذمّت ايشان سوره تكاثر را نازل ساخت ؛ وفرمود «ألهيكم التكاثر » يعنى مشغول كرد شما را مفاخرت بر يكديگر به‌بسيارى قبيله« حتّى زرتم المقابر » تا اينكه گورستانها را زيارت كرديد يعنى از زندگان گذشتيد و مردگان را بشمار آورديد حضرت أميرمؤمنان بعد از تلاوة اين آيه فرمودند.

أى بسا تعجّب أز مقصوديكه چه قدر دور است آن ، و از زيارت كنندۀ

قبوری که چه أندازه با غفلتست آن ، و از هلاکتی که بسیار زشت و شنیع است آن، بتحقیق که خالی یافتند شهرها را از ایشان در حالتی که کامل یاد آورنده بودند و تناول کردند ایشان رااز مکان دوری ، پس آیا به مکانهای افتادن ومردن پدران خود فخر می کنند ، یا بشمارهٔ هلاك شدگان اظهار کثرت می نمایند، طلب بر گشتن می کنند ازایشان بدنهائی را که افتاده‌اند بزمین ، وحرکاتی را که مبدل شده بسکون ، و هر آینه اگر شوند آن هلاك شدگان مایهٔ عبرت ایشان سزاوارتر است از اینکه شوند مایهٔ مفاخرت ایشان ، و اگر نزول کنند بسبب ایشان در ناحیهٔ حقارت خردمندانه‌تر است از اینکه بایستندبسبب ایشان در مقام عزّت ، بتحقیق که نگاه کردند بسوی ایشان بدیدهای معیوب شب کور ، و سیر کردند از ایشان در دریای جهالت .

و اگر استنطاق نمایند از حال ایشان عرصه‌های این شهرهای خراب شده و منزلهای خالی از سکنه را هر آینه می گویند آن عرصه‌ها بزبان‌حال که رفتند ایشان در زیرزمین در حالتی که گمراهان بودند ، و رفتید شما در عقب ایشان‌در حالتی که بودید کام میگذارید در کلّه‌های سر ایشان ، و نباتات می رویانید در جسدهای ایشان ، و چرا می کنید در چیزیکه ایشان انداختند ، و ساکن‌می‌شوید در مکانی که ایشان خراب کردند ، و جز این نیست که روزها میان شما و میان ایشان گریه کنندگان و نوحه کنندگانندبر شما ، ایشان پیش روند گان مقصد شمایند و پیش رفتگان منزلگاه شما آنچنان اشخاصی که بوداز برای‌ایشان‌مقامها یا قائمه‌های عزّت و اعتبار ، و مایهای مفاخرت و افتخار ، درحالتی که پادشاهان و رعایا بودند.

راه رفتند در شکمهای عالم برزخ ، مسلّط گردیده شد زمین بر ایشان در آن برزخ قبر ، پس خورد از گوشتهای ایشان و آشامید از خونهای ایشان ، پس صباح کردند در شکافهای قبرهای خودشان در حالتی که جمادی بودند که نموّ نمی کردند ، و غایبی بودند که امید مراجعت ایشان نبود ، نمی‌ترساند ایشان را

وارد شدن خوفهاي دنيا ، و غمگين نميسازد ايشان را تغيّر و انقلاب حالات دنيا ، و مجتمع نمی‌شوند بسبب خوف زلزلها و گوش نمی‌دهند آوازهای سخت و مهيب دنيا را ، غايبانی باشند كه انتظار كشيده نمی شوند ، و حاضرانی باشند كه حاضر نمی‌شوند.

و جز اين نيست كه بودند مجتمع با يكديگر پس متفرّق شدند، وباالفت بودند پس جدا گشتند؛ و نه‌ازجهت طول عهد و نه‌ازجهت دوری‌مكان كورو پنهان گرديد خبرهای ايشان و كر گرديد شهر های ايشان وليكن آشاماندند بايشان جام مرگی را كه تبديل كرد گويائی ايشان را بلالی ، و شنوائی ايشان را به كری ، و حركت را بسكون ، پس گويا ايشان در ارتجال صفت افتادگان بيهوشيند، يعنی‌اگر كسی بخواهد بدون فكر و مقدّمه بيان حال و صفت ايشان نمايد ميگويد كه افتاده و خوابيده‌اند و بی‌هوشند .

الفصل الثاني

جيرانٌ لا يَتأنّسُونَ ، وَأحِبّاءُ لا يَتزاوَرُونَ ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى التّعارُفِ ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أسبابُ الإخاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ ، وَ بِجانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أخِلّاءُ، لا يَتَعارَفُونَ لِلَيْلٍ صَباحاً، وَلا لِنَهارٍ مَساءً، أيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً ، شاهَدُوا مِنْ أخْطارِ دارِهِمْ أفْظَعَ مِمّا خافُوا، وَرَأوْا مِنْ آياتِها أعْظَمَ مِمّا قَدَّرُوا ، فَكِلْتَا الْغايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إلىٰ مَباءَةٍ فاتَتْ مَبالِغَ الْخَوْفِ وَ الرَّجاءِ ، فَلَوْ كانُوا يَنْطِقُونَ بِها لَعَيُّوا بِصِفَةِ ما شاهَدُوا وَما عايَنُوا ، وَ لَئِنْ عَمِيَتْ آثارُهُمْ وَانْقَطَعَتْ

أَخْبارُهُمْ لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصارُ الْعِبَرِ ، وَ سَمِعَتْ عَنْهُمْ آذانُ الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهاتِ النُّطْقِ ، فَقالُوا : كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّواضِرُ ، وَ خَوَتِ الْأَجْسادُ النَّواعِمُ ، وَ لَبِسْنا أَهْدامَ الْبِلىٰ ، وَتَكائَدَنا ضِيقُ الْمَضْجَعِ ، وَتَوارَثْنَا الْوَحْشَةَ ، وَ تَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ ، فَانْمَحَتْ مَحاسِنُ أَجْسادِنا ، وَ تَنَكَّرَتْ مَعارِفُ صُوَرِنا ، وَطالَتْ فِي مَساكِنِ الْوَحْشَةِ إِقامَتُنا ، وَ لَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً ، وَلاٰ مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً .

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطآءِ لَكَ ، وَ قَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْماعُهُمْ بِالْهَوامِّ فَاسْتَكَّتْ ، وَ اكْتَحَلَتْ أَبْصارُهُمْ بِالتُّرابِ فَخَسَفَتْ ، وَ تَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْواهِهِمْ بَعْدَ ذَلاٰقَتِها ، وَ هَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِها ، وَعاثَ فِي كُلِّ جارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَها ، وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْها مُسْتَسْلِماتٍ ، فَلاٰ أَيْدٍ تَدْفَعُ ، وَ لاٰ قُلُوبٌ تَجْزَعُ ، لَرَأَيْتَ أَشْجانَ قُلُوبٍ ، وَأَقْذاءَ عُيُونٍ ، لَهُمْ مِنْ كُلِّ فَظاعَةٍ صِفَةُ حالٍ لاٰ تَنْتَقِلُ ، وَغَمْرَةٌ لاٰ تَنْجَلِي .

اللغة

(المباءة) بالمدّ و الفتح المنزل كالبيأة و الباءة و يقال : إنّ المباءة هو الموضع الّذى تبوء أى ترجع إليه الابل ثمّ جعل عبارة عن المنزل وقوله (لعيّوا) بتشديد الياء من عىّ بالأمر وعن حجّته يعيى من باب تعب عيّاً عجز عنه ، وقد يدغم في الماضى و يقال عىّ و عليه قوله : لعيّوا ، و في شرح المعتزلي و روى لعيوا

بالتخفيف كما تقول حيوا قالوا : ذهب الياء الثانية لالتقاء الساكنين لأنّ الواو ساكنة و ضمّت الياء الأولى لأجل الواو .

و(كلح) يكلح من باب منع كلوحا تكشّر في عبوس و (نضر) نضارة حسن و (الأهدام) جمع الهدم بالكسر الثوب البالي والمرقّع و (تكاءد) في الأمر وتكأدني من باب تفاعل و تفعّل شقّ عليّ ، و عقبة كئود أي صعب و (التهكم) التهدّم في البئر و نحوه ، و في بعض النسخ تهدّمت بدل تهكّمت قال الشّارح المعتزلي يقال تهدّم فلان على فلان غضباً إذا اشتدّ غضبه ، و يجوز أن يكون تهدّمت أي تساقطت قال : و روى تهكّمت بالكاف و هو كقولك تهدّمت بالتفسيرين جميعا ،

و (رسخ) الغدير يرسخ من باب منع رسوخاً نشّ ماؤه و نضب فذهب، و رسخ المطر نضب نداؤه في الأرض و (الهوامّ) بتشديد الميم جمع الهامّة بالتشديد أيضاً مثل دوابّ و دابّة قال الأزهري : ماله سمّ يقتل كالحيّة ، و قال الفيومي : وقد تطلق الهوام على مالايقتل كالحشرات ، و لسان (ذلق) ذرب و ذلق السكّين حدده و(الهمود) الموت وطفوء النار وذهاب حرارتها و (عاثه) يعيثه من باب ضرب أفسده.

الاعراب

قوله : وهم جميع الجملة في محلّ النصب على الحال ، و كذلك قوله : وهم أخلاء ، و قوله: أيّ الجديدين مبتدء خبره كان ، وقوله : ولئن عميت الواو للقسم والمقسم به محذوف واللام موطئة عند سيبويه و زايدة عند غيره ، و جواب القسم قوله : لقد رجعت و استغنى به عن جواب الشّرط كما في قوله تعالى لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم و لئن قوتلوا لاينصرونهم » و هذه قاعدة مطردة ، فانّ القسم والشرط إذا اجتمعا في الكلام فالجواب للمتقدّم منهما ويستغنى عن جواب الثاني لقيام جواب الأوّل مقامه ، والقسم المقدّر في حكم المقسم الملفوظ كما صرّح به ابن الحاجب في الكافية و نجم الأئمة الرّضى في شرحه و قوله : و قد ارتسخت ، الجملة في محلّ النصب على الحال من مفعول مثلتهم ،وقوله: مستسلمات

حال من ضمير إليها و قوله : لرأيت أشجان قلوب جواب لو مثلتهم.

المعنى

اعلم أنّه لمّا افتتح كلامه في الفصل السابق بالتّوبيخ و التّعريض على المتكاثرين بالأموات ، و استطرد بشرح حال الموتى في البرزخ و ابانة فظايعهم اتبعه بهذا الفصل للتّنبيه على بقيّة حالاتهم فقال:

(جيران لايتأنّسون و أحبّاء لايتزاورون) يعني أنّهم جيران لقرب قبورهم ولكن لايقدرون على الاستيناس ، لأنّ الموانسة من صفات الأحياء ، وأحبّاء لقرب أبدانهم فيها أو لمحابتهم في دار الدّنيا ولكن لايستطيعون التّزاور لأنّ الزّيارة من حالات المتّصفين بالحسّ والحياة و هو عبارة اخرى لقوله عليه السلام في بعض كلماته تدانوا في خططهم و قربوا فى مزارهم و بعدوا في لقائهم.

(بليت بينهم عرى التّعارف و انقطعت منهم أسباب الاخاء) يعني أنّهم مع ما كانوا عليه في الدّنيا من معرفة بعضهم بعضاً و المحبّة و المودّة و الاخوّة الّتي كانت بينهم ، فقد بليت عراها يعني وصلها و اندرست وانقطعت حبالها و انفصمت بحلول الموت و نزول الفناء والفوت .

(فكلّهم وحيدوهم جميع و بجانب الهجروهم أخلاء) أي كلّ واحد منهم وحيد حقيقة وهم مع ذلك مجتمعون صورة لاجتماع مقابرهم ، و كلّ منهم في جانب الهجر واقعاً مع خلّتهم ظاهراً بمقتضى قرب الجوار ، أو المراد بالاجتماع و الخلّة ما كانوا عليه في الدّنيا من المودّة والصّداقة والأوّل أظهر ، وقد أشار إليه الشريف الرّضى في قوله:

بادون في صور الجميع و أنهم　　منفرّ دون تفرّد الآحاد

قال الشّارح المعتزلي: فان قلت : ما معنى قوله: بجانب الهجر، وأىّ فايدة في لفظة جانب في هذا الموضع ؟

قلت: لأنّهم يقولون : فلان في جانب الهجرة و في جانب القطيعة ولايقولون في جانب الوصل و في جانب المصافاة ، و ذلك أنّ لفظة جنب في الأصل موضوع للمباعدة و منه قولهم : الجار الجنب و هو جارك من قوم غرباء يقال : جنب الرّجل

و أجنبته وتجنّبته و تجانبته كلّها بمعنى و رجل أجنبيّ و أجنب وجانب كلّه بمعنى (لايتعارفون لليل صباحاً ولالنهار مساءً) أى لايعرفون للّيل نهاراً ولاللنهار ليلا ، لأنّ اختلاف اللّيل والنهار و تبدّل أحدهما بالآخر من الأوضاع الدنيويّة ولااختلاف لهما بالنّسبة إلى أهل القبور لكونهم في بيت الظلمة والنّشأة الآخرة بالنسبة إليهم سيّان .

و يحتمل أن يكون المراد أنّهم لايتعارف بعضهم بعضاً أى لايجتمعون ولا يتكلّمون في نهارهم للنظر في اُمورليلهم ولا في ليلهم للنّظر في اُمور نهارهم كما هو عادة أهل الدّنيا يجتمعون في النهار لترتيب ما يفعلونه باللّيل و في اللّيل لترتيب ما يفعلونه بالنهار ، والأوّل أظهر .

و يؤمى إليه قوله عليه السلام (أىّ الجديدين ظعنوا فيهم كان عليهم سرمداً) أراد بالجديدين اللّيل والنهار لتجدّدهما دائما أى أىّ واحد من اللّيل والنهار ارتحلوا فيه كان عليهم باقياً أبداً فانّ من مات ليلا لايتبدّل ليله بالنهار ، و من مات نهاراً لاينقلب نهاره إلى ليل لخروجه من الدّنيا الّتي فيها يتعاقب اللّيل والنهار ويتبدّل أحدهما بالآخر .

والظاهر أنّ ثبوت هذه الحالة للموتى كساير الحالات المتقدّمة بالنّسبة إلى أجسادهم المدفونة في القبور ، و أمّا بالنسبة إلى أرواحهم المنتقلة إلى جنّة الدّنيا و نعيمها كأرواح السّعداء أو المنتقلة إلى نار الدّنيا و جحيمها كأرواح الأشقياء ، فالمستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السلام تعاور اللّيل و النهار عليهم ، و يستفاد منها أيضاً أنّ أهل الجنّة من المؤمنين يجتمعون و يتزاورون ويتحدّثون و يتأنّسون .

و يدلّ عليه صريحاً ما في البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم القمىّ في قوله تعالى « ولهم رزقهم فيها بكرة و عشيّا » قال عليه السلام : ذلك في جنّات الدّنيا قبل القيامة والدّليل على ذلك قوله : بكرة و عشياً فالبكرة و العشا لاتكونان في الآخرة في جنان الخلد وإنّما يكون الغدوّ والعشىّ في جنان الدّنيا الّتي تنتقل إليها

أرواح المؤمنين .

وفيه منه في قوله تعالى « النّار يعرضون عليها غدوّاً و عشيّاً » قال عليه السلام : ذلك في الدّنيا قبل القيامة وذلك إنّ في القيامة لا يكون غدوّاً ولا عشيّاً، لأنّ الغدو و العشاء إنّما يكونان في الشمس والقمر و ليس في جنان الخلد و نيرانها شمس ولا قمر

قال و قال رجل لأبي عبدالله صلوات الله عليه : ما تقول في قول الله عزّ وجلّ « النار يعرضون عليها غدوّاً و عشيّاً » فقال أبوعبدالله عليه السلام : ما يقول الناس فيها؟ فقال : يقولون : إنّها في نار الخلد وهم لا يعذّبون فيما بين ذلك فقال عليه السلام : فهم من السّعداء ، فقيل له : جعلت فداك فكيف هذا ؟ فقال : هذا في الدّنيا فأمّا في نار الخلد فهو قوله تعالى «ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب».

وفيه منه عن أبيه رفعه قال: سئل الصادق عليه السلام عن جنّة آدم على نبيّنا وعليه السلام أمن جنان الدّنيا كانت أم من جنان الآخرة ؟ فقال عليه السلام : كانت من جنان الدّنيا تطلع فيها الشمس والقمر ، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها.

و يدلّ على تأنّسهم و تزاورهم ما قدّمنا روايته في تذييلات شرح الفصل السابع من فصول الخطبة الثانية والثمانين من الكافي باسناده عن حبّة العرني قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر- أي ظهر الكوفة- فوقف بوادي السلام كأنّه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتّى أعييت ، ثمّ جلست حتّى مللت ، ثمّ قمت حتّى نالني مثل ما نالني أوّلا ، ثمّ جلست حتّى مللت ، ثمّ قمت و جمعت ردائي فقلت : يا أمير المؤمنين إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثمّ طرحت الرّداء ليجلس عليه ، فقال عليه السلام لي : يا حبّة إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته، قال: قلت : يا أمير المؤمنين و إنّهم لكذلك ؟ قال عليه السلام : نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون، فقلت: أجساد أم أرواح ؟ فقال عليه السلام لي: أرواح ، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: الحقي بوادي السلام ، وانّها لبقعة من جنّة عدن.

و تقدّم هناك أيضاً في مرفوعة الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام في صفة

أرواح المؤمنين في وادي السلام: إنّه ﷺ قال: كأنّي بهم حلق حلق قعود يتحدّثون، هذا.

و قوله ﷺ: (شاهدوا من اخطار دارهم أفظع ممّا خافوا و رأوا من آياتها أعظم مما قدّروا) أى شاهد المجرمون من هلكات الدّار الآخرة يعنى نقماتها و عقوباتها أشدّ مما كانوا يخافون منها و يحذرون في الدّنيا، و رأى المتّقون من آثار الفضل والرّحمة وعلامات الثواب والكرامة أعظم مما كانوا يقدرونها بحسناتهم و يرجون في الدّنيا كما قال عزّ من قائل «فلاتعلم نفس ما أُخفى لهم من قرّة أعين جزاءً بماكانوا يعملون» و قال عليه السلام في الخطبة المأة والثالثة عشر: انّه ليس شيء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه و ليس شيء بخير من الخير إلاّ ثوابه، و كلّ شيء من الدّنيا سماعه أعظم من عيانه، و كلّ شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه.

(فكلتا الغايتين مدّت لهم إلى مباءة فأتت مبالغ الخوف والرّجاء) المراد بالغايتين غايتا المجرمين والمتّقين و أراد بالغاية الموت كما في الحديث الموت غاية المخلوقين، أو أجلهما كما في قوله عليه السلام في الخطبة الثالثة و السّتين: و إنّ غاية تنقصها اللّحظة و تهدمها الساعة لجديرة بقصر المدّة، و على أى تقدير فنسبة مدّت إلى الغاية من باب المجاز والتّوسّع، إذ بها يحصل الوصول إلى مباءة، وأراد بالمباءة منزل الفريقين من النّار والجنّة.

فيكون محصّل المعنى أنّ موت المجرمين وموت المتّقين أو أجلهما استجرهم و جذبهم إلى منزل و مرجع تجاوز و كان هو فوق ما يبلغه خوف الخائف أو رجاء راج، فكنّى بفوته من مبالغ الخوف والرّجاء عن شدّة هول النار وعظم خطر الجنة و تجاوزهما عن غاية غايات الخوف والرّجاء.

(فلو كانوا ينطقون بها لعيّوا بصفة ما شاهدوا و ما عاينوا) أى لو كانت لهم قدرة النطق و الاخبار عن تلك المباءة لعجزوا عن وصف ما شاهدوا فيها من مولمات العقاب و كلّت ألسنتهم عن شرح ما عاينوا فيها من مضاعفات الكرامة و الثّواب.

(و لئن عميت آثارهم) أى خفيت عن أبصار الناظرين (و انقطعت أخبارهم)

عن آذان المستمعين (لقدرجعت فيهم أبصار العبر و سمعت عنهم آذان العقول)هذا ناظرإلىطرف الأحياء(و تكلّموا من غيرجهات النّطق)هذا ناظرإلىطرفالأموات.

و محصّل المراد أنّ الأحياء و إن لم يمكن لهم إدراك حالات من القبور بطرق المشاعر الظاهرة و استطلاعها بالأبصار والآذان ، لكنّهم تمكّنوامنمعرفتها بأبصار البصائر والعبر والاطلاع عليها بطريق العقل ، و كذلك الموتى وإنلميكن لهم ايصال أخبارهم إلى الأحياء و إظهار حالاتهم بالنّطق و لسان المقال ، لكنّهم أخبروهم و تكلّموا بلسان الحال.

(فقالوا كلحت الوجوه النّواضر) أى عبست الوجوه ذات الحسن والبياض و البهجة و النّضارة قال تعالى « هم فيها كالحون » أى عابسون ، و قيل : هو من الكلوح الّذى قصرت شفته عن أسنانه كماتقلص رؤوس الغنم إذاشيطت بالنار .

(وخوت الأجسادالنّواعم) و في بعضالنّسخ الأجسام النّواعم أى سقطت الأجساد المنعّمة بلذايذ الدّنيا في وهدة القبور أو خلت الأبدان النّاعمة اللّينة من الأرواح فصارت جيفة منتنة أو المراد خلوّها من الدّم و الرّطوبة و ذهاب طراوتها .

(و لبسنا أهدام البلى) قال الشّارح البحراني استعار لفظ الأهدام للتّغير والتّقشف والتّمزيق العارض لجسم الميّت لمشابهتها العظم البالى ، و يحتمل أن يريد بهاالأكفان، انتهى.

أقول : يجوز أن يكون الكلام من قبيل التشبيه المرشح بأن يقدر تشبيه البلىالمحيط بهم بالأهداموالأثواب الممزقةالبالية المحيطةبالبدن ، فاضيفالمشبّه بهإلىالمشبهثمّ قرن بمايلايم المشبّه به ويناسبهوهواللّبس ترشيحاًللتّشبيه،وأن يكون من باب الاستعارةلاالاستعارةالأصليّة كما توهّمه الشارح لعدم انتظام معنى الكلام علىماذكره إلاّ بتكلّف، بلمنالاستعارةالتّبعيّةبأنيستعار اللّبس للشمول والاحاطة فيكونمحصلالمعنىأحاط بناوشملناالبلى والتمزيق إحاطة اللّباس بالبدن فافهم.

(و تكاءدنا ضيق المضجع) أى شقّ علينا ضيق القبر (و توارثنا الوحشة)أى وحشة القبور و استعار لفظ التوارث لكون الوحشة منها لآبائهم و أسلافهم قبلهم

فحملت لهم بعدهم

(و تهكّمت علينا الرّبوع الصّموت) أي تساقطت علينا المنازل الصامتة وأراد بها القبور ووصفها بالصمت من المجاز العقلي و تساقطها كناية عن خرابها وانهدامها، وعلى كون التّهكم بمعنى اشتداد الغضب فيكون استعارة لعذاب القبور ويختصّ بغير المؤمن لأنّ المؤمن مأمون منه .

كما يدلّ عليه مارواه في الكافي عن يحيى عن محمّد بن الحسين عن عبدالرحمن ابن أبي هاشم عن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : مامن موضع قبر إلاّ وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات أنا بيت التّراب، أنا بيت البلى، أنا بيت الدّود قال عليه السلام : إذا دخله عبد مؤمن قال : مرحباً وأهلا أما والله لقد كنت اُحبّك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فسترى ذلك ، قال عليه السلام : فيفسح له مدّ البصر و يفتح له باب يرى مقعده من الجنة ـ إلى أن قال ـ فلاتزل نفحة من الجنة تصيب جسده و يجد لذّتها و طيبها حتّى يبعث.

قال عليه السلام : و إذا دخل الكافر قالت : لامرحباً بك ولا أهلا والله لقد كنت اُبغضك و أنت تمشي على ظهري فكيف إذادخلت بطني سترى ذلك ، قال عليه السلام : فتضمّ عليه فتجعله رميماً و يعاد كما كان و يفتح له باب إلى النّار يرى مقعده من النار ـ إلى أن قال ـ ثمّ لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها و حرّها في جسده إلى يوم يبعث الحديث .

وقد مرّ بتمامه مع أحاديث اُخر ومطالب نافعة في التذييل الثالث من تذييلات شرح الفصل السابع من فصول الخطبة الثانية والثمانين فليراجع هناك.

و يؤيّد المعنى الأخير تفريع قوله (فانمحت محاسن أجسادنا) أي ذهب آثار المواضع الحسنة من أبداننا لشدّة عذاب القبور و مزيد تاثير آلامها (وتنكّرت معارف صورنا) أي تغيّرت وجوهنا الّتي بها كنّا نعرف في الدّنيا بعظم تأثير أهاويل البرزخ (و طالت في مساكن الوحشة) أي القبور (إقامتنا ولم نجد من كرب) و هو الغمّ الّذي يأخذ بالنفس (فرجاً ولا من ضيق متّسعاً) أي من ضيق

المضجع محلاً ذاسعة يكون بدلا منه ، أو مطلق الضّيق أى لم نجد من ضيق الحال و ضنك المعيشة اتّساعاً أى رفاه حال و رغد عيش قال تعالى « و من أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً » أى عيشاً ضيّقاً ، قال ابن مسعود و غيره : هو عذاب القبر.

(فلو مثلتهم بعقلك) أى تخيّلت صورهم و مثالهم بقوّتك المتخيّلة (أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك) أى ارتفع عنهم الغطاء الحاجب و تبيّن حالهم عندك فالمفعول بمعنى الفاعل كما في حجاباً مستوراً وقال الشارح البحراني ، أى ما حجب بأغطية التراب والسواتر لأجسادهم عن بصرك انتهى .

و على قوله · فالمحجوب وصف للميّت لا للغطاء و يبعّده لفظة عنهم كما لا يخفى.

و كيف كان فالمراد إنه لو شاهدتهم (و) الحال أنه (قد ارتسخت أسماعهم بالهواء فاستكت) أى ذهبت رطوبتها و نضبت نداوتها ، بتسلّط حشرات الأرض عليها فانسدّت (و اكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت) أى فقئت (وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها) و حدّتها (و همدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها) أى سكنت حركتها و ذهبت حرارتها بعد ما كانت متيقظة ، و هو كناية عن موتها بعد حياتها (و عاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها) أى أوقع الفساد في كلّ جارحة من جوارحهم بلى متجدّد أوجب سماجتها و قبحها و سوء منظرها (و سهل طرق الآفة إليها)لأنّ العنصر الترابى إذا استولى على الأعضاء قوى استعدادها للاستحالة من صورتها التى هي عليها إلى غيرها حال كونها (مستسلمات) منقادات غير ممتنعة من قبول الآفة و الفساد (فلا أيد) أى قوّة وقدرة و سلطان أو كفّ (تدفع) الآلام والآفات عنها (ولا قلوب تجزع) و تحزن لما نزل بها.

(لرأيت) جواب لو أى لو تصوّرت حالاتهم بخيالك أو شاهدت فظايعهم بعينك على ما فصّل لرأيت (أشجان قلوب وأقذاء عيون)أى شاهدت فيهم من الفظايع و الشنايع المفرطة المجاوزة عن الحدّ ما يورث حزن قلوب الناظرين وأذى عيونهم

(لهم من كلّ فظاعة صفة حال لا تنتقل) قال الشارح المعتزلي أى لا تنتقل إلى حسن و صلاح و ليس يريد لا تنتقل مطلقا لأنها تنتقل إلي فساد و اضمحلال

(و) من كلّ شناعة (غمرة لاتنجلى) أى شدّة لاتنكشف وقد مضى في شرح الخطبة الثانية والثمانين مطالب مناسبة لهذا الفصل من أراد الاطلاع فليراجع ثمّة.

الترجمة

فصل ثاني ازاين كلام در ذكرشدايد برزخ وحالات أهل آنست مى‌فرمايد كه ايشان همسايگاني باشند با يكديگر انس نميكنند، و دوستاني هستند كه زيارت يكديگر نمى‌نمايند، پوسيده شده درميان ايشان علاقهاى شناسائى، وبريده شده ازايشان‌ريسمانهاى‌اخوّت وبرادرى، پس همه ايشان تنها باشند و حال آنكه در يكجا هستند، و بكنار هجران و دورى باشند و حال آنكه دوستان هستند، نمى‌شناسند ازبراى شب صبحى را، و نه‌ازبراى روز شبى‌را، هريك ازشب وروزرا كه رحلت كنند درآن باشد برايشان هميشگى

مشاهده كردند ازهلاكتهاى خانهٔ آخرت خودشان شديدتر ازآن چيزى كه ترسيده بودند، وديدند ازعلامتهاى آخرت بزرگتر از آن چيزى كه تصوير كرده بودند، پس هر دو غايب يعنى أجل سعدا و أجل أشقيا كشاند ايشان را بسوى منزلگاهي كه متجاوزشد ازمنتهاى مرتبهٔ خوف خائفين ورجاء راجين، پس اگر بودند كه ناطق بشوند بآن هر آينه عاجز مى‌شدند در بيان صفت آن‌چيزى كه مشاهده كردند وبچشم ديدند، واگرمخفى شده أثرهاى ايشان ومنقطع گرديده خبرهاى ايشان.

بتحقيق مراجعت كرده در ايشان ديدهاى‌عبرتها، وشنيده از ايشان گوشهاى عقلها، وسخن گفتند ايشان به زبان‌حال ازغيرجهت نطق بلسان، پس گفتند كه زشت گشت صورتهاى باآب ورنگ، وبخاك افتاد بدنهاى نرم ونازك، وپوشيديم ما لباسهاى پارهٔ كهنه را، وبه مشقّت انداخت ما را تنگى خوابگاه، و بارث برديم ازيكديگر وحشت را، ومنهدم شد برما منزلهاى خاموش قبرها، پس محو گشت نيكوئيهاى بدنهاى ما، وتغيير يافت معروفهاى صورتهاى ما، وطول يافت در مسكنهاى وحشت‌اقامت ما، ونيافتيم‌ازشدّت‌محنت فرجى، وازتنگى حالت‌وسعتى

پس اگرتصوّر نمائی تو حالتهای ایشان را بعقل خودت ، یا برداشته شود ازایشان پردهٔ پوشان ازبرای تو درحالتی که فرورفته باشد رطوبت گوشهای ایشان بجهت تسلّط حشرات الأرض پس کر شده باشد ، و سرمه کشیده باشد چشمهای ایشان بخاك پس فرورفته باشد دراستخوان سر ، وپاره پاره گشته زبانها در دهنهای ایشان بعد از تیزی وبلاغت آنها ،ومرده وساکن شود قلبها درسینهای ایشان بعد از بیداری آنها ، وفساد کرده باشد درهرعضوی از ایشان پوسیدگی تازهٔ که زشت گردانیده باشد آنها را ، و آسان کرده باشد طریق آفت بآنها درحالتی که آنها گردن نهاده باشند بآن آفتها ، پس نباشد دستهائی که دفع کنند آنها را ونه دلهائی که جزع کنند از آنها هرآینه بعد از آن تصوّر عقل و کشف حجاب خواهی دید اندوههای قلبها و خونابه چکیدن چشمها را ، از برای ایشان است از هر شناعت و رسوائی صفت حالتی که منتقل نشود ، وشدّت و سختی که منکشف نگردد و بر طرف نباشد .

الفصل الثالث

وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ ، كَانَ فِي الدُّنْيا غَذِيَّ تَرَفٍ ، وَ رَبِيبَ شَرَفٍ ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي ساعَةِ حُزْنِه ، وَ يَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ، ضَنًّا بِغَضارَةِ عَيْشِهِ ، وَ شَحاحَةً بِلَهْوِهِ وَ لَعِبِهِ .

فَبَيْنا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيا ، وَ تَضْحَكُ الدُّنْيا إِلَيْهِ ، فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ ، إِذْ وَطِىءَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ ، وَ نَقَضَتِ الْأَيّامُ قُواهُ ، وَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ ، فَخالَطَهُ بَثٌّ لا يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيُّ هَمٍّ ما كانَ يَجِدُهُ ،

وَ تَوَلَّدَتْ فيهِ فَتَراتُ عِلَلٍ آنَسَ ما كانَ بِصِحَّتِهِ.

فَفَزِعَ إلى ما كانَ عَوَّدَهُ الأَطِبّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الحارِّ بِالقارِّ، وَتَحْرِيكِ البارِدِ بِالحارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبارِدٍ إِلّا ثَوَّرَ حَرارَةً، وَلا حَرَّكَ بِحارٍّ إِلّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلا اعْتَدَلَ بِمُمازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبايِعِ إِلّا أَمَدَّ مِنْها كُلَّ ذاتِ داءٍ، حَتّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعايا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوابِ السّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ، فَقائِلٌ هُوَ لِما بِهِ، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيابَ عافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الماضِينَ مِنْ قَبْلِهِ.

فَبَيْنا هُوَ كَذلِكَ عَلى جَناحٍ مِنْ فِراقِ الدُّنيا، وَتَرْكِ الأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسانِهِ، فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعاءٍ مُؤْلِمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصامَّ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كانَ يَرْحَمُهُ، وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَراتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلى قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنيا.

اللغة

(ترف) ترفا من باب منع تنعّم وأترفته النعمة أطغته والتّرفة بالضمّ النعمة والطعام الطيّب و(ربّ) فلان الصّبي يربّه ربّا ربّاه حتّى أدرك والرّبيب المربوب

قال تعالى «وربائبكم اللاتي في حجوركم» و(السّلوة) بفتح السّين وضمّها اسم من سلى همّه سلوّاً وسليّاً نسيه و(عيش غفول) وزان صبور كثير الغفلة و(الحسك) محرّكة نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم وعند ورقه شوك ملزّ زصلب ذو ثلاث شعب .

و(الحتوف) بالضمّ جمع الحتف بالفتح وهو الموت و(الكثب) محرّكة القرب وهو يرى من كثب أي قرب و (النّجى) فعيل من ناجاه مناجاة أي سارّه و (القارّ) البارد من قرّ القدر إذا صبّ فيه ماء بارداً و(الثور) الهيجان و(علّل) الصّبي بطعام وغيره شغله به وتعلّل بالأمر تشاغل و(التّمريض) حسن القيام على المريض و(عيّ) بالأمر وعيي وتعايا واستعيا لم يهتد لوجه مراده أو عجز منه ولم يطق احكامه و(خرس) خرسا من باب فرح انعقد لسانه عن الكلام و (الأسى) بالضمّ جمع الاسوة و هو مايتأسى به الانسان ويتسلّى .

الاعراب

قوله عليه السلام : وكم أكلت الأرض من عزيز جسد ، لفظة كم خبريّة بمعني كثير مبنيّة على السّكون لشباهتها بكم الاستفهاميّة لفظاً و معني من حيث ابهام كلتيهما ، وهي منصوبة المحلّ لكونها مفعول أكلت قدمت عليه لأنّ لها صدر الكلام ، ومن عزيز جسد تميز رافع للابهام الّذى فيها ، أى أكلت الأرض كثيراً من عزيز جسد ، وعزيز صفة لموصوف محذوف أى من ميّت عزيز الجسد ، وإضافة عزيز إلى جسد من إضافة الصّفة إلى فاعله كما في قولك : مررت برجل حسن وجه أى حسن وجهه ، وهذا القسم من اضافة الصّفة المشبّهة و إن استقبحه علماء الأدبيّة لأجل خلوّ الصّفة من ضمير يعود إلى الموصوف لفظاً إلاّ أنّه يسوغه كثرة الاستعمال ووجود الضّمير تقديراً ، وجملة كان في الدّنيا ، في محلّ الخفض على أنّها صفة لعزيز جسد ، وجملة يتعلّل ، في محلّ النصب حال من اسم كان .

وقوله : ضنّا مفعول لأجله ، و عيش غفول في نسبة غفول إلى عيش توسّع كما في عيشة راضية و قوله إذ وطىء الدّهر ، إذ للمفاجاة لوقوعها بعد بينا نصّ على

ذلك سيبويه ، قال : إذا وقعت بعد بينا و بينما فهي للمفاجاة و مثال وقوعها بعد بينما قوله :

استقدر الله خيراً و ارضينّ به فبينما العسر إذ دارت مياسير
و بينما المرء في الأحياء مغتبط إذ صارفي الرمس تعفوه الأعاصير

والباء في وطيء به للتّعدية أي أوطأه .

وقوله: عليه السلام آنس ما كان بصحّته ، آنس منصوب على الحال من ضمير فيه والعامل فيه تولّدت ، وما نكرة موصوفة كما في مررت بما معجب لك ، وكان تامّة ، وبصحّته متعلّق بآنس ومحصّل المعنى تولّدت فيه فترات والحال أنّه آنس شيء وجد أي آنس الأشياء بصحّته ، ويحتمل أن تكون ما مصدريّة زمانيّة كما في قوله تعالى «فاتّقوا الله ما استطعتم» وقوله «ما دمت حيّا» أي مدّة استطاعتكم ومدّة دوامي حيّاً فيكون معناه آنس مدّة كونه ووجوده بصحّته أي آنس زمان عمره به ، و قيل فيه معان اخر وما قلته أظهر .

قوله: شجي خبر من اضافة الصفة إلى الموصوف أي خبر ذي شجي وغصّة ، وقوله فقائل ، خبر لمبتدء محذوف والجملة معطوفة على جملة تنازعوا وتفصيل له ، واللام في قوله : لما به ، بمعني على كما في قوله تعالى « ويخرّون للأذقان » وقوله «وتلّه للجبين» وليست بمعناها الأصلى كما توهّم .

قوله : ودعاء مولم لقلبه : اللاّم للتّقوية ، وفي بعض النسخ بقلبه بالباء بدل اللام وعليه فهى زايدة كما في قوله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » و يجوز جعلها بمعني في على تضمين مولم معني مؤثر ، وبهذا المعني جاء الباء في قوله تعالى «ولقد نصر كم الله ببدر» أي فيها .

المعنى

اعلم أنّه عليه السلام لمّا نبّه في الفصلين السابقين على أهاويل البرزخ وفظايعه أردفهما بهذا الفصل استطراداً وتنبيهاً على غمرات الموت وشدايده و حالات الميّت عند الاشراف على الموت والاحتضار فقال :

(وكم أكلت الأرض من عزيزجسدوأنيق لون) إمّا استعارة بالكناية تشبيها للأرض بالآكل واثبات الاكل تخييلا ، أو استعارة تبعيّة كما في نطقت الحال بكذا تشبيهاً لافناء الأرض لأجزاء الميّت و استحالتها لها بالتراب بأكلها لها ، فاستعير الأكل للافناء ودلّ على الاستعارة بذكر الأرض ، والمعنى أفنت الأرض وأبلت كثيراً كثيراً من ميّت طريّ البدن معجب اللون لصفائه وبياضه واشراقه .

(كان في الدّنيا غذّى ترف وربيب شرف) أى غذّى وتنعّم بالتّنعّم الموجب لبطره وطغيانه ، وربّي في عزّ وشرف ومنعة .

(يتعلّل بالسرور في ساعة حزنه) أى يتشاغل بما يسرّه ويتلهّى به عمايحزنه (ويفزع إلى السّلوة إن مصيبة نزلت به) أى يلتجى إلى مايسلى همّه وينسيه إن أصابته مصيبة (ضنّا بغضارة عيشه) أى لأجل بخله بسعة عيشه وطيبه (وشحاحة) وبخالة (بلهوه ولعبه) حتّى لايشوب لهما ما يكدّرهما .

(فبيناهو يضحك إلى الدّنيا) ابتهاجاً بها وشعفاً بحبّها لجريانها على وفق مراده وتهيئتها لمقدّمات عيشه ونشاطه (وتضحك الدّنيا إليه) ابتهاجاً به لكونه من أبنائها والرّاغبين إليها و فرط محبّتها إيّاه ، وحاصله تضاحك كلّ منهما و اشتياقه إلى الآخر لمزيد المحابة والمعافاة بينهما (في ظلّ عيش غفول) أى في دعة وراحة وسعة عيش متّصف بكثرة الغفلة .

والمراد غفلة صاحبه به كما في عيشة راضية ، وقال الشارح المعتزلي : عيش غفول قد غفل عن صاحبه ، فهو مستغرق في العيش لم يتنبّه له الدّهر فيكدر عليه وقته قال الشّاعر :

كأنّ المرء في غفلات عيش   كأنّ الدّهر عنها في وثاق . انتهى

ولعلّ ماقلته أولى ودلالة الشعر عليه أظهر (إذوطيء الدّهر به حسكه) أى أوطاه حسكه أى أنشب شوكه فيه واستعار الحسك لآلام الدّهر وأسقامه وحوادثه الموجبة لأذاه كايجاب الحسك للأذى (ونقضت الأيّام قواه) نسبة النّقض إلى الأيّام من التوسّع والمراد به انحلال قواه النفسانيّة وضعف جوارحه (ونظرت إليه الحتوف من كثب)

أي من قرب ، وتخصيصه بالذّكر لأنّ تأثير النّظر فيه أشدّ يعني أنّ ملاحظة المنية نحوه دانية ، وجمع الحتوف باعتبار تعدّد أسباب الموت .

(فخالطه بثّ لا يعرفه) أي مازج قلبه حزن لا يعرف علّته (ونجيّ هم ما كان يجده) أي هم خفيّ لم يكن معهوداً به (وتولّدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحّته) قال الشّارح المعتزلي : الفترات أوايل المرض انتهى

و المراد أنّه طرىء عليه و ظهر في مزاجه علل موجبة لفتور بدنه و ضعف جسمه ، والحال أنّه في غاية الانس بصحّته و كمال الرّكون إلى سلامته في لذات طربه وبدوات اربه لا يحتسب رزيّة ولا يحتمل بليّة .

(ف)لمّا وجد في نفسه ذلك وأحسّ به استوحش منه و(فزع إلى ماكان عوّده الأطبّاء) أي التجأ إلى ماجعلوه معتاداً له من المداواة و المعالجات (من تسكين الحارّ بالقارّ وتحريك البارد بالحارّ) تخصيص التّسكين بالقارّ و التحريك بالبارد لأنّ من شأن الحرارة التّحريك والتّهييج فاستعمل في قهرها بالبارد لفظ التّسكين ومن شأن البرودة التخدير والتجميد فاستعمل في قهرها بالحارّ لفظة التحريك .

(فلم يطفيء) الحارّ (ببارد إلاّ ثوّر) وهيّج (حرارة) زايدة على حرارة الحارّ (ولاحرّك) البارد (بحارّ إلاّ هيّج) وثوّر (برودة) زايدة على برودة البارد .

ومحصّله أنّه لم ينفعه استعمال المسخّن والمبرّد إلاّ عكس المطلوب وأنتج له المسخّن برودة والمبرّد حرارة .

(ولا اعتدل بممازج لتلك الطبايع إلاّ أمدّ منها كلّ ذات داء) أي لم يقصد الاعتدال بما يمازج تلك الطبايع الحارّة والباردة المفرطة فيردّها إلى الاعتدال إلاّ وأمدّ ذلك الممازج أو المريض وأعطى مدداً وقوّة وأعان من هذه الطّبايع كلّ طبيعة ذات داء ، أي صار مزج الممازج ممدّاً ومعيناً على الطبيعة الّتي هي منشأ المرض مع ماله من مضادّة خاصيّة لخاصيّتها

و يوضح ماقاله عليه السلام على وجه البسط ما رواه في البحار من علل الشرايع بسنده عن وهب بن منبه أنّه وجد في التوراة صفة خلقة آدم على نبيّنا وعليه السلام

حين خلقه الله عزّ وجلّ وابتدعه ، قال الله تبارك وتعالى :

انّي خلقت وركّبت جسده من أربعة أشياء ، ثمّ جعلتها وراثة في ولده تنمي في أجسادهم وينمون عليها إلى يوم القيامة ، وركّبت جسده حين خلقته من رطب ويابس وسخن وبارد ، و ذلك أنّي خلقته من تراب وماء ثمّ جعلت فيه نفساً وروحاً فيبوسة كلّ جسد من قبل التّراب ، ورطوبته من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الرّوح .

ثمّ خلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأوّل أربعة أنواع ، وهنّ ملاك الجسد وقوامه بإذني لايقوم الجسد إلّا بهنّ ولاتقوم منهنّ واحدة إلّا بالأخرى : منها المرّة السوداء ، و المرّة الصّفراء ، والدّم ، والبلغم ثمّ اسكن بعض هذا الخلق في بعض ، فجعل مسكن اليبوسة في المرّة السّوداء ، ومسكن الرّطوبة في المرّة الصفراء ، و مسكن الحرارة في الدّم ، و مسكن البرودة في البلغم .

فأيّما جسد اعتدلت فيه هذه الأنواع الأربع الّتي جعلتها ملاكه و قوامه وكانت كلّ واحدة منهنّ أربعاً لاتزيد ولاتنقص كملت صحّته واعتدل بنيانه ، فان زاد منهنّ واحدة عليهنّ فقهرتهنّ ومالت بهنّ دخل على البدن السّقم من ناحيتها بقدر مازادت و إذا كانت ناقصة تقلّ عنهنّ حتّى تضعف من طاقتهنّ وتعجز عن مقارنتهنّ «مقاومتهنّ»

قال وهب : فالطبيب العالم بالدّاء و الدّواء يعلم من حيث يأتي السقم من قبل زيادة تكون في احدى هذه الفطرة الأربع أو نقصان منها ، ويعلم الدّواء الّذي به يعالجهنّ فيزيد في النّاقصة منهنّ أو ينقص من الزّايدة حتّى يستقيم الجسد على فطرته ويعتدل الشيء بأقرانه

إذا عرفت ذلك فنقول : إذا أراد الله أن يشفي المريض و يحصل له البرء من مرضه أصاب المعالج واهتدى إلى معرفة مابه من الدّاء ونفع الدّواء بالخاصيّة الّتي فيه وإذا قضى أجله أخطأ المعالج أوسقط الدّواء من التأثير أو أمدّ ضدّ خاصيّته المكمونة

(حتّى) اشتدّ مرضه و (فتر معلّله) أى من يشغله عن التوجّه إلى مرضه ويمنّيه العافية أوعمّا يضرّه من الأطعمة والأشربة بالأدوية النافعة ، وفتوره من جهة طول المرض وحصول اليأس ، فانّ العادة جارية بأنّ أهل المريض فى أوّل مرضه يواظبون عليه ويجتمعون حوله ويعلّلونه حتى إذا طال المرض واشتدّ و ظهر مخائل الموت يقلّ عزمهم ويفترهممهم ويحصل لهم التوانى والكسل .

(وذهل ممرّضه) أى من يواظب عليه و يقوم بأمره فى دوائه وغذائه و غيره ، وذهوله وغفلته من أجل أنه فى بداية المرض يكون له جدّ أكيد وجهد جهيد فى التعهد والمواظبة بما له من رجاء الصّحة والعافية ، وبعد اشتدادا لمرض وظهور أمارات الموت توانى وفتر، وتسرع اليه الغفلة على ماجرت عليه العادة .

(وتعايا أهله بصفة دائه) أى عجزوا بوصف دائه وشرح مرضه على ما هو عليه للطبيب وغيره ، وهذه عادة المريض المثقل .

(وخرسوا عن جواب السائلين عنه) هذه الجملة كالتفسير لسابقتها ، والمراد أنّ أهله إذا سئلوا عنه يجمجمون ولا يفصحون عن بيان حاله كالأخرس الذى ينعقد لسانه عن التكلّم ، وإنما يخرسون عن جوابهم لأنه بعد ظهور أمارات الموت عليه لايسعهم الجواب بصحّته لكونه خلاف الواقع ، ولايسوغهم الجواب بماهو الواقع من إشرافه على الموت لعدم طيب أنفسهم به وانطلاق لسانهم ببيانه .

(وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه) أى اختلفوا عنده فى خبر ذى حزن وغصة يخفونه منه و يجيبون السّائلين بالتناجى والمسارّة كيلا يشعر به ، وفصّل كيفية التنازع والاختلاف بقوله :

(فقائل) منهم (هولمابه) أى على الحال الذى كان عليه لاتفاوت فى مرضه وقيل: معناه هو الأمر الذى نزل به، أى قد أشفى على الموت. وما قلناه أظهر وأولى .

(و) آخر (ممنّ لهم إياب عافيته) أى يمنّيهم ويطمعهم عود عافيته بقوله : قد رأيت مثل هذا المريض و أشدّ مرضاً منه ثمّ عوفى .

(و) ثالث (مصبّر لهم على فقده) أي يحملهم على الصبر و التحمّل على فقده وفراقه (يذكرهم اسى الماضين من قبله) بقوله: تلك الرزيّة ممّا لا اختصاص لها بكم ولا الموت مخصوصاً بهذا المريض بل كلّ حيّ سالك سبيل و كلّ نفس ذائقة الموت، وقد مضى قبل هذا المريض عالم من النّاس وبقي بعد الأسلاف الأخلاف فتعزّوا بعزاء الله وتسلّوا واصبروا ولم يكن لهم علاج إلاّ أنّ قالوا: إنّالله وإنّا إليه راجعون، فينبغي لكم التأسّي بالماضين، فانّ لكم فيهم اسوة، و في هذا المعني قال الشاعر ولنعم ما قال:

وإنّ الأولى بالطف من آل هاشم　　تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا

وقالت الخنساء:

و ما يبكون مثل أخي ولكن　　أسلّي النفس عنه بالتّأسّي

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في المختار المأتين والواحد الّذى قاله عند دفن الصّديقة عليها السلام: قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري إلاّ أنّ لي في التّأسّي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ

(فبينا هو كذلك على جناح) أي على حركة سريعة فانّ الطّيران بالجناح سبب سرعة الحركة فتجوزعنها (من فراق الدّنيا وترك الأحبّة إذ) دهمته فجعات المنية و(عرض له عارض من غصصه) واعترض في حلقه وأخذ بخناقه.

(فتحيّرت نوافذ فطنته) أي تاهت إدراكات جودته وذكائه الثاقبة المتعلّقة بمصالح النشأة الدّنيويّة والأخرويّة، وفي بعض النسخ: فطنه، بصيغة الجمع، والمراد تبلّد مشاعره وقواه الدرّاكة وقصورها عن الادراكات النظرية.

(ويبست رطوبة لسانه) وجفّ حيله ريقه وحيل بينه وبين منطقه فصار بين أهله ينظر وجوههم ويسمع رجع كلامهم ويرى حركات ألسنتهم ولا يستطيع التّكلّم معهم.

(فكم من مهمّ من جوابه عرفه فعيّ عن ردّه) أي جواب سائل سأله عن أمر مهم من وصيّته ووصيّته ودينه ومصارف ماله وقيّم أطفاله ونحو ذلك فعجز عن ردّه.

(ودعاء مولم لقلبه سمعه فتصامّ عنه) أي نداء موجع لقلبه سمعه فأظهر الصّمم

لعدم قدرته على اجابة المنادى (من كبير كان يعظّمه) كما إذا كان المنادى له والده وولىّ النعمة له (أوصغير كان يرحمه) كما إذا كان المنادى ولده الصغير .

(وانّ للموت لغمرات) وأهاويل وسكرات (هى أفظع من أن تستغرق بصفة) أى تستعاب بوصف وبيان (أوتعتدل) وتستقيم (على قلوب أهل الدّنيا) لكونها خارجة عن حدّ الاحصاء متجاوزة عن طور الاستقصاء و كيف لا وهو هادم اللّذّات وقاطع الامنيّات و جذبة من جذباته أهون عندها نشر المناشير وقرض المقاريض .

أعاننا الله عليه ، وثبّتنا بالقول الثابت لديه ، ووفّقنا الله وأيّدنا و هدانا الصّراط المستقيم بفضله العميم ، هذا .

وقد أشار بعض الشعراء إلى إجمال ماقاله عليه السلام فى هذا الفصل وقال :

بينا الفتى مرح الخطا فرحاً بما ... يسعى له إذ قيل قد مرض الفتى
إذ قيل بات بليلة ما نامها ... إذ قيل أصبح مثقلا ما يرتجى
إذ قيل أمسى شاخصاً وموجهاً ... إذ قيل فارقهم وحلّ به الرّدى

ولله درّ المؤلّف أبى الحسن الرّضىّ قدّس سرّه ما أعجب نظمه فى شرح حال الدّنيا وأهلها والهالكين منهم ووصف مضجعهم وبرزخهم وساير حالاتهم قال :

انظر إلى هذا الأنام بعبرة ... لا يعجبنك خلقه ورواؤه
فتراه كالورق النضير تقصّفت ... أغصانه وتسلّبت شجراته
انّى محاباة المنون و إنّما ... خلقت مراعى للرّدى خضراؤه
أم كيف تأمل فلتة أجساده ... من ذا الزّمان وحشوها اوداؤه
لا تعجبنّ فما العجيب فناؤه ... بيد المنون بل العجيب بقاؤه
إنّا لنعجب كيف حمّ حمامه ... عن صحّة و يغيب عنّا داؤه
من طاح فى سبل الرّدى آباؤه ... فليسلكن طريقهم أبناؤه
و مؤمّر نزلوا به فى سوقة ... لا شكله فيهم ولا نظراؤه
قد كان يفرق ظلّه أقرانه ... ويغضّ دون جلاله أكفاؤه

ومحجّب ضربت عليه مهابةٌ يغشى العيون بهاؤه و ضياؤه
نادته من خلف الحجاب منيّة أمم فكان جوابها حوباؤه
شقّت إليه سيوفه و رماحه و اميط عنه عبيده و إماؤه
لم يغنه من كان و دّ لو أنّه قبل المنون من المنون فداؤه
حرّم عليه الذّل إلاّ أنّه ابداً ليشهد بالجلال بناؤه
متخشع بعد الانيس جنائه متضائل بعد القطين فناؤه
عريان تطرد كلّ ريح ترابه ويطيح اوّل أمرها حصباؤه
ولقد مررت ببرزخ فسألته أين الأولى ضمّتهم ارجاؤه
مثل المطيّ بوارکاً أجداثه يسقى على جنباتها بوغاؤه
ناديته فخفى عليّ جوابه بالقول إلاّ مازقت أصداؤه
من ناظر مطروفة ألحاظه أو خاطر مطلوبة سوداؤه
أو واجدٍ مكظومة زفراته أو حاقد منسيّة شحناؤه
ومسندين على الجنوب كأنّهم شربٌ تخاذل بالطلى أعضاؤه
تحت الصعيد لغير إشفاق إلى يوم المعاد يضمّهم أحشاؤه
أكلتهم الارض الّتي ولدتهم أكل الضّروس حلت له اواؤه

الترجمة

فصل سيم ازاين كلام دراشارة بحالات مرض موت وشدايد مرگست ميفرمايد :

چه بسيار خورده زمين از بدن تازه وصاحب آب ورنك خوش آينده را كه بود در دنيا پروردهٔ نعمت وپرورش يافتهٔ شرف وعزت ، درحالتی كه تعلّل میورزيد وبهانه ميكرد بشادی در حالت حزن وپريشانی ، وپناه میبرد به‌تسلّی خواطر اگر مصيبتی نازل میشد باو ازجهت بخل ورزيدن وضايع نساختن خوش گذرانی خود ، وازجهت خساست وهدر نكردن لهوولعب خود .

پس دراين اثنا كه اوخنده ميكرد وفرحناك بود بردنيا و خنده ميكرد وفرحناك بود دنيا بأو در سايهٔ خوش گذرانی كه باعث زيادت غفلت اوبود ناگاه

اگدکوب کرد اورا زمانه خار خودرا ، وشکاند روزگار قوّت او را ، ونگاه کـرد بسوی اومرگها از نزدیکی، پس آمیخت بأوحزن و اندوهی که نمی‌شناخت اورا ، وغصّهٔ پنهانی که نیافته بود اورا ، و متولّد شددراوسستیهای مرضها درحالت غایت انس اوبصحّت خود .

پس ملتجی شد بسوی آن چیزی که عادت داده بودند او را بآن طبیبها از فرونشاندن مایهٔ حرارت بدواهای بارد ، وحرکت دادن مایهٔ برودت بدواهای حارّ ، پس فرونشاند باستعمال دوای بارد مگراینکه حرکت داد حرارت را ، وحرکت نداد بدواء حارّ مگر بهیجان آورد برودت را ، و معتدل نساخت بچیزیکه مخلوط نمود بآن طبیعتهای حارّه و بارده مگر اینکه مدد نمود ازاین طبیعتها هرمادّهٔ که منشاء درد بود .

تااینکه سست شد پرستار اووغافل گردیدمواظب مرض اوودرمانده گردیدند اهل وعیال او درصفت ناخوشی او ولال گردیدند ازجواب پرسندگان أحوال او ، واختلاف کردند در نزد او در غمناك چیزی که پنهان می کردند آن را ، پس از ایشان یکی میگفت اوبهمین حالتست که هست ؛ ویکی دیگرتطمیع می کرد أهل او را برجوع کردن صحّت او، ودیگری تسلّی میداد ایشان رابرمرك اودرحالتی که یادآوری ایشان می کرد پیروی گذشتگان پیش ازاورا .

پس در این أثنا که اوبراین حالتبود برجناح حرکت ازدنیا وترك کردن أحبّا ناگاه عارض شداوراعارضهٔ ازغصّه‌های او ، پس متحیّر گردیدزیر کیهای نافذهٔ او ، و خشك شد رطوبت زبان او ، پس چه بسیار مهمّی ازجوابش بود که شناخت اورا پس عاجز از ردّ آن شد ، وچه بسیار ازندا کردن دردآوردندهٔ قلب اوبود که شنید اورا پس خودرا به کری زد بجهت عدم قدرت برجواب ، آن ندا از بزرگی بود که همیشه تعظیم می کرد اورا مثل پدر ، یا از کوچکی بود که همیشه مهربانی می کرد بأو مثل أولاد ، وبدرستی که مرگ راست سختیهائی که دشوارترند ازاینکه استیعاب وصف آنها شود، یا اینکه راست آید شرح آنها بعقلهای أهل دنیا .

ومن كلام له عليه السلام وهو المأتان والعشرون من المختار في باب الخطب

قاله عليه السلام عند تلاوة رجال لاتلهيهم تجارة :

إِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ ، وَتَنْقادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعانِدَةِ ، وَما بَرِحَ لِلهِ عَزَّتْ آلاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ ، وَفِي أَزْمانِ الْفَتَراتِ عِبادٌ ناجاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذاتِ عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَسْماعِ ، وَالْأَبْصارِ ، وَالْأَفْئِدَةِ ، يُذَكِّرُونَ بِأَيّامِ اللهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَواتِ ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجاةِ ، وَمَنْ أَخَذَ يَميناً وَشِمالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ، فَكانُوا كَذٰلِكَ مَصابِيحَ تِلْكَ الظُّلُماتِ ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهاتِ .

وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيا بَدَلاً ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْهُ ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيّامَ الْحَياةِ ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّواجِرِ عَنْ مَحارِمِ اللهِ فِي أَسْماعِ الْغافِلِينَ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ ، وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ ، وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَتَناهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّما قَطَعُوا الدُّنيا إلى الآخِرَةِ وَهُمْ فيها فَشاهَدُوا ما وَراءَ ذٰلِكَ، فَكَأَنَّما اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ في طُولِ الإِقامَةِ فيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيامَةُ عَلَيْهِمْ عِداتِها، فَكَشَفُوا غِطاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنيا، حَتّىٰ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ ما لا يَرَى النّاسُ، وَيَسْمَعُونَ ما لا يَسْمَعُونَ.

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ في مَقاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ، وَمَجالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَواوِينَ أَعْمالِهِم، وَفَرَغُوا لِمُحاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ، عَلىٰ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِها فَقَصَّرُوا عَنْها، أَوْ نُهُوا عَنْها فَفَرَّطُوا فِيها، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الإِسْتِقْلالِ بِها، فَنَشَجُوا نَشِيجاً، وَتَجاوَبُوا نَحِيباً، يَعِجُّونَ إِلىٰ رَبِّهِمْ مِنْ مَقاوِمِ نَدَمٍ وَاعْتِرافٍ.

لَرَأَيْتَ أَعْلامَ هُدًى، وَمَصابِيحَ دُجًى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقاعِدُ الْكَراماتِ في مَقامٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعائِهِ رَوْحَ التَّجاوُزِ، رَهائِنُ فاقَةٍ إِلىٰ فَضْلِهِ، وَأُسارىٰ ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الأَسىٰ قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكاءِ عُيُونَهُمْ، لِكُلِّ بابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنادِحُ، وَلا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرّاغِبُونَ، فَحاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ

غَيرِهَا مِنَ الأَنفُسِ عَلَيهَا حَسِيبٌ غَيرُكَ.

اللغة

(الوقرة) ثقل في الأذن أوذهاب السمع كلّه و(العشوة) مرّة من العشاء بالفتح والقصر سوء البصر بالليل والنّهار أو العمى و(البرهة) بالضّم الزّمان الطّويل أو الأعمّ و (الفترة) ما بين كلّ النّبيّين و (الفلاة) المفازة لاماء فيها أو الصحراء الواسعة و(هتف) به من باب ضرب هتافاً بالضّم صاح به.

و(المقاوم) المجالس جمع المقامة وهي مفعلة من المقام وهما في الأصل اسمان لوضع القيام إلّا أنّهم اتّسعوا فيهما فاستعملوهما استعمال المجلس والمكان قال تعالى «خير مقاماً» أي مجلساً و(أقلّ) فلان بالشيء واستقلّ به إذا حمله قال تعالى «أقلّت سحاباً ثقالاً» أي حملت الرّيح سحاباً ثقالاً بالماء و(النشيج) الصّوت مع بكاء وتوجّع كما يرد الصبي بكاءه في صدره و(النّحيب) رفع الصّوت بالبكاء و (عجّ) عجّاً من باب ضرب رفع صوته بالتّلبية و نحوها و (النسيم) نفس الرّيح الضعيف كالنسمة و تنسّم أي تنفّس وتنسّم النّسيم أي تشمّمه.

و(الرّوح) بالفتح الرّحمة والرّاحة قال تعالى «لاتيأسوا من روح الله» أي من رحمته، و يقال أيضاً لنسيم الرّيح الطيّب من روّحت الدّهن ترويحاً جعلت فيه ريحاطيبا طابت به ريحه فتروح أي فاحت رايحته وقال في مجمع البحرين في قوله تعالى «فأمّا إن كان من المقرّبين* فروح وريحان وجنّة نعيم» إنّ الرّوح بفتح أوّله الرّاحة والاستراحة أو الحياة الدّائمة، وبضمّه الرّحمة لأنّها كالرّوح للمرحوم، وبالوجهين قرء قوله: فروح.

و(المنادح) جمع المندح كقاتل ومقتل أو جمع المندوحة من ندح ندحاً من باب منع إتّسع قال الفيروزآبادي: النّدح وبضمّ الكثرة والسّعة وما اتّسع من الأرض كالنّدحة و النّدحة و المندوحة والمنتدح و (الحسيب) المحاسب وفي بعض النسخ محاسب بدل حسيب.

الاعراب

قوله تعالى «يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرالله » قرء ابن‌عامر وأبوبكر يسبّح بفتح الباء بالبناء على المفعول و الباقون بكسرها ، فعلي قولهم يكون رجال فاعله وعلى القول الأوّل فالسّاد مسدّ الفاعل أحد الظّروف الثلاثة أعني له فيها بالغدوّ ، وعلى هذه القراءة فيكون رجال فاعلا لفعل محذوف مدلول عليه بالفعل المذكور فكأنّه قيل من يسبّحه فقال : رجال ، أى يسبّحه رجال كما في قول الشّاعر :

ليبك يزيد ضارع لخصومة و مختبطٌ ممّا تطيح الطّوايح

أى يبكيه ضارع ، وقيل : هوخبر مبتدء محذوف أى المسبّح رجال وقيل : التقدير فيها رجال .

و قوله عليه السلام : وما برح لله آه برح فعل ناقص بمعني زال من نواسخ المبتدء والخبر يدخل عليهما فيرفع المبتداء تشبيهاً بالفاعل وينصب الخبر تشبيهاً بالمفعول ، ولله خبره المقدّم وعباداسمه المؤخّر ، وإنما يعمل هذا العمل بشرط تقدّم النفي عليه كما هنا وفي قوله « لن نبرح عليه عاكفين » ومثله زال في الاشتراط به قال تعالى: «ولايزالون مختلفين» وجملة عزّت آلاؤه حال من الله .

وقوله : في البرهة بعد البرهة إما ظرف لغو متعلّق ببرح، أوظرف مستقرّ حال من عباد قدّمت على ذيها للظرفية.

وقوله : حمدوا إليه تعديته بالى لتضمين معني الانهاء كما في قولهم : أحمد إليك الله أى أحمد منهياً حمده إليك .

وقوله عليه السلام : فكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات ، كان فعل ناقص والضمير اسمه و كذلك خبره ، والكاف فيه إما للتشبيه أو بمعني على كما قاله الأخفش والكوفيّون مستدلّين بأنّ بعضهم قيل له كيف أصبحت فقال كخير أى على خير أى كان عبادالله كما وصفناه أوعلى ما وصفناه ، ومصابيح تلك الظلمات فى بعض النسخ بالنصب وفى بعضها بالرّفع ، فعلى النصب يجوز أن تكون بدلا من كذلك بدل تفصيل كما فى

قوله تعالى «أمدّكم بما تعملون ☆ أمدّكم بأنعام وبنين ☆ وجنات وعيون» وأن تكون حالا من اسم كان على القول بجواز عمل الفعل الناقص في الحال ، وعلى الرّفع فهو بدل من ضمير كانوا كابدال الّذين ظلموا من ضمير أسرّوا في قوله تعالى «وأسرّوا النجوى الّذين ظلموا» .

وقوله : يقطعون به أيّام الحياة ، الظرف مفعول به لا مفعول فيه مثل حيث في قوله تعالى «الله أعلم حيث يجعل رسالته» إذ المعني أنّه سبحانه يعلم نفس المكان المستحق للرّسالة لاشيئاً في المكان ، وناصبها يعلم محذوفاً مدلولا عليه بأعلم لا بأعلم نفسه لأنّ أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به ، وقوله : لرأيت جواب فلومثلتهم .

و قوله عليه السلام : رهائن فاقة خبر لمبتدء محذوف و قوله : لكلّ باب رغبة خبر قدّم على مسنده وهو يد قارعة ، ومنهم متعلّق برغبة ويحتمل أن يكون منهم يد قارعة خبرا ومبتداء ، فيكون لكلّ باب ظرف لغو متعلّق بقارعة وقدّم على متعلّقه للوسعة في الظروف .

وقوله : لايخيب عليه الرّاغبون ، تعديته بعلى لتضمين لايخيب معنى التوكل أي متوكلين عليه ، وعلى للاستعلاء المجازى كما في قوله تعالى «كان على ربّك حتماً مقضياً» فانّه تعالى شانه من استعلاء شيء عليه ولكنه إذا صار الشيء مشهوراً في الاستعمال في شيء لم يراع معناه الأصلى نحوما أعظم الله ومنه: توكّلت على فلان كأنك تحمل ثقلك عليه ، و منه توكّلت على الله صرّح بذلك نجم الأئمة الرضيّ ، ويحتمل أن يكون عليه بمعنى فيه كما في قوله تعالى «و دخل المدينة على حين غفلة» فيكون متعلّقا بالرّاغبون أي لايخيب الراغبون فيه والأوّل أظهر .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام الشريف حسبما أشار إليه الرضيّ قدّس سرّه (قاله) عليه السلام (عند تلاوته) قوله تعالى (رجال لاتلهيهم تجارة) وقبل الشروع في شرحه ينبغي أن نفسّر الآية باقتضاء المقام ، وقد مضى بعض الكلام فيها في شرح الكلام المأة والثامن والتسعين وأقول هنا :

قال تعالى في سورة النور « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال۞ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و اقام الصّلوة وايتاء الزّكوة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار » أى هذه المشكاة المذكورة في سابق الآية في بيوت أوتوقد في بيوت هذه صفتها .

قال ابن عباس : و هى المساجد ، و يعضده قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض

و قيل : هي بيوت الأنبياء قال في مجمع البيان : وروى ذلك مرفوعاً أنّه سئل عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لما قرء الآية أىّ بيوت هذه ؟ فقال : بيوت الأنبياء ، فقام أبو بكر فقال : يا رسول الله هذا البيت منها لبيت عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام ؟ قال : نعم من أفاضلها ، ويعضد هذا القول قوله « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً » وقوله « رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت »

وفى الصافي من الكافي و الاكمال عن الباقر عليه السلام هى بيوتات الأنبياء والرّسل والحكماء وأئمة الهدى

و القمّى عنه عليه السلام هى بيوت الأنبياء وبيوت عليّ عليه السلام منها .

و قد مضى في شرح الكلام المأة و الثامن والتسعين حديث من غاية المرام عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام في هذه الآية أنه قال بيوت آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم أجمعين بيت عليّ وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر عليهم السلام .

وفيه أيضاً من الكافي باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال : كنت جالساً في مسجد الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل رجل فسلّم فقال : من أنت يا عبدالله ؟ فقلت : رجل من أهل الكوفة فما حاجتك ؟ فقال لي : أتعرف أباجعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام ؟ فقلت : نعم فما حاجتك إليه ؟ قال : هيّأت له أربعين مسأله أسأله عنها فما كان من حقّ أخذته وما كان من باطل تركته ، فقلت له : هل تعرف ما بين الحقّ والباطل؟ قال : نعم ، قلت : فما حاجتك إليه إذا كنت تعرف ما بين الحقّ والباطل ، فقال لي: يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تطاقون إذا رأيت أباجعفر عليه السلام فأخبرني ، فما انقطع كلامه

حتى أقبل أبوجعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان وغيرهم يسألونه عن مناسك الحجّ فمضى حتّى جلس مجلسه وجلس الرجل قريباً منه ، قال أبوحمزة : فجلست حتى أسمع الكلام وحوله العالم من الناس ، فلما قضى حوائجهم وانصرفوا التفت عليه السلام إلى الرجل فقال له : من أنت ؟ قال أناقتادة بن دعامة البصرى ، فقال أبوجعفر عليه السلام أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال : نعم ، فقال له أبوجعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً من خلقه فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد الأرض قوّام بأمره ، نجباء في علمه ، اصطفاهم قبل خلقه ، أظلّة عن يمين العرش ، قال : فسكت قتادة طويلا ثمّ قال : أصلحك الله والله لقد جلست بين يدى الفقهاء وقدّام ابن عبّاس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك ، فقال أبوجعفر عليه السلام ما تدرى أين أنت ، أنت بين يدى « بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال ✩ رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله و إقام الصّلوة وايتاء الزكوة » ونحن اولئك ، فقال له قتادة : صدقت والله جعلنى الله فداك والله ما هى بيوت حجارة ولا طين ، الحديث .

و المراد بالرفع في قوله « أن ترفع » التعظيم ورفع القدر ، و قيل : رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى « و يذكر فيها اسمه » أى يتلى فيها كتابه ، و قيل : يذكر فيها أسماؤه الحسنى : وقيل : عام فيما يتضمن ذكره حتى المذكورة في أفعاله والمباحثة في أحكامه « يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال » أى يصلّي فيها بالبكر والعشايا قال ابن عباس كلّ تسبيح فى القرآن صلاة ، وقيل : المراد بالتسبيح تنزيهه عما لايجوز عليه ووصفه بصفات الكمال التي يستحقّها لذاته وأفعاله .

ثمّ بين المسبّح فقال « رجال لاتلهيهم » أى لاتشغلهم ولا تصرفهم « تجارة ولا بيع عن ذكر الله » وستعرف الفرق بين التجارة والبيع في شرح المتن ، وأما ذكر الله فهو يعمّ جميع الأذكار وقد مرّ تفصيلا في التنبيه الثاني من تنبيهات الفصل السّادس من فصول الخطبة الثانية والثمانين .

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح كلامه عليه السلام فأقول : إنّ مدار هذا الكلام

على فصول ثلاثة :

الأوّل في التّنبيه على فضيلة الذّكر نفسه .

والثّاني في وصف حال المذكّرين و كيفية تذكيرهم .

و الثّالث في بيان أوصاف الذّاكرين و الاشارة إلى مقاماتهم الجليلة ومقاومهم المحمودة .

اما الفصل الاول

فهو قوله عليه السلام (إنّ الله سبحانه جعل الذّكر جلاء للقلوب) المراد بالذّكر هنا مطلق الذكر من التسبيح والتهليل والتّحميد والدّعاء والمناجاة وتلاوة الكتاب الكريم ونحوها ، فانّ المداومة عليها باللّسان مع حضور القلب وتوجّهه إليها توجب صفاء القلب ونوره وجلائه وطهارته ونقائه من ظلمة الذّنوب ورين المعاصي والغواشي كالمرآة المجلوّة الّتي ليس عليها شيء من الكدر .

وذلك لما عرفت في شرح الكلام المأتين والسّادس عشر أنّ الاستغراق في الذكر والمداومة عليه يصرف القلب عمّا سوى الله إلى الله عزّ وجلّ ، فلا يبقى فيه مجال للتّوجه إلى الدّواعي النفسانيّة ولا محلّ لطرد الوساوس الشّيطانيّة التي هي منشأ الذّنوب ومبدء ظلمات القلوب .

و قد تقدّم في التّنبيه الثّاني من شرح الفصل السّادس من فصول الخطبة الثانية والثمانين كيفية مطاردة جنود الملائكة والشياطين في القلب وغلبتهم على الشياطين وابعادهم لهم عن القلب بالمداومة على الذّكر والطاعة ، ومضى هناك مطالب نفيسة نافعة في المقام .

وقوله عليه السلام (تسمع به بعد الوقرة) يعني يكون الذكر سبباً لكون القلوب سميعة بعد صممها أي مستعدّة لاستماع كلام الله وكلام الأنبياء والدّعاة إلى الله واستفادة الكمالات والقربات منها بعد ما كانت قاصرة عنها .

(وتبصر به بعد العشوة) أي يكون سبباً لكونها بصيرة بعد عشاها و ضعف

بصرها أى قابلة للانتفاع بما في الكون من عجايب التّدبير مدركة لما في الآفاق والأنفس من الآيات والعبر بعد ما كانت غافلة عن إدراكها .

(وتنقاد به بعد المعاندة) أى تنقاد للحقّ بعد العناد والالحاد ، وذلك لأنّه يحصل بدوام الذّكر والفكر حالة المراقبة واستشعار عظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه فيحصل بذلك ذلّ و انكسار ومهانة للقلب ويكون داخراً ذليلا منقاداً لقبول أمر الرب ونهيه ، سالكا لسبيله بعدما كانت منحرفاً عنه و تجلو الذكر قلبه و تقرّ عين باطنه فتبصر بما لا يبصر به قبل المداومة بالذّكر ، اللّهمّ آنسنا به بلطفك الخفيّ

واما الفصل الثانى

فهو قوله:

(وما برح) أى ما زال (الله) بمقتضى لطفه ورحمته (عزّت آلاؤه) و جلّت نعماؤه (في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات) من الرّسل وطول الهجعة من الامم (عباد) صالحون كاملون في معرفته تامّون في عبوديّته قائمون بأمره في أنفسهم مبشّرون ومنذرون لغيرهم (ناجاهم في فكرهم) أى ألهمهم معرفته وأفاض على قلوبهم كيفيّة سلوك سبيله و هداية الناس إليه (وكلّمهم في ذات عقولهم) أى خاطبهم في باطنهم سرّاً و تجوز به كالمناجاة عن الالهام والافاضة التي أشرنا إليها (فاستصبحوا بنور يقظة في الأسماع والأبصار والأفئدة) أى استيقظوا بشمول الألطاف الغيبيّة و الافاضات الالهيّة من نوم الغفلة ورقد الجهالة ، و استضاؤوا بنور حاصل في الأسماع بسبب استماعها إلى ما فيه صلاح الدّين من المواعظ و الحكم والفضايل و آيات الكتاب المبين .

و قد قال تعالى « إذا قرء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا » فانّ الاستماع إلى ذلك بقصد الفهم والقبول محصّل لأنوار الكمالات النفسانية ، ولذلك مدح الله تعالى المؤمنين بكون استماعهم على هذا الوجه وقال عزّ من قائل « وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا » أى إذا قرء على المؤمنين القرآن واستمعوه زادتهم آياته تبصرة ويقيناً

على يقين

و أمّا الاستماع لا بقصد الفهم و القبول فقد ذمّ المستمعين كذلك في قوله: « ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث إلاّ استمعوه و هم يلعبون » أى لم يستمعوه استماع نظر وتدبّر وقبول وتفكّر وإنّما استمعوه استماع لعب واستهزاء ، وفى قوله « ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصمّ ولو كانوا لايعقلون » أى من جملة هؤلاء الكفّار من يطلبون السمع إلى كلامك للردّ والتعنّت لاللفهم و القبول ، فلمّا كان استماعهم على هذا الوجه كانوا كأنّهم صمّ لايستمعوه حيث لم ينتفعوا به فاستحقّوا الطعن والتعريض من الله عزّ وجلّ بذلك .

و استضاؤوا أيضاً بنور حاصل في الابصار بسبب نظرها إلى ماهو محصّل لنور المعرفة من آيات الكبرياء والعظمة وعجايب الصّنع والقدرة كماقال تعالى «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحقّ » وقال «ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزّل من السّماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون»

هذا إذا كان النظر اليها للاستبصار والاعتبار وإلاّ فلاخير فيه ولامنفعة ولايزيد إلاّ الغفلة ، ولذلك ذمّ الله تعالى شأنه الكفّار بكون نظرهم على هذا الوجه في قوله «ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدى العمى ولوكانوا لايبصرون» أى ينظر إلى أفعالك وأقوالك لانظر الحقيقة والعبرة بل نظر العادة فلا ينتفع بنظره ولا يزيدهم النظر إلاّ عمى و جهالة .

وأمّا الاستضاءة بنور يقظة الأفئدة فيقظتها عبارة عن فطانتها وجودتها وتوجّهها إلى ماينبغي لها من الكمالات العقلية وتفكّرها في آثار القدرة والجلال والجبروت و آيات العظمة و الكمال والملك و الملكوت ، و تدبّرها في بدايع المصنوعات ومعاني الآيات المحكمات كما قال تعالى «ان في خلق السّموات والأرض واختلاف اللّيل والنهار لآيات لأولى الألباب» وقال « كتاب انزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب» .

والمراد بنور يقظتها هو نور العلم والمعارف الحقّة والعقايد اليقينية الحاصلة من التدبّر والتّفكّر.

واستعارة النّور للعلم شايع كاستعارة الظّلمة للجهل كما قال تعالى « أفمن كان ميّتاً فأحييناه و جعلنا له نوراً يمشي به في النّاس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها» قال في التفسير: أى كافراً فأحييناه بأن هديناه إلى الايمان وانّما سمّى الله تعالى الكافر ميّتاً لأنّه لاينتفع بحياته ولاينتفع غيره به ، و سمّى المؤمن حيّاً لأنّ له ولغيره المصلحة والمنفعة في حياته ، و جعلنا له نوراً ، أراد بالنور العلم والحكمة قال أمين الاسلام الطبرسيّ ره: سمّى سبحانه ذلك نوراً و الجهل ظلمة لأنّ العلم يهتدى به إلى الرّشاد كما يهتدى به في الطرقات وقال ابن عبّاس : المراد بالنّور الايمان، وقيل: المراد به القرآن كمن مثله في الظّلمات أى ظلمات الكفر قال الطبرسيّ ره: سمّى الايمان والقرآن والعلم نوراً لأنّ النّاس يبصرون بذلك ويهتدون من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى بساير الأنوار ، وسمّى الكفر ظلمة لأنّ الكافر لا يهتدى بهداه ولايبصر أمر رشده ، ومن هذا القبيل استعارة البصير والأعمى للمؤمن والكافر قال تعالى «ومايستوى الأعمى والبصير» .

و الحاصل أنّه تعالى لم يخل الأزمان من عباد استضاؤوا و استصبحوا بنور المعرفة و اليقين الحاصل من طريق السمع بالاصغاء ، ومن طريق البصر بالنظر والأفئدة بالفكر والتّدبّر ، هذا حالهم في ذات أنفسهم .

وأمّا بالنسبة إلى الخلق فانّهم يهدون بالحقّ ويحكمون بالقسط ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و(يذكرون بأيّام الله) أى يذكّرون النّاس بوقايعه وقوارعه وعقوباته الواقعة بالامم الماضية في القرون الخالية على ماعرفته في شرح الفصل السّابع من الخطبة المأة والحادية والتسعين .

و روى عن أبيعبدالله عليه السلام في تفسير قوله تعالى « فذكّرهم بأيّام الله» أنّه يريد بأيّام الله سنّته وأفعاله في عباده من إنعام وانتقام .

وحاصله تذكير المحسنين بالانعام تبشيراً لهم ، والمسيئين بالانتقام إنذاراً

وتحذيراً كما ذكر الله تعالى أيضاً كفّار قريش بذلك فى كتابه العزيز فى سورة القمر حيث قال فيهم « ولقد جائهم من الأنباء مافيه مزدجر» وكرّر قوله « ولقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر» عقيب التّذكير بقصّة قوم نوح و إهلاكهم بماء منهمر ، و بقصّة عاد و إهلاكهم بريح صرصر فى يوم نحس مستمرّ ، وبقصّة ثمود وإهلاكهم بصيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ، وبقصّة قوم لوط ولقد صبّحهم بكرة عذاب مستقرّ ، فختم بقصّة آل فرعون وأخذه عزّ وجلّ لهم أخذ عزيز مقتدر ، ثمّ اتبع ذلك كلّه بقوله أكفاركم خير من اُولئكم أم لكم برائة فى الزّبر» إلى أن قال تعالى «ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدّكر» .

قال أمين الاسلام الطبرسيّ : خوّف سبحانه كفار مكّة فقال «أكفاركم خير» وأشدّ وأقوى «من اُولئكم» الّذين ذكرناهم و قد أهلكناهم ، و هذا استفهام إنكار أى لستم أفضل من قوم نوح وعاد وثمود لا فى القوّة ولا فى الثروة و لا فى كثرة العدد والعدّة ، والمعنى أنه إذا هلك اُولئك الكفار فما الذى يؤمنكم أن ينزل بكم مانزل بهم «أم لكم برائة في الزّبر» أى لكم براءة من العذاب في الكتب السّالفة أنّه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية .

وقال في قوله «ولقد أهلكنا أشياعكم» أى أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم الماضية « فهل من مدّكر » أى فهل من متذكّر لما يوجبه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ماسلف من أعمال الكفار لئلاّ يقع فيه ماوقع بهم من الاهلاك .

(ويخوّفون مقامه) أى يخوّفونهم من مقام الرّبوبية المتّصفة بالعظمة والجلال والكبرياء والقدرة ، و من كونه قائماً على كلّ نفس بما كسبت ، فانّ التخويف بذلك مستلزم للخوف والهيبة أو من مقامهم بين يدى الرّب للحساب وذلك يوم يقوم الناس لربّ العالمين ويقوم الاشهاد ويقوم الرّوح والملائكة صفّاً لايتكلّمون إلاّ من أذن له الرّحمن وقال صواباً .

ثمّ وصفهم بأنهم (بمنزلة الأدلّة) والهداة (فى) البوادى و(الفلوات) فكما أنّ

الأدلّة يدلّون على الطريق ويهتدون إليه و(من أخذ القصد) أى قصد السبيل و هو الطريق المستقيم المحفوظ من الافراط والتفريط المبلّغ قاصده وسالكه إلى مايريد (حمدوا إليه طريقه وبشّروه بالنّجاة) من الهلكات (ومن) انحرف عنه و(أخذ يميناً وشمالا ذمّوا إليه الطريق وحذّروه من الهلكة) فكذلك هؤلاء يهدون السايرين إلى الآخرة إلى الصراط المستقيم ويبشّرون الآخذين به بالسعادة الأبدية و النجاة من المهالك ، و يحذّرون المنحرفين عنه إلى اليمين والشمال من الشقاوة الأبدية والوقوع فى المعاتب .

(فكانوا كذلك) أى على ما وصفناه من التّذكير و التخويف و التبشير والتّحذير (مصابيح تلك الظّلمات وأدلّة تلك الشّبهات) أشاربها إلى ظلمات أزمنة الفترة المذكورة سابقاً و شبهاتها ، و أراد بالظّلمات ظلمات الجهل والحيرة التّي تغشى النّاس فيها ، وبالشّبهات الامور الباطلة الشبيهة بالحقّ ، وشبّههم بالمصابيح لأنّه يهتدى بهم ويقتبس من أنوارعلومهم في تلك الظّلمات كما يستضاء بالمصباح في ذلك ظلمة اللّيل

و بهذا الوجه شبّه الأئمّة عليهم السلام بالعلامات و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالنّجم في قوله تعالى « وعلامات وبالنّجم هم يهتدون » **قال** أبوعبدالله عليه السلام : نحن العلامات والنّجم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم .

وشبّههم عليهم السلام بالأدلّة لتميزهم بين الحقّ والباطل وإرشادهم إلى الحقّ كما يفرق الدّليل بين القصد وغيره ويدلّ على القصد .

وقد مرّ نظير ذلك في كلامه عليه السلام في الخطبة الثامنة والثلاثين حيث قال عليه السلام هناك : وإنّماسمّيت الشّبهةشبهة لأنّهاتشبهالحقّ فأمّا أولياءاللهفضياؤهمفيها اليقين ودليلهم سمت الهدى ، وأمّا أعداء اللهفدعاؤهم فيها الضّلال ودليلهم العمى .

و اما الفصل الثالث

فهو قوله عليه السلام (و انّ للذّكر لأهلا أخذوه من الدّنيا بدلا) أراد بهم إمّا خصوص نفسه و الطيبين من أولاده لأنّهم أهله حقيقة يسبّحون اللّيل والنّهار و لا يفترون ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السّموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا .

وهم أيضاً أهل الذّكر الّذي هو القرآن كما يشهد به مافي الكافي عن الفضيل عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك و تعالى « وانّه لذكرلك و لقومك وسوف تسئلون » قال عليه السلام : الذكر القرآن ونحن قومه ونحن المسؤولون .

واهل الذكر الذى هوالرّسول صلّى الله عليه و آله كما يدلّ عليه ما فيه عن عبدالله بن عجلان عن أبي‌جعفر عليه‌الصّلاة و السّلام في قول الله عزّوجلّ « فاسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون » قال رسول الله صلّى الله عليه و آله : الذّكر أنا و الأئمة عليهم السلام أهل الذّكر .

و يؤيّد إرادته عليه السلام خصوص نفسه وأولاده عليهم السلام ما يفصّله عليه السلام من صفات أهل الذّكر ، فانّ تلك‌الصّفات الآتية هم المتّصفون بها حقّ الانّصاف وحقيقته

ويؤيّده أيضاً أكثر مارويناه من الأخبار في تفسير «بيوت‌أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه»الآية .

وإن أراد به مطلق أهل الذكر فهم عليهم السلام أكثر كمل مصاديقه وأفراده .

و كيف كان فقد أخذ الذّكر أهله بدلا من الدّنيا و عوضاً منها علما منهم بأنّ من أكثر ذكر الله أحبّه الله كما **رواه** الصّادق عليه السلام من رسول الله صلّى الله عليه و آله **وروى** عنه أيضاً من أحبّ أن يرتع في رياض الجنّة فليكثر ذكر الله .

ولذلك (فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه) ذكر البيع بعد التّجارة من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ لمزيد الاهتمام كما في قوله تعالى « يسئلونك عن الأهلّة قل هي‌مواقيت للنّاس والحجّ » فانّ التجارة تشمل جميع أنواع المكاسب والبيع أظهرها ، وقال البيضاوى في تفسير قوله تعالى « لا تلهيهم تجارة » لايشغلهم معاملة

رابحة « و لا بيع عن ذكر الله » مبالغة بالتعميم بعد التّخصيص إن أُريد به مطلق المعاوضة ، أو بافراد ماهو أهمّ من قسمى التجارة فانّ الرّبح يتحقّق بالبيع ويتوقّع بالشّرا ، وقيل : المراد بالتّجارة الشّرى فانّه أصلها ومبدؤها .

(يقطعون به أيّام الحياة) أى أيّام حياتهم ، و يحتمل أن يكون المعنى أنّهم يقطعون بالاشتغال به عن العلايق الدّنيويّة في تمام عمرهم ؛ فتكون أيّام الحياة مفعولاً فيه لا مفعولاً به والأوّل أظهر .

(و يهتفون بالزّواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين) عن ذكر الله أى يصيحون بالمواعظ البالغة و النّصايح الزّاجرة في أسماع أهل اللّهو والغفلة زجراً لهم أى إزعاجا وإبعاداً عن المحارم (يأمرون) غيرهم (بالقسط) والعدل (ويأتمرون) أى ينقادون (به) في أنفسهم (وينهون عن) الفحشاء و (المنكر ويتناهون) أى يكفّون (عنه) في ذاتهم لما عرفت في شرح الخطبة المأة و الرابعة أنّ النّهى عن المنكر إنّما هو بعد التناهى عنه .

(فكأنّما قطعوا الدّنيا)وانتهوا (إلى الآخرة وهم فيها) أى والحال أنّهم في الدّنيا فكأنّهم قطعوها و مضوا إلى الدّار الأُخرى (فشاهدوا) بعين اليقين (ما وراء ذلك) العالم .

(فكأنّما) هم والجنّة كمن قدرآها فهم فيها منعّمون وعلى الأرائك متّكؤون وهم والنار كمن قدرآها فهم فيها معذّبون ومن هولها مصطرخون وكأنما (اطلعوا عيوب أهل البرزخ في طول الاقامة فيه) أى علموا فظايع البرزخ و شدايد أهله الغايبة عن نظر أهل الدّنيا في مدّة الاقامة المتمادية الطويلة لهم فيه

(و) كأنما (حقّقت القيامة عليهم عداتها) في إسناد التحقيق إلى القيامة و كذا إضافة العدات إلى ضميرها تجوّز ، و المراد كأنّ القيامة قد قامت عليهم وحقّق الله تعالى مواعيده التي تكون فيها من تكوير الشمس وطمس النجوم وتسيير الجبال وحشر الوحوش و كون الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش وفرار المرء من أخيه وأُمّه وأبيه وصاحبته وبنيه لكلّ امرء منهم يومئذ شأن يغنيه

وجوه يومئذمسفرة ضاحكة مستبشره و وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة إلى غير هذه مما أخبربه الكتاب العزيز ونطق به الأخبار .

(فكشفوا) ببياناتهم الفصيحة و كلماتهم النصيحة (غطاء ذلك) أى ما رأوه بعين اليقين من محجوبات الغيوب و مستورات الغيب المحجوب (لأهل الدّنيا) تنفيراً لهم عنها وترغيباً إلى دارالأخرى (حتّى كأنهم) من شدّة اليقين وقوّةأبصار البصاير و آذان العقول (يرون) من أحوال النشأة الأخروية (مالايرى) ساير (الناس ويسمعون ما لايسمعون) وهذا المقام مقام قوله عليه السلام : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

قال الشارح البحراني : لما كان السبب فى قصورالنفوس عن ادراك أحوال الآخرة وهوتعلّقها بهذه الأبدان واشتغالها بتدبيرها والانغماس في الهيئات الدّنيوية المكتسبة عنها ، و كان هؤلاء الموصوفون قد غسلوا درن تلك الهيئآت من ألواح نفوسهم بمداومة ذكر الله و ملازمة الرّياضة التامّة ، حتّى صارت نفوسهم كمرايا مجلوّة حوذى بها سطر الحقايق الالهية فجلت وانتقشت بها، لاجرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاة و سبيل الهلاك ومابينهمافسلكوا على بصيرة وهدوا الناس على يقين واخبروا عن امور شاهدوها بأعين بصائرهم و سمعوا بآذان عقولهم ، فكأنهم في وضوح ذلك لهم و ظهوره و اخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس بحواسّهم مالم يشاهده الناس وسمعوا ما لم يسمعوه .

(فلومثلتهم بعقلك) أى تصوّرت مثالهم و صورهم (في مقاومهم المحمودة) أى مقامات عبوديتهم وتذلّلهم التى يحمدهم الله ربّ العالمين بالقيام فى تلك المقامات (و مجالسهم المشهودة) أى مجالس عبادتهم و تضرّعهم الّتي تشهدها الملائكة المقرّبون كما قال عزّ من قائل « و قرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً » قال المفسرون معناه إنّ صلاة الفجر تشهدها ملائكة الّليل وملائكة النهار

و قوله عليه السلام : (وقد نشروا دواوين أعمالهم وفرغوا لمحاسبة أنفسهم) من الاستعارة التمثيليّة حيث شبّههم عليه السلام في تتبّعهم لنفوسهم وملاحظتهم لألواح ضمايرهم

وتفكّرهم في ما ثبت في تلك الألواح من صور أعمالهم التّي عملوها من خير أو شرّ وتدبيرهم في جبران الخاسرة منها ومطالبتهم أنفسهم بتدارك مافاتت وفرّطت فيها بالتاجر الذى يفتح دفتر تجارته ، وينشر ديوان حسابه و ينظر ما كتب فيه من صورة مكاسبه ويلاحظ ربحه وخسرانه ، ويدبّر تدارك خسارته .

و قد قال عليه السلام في الخطبة التّاسعة والثمانين : عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا ، وقد مرّ في شرحه ماينفع في هذا المقام

وحقيقة محاسبة النّفس على ما نبّه عليه الغزالي أن يكون للعبد ساعة في آخر النّهار يطالب النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدّنيا مع الشركاء في آخر كلّ سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدّنيا وخوفاً من فوات منافعها .

فانّ التّاجر إذا جلس مجلس المحاسبة مع شريكه ينظر أوّلا في رأس المال ، ثمّ في الرّبح و الخسران ليتبيّن له الزّيادة والنّقصان ، فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره ، وإن كان من خسران ضمّنه و كلّفه جبرانه في المستقبل

و كذلك رأس مال العبد في دينه الفرايض وربحه النّوافل والفضايل وخسرانه المعاصي وموسم تلك التجارة تمام النّهار ، والنّفس بمنزلة الشريك فليحاسبها أوّلا على الفرايض فإن أدّاها على وجهها شكر الله تعالى على ذلك ، و إن فوّتها من أصلها طالبها بالقضاء و إن أدّاها ناقصة كلّفها الجبران بالنّوافل ، وإن ارتكب معصية اشتغل بمؤاخذتها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرّط كما يصنع التّاجر بشريكه .

و كما أنّه يفتّش في حساب الدّنيا عن الحبّة والقيراط ويبالغ في المداقّة ويلاحظ مداخل الزّيادة والنقصان، فينبغي له أن يبالغ في المداقّة فى حساب نفسه عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه وتكلّمه بل عن جميع حركاته وسكناته، وينبغي أيضاً أن يحاسب النّفس على جميع عمره يوماً فيوماً وساعة فساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة .

وقد نقل عن بعض العرفاء و كان محاسباً لنفسه أنّه حسب يوماً فاذا هو ابن ستّين سنة ، فحسب أيّامها فاذاً هي أحد وعشرون ألف يوم و خمسمأة يوم ، فصرخ وقال : ياويلتي ءألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كلّ يوم عشرة آلاف ذنب ، ثمّ خرّ مغشيّاً عليه فاذا هو ميّت .

فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الانفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كلّ ساعة ، ولو رمى العبد بكلّ معصية حجراً في داره لكان في مدّة قليلة تلاً صغيراً ولكنّه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه

وأمّا أولياء الله الكاملون في مقام العبوديّة والطاعة فلهم المداقّة في محاسبة أنفسهم و معاتبتها (على كلّ صغيرة و كبيرة امروا بها فقصّروا عنها أونهوا عنها ففرّطوا فيها) لعدم إخراجهم أنفسهم من حدّ التقصير فانّه عزّ وجلّ لا يمكن أن ينال مدى عبادته ، و كيف يمكن البلوغ إلى مدى عبادة من لا مدى له ، ومن ذلك أنّ المعصومين عليهم السلام كانوا يعدّون أنفسهم في عداد المذنبين المقصّرين لكون حسنات الأبرار سيئآت المقرّبين حسبما عرفت تفصيلا في شرح الخطبة الأولى عند تحقيق عصمة الأنبياء عليهم السلام .

(و حمّلوا ثقل أوزارهم) و آثامهم (ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها) أي عن حمل الاوزار (فنشجوا نشيجا) أي بكوا بكاء متوجّع (وتجاوبوا نحيبا) أي جاوب بعضهم بعضاً بالنّحيب والبكاء الشّديد ، ولفظ التّجاوب مجاز فانّهم لمّا كانوا في مقام محاسبة النّفس رافعين أصواتهم بالبكاء صاروا بمنزلة المتجاوبين كأن كلاّ منهم يجاوب الآخر ببكائه ونحيبه .

(يعجّون إلى ربّهم من مقاوم ندم واعتراف) أي يرفعون أصواتهم إليه عزّ وجلّ بالتّضرّع والابتهال في مقامات التوبة والابتهال والاعتراف بالتّفريط والتّقصير .

وقوله (لرأيت) جواب لو مثّلتهم حسبما اشرنا إليه أي لو تصوّرت حالاتهم في مقاماتهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وشاهدت من شئونهم كيت و كيت لرأيت (أعلام هدى) يهتدى بآثارهم في ظلم الضّلالة (ومصابيح دجى) يقتبس من أنوارهم

في غياهب الجهالة (قد حفّت بهم الملائكة) أى أحاطت عليهم الملائكة تشريفاً و إكراماً و عناية من الله تعالى في حقّهم (و تنزّلت عليهم السّكينة) وهى هيئة جسمانيّة تنشاء من استقرار الأعضاء وطمأنينتها مع اعتدال حركاتها ، ولعلّ المراد بها برد اليقين الّذي اشرنا إليه في شرح الكلام الّذى قبل هذا الكلام له عليه السلام .

(و فتحت لهم أبواب السّماء) بالعنايات الالهيّة و الافاضات الملكوتيّة والألطاف الغيبيّة (واعدّت لهم مقاعد الكرامات) المشار إليها في قوله عزّ وجلّ « إنّ المتّقين في جنّات ونهر ☆ في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

قال أمين الاسلام الطّبرسى : أى أنهار من الخمر والماء والعسل ، وضع نهر فى موضع أنهار لأنّه اسم جنس يقع على القليل والكثير ، والاولى أن يكون انّما وحّد لوفاق الفواصل فى « مقعد صدق » أى فى مجلس حقّ لالغو فيه و لا تأثيم وقيل : و صفه بالصّدق لكونه رفيعاً مرضياً ، وقيل : لدوام النعيم به وقيل : لأنّ الله صدق وعد أوليائه فيه « عند مليك مقتدر » أى عندالله سبحانه فهو المالك القادر الذي لايعجزه شيء ، وليس المراد قرب المكان تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً بل المراد أنهم فى كنفه وجواره و كفايته حيث تنالهم غواشى رحمته وفضله .

والحاصل أنهم هيأت لهم تلك المقاعد (فى مقام اطلع الله عليكم فيه) وفى نسخة الشارح المعتزلى عليهم بدل عليكم وهو أنسب وعلى هذه النسخ فلعلّه من تغليب المخاطبين على الغايبين ، و يمكن أن يكون النكتة فى العدول من الغيبة على الخطاب تهييج المخاطبين و الهابهم بالتنبيه على أنّ الله تعالى مطلع عليكم وعليهم جميعاً ولكن مقاعد كراماته صارت مخصوصة بهم لتكميلهم للعبودية فينبغى أن تكونوا مثلهم حتى تكون معدّة لكم أيضا كما أُعدّت لهم .

(فرضى سعيهم) أى جدّهم وجهدهم فى العبادة (وحمد مقامهم) أى مقام عبوديتهم وهوفوق مرتبة مقام العبادة لأنّ العبادة للعوام من المؤمنين و العبودية للخواصّ من السالكين والعبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين فانّ حقيقة العبودية هى الاسر والتذلل فى قيد الرّقية وأن لايبقى فيه أثر من آثار

هواه ، وأن تكون أوقاته مستغرقة فى خدمة مولاه مصروفة إلى تحصيل رضاه

ولذلك وصف الله نبيه صلى الله عليه وآله بهذا الوصف فى غاية غايات مقام القرب والزّلفى حيث قال تعالى « ثمّ دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أوأدنى ۞ فأوحى إلى عبده ما أوحى » فعبّر بلفظ العبد إشارة إلى أنه صلى الله عليه وآله فى ذلك المقام كان فانياً فى الله لم يكن له همّ أصلا فيما سواه منقطعاً عن جميع ماعداه .

(يتنسّمون بدعائه روح التجاوز) اى يشمّون بدعائه ومناجاته تعالى النسيم الطيب والهواء الذي تستلذّه النفس ويزيل عنها الهمّ لما حصل من تجاوزه عزّ وجلّ من تقصيرهم وصفحه عنهم (رهائن فاقة إلى فضله) قال الشارح البحرانى استعار لهم لفظ الرّهائن لكونهم فى محلّ الحاجة إلى فضله لامعدل ولا ملجأ لهم عنه كالرهائن فى يد المسترهن .

و كذلك الاسارى فى قوله عليه السلام (واسارى ذلّة لعظمته) ووجه المشابهة كونهم فى مقام الذّلة تحت عظمته كالأسير بالنسبة إلى عظمة من اسره .

(جرح طول الاسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم) أى صارت قلوبهم وعيونهم مجروحة من طول الحزن والبكاء لما فيهم من مزيد الخوف والخشية الملازم لكمال المعرفة التى لهم بعظمة الربّ تعالى وعزّته (لكلّ باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة) أراد بأبواب الرّغبة أنواع العبادات والقربات ، وبقرعهم لتلك الأبواب جدّهم فى اقامتها وعدم غفلتهم عنها .

وقال البحرانى : أشار بقرعهم لكلّ باب من أبواب الرّغبة إلى الله إلى توجيه أسرارهم وعقولهم إلى القبلة الحقيقية استشرافاً لأنوار الله واستتماماً لجوده .

(يسألون من لاتضيق لديه المنادح) الاتيان بالموصول لزيادة التّقرير أى تقرير الغرض المسوق له الكلام ، فانّ المقصود به الحثّ على سؤاله و التّرغيب إليه تعالى بالتّنبيه على سعة بحر كرمه وجوده وعدم ضيقه عن سؤال السّائلين وآمال الرّاغبين ، فهو أدلّ على هذا الغرض من أن يقول يسألون الله أويسألون الرّب تعالى و محصّله أنّه عزّ وجلّ لايفره المنع والجمود ولا يكديه الاعطاء و الجود

بل لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال وضحكت عنه أصداف البحار من فلزّ اللّجين والعقيان ونثارة الدّر وحصيد المرجان ما أثّر ذلك في جوده ولا أنفد سعة ما عنده ولكان عنده من ذخاير الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام لأنّه الجواد الّذى لا يغيضه سؤال السّائلين ولا يبخّله إلحاح الملحّين .

(ولا يخيب عليه الرّاغبون) ولا ييأس من فضله و كرمه إلاّ الكافرون

(فحاسب نفسك لنفسك) أى حاسب نفسك الّتي هي أعزّ الأنفس عليك و أحبّها إليك لأجل منفعة نفسك أى تولّ أنت بنفسك بمحاسبة نفسك قبل أن تحاسب بها (فانّ غيرها من الأنفس عليها حسيب) أى محاسب (غيرك) يعني ساير الأنفس الّتي لم يتولّ صاحبها محاسبتها فانّ لها حسيباً يحاسبها ، و هو الله ربّ العالمين مالك يوم الدّين أسرع الحاسبين كما قال عزّ شأنه « إنّ إلينا إيابهم ✿ ثمّ إنّ علينا حسابهم » « و هو القاهر فوق عباده و يرسل عليكم حفظة حتّى إذا جاء أحدكم الموت توفّته رسلنا وهم لا يفرّطون ✿ ثمّ ردّوا إلى الله مولاهم الحقّ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين »

الترجمة

ازجملهٔ كلام آن امام مبين است كه گفته درنزد خواندن آيهٔ شريفهٔ « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله » يعني تسبيح مى كنند خداى تعالى را مردانى كه مشغول نسازد ايشان را تكسّب ونه مبايعه از ذكر پروردگار ، آن بزرگوار درحين خواندن اين آيه فرموده :

بتحقيق خداي منزّه از نقص گردانيد ذكر خودرا صيقل ازبراى قلبها در حالتى كه مى‌شنوند بسبب آن بعداز سنگيني وكرى ، ومى‌بينند بسبب آن بعداز كورى ، ومطيع ميباشند بجهت آن بعداز نافرمانى ، وهميشه بوده ازبراى‌خدا در حالتى كه عزيزاست نعمتهاى او درزمانى بعداز زمانى ، ودراوقات فترت پيغمبران بندگانى كه راز گويد و نجوى مى كند حقتعالى با ايشان درپردهٔ قلبهاى ايشان وسخن مى گويد با ايشان در باطن عقلهاى ايشان ، پس كسب روشنى كردند بنور

آگاهی در گوشها وچشمها وقلبها بیادمردم می‌آورند أيّام أنعام وانتقام خدا را در امّتان گذشته ؛ ومیترسانند مردمان را بشناساندن مقام عظمت واقتدار او .

وایشان بمنزلۀ راه نمایندگانند در بیابانها ، هر کسی که راه راست را پیش بگیرد مدح می کنند بسوی اوراه اورا ، وبشارت می‌دهند اورا بخلاصی ازهلاکت ، و هر کس که کج شود از راه راست و پیش بگیرد یمین ویسارر امذمّت می کنند بسوی اوراه اورا ، ومیترسانندأورا ازهلاکت .

پس باشند ایشان باین وصفها چراغان این تاریکیها ، ودلیلان این شبهها وبدرستی که‌ازبرای ذکر خدا أهلی است که فرا گرفته‌اند آن را عوض از متاع دنیا ، پس‌مشغول‌نساخت ایشان‌را نه کسب ونه مبایعه‌ازآن‌ذکرمی‌برند ومیگذرانند با ذکر اوقات زندگانی دنیا را ، وصدا می کنند با مواعظ مانعه ازمحرّمات الهی درگوشهای غافلان ، وامر می کنندبعدالت و گردن می‌نهند خودشان بآن ، ونهی میکنند از قبیح وباز دارند خودشان را ازآن .

پس گویا که قطع کرده‌اند دنیا را ورسیده اندبآخرت وحال آنکه در دنیا باشند، پس مشاهده کرده‌اند پشت سر دنیارا ، پس گویا که مطلع گشته‌اند برپنهانیهای‌أهل برزخ دردرازی اقامت وتوقف ایشان درآن ، ومحقق‌ساخته قیامت برایشان وعده‌های خودش را ، پس برداشتند پرده‌های حالات أهل برزخ وقیامت را ازبرای أهل دنیا بأندازۀ که گویا می‌بینند ایشان چیزی را که نمی‌بینند مردمان ومی‌شنوند چیزیرا که نمی‌شنوند مردمان .

پس مصوّرسازی‌ایشان‌را بعقل خودت درمقامهای‌پسندیده‌ایشان ، ومجلسهای برگزیدۀ ایشان که شهادت گاه ملائکۀ مقرّبینند درحالتی که ایشان گشوده باشند دفترهای عملهای خودشان را ، وفارغ شده باشند ازبرای محاسبۀ نفسهای خودشان برهرعملی از عملهای کوچك وبزرگ که مأمور شده باشد بآن ، پس تقصیر کرده باشند درآن یا نهی شده باشند ازآن پس مساحله کرده باشند در آن و بار کرده باشند گرانی گناهان خودشان را برپشتهای خودشان ، پس ناتوان باشند از بلند

كردن وبرداشتن آن ، پس گریه کنند بآواز بلند غمناك ، وجواب یکدیگر را می‌دهند با گریه و زاری ، ناله می کنند بسوی پروردگار خود در مقامهای توبه وپشیمانی ، واقرار بتقصیر .

هر آینه می‌بینی علامتهای هدایت وچراغهای تاریکی وظلمت درحالتی که احاطه کرده باشند بایشان ملائکه‌ها ، ونزول کرده باشد بایشان تمکین ووقار ، و گشوده باشد از برای ایشان درهای رحمت آسمان ، ومهیا شده باشد از برای ایشان مجلسهای کرامت و شرافت در مقامی که مطلع شده خدای تعالی برشما در آن مقام ، پس خوشنود شده خدا از سعی و کوشش ایشان ، وپسندیده مقام بندگی ایشان را درحالتی که استشمام می کنند بسبب دعای او نسیم عفو وتجاوزرا .

ایشان گروهای فقر وفاقه اند بسوی فضل و کرم او ، واسیرهای ذلّتند مر بزرگواری وعزّت اورا ، مجروح وزخمدارنموده درازی حزن واندوه دلهای ایشانرا ودرازی گریه چشمهای ایشان‌را ازبرای هردررغبت کردن بسوی خدا ازایشانست دست کوبنده ، سؤال می کنند از کسی که تنك نمی‌شود درنزد او وسعتهای کرم وجود ، و نومید نمیگردد بردرگاه نوال او رغبت کنندگان ، پس محاسب باش نفس خودت را ازبرای نفس خود ، پس بتحقیق که ازبرای غیر نفس تواز نفسها محاسبی هست غیراز تو که أسرع الحاسبین است

و من كلام له عليه السلام وهو المأتان والحادي والعشرون من المختار في باب الخطب

قاله عليه السلام عند تلاوته: يا أيّها الانسان ماغرّك بربّك الكريم .

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ، يا أَيُّهَا الإِنْسانُ ما جَرَّأَكَ عَلى ذَنْبِكَ، وَما غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَما آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ، أَما مِنْ دائِكَ بُلُولٌ، أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقْظَةٌ، أَما تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ ما تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ، فَرُبَّما تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى المُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَما صَبَّرَكَ عَلى دائِكَ، وَجَلَّدَكَ بِمُصابِكَ، وَعَزَّاكَ عَنِ البُكاءِ عَلى نَفْسِكَ، وَهِيَ أَعَزُّ الأَنْفُسِ عَلَيْكَ. وَكَيْفَ لا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَياتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعاصِيهِ مَدارِجَ سَطَواتِهِ، فَتَداوَ مِنْ داءِ الفَتْرَةِ في قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى الغَفْلَةِ في ناظِرِكَ بِيَقْظَةٍ، وَكُنْ للهِ مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً، وَتَمَثَّلْ في حالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبالَهُ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلى عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلى غَيْرِهِ.

فَتَعالَى مِنْ قَوِيٍّ ما أَكْرَمَهُ، وَتَواضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ ما أَجْرَأَكَ عَلى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ في كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ في نِعْمَةٍ يُحْدِثُها لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُها عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُها عَنْكَ، فَما ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ، وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كانَتْ في

مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ ، مُتَوازِنَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حاكِمٍ عَلى نَفْسِكَ بِذَميمِ الْأَخْلاقِ ، وَمَساوِي الْأَعْمالِ .

وَحَقّاً أَقولُ مَا الدُّنيا غَرَّتْكَ ، وَلٰكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ ، وَقَدْ كاشَفَتْكَ الْعِظاتُ ، وَآذَنَتْكَ عَلى سَواءٍ ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزولِ الْبَلاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ ، وَلَرُبَّ ناصِحٍ لَها عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ ، وَصادِقٍ مِنْ خَبَرِها مُكَذَّبٌ ، وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَها فِي الدِّيارِ الْخاوِيَةِ وَالرُّبوعِ الْخالِيَةِ لَتَجِدَنَّها مِنْ حُسْنِ تَذْكيرِكَ وَبَلاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفيقِ عَلَيْكَ ، وَالشَّحيحِ بِكَ ، وَلَنِعْمَ دارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِها داراً ، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْها مَحَلّاً .

وَإِنَّ السُّعَداءَ بِالدُّنيا غَداً هُمُ الْهارِبونَ مِنْهَا الْيَوْمَ ، إِذَا رَجَفَتِ الرّاجِفَةُ ، وَحَقَّتْ بِجَلائِلِهَا الْقِيامَةُ ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ ، وَبِكُلِّ مَعْبودٍ عَبَدَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطاعٍ أَهْلُ طاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَواءِ ، وَلا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلّا بِحَقِّهِ ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذاكَ داحِضَةٍ ، وَعَلائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٍ ، فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ ما يَقومُ بِهِ عُذْرُكَ ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ ، وَخُذْ ما يَبْقى لَكَ مِمّا لا تَبْقى لَهُ ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ ، وَشِمْ بَرْقَ النَّجاةِ ، وَارْحَلْ مَطايَا التَّشْميرِ .

اللغة

(دحضت) الحجة دحضاً من باب منع بطلت ويتعدّى بالهمزة فيقال أدحضها الله ودحض الرجل زلق و (برح) به الضرب اشتدّ وعظم وهذا أبرح من ذاك أى أشدّ ويقال لقد أبرح فلان جهالة وأبرح لوماً وأبرح شجاعة، وقتلوه أبرح قتل أى أشدّه (وما آنسك) من باب الافعال، وروى أنّسك بالتشديد من باب التفعيل و (بلّ) من مرضه يبلّ من باب ضرب بلاً وبلالا وبلولا كقعود برء وحسنت حاله بعد الهزال .

و (الضاحى) لحر الشمس البارز يقال ضحى فلان مثل دعى أى برز للشمس ومثل رضى وسعى أيضاً أى أصابته الشمس و(مضضت) الشىء مضضا من باب تعب تألّمت ويتعدّى بالحركة والهمزة فيقال مضّه الجرح مضّا وأمضه امضاضاً أى آلمه .

و (الجلادة) القوّة والشدّة والصّلابة . و جلدك بمصابك أى جملك جلداً ، وروى وجلدك على مصائبك بلفظة على وصيغة الجمع و(بيات نقمة) طروقها والنقمة وزان كلمة ونعمة و فرحة المكافات بالعقوبة والجمع نقم ككلم وعنب و(التورّط) الوقوع فى الورطة بسكون الرّاء وهى المهلكة و كلّ أرض مطمئنة لا طريق فيها و(عزم) على الشىء و عزمه عزماً من باب ضرب عقد ضميره على فعله وعزم عزيمة اجتهد وجدّ فى أمره و(الكرى) وزان عصا النعاس .

و(الكنف) محرّكة الجانب والظل، وفلان فى كنف الله أى فى حرزه و(الستر) بالكسر الساتر وبالفتح المصدر و(طرف) البصر طرفاً من باب ضرب تحرّك، وطرف العين نظرها والطرفة المرّة منه ومطرف العين يحتمل المصدر والزمان و(العظات) جمع العظة كالعذاب وهى الموعظة أى مايلين القلب من ذكر الثواب والعقاب والوعد والوعيد وفى هذا (بلاغ) وبلغة وتبلّغ أى كفاية .

و(حقّت) بجلائلها أى ثبتت من حقّ الشىء يحقّ أى ثبت وقال الفيومى : حقّت القيامة يحقّ من باب قتل أى أحاطت بالخلايق فهى حاقة وقال ابن الأنبارى الحاقة الواجبة حقّ أى وجب يحقّ حقا و حقوقا فهو حاق و قال أمين الاسلام الطبرسى سمّيت القيامة الحاقة لأنها ذات الحواق من الأمور وهى الصّادقة الواجبة

الصّدق لأن جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع صادقة الوجود .

و(نسك)لله من باب قتل تطوّع بقربة والنّسك بضمّتين اسم منه والمنسك بفتح السّين وكسر ها يكون زمانا ومصدراً ومكاناً تذبح فيه النّسيكة وهي الذّبيحة ومناسك الحجّ عباداته وقيل مواضع العبادات و(العبدة) جمع عابد كمردة ومارد .

(فلم يجز في عدله) قال الشّارح المعتزلي قد اختلفت الرّواة في هذه اللفظة فرواها قوم فلم يجر و هو مضارع جرى تقول ماجرى اليوم فيقول من سألته قدم الأمير من السفر، ورواها قوم فلم يجز مضارع جازيجوز ، و رواها قوم فلم يجر من جار أي عدل عن الطّريق .

و(الهمس) الصّوت الخفي وقوله (فتحرّ من أمرك) أمر من تحرّيت الشيء قصدته وتحرّيت في الأمر طلبت أحرى الأمرين وهوأولاهما و(شام) البرق يشيمه نظر اليه اين يقصدوأين يمطرو(رحلت) مطيتي شددت على ظهرها الرّحل و(شمّر) تشميرأمرّ جادا، وشمّر الثوب دفعه وفي الأمر خف .

الاعراب

قوله تعالى «ماغرّك بربّك» الاستفهام للانكارعلى سبيل التوبيخ والتّقريع، ويجوز أن يكون للتقرير أي حمل المخاطب على الاعتراف والاقرار بما يعرفه من جهة الاغترار و علته ، وقوله عليه السلام : أدحض مسئول حجّة خبر لمبتدء محذوف أي هوأدحض مسئول ، والضّمير راجع الى الانسان المغرور ، و حجّة منصوب على التميز، و كذلك معذرة وجهالة منصوبتان عليه أيضاً .

وقوله : فلربماترى ، اللاّم للتوكيد و ماكافة لربّ عن عمل الخبر ولذلك دخلت على الفعل كما في قول الشاعر:

ربّما اوفيتُ في علم ترفعن ثوبي شمالات

وقوله : الضّاحي من حرّ الشمس، في نسخة الشارحين المعتزلي والبحراني لحرّ الشمس باللام بدل من و لعلّ الأوّل بناء على كون الضّاحي بمعنى المصيب والثّاني على كونه بمعنى البارز ، وقوله : و هي أعزّ الأنفس الجملة في محلّ

النّصب على الحال و كذلك جملة وقد تورّطت ، و انتصاب مدارج سطواته إما على المفعول به أو على المفعول فيه و حذف الخافض أى فى مدارج سطواته ، و مطرف عين منصوب على الظرفيّة .

و قوله : يدعوك الى فضله استيناف بيانيّ و ليس حالا كما زعمه الشّارح البحرانى ، وجملة وأنت متول فى موضع النّصب على الحال وقوله حقّا أقول صفة لمصدر محذوف مقدّم على فعله أى أقول قولا حقّا ، وقوله كاشفتك العظات بنصب العظات على أنها مفعول به، وكاشفت بمعنى كشف أى كشفت لك المواعظ أو مفعول بالواسطة أى كاشفتك بالعظات وتروى بالرّفع على أنّها فاعل كاشفت ومتّهم صفة لناصح ومكذب صفة لصادق .

وقوله: ولنعم داره المخصوص بالمدح محذوف وهو الضّمير الرّاجع إلى الدّنيا السابق ذكرها على حدّ قوله تعالى « إنّا وجدناه صابراً نعم العبد» أى هو والضمير لأيّوب على نبيّنا وعليه السلام السّابق ذكره فى قوله « و اذكر عبدنا أيّوب » واضافة فاعل نعم إلى غير المعرّف باللام على حدّ قول الشاعر: فنعم صاحب قوم لاسلاح لهم. وداراً ومحلا منصوبان على التّميز، والباء فى قوله بجلائلها تحتمل تعدّيه والمصاحبة والضّمير فيه راجع إلى القيامة لتقدّمها رتبة وإن تأخرت لفظاً وقوله : خرق بصر، بالرّفع فاعل يجز إن كان الفعل بصيغة المعلوم كما فى نسخة الشّارح المعتزلى ونايب عن الفاعل إن كان بصيغة المجهول كما حكى عن القطب الراوندى.

و قوله : فكم حجّة يوم ذاك داحضة كم خبريّة بمعنى كثير اضيفت إلى تميزها وهى فى محل الرّفع على الابتداء ، ويوم ذاك خبرها وداحضة بالجرّ على ما فى النسخ الّتى عندنا صفة لحجّة ولو كانت داحضة بالرفع كفاتت «كذا» هى الخبر ويكون يوم ذاك ظرف لغو متعلّقا بها متقدّما عليها وهذا أنسب لكن النسخ لاتساعد عليه و من فى قوله : فمّا لاتبقى له ، يحتمل البدل كما فى قوله تعالى « أرضيتم بالحيوة الدّنيا من الآخرة » ويحتمل النشوية أيضاً .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما نبّه الرّضيّ قدّس سرّه (قاله) عليه السلام (عند تلاوته) الآية الشريفة في سورة الانفطار (ياأيّها الانسان ماغرّك بربّك الكريم) وقبل الشروع في شرح كلامه عليه السلام ينبغي أن نذكر ما قاله المفسّرون في تفسير الآية فأقول:

لهم في تفسير قوله: يا أيها الانسان، قولان:

أحدهما أنّه الكافر لقوله تعالى بعد ذلك «كلاّ بل تكذّبون بالدّين» قال عطا عن ابن عبّاس انّها نزلت في الوليد بن المغيرة.

والثّاني أنّه عامّ لجميع العصاة وهو الأقرب وقوله «ما غرّك بربّك» أي أيّ شيء خدعك وسوّل لك الباطل حتّى تركت الواجبات و أتيت بالمحرّمات وعصيت خالقك و خالفته، والمراد ما الّذي آمنك من عقابه يقال غرّه بفلان إذا آمنه المحذور من جهة مع أنّه غير مأمون وهو كقوله «لا يغرّنكم بالله الغرور».

واختلف في معنى الكريم، فقيل: هو المنعم الّذي كلّ أفعاله إحسان وإنعام لا يجرّ به نفعاً ولا يدفع به ضرراً، وقيل: هو الّذي يعطي ما عليه وماليس عليه ولا يطلب ماله، وقيل: هو الّذي يقبل اليسير ويعطي الكثير، وقيل: إنّ من كرمه سبحانه أنّه لم يرض بالعفو عن السّيآت حتّى بدّلها بالحسنات.

واختلفوا في جهة تخصيص كريميّته بالذّكر دون ساير أسمائه و صفاته فقيل: لأنّه كأنّه لقّنه الاجابة حتّى يقول: غرّني كرم الكريم، وقيل: للمنع عن المبالغة في الاغترار والاشعار بما به يغرّه الشّيطان فانّه يقول له افعل ماشئت فانّ ربّك الكريم لا يعذّب أحداً ولا يعاجل بالعقوبة، و قيل: للدّلالة على أنّ كثرة كرمه مستدعي الجدّ في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغتراراً بكرمه.

وقال في الكشاف:

فان قلت: ما معنى قوله «ما غرّك بربّك الكريم» و كيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانّما يغترّ بالكريم.

قلت: معناه أنّ حقّ الانسان أن لايغترّ لكرم الله عليه حيث خلقه حيّاً لنفعه وبتفضّله عليه بذلك حتّى ينفع يطمع بعد ما مكّنه و كلّفه فعصى و كفر النّعمة المتفضّل بها أن يتفضّل عليه بالثّواب و طرح العقاب اغترارا مالتفضّل الأوّل فانّه منكر خارج من حدّ الحكمة ولذا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا تلاها: غرّه جهله وقال الحسن: غرّه والله شيطانه الخبيث أى زيّن له المعاصى و قال له: افعل ماشئت فربّك الكريم الّذى تفضل عليك بما تفضّل به أوّلا وهو متفضّل عليك آخراً حتّى ورّطه وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة و قال لك: ماغرّك بربّك الكريم ماذا تقول؟ قال: أقول: غرّنى ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطاء في الاغترار بالسّتر و ليس باعتذار كما يظنّه الطّماع وتظنّ قصاص الحشوية و يروون عن أئمتهم أنّه إنّما قال بربّك الكريم دون ساير صفاته ليلقّن عبده الجواب حتّى يقول: غرّني كرم الكريم، انتهى.

وقال الشّارح المعتزلى:

لقائل أن يقول: لو قال: ما غرّك بربّك العزيز أو المنتقم أو نحو ذلك كان أولى لأنّ للانسان المعاتب أن يقول له غرّني كرمك أوماوصفت به نفسك.

وجواب هذا أن يقال: إنّ مجموع الصّفات كشيء واحد وهوالكريم الّذى خلقك فسوّيك فعدلك في أىّ صورة ماشاء ركّبك، والمعنى ما غرّك برب هذه صفته وهذه شأنه وهو قادر على أن يجعلك في أىّ صورة شاء فما الّذى يؤمنك من أن يمسخك في صورة القرد أوالخنازير ونحوها من الحيوانات العجم، ومعنى الكريم ههنا الفيّاض على المواد بالصّور، و من هذه صفته ينبغى أن يخاف منه تبديل الصّورة.

إذا عرفت ذلك فلنشرع في شرح كلامه عليه السّلام فأقول قوله (أدحض مسئول حجّة) أى الانسان المخاطب بخطاب يا أيّها الانسان والمسئول المعاتب بعتاب ماغرّك إن أراد الجواب عن ذلك الخطاب والاحتجاج والاستدلال في قبال ذلك السؤال والاعتراض فحجّته أبطل الحجج وأزيفها

وذلك لأنّه إن قال في مقام الجواب ، غرّني كرمك فهو جواب سقيم لأنّ كثرة الكرم والتفضّل والاحسان تقتضى الجدّ والاجتهاد في العبوديّة والعبادة والشكر والطّاعة لاالاغترار والكفران والتّواني والخلاف والعصيان .

وإن قال : غرّني الشّيطان فيقال له : ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لاتعبدوا الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم .

وإن قال : غرّني جهلي فيقال له : أفلم ارسل إليكم المرسلين مبشّرين ومنذرين وعلّمتكم الأحكام والتكاليف بما انزلت في صحف الأوّلين وزبر الآخرين كيلاتقولوا إنّا كنّا عن هذا غافلين .

(و) بذلك ظهر أيضاً أنّه (أقطع مغتر معذرة) يعني أنّه إن اعتذر عن اغتراره بعذر من المعاذير السّابقة و ماضاهاها فعذره أقطع الأعذار وأسقطها عن درجة الاعتبار كما قال عزّ من قائل « فيومئذ لاينفع الذّين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون » .

(لقد أبرح جهالة بنفسه) أي اشتدّ بنفسه من حيث الجهالة ، قيل: الجهالة اختيار اللّذة الفانية علي اللّذة الباقية ، و قيل : اجتمعت الصّحابة على أنّ كلّ ما عصى الله به فهو جهالة و كلّ من عصى الله فهو جاهل (يا أيّها الانسان ماجرّاك على ذنبك وما غرّك بربّك و ما آنسك بهلكة نفسك) هذه الاستفهامات الثلاثة واردة في معرض التّوبيخ والانكار على أسباب الجرءة والاغترار والانس بالقاء النفس في الهلكات وتوريطها في الموبقات قال الشارح البحراني ويحتمل أن يكون قوله : ما آنسك تعجّبا .

(أما من دائك بلول أم ليس من نومتك يقظة أما ترحم من نفسك ماترحم من غيرك)هذه الاستفهامات كسابقتها أيضاً واردة في مقام الانكار والتقريع لكنّها لدخولها على النفى تفيد العرض والطلب أى طلب البراءة من داء الذنوب وأسقام الآثام والانتباه من نومة الغفلة و الجهالة و الترحّم و العطوفة للنفس مثل الترحّم والعطف للغير وحاصله أنه لا ينبغي لك عدم البراءة واليقظة والرّحمة .

وأوضح ترحّمه للغير بقوله (فلربّما ترى الضاحى من حرّ الشمس فتظلّه) أى ترى من أصابته حرارتها و تأذّى بها فتظلّه بالظلال ترحّما وتلطفاً ودفعا للاذى عنه (أو ترى المبتلى بألم يمضّ جسده) أى يولمه (فتبكى رحمة له) و إذا كان هذا شأنك مع الغير فما بالك في نفسك حيث تركت نصحها وملاحظتها .

(فما صبرك على دائك) الدّوى (وجلدك بمصابك) العظيم (وعزاك) أى سلاك (عن البكاء على نفسك وهى أعزّ الأنفس عليك) وأحبّها إليك (وكيف لا يوقظك) من نومك (خوف بيات نقمة) و مفاجات عقوبة ، وأصل البيات أن يقصده بالعدوّ في اللّيل من غير أن يشعر فيأخذه بغتة فاستعير لنزول العذاب فيها قال تعالى « أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون » .

وقوله (وقد تورّطت بمعاصيه مدارج سطواته) أى وقعت باكتساب آثامه في في ورطاة الهلكات وصعدت مدارج السطوات والسخطات والتعبير بالمدارج نظراً إلى اختلاف المعاصى وكون بعضها فوق بعض من حيث الصغر والكبر الموجب لتفاوت مراتب السطوة ودرجات السخطة من حيث الضّعف والشدّة .

ويحتمل أن يكون المراد بالمدارج الطرق نحو ما في الحديث : إياكم والتعريس في بطون الأودية فانها مدارج السّباع تأوى إليها ، قال الطريحى هي جمع مدرج بفتح الميم الطريق والمعنى الأوّل ألطف .

(فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة) أى عالج من مرض الفتور والضعف والانكسار الذى في قلبك بدواء الجدّ والعزم على العبوديّة و الطاعة (و من كرى الغفلة في ناظرك بيقظة) أى من نوم الغفلة في ناظر بصيرتك عن الذكر والفكر بالتنبيه واليقظة

(وكن لله مطيعاً) وهى أعنى الطاعة نتيجة العزيمة (وبذكره آنسا) وهو أعنى الذكر ثمرة اليقظة (و تمثل في حال توليك عنه إقباله عليك) أى تصوّر إقباله تعالى عليك بالفضل والاحسان والكرم والامتنان في حال اعراضك عنه والمقابلة لذلك بالكفران والمخالفة و العصيان كما أوضحه بقوله (يدعوك إلى عفوه) بما

أنزله في كتابه من قوله « ادعوني أستجب لكم » وقوله « أُجيب دعوة الدّاع إذا دعان » ونحوه (ويتغمّدك بفضله) و كرمه (وأنت متولّ) ومعرض (عنه إلى غيره) تعالى ومقبل إلى الدّنيا وراكن إليها ومنهمك في لذّاتها وشهواتها .

(فتعالى من قويّ) وقادر على مؤاخذتك (ما أكرمه) وأجزل إحسانه وفي بعض النسخ ما أحلمه أى صفحه عنك (وتواضعت من ضعيف) وحقير (ماأجرأك) وأعظم كفرانك وجارلك (على معصيته) ومخالفته (وأنت في كنف ستره مقيم) حيث ستر من شنايع أعمالك وقبايح ذنوبك ما لو كشف عن أدناها لافتضحت (و في سعة فضله متقلّب) حيث أسبغ عليك من نعمه الجسام و آلائه العظام ما لو شكرت على أقلّ قليلها لعجزت .

(فلم يمنعك فضله) بكفرانك (و لم يهتك عنك ستره) بطغيانك (بل لم تخل من لطفه) وبرّه (مطرف عين) أي مقدار حركة البصر (في نعمة يحدثها لك أو سيئة يسترها عليك أو بلية يصرفها عنك) و هذا تفصيل ضروب ألطافه تعالى الخفيّة والجلية .

و الغرض من قوله عليه السلام : فتمثّل إلى هنا تذكير المخاطبين بعوائد نعمه وموائد كرمه وجميل آلائه وجزيل نعمائه وعموم نواله في حقّهم ، مع ماهم عليه من الغفلة والاعراض حثّاً لهم بذلك على المداومة بالذكر و الطاعة ، و التنبّه من نوم الغفلة والجهالة ، والمواظبة على دعائه ومناجاته بنحو ما في دعاء الافتتاح :

فكم يا إلهي من كربة قد فرّجتها ، وهموم قد كشفتها ، وعثرة قد أقلتها ، وحلقة بلاء قد فككتها ، اللهمّ إنّ عفوك عن ذنبى وتجاوزك عن خطيئتي وصفحك عن ظلمي وسترك على قبيح عملي وحلمك عن كثير جرمي عند ماكان من خطائى و عمدى أطمعنى فى أن أسألك مالا أستوجبه منك ، فلم أر مولا كريماً أصبر على عبد لئيم منك عليّ يارب إنك تدعوني فاُولّى عنك و تتحبّب إليّ فأتبغض إليك وتتودّد إليّ فلا أقبل منك ، كأن لى التطوّل عليك فلم يمنعك ذلك من الرّحمة بي والاحسان إليّ والتفضّل عليّ بجودك و كرمك .

هذا كلّه فضله ولطفه واحسانه عليك مع عصيانك وطغيانك (فما ظنك به لو أطعته) وكيف يؤيسك من كرمه مع طاعتك و قد قال « و من يتّق الله يجعل لـه مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب» أم كيف يحرمك من نعمه مع توكّلك عليه وقد قال «ومن يتوكّل على الله فهو حسبه» أم كيف ينقص عطائه وحبائه مع شكرك وذكرك وقد قال « لئن شكرتم لأزيدنّكم» .

ثمّ أكّد جذبهم إلى التّعبد و الطاعة بأبلغ بيان و أحسن تقرير و عبارة فقال (وأيم الله لوأنّ هذه الصّفة) الّتي ذكرت من إقبال الله عليك و تولّيك عنه (كانت في) متماثلين من الناس (متّفقين في القوّة متوازنين في القدرة) متساويين في الدّرجة والرّتبة و كنت أنت أحدهما (لكنت) لوأنصفت (أوّل حاكم على نفسك بذميم الأخلاق و مساوى الأعمال) حيث إنّه أقبل و تولّيت ، و تحبّب وتعاديت، و وصلك فقطعت ، و تدانى فتباعدت فكيف إذا كان الطرف المقابل هو الله القاهر القادر مالك الملوك ربّك و ربّ العالمين كلّهم ، فحكومتك على نفسك وتعزيرك عليها حينئذ أولى و أحجى.

ثمّ لما كان منشاء اغترار الغافلين العصات المخاطبين المسؤولين بخطاب ماغرّك بربّك الكريم وعلّة إعراضهم عنه تعالى و تولّيهم عن ذكره عزّ وجلّ هو الاغترار بالدّنيا والافتتان بشهواتها و لذّاتها و امنيّاتها حسبما يشهد به التّجربة والوجدان ونطق به القرآن في قوله « و غرّتكم الأمانى حتّى جاء أمر الله و غرّكم بالله الغرور » و قوله «اتّخذتم آيات الله هزواً وغرّتكم الحيوة الدّنيا فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون» و غيره من الآيات الكريمة.

نبّه على وهن هذه العلّة و ضعفها بقوله (وحقّاً أقول ما الدّنيا غرتك) يعني انها ليست علّة تامّة قويّة للاغترار (ولكن) علّة ماديّة ضعيفة سخيفة بنقصان عقلك (بها اغتررت) كما اغترّ بها كلّ ناقص العقل فاتّصافك بالاغترار بها حقيقة و اتّصافها بالغرور لك مجاز و إسناد الأوّل إليك أصدق و أجدر من إسناد الثانى إليها.

و أوضح عدم كونها سبباً تامّاً للغرور بالتّنبيه على اتّصافها بضدّه من النصح

والموعظة فقال (و) لـ (قدكاشفتك العظات) أى وعظتك جهاراً بالمواعظ البالغة والنصايح الكاملة من تقلّباتها و تصاريفها بأهلها و فنائها و زوالها و غيرهافلم‌يكن أحد منها في حبرة إلاّ أعقبته‌بعدها عبرة ، ولم يلق من‌سرّائها بطناً إلاّ منحته من ضرّائها ظهراً ، و إن جانب منها اعذوذب وأحلى أمرّ منها جانب فأوبى لاينال‌امرء من غضارتها رغبا إلاّ أرهقته‌من نوائبها تعباً ، ولايمسو منها في جناح أمن‌الاّ أصبح على قوادم خوف.

و حسبك من عظاتها النظر في السلف الماضين من الاخوان و الأقربين الّذين أرهقتهم المنايا دون الآمال ، و شذبهم عنها تخرّم الآجال ، حملوا إلى وهدة القبور بعد سكنى القصور ، و جعل من‌الصّفيح أجنان ، ومن‌التراب‌أكفان و من الرّفات جيران ، جميع‌وهم آحاد ، و جيرة وهم أبعاد. متدانون‌لايتزاورون، و قريبون لايتقاربون ، إلى غير تلك ممّا لاحاجة إلى ذكرها.

(وآذنتك على سوآء) اى أعلمتك مساويها و معايبهاو مآل أمرهاعلى‌عدل و صدق و صواب من دون حيف و ميل و زيغ عن مستقيم طريق الصدق.

(و) اقسم بالله تعالى حقّا (لهى بماتعدك‌من نزول البلاء بجسمك) و بسرعة الآفة إلى جسدك(والنقص في‌قوّتك) والضعف والانحلال في قواك (أصدق‌وأوفي) بوعدها (من أن تكذبك أو تغرّك) و تخلف الميعاد (و لربّ ناصح لها عندك متّهم و صادق من خبرهامكذّب) أى كم من ناصح و واعظ من عبرتها و عظاتها هومتّهم عندك‌في نصحه‌فلاتقبل قوله ولاتلتفت‌إلى نصحه لكونه خلاف هوى‌نفسك، وكم من صادق من اخباراتهاالصّادقة هو مكذّب لديك أى تكذبه لكون خبره منافيا لرأيك مكروها لطبعك.

وحاصله أنّ العبر الدّنيوية ترشدك‌إلى الخير والصلاح و حسن العاقبة وأنت في غفلة منها أو متوجّه‌إليها ، و لكنّك‌معرض عنها لاستكراه نفسك‌لهاومضادّتها لشهواتك وامنيّاتك الحاضرة.

و نبّه عليه‌السلام على خطاء المخاطب في الاتّهام والتكذيب و أنّ خبرها على

وجه الصّدق والصواب و نصحها عن وجه الشفقة والصداقة بقوله (و لئن تعرّفتها) أى طلبت معرفة حالها في الصدق والكذب واستخبرت نصحها و غشّها (في الدّيار الخاوية) اى الساقطة او الخالية من اسكانها (والرّبوع الخالية) أي المنازل الخالية من أهلها (لتجدنّها من حسن تذكيرك و بلاغ موعظتك) أى موعظتها الكافية (بمحلّة الشفيق عليك) العطوف الرؤوف بك حيث لم تألوك نصحا و لم تكذب في تذكيرها و لم تغشّ في نصحها (و) بمنزلة (الشحيح بك) أى البخيل بأن تصيبك ما يسوؤك و يكون مآل أمرك مآل أمر الغافلين الها لكين من عذاب النّار و سخط الجبّار .

(و لنعم دار من لم يرض بها داراً) بل جعلها ممرّاً لمقرّه (و محلّ من لم يوطنها محلاً) بل جعلها مجازاً إلى مأواه .

و هؤلاء هم السّعداء المتقون المنتفعون بما فيها من العبر المشار إليهم بقوله (و إنّ السّعداء بالدّنيا غداً هم الهاربون منها اليوم) قال الشّارح البحراني: وجه سعادتهم بها استثمارهم للكمالات المعدّة في الآخرة منها ولن يحصل ذلك إلاّ بالهرب منها اليوم و كنّى بالهرب منها عن الاعراض الحقيقى عن لذّاتها و التّباعد من اقتنائها لذاتها لاستلزام الهرب عن الشيء التباعد عنه والزّهد فيه ، وظاهر أنّ التباعد منها با لقلوب إلاّ ما دعت الضرورة إليه و اتّخاذ ها مع ذلك سبباً إلى الآخرة من أسباب السّعادة و مستلزماتها.

كما أشار إليه سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله من حاله فيها بقوله : ما أنا والدّنيا إنّما مثلي فيها كمثل راكب سار في يوم صايف فرفعت له شجرة فنزل فقعد في ظلّها ساعة ثمّ راح فتركها، هذا.

ولمّا نبّه عليه السلام على أنّ أهل السعادة غداً هم الهاربون منها اليوم فسّر مراده بالغد بقوله (إذ رجفت الرّاجفة) أى تحرّكت بترديد و اضطراب و الرّجفة الزّلزلة العظيمة الشديدة و هو اقتباس من الآية الشريفة « يوم ترجف الرّاجفة تتبعها الرّادفة » قال بعض المفسّرين : معناها يوم تضطرب الأرض اضطراباً شديداً

و تحرّك تحرّكا عظيماً يعني يوم القيامة تتبعها الرّادفة اى اضطرابة اخرى كاينة بعد الاُولى في موضع الرّدف من الراكب.

(و حقّت بجلائلها القيامة) أى أهاويلها الجليلة و دواهيها العظيمة الشديدة (و لحق بكلّ منسك أهله و بكلّ معبود عبدته و بكلّ مطاع أهل طاعته) أشار إلى لحوق كلّ نفس يوم القيامة بما و من تحبّه وتهويه من عمل الصالح والسّيء و معبوده الحقّ والباطل.

واليه الاشارة في النّبوى : يحشر المرء مع من أحبّ ولو أحبّ أحدكم حجراً لحشر معه ، و في قوله تعالى « يوم نحشر المتّقين إلى الرّحمن و فداً ۞ و نسوق المجرمين إلى جهنّم ورداً».

فان كان عمل المرء في الدّنيا لله و معبوده هوالله و هواه فى الله فحشره يوم القيامة مع أولياء الله الّذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

و ان كان عمله لغيرالله و معبوده سوى الله و محبّته لأعداء الله فحشره معهم ومع الشياطين كماقال تعالى «ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين ۞ و انّهم ليصدّونهم عن السبيل و يحسبون أنّهم مهتدون ۞ حتّى إذا جائنا قال يا ليت بيني و بينك بعد المشرقين فبئس القرين».

فان قيل: إذا كان يلتحق بكلّ معبود عبدته وبكلّ مطاع أهل طاعته فالتحاق النصارى إذا بعيسى والغلاة بأمير المؤمنين عليه السلام و كذلك عبدة الملائكة فما تقول في ذلك.

قيل : معنى الالتحاق أن يؤمر الاتباع في الموقف بالتميّز إلى الجهة الّتي فيها الرّؤساء ، ثمّ يقال للرؤساء أهؤلاء أتباعكم وعبدتكم فحينئذ يتبرّؤن منهم فينجو الرّؤساء و تهلك الاتباع كماقال سبحانه «و يوم يحشرهم جميعاً ثمّ يقول للملائكة أهؤلاء ايّاكم كانوا يعبدون ۞ قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ اكثرهم بهم مؤمنون».

أقول : و أوضح دلالة من هذه الآية قوله سبحانه في سورة الفرقان « و يوم يحشرهم و ما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل ۞

قالوا سبحانك ماكان ينبغي لناأن نتّخذ من دونك من اولياء ولكن متّعتهم وآبائهم حتّى نسواا لذّكر و كانوا قوما بوراً۞ فقد كذّبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولانصراً ».

قال أمين الاسلام الطبرسيّ في تفسيرها أى يجمعهم و ما يعبدون يعنى عيسى و عزير والملائكة «فيقول» لهؤلاء المعبودين « ءانتم أضللتم عبادى أم هم ضلّوا السبيل» أى طريق الجنّة والنجاة «قالوا» يعنى المعبودين « سبحانك» يعنى تنزيها لك عن الشريك و عن أن يكون معبوداً سواك « ما كان ينبغي لنا أن نتّخذ » بضمّ النون و فتح الخاء في رواية الصادق عليه السلام و زيدبن عليّ و أكثر القراء بفتح النون و كسر الخاء «من دونك من أولياء» أى ليس لنا أن نوالى أعداءك بل أنت وليّنا من دونهم ، و قيل : معناه ماكان يجوز لنا و للعابدين و ما كان يحقّ لنا أن نأمر أحداً بأن يعبدنا ولايعبدك فانا لو أمرناهم بذلك لكنّا و اليناهم و نحن لا نوالى من يكفر بك ، و من قرء نُتَّخَذَ فمعناه ماكان يحقّ لنا أن نعبد «ولكن متّعتهم و آبائهم حتّى نسوا الذّكر » معناه ولكن طوّلت أعمارهم وأعمار آبائهم و متّعتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرّسل حتّى نسوا الذّكر المنزل على الأنبياء وتركوه «وكانوا قوما بوراً» أى هلكى فاسدين.

هذا تمام الحكاية عن قول المعبودين من دون الله سبحانه فيقول الله سبحانه عند تبرّء المعبودين من عبدتهم « فقد كذّبوكم » أى كذّبكم المعبودون أيّها المشركون « بما تقولون » أى بقولكم إنّهم آلهة شركاء لله « فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً » أى فما يستطيع المعبودين صرف العذاب عنكم ولا نصراً لكم بدفع العذاب عنكم، هذا.

وقوله (فلم يجر في عدله يومئذ خرق بصر في الهواء ولا همس قدم في الأرض إلاّ بحقّه) قد عرفت اختلاف الرّوايات في قوله فلم يجر .

فعلى كونه مضارع جرى فمعناه فلم يكن ولم يتحدد في ديوان حسابه ذلك اليوم صغير و لا حقير إلاّ بالحقّ والانصاف ، وهذا مثل قوله تعالى « لا ظلم اليوم

إنّ الله قد حكم بين العباد ».

وعلى كونه مضارع جاز فالمعنى أنّه لم يسغ ولا يرخّص ذلك اليوم لأحد من المكلّفين في حركة من الحركات المحقّرات المستصغرات إلاّ إذا كانت قد فعلها بحقّ .

وعلى كونه مضارع جار بالرّاء المهملة فالمعنى أنّه لم يذهب عنه سبحانه ولم يضلّ ولم يشذّ عن حسابه شيء من محقرات الامور إلاّ بحقّه أي إلاّ مالا فايدة في اثباته والمحاسبة عليه نحو الحركات المباحة هكذا في شرح المعتزلي .

ويظهر من بعض الشروح رواية رابعة وهو كونه مضارع جزى بالزّاء المعجمة بصيغة المجهول حيث قال : قوله فلم يجزفي عدله آه أي لايجزى أحد يومئذ ولا يكافىء إلاّ بما يستحقّه من الثّواب والعقاب .

و على هذه الرّواية فيكون مساقه مساق قوله تعالى « فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلاّ ما كنتم تعملون » وعلى أيّ تقدير فالغرض الاخبار عن عموم عدله تعالى في مظالم النّاس على أنفسهم وعلى غيرهم ، وقد مضى في شرح الخطبة المأة والخامسة والسّبعين ماينفعك ذكراه في هذا المقام .

(فكم حجّة يوم ذاك داحضة) أي لم يبق للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل وإنّما هلك من هلك عن بيّنة وحيّ من حيّ عن بيّنة (وعلائق عذر منقطعة) فلا ينفع الّذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون .

(فتحرّ من أمرك ما يقوم به عذرك وتثبت به حجّتك) أي اطلب واعتمد من أمورك و أفعالك في الدّنيا ما به قوام اعذارك المقبولة يوم القيامة و مابه ثبات حججك الصحيحة يومئذ وهو أمر بتحصيل الكمالات النّفسانية ومواظبة التّكاليف الشّرعيّة وملازمة سنن الشّريعة ، إذ الأعذار الشّرعية مقبولة البتة و كذلك الحجج البرهانيّة الموافقة لأساس الشّريعة .

(وخذ مايبقى لك) وهو الآخرة ونعيمها الباقي (ممّا لاتبقى له) وهو الدّنيا

ونعيمها الفاني كما قال عليه‌الصّلاة والسّلام في الدّيوان :

فلا الدّنيا بباقية لحىّ و لا حىّ على الدّنيا بباق

والمراد أخذ الآخرة عوضاً من الدّنيا أو تحصيلها فيها فانّ الفوز بالسّعادة الدّائمة إنّمايحصل بالقيام على التكاليف في دارالدّنيا لأنّها دارالتكليف والآخرة دارالجزاء ، وهذه‌الفقرة نظير قوله عليه‌السلام في الكلام المأتين والثّاني : فخذوا من ممرّكم لمقرّكم .

و في الاتيان بالموصول من دون أن يقول وخذالآخرة من الدّنيا تأكيد للغرض المسوق‌له الكلام وحثّ على شدّة الأخذ (وتيسّر لسفرك) وهوأمربتهيّة الزّاد لسفرالآخرة و الاستعداد للمعاد و خير الزّاد الزّهد والتّقوى (وشم برق النّجاة) أى انظر إلى لوامع الأنوار الالهيّة و بوارق النّجاة الّتي تنجيك من الظّلمات ومهاوى الهلكات (وارحل مطايا التشمير) والجدّ إلى الجهة التى أنت متوجّه إليها وهوأمر بالاجتهاد في العمل لمابعد الموت ، قال البحراني استعارلفظ المطاياالآلات العمل ولفظ الارحال لاعمالها .

الترجمة

ازجملهٔ کلام نصايح أنجام آن امام است که فرمود آن را در وقت تلاوت کردن آيهٔ شريفهٔ « يا أيّها الانسان ما غرّك بربك الكريم » يعنى اى فرزند آدم چه چيزمغرورساخت تورا بپروردگار تو که موصوفست بجود و کرم ، آنحضرت بعداز تلاوت آيه که انسان مخاطب بخطاب اين آيه است فرمود :

باطل ترين سؤال شدگانست از حيثيّت حجّت ودليل ؛ وبريده ترين فريفته شدگان است از حيثيّت عذرخواهى ، هرآينه شدّت نموده بنفس خود از حيثيّت نادانى ، اى انسان چه چيز جرى وجسورنمودتورا بر گناه‌خودت ، وچه‌چيز مغرور ساخت تورا به‌پروردگار خودت ، وچه چيز انس داد تورا به هلاکت نفس خودت آيا نيست از درد گناه توبهبودى ، آيا نيست ازخواب غفلت تو بيدارى ، آيارحم

نمي كني برنفس خود بقراري كه رحم ميكني برغيرخود (١)

هرآينه بسياراست كه مي‌بيني شخصي را درآفتاب پس براو از رحمت سايه كني ، يا مي بيني‌شخصي بألم مبتلا شده مثل زخمي وبثرة كه درمي آورد وميسوزاند تن اورا پس از ترحّم براو گريه كني ، پس چه چيز صابرساخته است ترا بردرد ومرض تو ، وقوي كرده است ترا برمصيبتهاي تو ، و خرسند كرده است ترا از گريستن برنفس خود كه بچنين بلا گرفتار است وآن عزيزترين جانهاست برتو وچگونه بيدار نميكندترا ترس شبيخون خشمهاي خدا وحال آنكه درآمدۀ بسبب معاصي در ورطۀ مسالك سطوات اوتعالى .

پس دوا پذيرازاين درد سستي كه دردل مرده داري بجدّ وجهد وقوّت عزمي وازخواب غفلت كه درچشم گران خواب‌داري به‌بيداري وهشيارئي ، وباش خدايرا فرمان برنده وبياد او انس گيرنده ، و ممثل گردان پيش نظرخويش درحالي كه روي گردانيدۀ ازخداوند تعالى‌اقبال‌اورا برتو ، مي‌خواندترا بعفوخود ،وميپوشاندتورا بفضل خود ، وتو روي گردانيدۀ ازاو بسوي غير او واقبال نمي كني براو .

پس بلند است خداي توانا چه حليم است ، و پستي بندۀ ضعيف چه دليري برمعصيت خدا وحال آنكه درپناه عفواواقامت كنندۀ ، ودرفراخي فضل اوگردندۀ وروندۀ ، پس منع نكرد ترا بااينحال ازفضل خود ، وندريد ازتو پردۀ عفوخودرا بلكه خالي‌نبودي ازآثار لطف او يك چشم زدن درنعمتي كه احداث ميكند براي تو ، يابدئي كه ميپوشد برتو ، يا بلائي كه بازميگرداند ازتو ـ بانافرماني ـ پس چه گمان داري بأو تعالى اگر اطاعت كني اورا .

وبخدا قسم اگر آنكه اين صفت در دو شخص موافق در قوّت يكسان در قدرت ميبود و اين معامله با مثل خودبشري‌ميكردي هرآينه بودي تو أوّل حكم كننده برخود بأخلاق‌نكوهيده وأعمال‌ناپسنديده، وحق ميگويم نه دنياتورا فريب

---

(١) چون تتمۀ ترجمه درأصل نسخه بياض بود لذا مابقيۀ آنرا ازشرح نهج البلاغة فاضل متبحر ملا صالح قزويني قدّس‌الله روحه نقل كرديم . « مصحح » .

داد بلکه تو بأو فریفته گشتي ، واوهر آینه روشن کرد برای تو پندها واعتبارها ، واعلام نمود براستی بیخلاف وجفا .

و این دنیا باین وعدها که ترا میدهد بنزول بلا برجسمت ونقصان قوتت وشکستني بنیان جانب راستگوتر ووفا کننده‌تر است ازآن که دروغ گوید با تو یا غدر کند وبفریبد ترا ، و بسا ناصح مردنیارا که نزد تومتّهم است ونصیحت او باور نداری وخبرراست ازاو که دروغ شماری .

واگر خبر بگیری ازدنیا در دیار او که خراب مانده است ، ومنازل او که ازأهل آن خالی مانده‌است هرآینه میبابی اورا ازراه موعظت نیکوو پند بلیغ که ترا داده است بمنزلت پدر مهربان است و بخیل است بتو ، وخوب سرائیست دنیا برای کسی که راضی نشود بآن که سرای خود داند ، و خوب محلی است برای کسی که آن را محل وطن نسازد .

وبدرستی نیکبختان بدنیا فردا ایشانند که میگریزند امروز از دنیا ، روزی که بلرزد زمین و ثابت گردد بوقایع جلیلهٔ قیامت ، وملحق شود بهرعبادت ودینی أهل آن و بهر معبودی عابدان آن ـ عابدان أصنام به أصنام و عابدان أنام به أنام وعابدان حق بمعبود خویش ـ وملحق شود بهرطاعت برده شده طاعت بران او .

پس جزا داده نشود یا نگذرد یا جاری نگردد در عدل و داد خداوند عباد آن روز نفوذ نظری درهواء ونه نرم گذاشتن قدمی درزمین مگر بحق آن ، پس بساحجّتها که آن روز باطل گردد ، و عذرها که شخص بآن در آویخته بود منقطع گردد .

پس طلب کن ازکار خود برای مصلحت آن‌روزآنچه قائم شود بآن عذر تو وثابت گردد حجّت تو ، و فرا گیر آنچه را باقي میماند برای تو از آنچه باقي نمیمانی توبرای آن ، آماده ومهیا شو برای سفر خود ، ونظر کن برق نجات از کجا میزند وبکجا میرود وبر کجا میبارد ، وبار برنه شتران چالاك شدن و راه پیمودن را .

و من كلام له عليه السلام وهو المأتان والثاني و العشرون من المختار في باب الخطب

ملتقط من كلام طويل رواه المحدّث العلامة المجلسي قدّس سرّه في البحار من الامالي بتفصيل واختلاف كثير تطلع عليه إنشاءالله تعالى في التكملة الآتية بعد الفراغ من شرح ما رواه الرّضيّ قدّس سرّه ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام :

وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدانِ مُسَهَّداً ، وَأُجَرَّ فِي الْأَغْلالِ مُصَفَّداً ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ - صلّى الله عليه وآله - يَوْمَ الْقِيمَةِ ظالِماً لِبَعْضِ الْعِبادِ ، وَغاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطامِ ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُها ، وَيَطُولُ فِي الثَّرى حُلُولُها .

وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ ، حَتَّى اسْتَماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صاعاً ، وَرَأَيْتُ صِبْيانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ ، غُبْرَ الْأَلْوانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّما سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ، وَعاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي ، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي ، وَأَتَّبِعُ قِيادَهُ مُفارِقاً طَرِيقَتِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُها مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِها ، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِها ، وَكادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِها ، فَقُلْتُ لَهُ : ثَكِلَتْكَ

الثَّوَاكِلُ يا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَىٰ نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ، أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَىٰ، وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَىٰ.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ، فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ، فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي، أَمُخْتَبِطٌ أَمْ ذُو جِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ.

وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضِمُهَا، مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَىٰ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

اللغة

(بات) فلان يفعل كذا يبيت بيتاً وبياتاً ومبيتاً وبيتوتة أى يفعله ليلاً وليس من النوم وقال الزجاج: كلّ من أدركه الليل فقدبات نام أم لم ينم.

و (السّعدان) بفتح السين نبت ذوشوك يقال له حسك السّعدان يشبّه به حلمة الثّدى وهومن أفضل مراعى الابل ومنه قولهم مرعى ولا كالسّعدان وبتفسير أوضح نبت ذوحسك له ثلاث شعب محدّدة على أىّ وجه وقعت على الأرض كانت له شعبتان قائمتان

و (السّهد) بالضمّ الأرق و بضمّتين القليل النّوم و قد سهد سهداً من باب فرح وسهدته أي منعته من النّوم فهو مسهّد و(أُجرّ) بالبناء على المفعول و (صفده) يصفده من باب ضرب شدّه وأوثقه كأصفده وصفّده والصّفادوزان كتاب ما يوثق به الأسير من قيد أوقد

و (الحطام) بالضمّ فتات التبن والحشيش ومايتكسّر من شيء يابس قال تعالى « ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يجعله حطاما » أي رفاتاً منكسراً متفتّتاً و(قفل) من باب نصر و ضرب قفولا رجع فهو قافل و القافلة الجماعة الراجعة من السّفر و (الاملاق) الافتقار قال تعالى « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » و (الاستماحة) طلب المنح هو كالامتياح الاعطاء و (البرّ) الحنطة .

و (الصّاع) أربعة أمداد كلّ مدّ رطل و ثلث والرطل اثنتا عشرة أوقية والاوقية إستار وثلثا إستار ، والاستار أربعة مثاقيل ونصف ، و المثقال درهم وثلاثة اسباع درهم و في مجمع البحرين في الحديث كان يغتسل بالصّاع و يتوضّأ بالمدّ قال بعض شرّاح الحديث الصّاع ألف و مأة و سبعون درهماً و ثمانمأة و تسعة عشر مثقالا

و (العظلم) وزان زبرج شيء يصبغ به قيل هو النيل وقيل الوسمة و ربّما يقال : اللّيل المظلم و (القياد) بالكسر مايقاد به و (الميسم) بكسر الميم و فتح السّين آلة الوسم و (الثكل) بالضمّ و بالتحريك أيضاً فقدان الحبيب أو الولد و ثكله من باب فرح فهي ثاكل و ثكلانة القليلة و الثّواكل النّساء الفاقدات لأولادها

و (أنّ) يانّ أنّاً وأنيناً تأوّه و (الطّارق) هوالآتي باللّيل وسمى طارقاً لاحتياجه إلى طرق الباب بالمطرقة و(شنأه) من باب منع وسمع شنئاً بتثليث الأوّل و شنأته أبغضته و(هبلته) امّه من باب فرح ثكلته و (الهبول) بفتح الهاء التي لايبقى لها ولد من النساء .

و (خبط) الشّيطان فلاناً مسّه بأذى كتخبّطه وخبط زيداً و اختبطه سأله

المعروف من غير أصرة أي قرابة ورحم وسابقة بينهما و (الهجر) الهذيان و (الجلب) والجلبة بالضمّ القشرة الّتي تعلو الجرح عند البرء و (قضم) قضما من باب سمع اكل بأطراف أسنانه أو أكل يابساً و (السّبات) وزان غراب النّوم أو خفيّه أو ابتداؤه في الرّأس حتّى يبلغ القلب .

الاعراب

لفظة أن في قوله عليه السلام والله لأن أبيت مصدريّة ناصبة للفعل المضارع المتكلّم وهي ومنصوبها في تأويل المصدر ومحلّ الرّفع بالابتداء وخبر المبتداء قوله أحبّ إليّ ، وقوله عليه السلام : مسهّداً حال مؤكدة لعاملها وهو أبيت إن كان السّهر مأخوذاً في معنى البيات ، و إلاّ كما هو قول الزّجاج و غيره حسبما عرفت فتكون حالا مؤسّسة

وقوله عليه السلام : وكيف أظلم ، استفهام إنكاريّ على حدّ قوله تعالى « أفأصفيكم ربّكم بالبنين » فيكون ما بعد الاستفهام غير واقع و مدّعيه كاذبا و مؤكّداً ومردّداً أيضاً حالان مؤكّدتان على حدّ قوله تعالى « ولّي مدبراً » وقوله عليه السلام أتئنّ من حديدة استفهام للتّقرير أو التقريع و كذلك قوله : أمختبط أم ذوجنّة آه

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام التنبيه على نزاهة نفسه من محبّة الدّنيا والرّغبة إلى حطامها الموجبة للظلم على النّاس والعدول عن سنن العدل في حقوقهم فدلّ على ذلك المقصود بنفي إقدامه على الظلم لينتقل بذلك إلى نفي ملزومه الذى هو حبّ الدّنيا وافتتح الكلام بالقسم البارّ .

فقال (والله لأن أبيت على حسك السّعدان مسهّداً) أى ممنوعاً من النّوم (وأجرّ في الأغلال مصفّداً) أى مشدّداً موثقاً بالسلاسل (أحبّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم القيامة ظالماً لبعض العباد) في حقّه ماليّا أوغير مالي (وغاصباً لشيء من الحطام) أى للحقّ المالى فيكون عطف الثّاني على الأوّل من عطف الخاصّ على العامّ على حدّ قوله تعالى « قل هى مواقيت للنّاس والحجّ » واستعار

لفظ الحطام لمتاع الدّنيا وزبرجها والجامع الحقارة .

و نظير ذلك وجه الشّبه في قوله تعالى : اعلموا أنّما الحيوة الدّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد » .

وحلفه عليه السلام على كون البيات عن الحسك والجرّ في الأغلال أحبّ إليه من لقاء الله ورسوله متّصفا بالظلم و الغصب ممّا لاغبار عليه ، وعلّة أحبيّتها إليه عليه السلام أنّهما وإن كان فيهما ألم شديد إلاّ أنّ ذلك الألم بالنسبة إلى ما يترتّب على الظلم من العذاب الشّديدالاُخروى أسهل وأهون .

و هذا في حقّ عموم العقلاء الملاحظين لعاقبة الاُمور ، وأمّا في حقّه عليه السلام وحقّ ساير أولياءالله المقرّبين فلولم يترتّب على الظلم من العقوبات الاُخرويّة سوى سوء لقاء الله و رسوله و الاستحياء منهما والحجب عن مقام الزّلفي فقط لكفى ذلك في ترجيح البيات على الأشواك والجرّ في الأغلال عليه .

و بما ذكرته علم أنّ لفظ أحبّ في كلامه عليه السلام لم يرد به التّفضيل الذى صيغة أفعل حقيقة فيه و إنّما أراد به المعنى الوصلي نظير صيغة المبالغة في قوله تعالى « وما ربّك بظلاّم للعبيد » .

ويؤمى إليه أيضاً تشديده النكير على إقدامه على الظلم في قوله عليه السلام (و كيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها) أى رجوعها من الشّباب إلى الشّيب الذى معدّ للبلى والاندراس وضعف القوى كما اُشير إليه في قوله تعالى « هو الذى خلقكم من ضعف ثمّ جعل من بعد ضعف قوّة ثمّ جعل من بعد قوّة ضعفاً وشيبة » أورجوعها إلى الآخرة فانّها المكان الأصلى و فيها تبلى الأجساد كما قال تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى» وعلى الاحتمال الأخير فنسبة البلى إلى نفسه عليه السلام بالنظر إلى زعم الناس لما قد عرفت في شرح الخطبة السادسة والثمانين عدم سرعة البلى إلى أبدان الأنبياء والأوصياء عليهم السلام .

قال العلاّمة المجلسيّ قدّس سرّه : و يحتمل أن يكون قفول جمع قفل

بالضمّ فانّه يجمع على أقفال وقفول فاستعيرهنا لمفاصل الجسد ، وعلى أيّ تقدير فالمراد بالنّفس في كلامه عليه السلام هو الجسد لا الرّوح كما هوظاهر .

وقوله عليه الصّلاة و السّلام (و يطول في الثّرى حلولها) إشارة إلى طول لبثها في القبر إلى يوم البعث .

ثمّ اكّد عليه السلام براءة ساحته من الظلم باقتصاص قصّته مع أخيه عقيل فقال مؤكّداً بالقسم البارّ (والله لقد رأيت عقيلا وقد أملق) أى افتقر وصار ملقاضعيفا (حتّى استماحني)أى طلب منّي السّماحة والجود وأن أعطيه (من برّكم صاعاً) وقد مضى مقداره في بيان اللّغة (ورأيت صبيانه شعث الشعور غبرالألوان) أى مغبّر الرّؤوس متغيّر الألوان (من) شدّة (فقرهم) وضرّهم (كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم) فانّ من نحل جسمه من الجوع يضرب لونه إلى السّواد كما أنّ البادن بعكس ذلك .

(وعاودني) أى العقيل (مؤكّداً) للاستماحة (وكرّر عليّ القولمردّداً) وبعد ما أصرّ على سؤاله (فأصغيت إليه سمعي) أى أملتها نحوه (فظنّ أنّي أبيعه ديني) و أخون في بيت مال المسلمين (و أتّبع قياده) أى أطيعه و أنقادله قال الشّارح البحراني : قياده مايقوده بهمنالاستعطافوالرّحم ،،وفي بعض النّسخ اتّبع بصيغةالغيبة قال العلامةالمحدّثالمجلسيّ : فلعلّه إشارة إلى ذهابه إلىمعاوية،انتهى والأوّل أولى وأنسب بالسّياق .

و قوله عليه السلام (مفارقاً طريقتي) أى العدل والاسوة (فأحميت له حديدة ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها) و ينزجر ويذكر نار الآخرة (ف) لمّا مسّته حرارة الحديدة (ضجّ ضجيج ذى دنف) أى مرض مولم (من ألمها وكادأن يحترق من ميسمها) أى من أثرها في يده (فقلت له ثكلتك الثّواكل) أى النّساء النّادبات (ياعقيل أتئنّ) وتضجّ (من حديدة أحماها إنسانها للعبه) .

قال الشّارحالمعتزلي : لم يقلإنسان لأنّه يريد أن يقابل هذه اللّفظة بقوله جبّارها و المراد باللّعب خلاف الجدّ في الاحماء النّاشي من الغضب و لذلك

قابله بالغضب في قوله عليه السلام (و تجرّني إلى نار سجرها) أى أوقدها (جبارها لغضبه أتئنّ من الأذى) أذى نار الدّنيا (ولا أئنّ من لظى) نزّاعة للشّوى أى إذا كنت تئنّ من أذى نار الدّنيا وألمها على ضعفها وحقارتها فكيف لا أئنّ من نار الآخرة الّتي وقودها النّاس والحجارة على شدّتها وقوّتها .

و محصّل غرضه من ذكر قصّة عقيل التّنبيه على غاية مراعاته للعدل وتجنّبه عن الظلم و محافظته على بيت مال المسلمين ، فانّ من منع أخاه على شدّة فاقته وفاقة عياله مع قرابتهم القريبة والرّحم الماسّة و كونهم من جملة ذوى الحقوق في بيت المال من أن يعطيه منه شيئاً يسيراً من الطعام وهو الصاع من البرّ لمحض الاحتياط في الدّين و ملاحظة حقوق المسلمين، وخوفاً من شبهة الظلم ، فأبعد من أن يحوم حوم الظلم ثمّ أبعد.

قال الشارح المعتزلي : سأل معاوية عقيلا عن قصّة الحديدة المحماة المذكورة قال : أصابتنى مخمصة شديدة فسألته عليه السلام فلم تند صفاته ، فجمعت صبياني فجئت بهم إليه والبؤس والضرّ ظاهران عليهم ، فقال عليه السلام : ائتنى عشيّة لأدفع إليك شيئاً فجئته يقودنى أحد ولدى ، فأمره بالتّنحّى ثمّ قال عليه السلام : ألا فدونك ، فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع ، أظنّها صرّة فوضعت يدى على حديدة تلتهب ناراً ، فلمّا قبضتها نبذتها و خرت كما يخور الثّور تحت يد جازره فقال : ثكلتك أمّك هذا من حديدة أوقدت لها نار الدّنيا ، فكيف بك و بى غداً إن سلكنا في سلاسل جهنّم ثمّ قرء : « إذ الاغلال في أعناقهم والسّلاسل يسحبون» ثمّ قال عليه السلام: ليس عندى فوق حقّك الّذى فرضه الله لك إلاّ ما ترى فانصرف إلى أهلك ، فجعل معاوية يتعجّب و يقول: هيهات هيهات النّساء أن يلدن بمثله.

و في البحار من مناقب ابن شهرآشوب من جمل أنساب الأشراف قال : و قدم عليه عليه السلام عقيل فقال للحسن : اكس عمّك ، فكساه قميصاً من قمصه ورداءة من أرديته ، فلمّا حضر العشاء فاذا هو خبز و ملح . فقال عقيل: ليس إلاّ ما أرى فقال عليه السلام : أوليس هذا من نعمة الله وله الحمد كثيراً ، فقال : اعطنى ما اقضي به ديني

و عجّل سراحي حتّى أرحل عنك ، قال عليه السلام : فكم دينك يا أبايزيد ؟ قال : مأة ألف درهم ، قال عليه السلام: لا والله ماهي عندي ولا أملكها ولكن اصبر حتّى يخرج عطائي فاواسيكه ولولا أنّه لابدّ للعيال من شيء لأعطيتك كلّه ، فقال عقيل : بيت المال في يدك و أنت تسوّفني إلى عطائك و كم عطاؤك و ماعساه يكون و لو أعطيتنيه كلّه فقال عليه السلام : ما أنا وأنت فيه إلاّ بمنزلة رجل من المسلمين و كانا يتكلّمان فوق قصر الامارة مشرفين على صناديق أهل السوق فقال عليّ عليه السلام : إن أبيت يا أبا يزيد ما أقول فانزل إلى بعض هذه الصناديق فاكسر أقفاله و خذمافيه قال : و ما في هذه الصناديق؟ قال عليه السلام: فيها أموال التجار، قال أتأمرني أن اكسر صناديق قوم قد توكّلوا على الله وجعلوا فيها أموالهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام أتأمرني أن أفتح بيت مال المسلمين فأعطيك أموالهم وقد توكّلوا على الله وأقفلوا عليها وإن شئت أخذت سيفك وأخذت سيفي و خرجنا جميعاً إلى الحيرة فانّ بها تجاراً مياسير فدخلنا على بعضهم فأخذنا ماله، فقال : أو سارقاً جئت؟ قال عليه السلام : نسرق من واحد خير من أن يسرق من المسلمين جميعاً ، قال له : أو تأذن لي أن أخرج إلى معاوية ؟ فقال عليه الصلاة والسلام له : قدأذنت لك ، قال : فأعنّي على سفري هذا ، فقال عليه السلام : ياحسن اعط عمّك أربعمأة درهم ، فخرج عقيل وهويقول:

سيغنيني الذي أغناك عنّي   و يقضى ديننا ربّ قريب

وذكر عمرو بن العلاء أنّ عقيلا لمّا سأل عطاءه من بيت المال قال له أمير المؤمنين عليه السلام: تقيم إلى يوم الجمعة فأقام ، فلمّا صلّى أمير المؤمنين عليه السلام الجمعة قال لعقيل : ماتقول فيمن خان هؤلاء أجمعين؟ قال : بئس الرّجل ذاك قال عليه السلام : فأنت تأمرني أن أخون هؤلاء وأعطيك.

و فيه من المناقب أيضاً قال : سمعت مذاكرة من الشّيوخ أنّه دخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال فطفى السراج و جلس في ضوء القمر و لم يستحلّ أن يجلس في الضوء بغير استحقاق ، هذا

(و أعجب من ذلك) أى ممّا ذكرته من قصّة عقيل قصّة الأشعث بن قيس الكندى و تقرّبه إلىّ بالهدية الّتي كانت رشوة في الحقيقة استمالة لى و تخديعاً إيّاى . فانّه كما قال الشارح المعتزلي: كان أهدى له نوعا من الحلواء تأنّق فيه و كان

يبغض الأشعث لأنّ الأشعث كان يبغضه، وظنّ الأشعث أنه يستميله بالمهاداة لغرض دنيوى كان في نفس الأشعث وكان عليه السلام يتفطّن لذلك و يعلمه ، و لذلك ردّ هديّته واولا ذلك لقبلها كما نبّه عليه السلام على ذلك بقوله:

(طارق طرقنا) أى أتى إلينا ليلا (بملفوفة) أى بهديّة على زعم الطارق بها لفّها و غطاها (في وعائها و معجونة شنئتها) أى أبغضتها و نفرت عنها لما علمت من الطارق بها (كأنّما عجنت بريق حيّة أوقيئها) أى بالسمّ القاتل الموجب لغاية البخل و النفرة (فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك) أى كلّ منها (محرّم علينا أهل البيت) .

قال الشارح المعتزلي : الصلة العطية لايراد بها الآخرة بل يراد بها وصلة إلى الموصول و أكثر ما تفعل للذكر والصّيت والزكاة هي ما تجب في النّصاب من المال ، والصدقة ههنا هي صدقة التطوع .

فان قلت : كيف قال فذلك محرّم علينا أهل البيت و إنّما يحرم عليهم الزّكاة الواجبة خاصّة ولايحرم عليهم الصدقة التطوع ولاقبول الصلاة.

قلت: أراد بقوله أهل البيت الأشخاص الخمسة وهم محمّد و عليّ و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فهؤلاء خاصّة دون غيرهم من بني هاشم يحرم عليهم قبول الصدقة والصلاة ، انتهى ملخصا .

أقول ، أمّا الصلاة فلم يقل أحد بحرمتها عليهم عليهم السلام ولا على غيرهم من الهاشميّين ، و أمّا الصدقة المندوبة فكذلك على مذهب المشهور من أصحابنا ، فلابدّ في رفع الاشكال من جعل المشار إليه بقوله فذلك أحد الأخيرين أعني الزّكاة والصدقة أو الصدقة المستحبّة مع البناء على مذهب بعض الأصحاب من تحريمهما عليهم أيضاً وجعل المراد بالصدقة الكفّارات الواجبة.

و يؤيّد ذلك أعنى كون الاشارة إلي أحد الأخيرين فقط جواب الأشعث بقوله : لاذاولاذاك ، حيث نفي الاثنين من الثلاث دون الثلاث جميعاً ، فيكون قوله: ولكنّها هديّة بمعنى أنّها صلة.

و على كون المشار إليه جميع الثلاث فاللّازم حمل الصّلة على ما كان

على وجه المصانعة والرّشوة ، و على كون المراد بالصدقة صدقة التّطوع والبناء على مذهب المشهور فلابدّ من ارتكاب المجاز في التّحريم ، وحمل قوله عليه السلام : محرّم على مايعمّ الكراهة والحرمة المصطلحة ، فافهم جيّداً.

(فقال لاذاولا ذاك و لكنّها هديّة) و إنّما قال ذلك لكونه عارفاً بأنّه عليه السلام كان يقبل الهدايا ولايشمئزّ منها إلاّ أنّه عليه السلام لمّا عرف فساد غرضه فيها اعترض عليه وأجابه بقوله (ثكلت هبلتك الهبول) أى ثكلتك أمّك (أعن دين الله أتيتني لتخدعني أمختبط) أنت (أم ذوجنّة أم تهجر) الاستفهام إنكاريّ والغرض منه توبيخ الأشعث و تقريعه على ماأتى به من الهدية والتّعريض عليه بأنّ إتيانه بها مع ماأضمر من سوء النيّة يشبه فعل صاحب الخبط والجنون والهذيان

قال الشارح المعتزلي : المختبط المصروع من غلبة الاخلاط السّوداء أوغيرها عليه و ذوالجنّة من به مسّ من الشيطان، والّذي يهجر هو الّذي يهذى في مرض ليس بصرع كالمبرسم و نحوه ، انتهى.

أقول : إن أراد أنّ المختبط قسيم ذى الجنّة يعني خصوص المصروع من غير مسّ الشيطان فيردّه قوله تعالى «لايقومون إلاّ كما يقوم الّذي يتخبّطه الشيطان من المسّ» و إن أراد كونه أعمّ منه فلابأس به

لكن الأظهر أن يكون مراده عليه السلام به كونه ذاخبط أى طالب معروف من غير سابقة ولاقرابة أوأنّه ذوخبط أى حركة على غير النّحو الطبيعى كخبط العشواء.

ثمّ شدّد النّكير على الطارق و أبطل ما كان في خلده من إمكان إقدامه عليه السلام على الظلم والمعصية بوسيلة الهدية ودقّ عليه السلام خيشومه بقارعة الخيبة فقال (والله) الكريم و إنّه لقسم لوتعلمون عظيم (لوأُعطيت الأقاليم السبعة) و بقاع الأرضين (بماتحت أفلاكها على أن أعصى الله) طرفة عين وأقدم على الظلم و لو (في) حقّ (نملة) هى أضعف مخلوق (أسلبها جلب شعيرة) و قشرها (ما فعلته) وهذا دليل على كمال عدله عليه السلام و بلوغه فيه الغاية القصوى الّتي لايتصوّر مافوقها.

ولمّا نبّه على نزاهته من الظلم و كان منشأ الظلم كساير المعاصي هو

حبّها لكونها رأس كلّ خطيئة أردفه بالتنبيه على غاية زهده فيها وطهارة لوح نفسه من دنس حبّها فقال (وإنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها) وتكسرها (ما لعليّ ولنعيم يفنى و لذّة لا تبقى) إنكار لميل نفسه إلى نعيم الدّنيا و لذّاتها الفانية، يعني أنّ حال عليّ ينافي رغبته إلى تلك اللّذات.

(نعوذ بالله من سبات العقل) أي نومه وغفلته عن ادراك مفاسد تلك اللّذات و ما يترتّب عليها من المخازى و المهلكات (وقبح الزّلل) والضّلال عن الصّراط المستقيم النّاشي من الرّكون إلى الدنيا و الرّغبة إلى نعيمها (و به نستعين) في النّجاة من تلك الورطاة وفي جميع الحالات.

قال كاشف الغمّة ولنعم ما قال:

و اعلم أنّ أنواع العبادة كثيرة، و هي متوقّفة على قوّة اليقين بالله تعالى وما عنده وما أعدّه لأوليائه في دارالجزاء، وعلى شدّة الخوف من الله تعالى و أليم عقابه، وعليّ عليه السلام القائل: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، فشدّة يقينه دالّة على قوّة دينه ورجاحة موازينه، و قد تظاهرت الرّوايات أنّه لم يكن نوع من أنواع العبادة والزّهد والورع إلاّ وحظه عليه السلام منه وافر الأقسام، ونصيبه منه تامّ بل زايد على التّمام، وما اجتمع الأصحاب على خير إلاّ كانت له رتبة الامام، ولا ارتقوا قبّة مجد إلاّ و له ذروة الغارب وقلّة السّنام، ولا احتكموا في قضيّة شرف إلاّ وألقوا إليه أزمة الأحكام.

وروى الحافظ أبونعيم بسنده في حليته أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: ياعليّ إنّ الله قد زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها هي زينة الأبرار عندالله تعالى: الزّهد في الدّنيا فجعلك لا ترزء من الدّنيا شيئاً ولا ترزء منك الدّنيا شيئاً أي لا تنقص منها ولا تنقص منك.

وقد أورده صاحب كفاية الطالب أبسط من هذا قال: سمعت أبامريم السّلولي يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: ياعليّ إنّ الله قد زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها: الزهد في الدّنيا فجعلك لا تنال من الدّنيا شيئاً و لا تنال

الدّنيا منك شيئا ، ووهب لك حبّ المساكين فرضوا بك إماما و رضيت بهم أتباعا فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك وويل لمن أبغضك و كذب عليك ، فأماالذين أحبّوك و صدقوا فيك ، فهم جيرانك في دارك و رفقاؤك في قصرك و أما الذين أبغضوك و كذبوا عليك فحقّ على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة ، وذكره ابن مردويه في مناقبه .

فقد ثبت لعليّ عليه السلام الزّهد بشهادة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له بذلك ، ولا يصحّ الزّهد في الشيء إلاّ بعد معرفته و العلم به وعليّ عليه السلام عرف الدّنيا بعينها و تبرّجت له فلم يحفل بزينتها لشينها و تحقق زوالها ، فعاف وصالها و تبين انتقالها ، فصرم حبالها و استبان قبح عواقبها وكدرمشاربها فألقى حبلها على غاربها وتركها لطالبها و تيقّن بؤسها وضررها فطلّقها ثلاثا وهجرها ، و عصاها إن أمرته فعصته إن أمرها وعلمت أنه ليس من رجالها و لا من ذوى الرّغبة في جاهها ومالها ولا ممّن تقوده في حبالها وتورده موارد وبالها ، فصاحبته هدنة على دخن ، وابتلته بأنواع المحن وجرت في معاداته على سنن ، وغالته بعده في ابنيه الحسين والحسن ؛ وهوصلّى الله عليه لايزداد على شدّتها للأواء إلاّ صبراً ، و لا على تظاهر الأعداء إلاّ حمداً لله تعالى وشكراً ، آخذاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لايحول عنها مقتفيا لآثاره لايفارقها ، واطئا لعقبه صلى الله عليه وآله وسلم لايجاوزها حتّى نقله الله تعالى إلى جواره واختارله داراً خيراً من داره فمضى محمود الأثر ، مشكور الورد والصدر، مستبدلا بدار الصّفاء من دارالكدر ، قد لقى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بوجه لم يشوهه التبديل ، وقلب لم تزدهه الأباطيل .

تكملة

هذا الكلام له عليه السلام رواه المحدّث العلامة المجلسيّ قدّس سرّه في المجلّد التاسع والمجلّد السابع عشر من البحار من الأمالي عن عليّ بن أحمد الدّقاق عن محمد بن الحسن الطّارى عن محمد بن الحسين الخشاب عن محمد بن محسن عن المفضّل ابن عمر عن الصّادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عن أبيه عليهم السلام قال :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : والله مادنيا كم عندى إلاّ كسفر على منهل حلّوا إذصاح

بهم سائقهم فارتحلوا ولا لذاذتها في عيني إلاّ كحميم أشربه غساقاً و علقم أتجرّعه زعافاً وسمّ أفعاة أسقاه دهاقاً وقلادة من نار اوهقها خناقا ، ولقد رقعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من راقعها وقال لي : اقذف بها فذف الاتن لا يرتضيها ليراقعها ، فقلت له : اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى وينجلي عنا غيابات الكرى ، ولو شئت لتسربلت بالعبقري المنقوش من ديباجكم ولأكلت لباب البرّ بصدور دجاجكم و لشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم ، ولكنّي أُصدق الله جلّت عظمته حيث يقول : « من كان يريد الحيوة الدّنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ✿ اولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النّار » .

فكيف استطيع المصير على نار لو قذفت بشررة إلى الأرض لأحرقت نبتها ولو اعتصمت نفس بقلّة لأنضجها وهج النار في قلّتها ، وأيّما خير لعليّ أن يكون عند ذي العرش مقرّباً أو يكون في لظى خسيئاً مبعداً مسخوطاً عليه بجرمه مكذّبا

والله لأن أبيت على حسك السعدان مرقداً وتحتي أطمار على سفاها ممدّداً ، أو اجرّ في أغلالي مصفداً ، أحبّ إليّ من أن ألقى في القيامة محمّداً صلى الله عليه وآله خائناً في ذي يتمة اظلمه بفلسه متعمداً ولم أظلم اليتيم وغير اليتيم لنفس تسرع إلى البلى قفولها ويمتدّ في أطباق الثرى حلولها ، وإن عاشت رويداً فبذي العرش نزولها .

معاشر شيعتي احذروا فقد عضّتكم الدّنيا بأنيابها ، تختطف منكم نفساً بعد نفس كذئابها . و هذه مطايا الرّحيل قد اُنيخت لركابها إلاّ أنّ الحديث ذوشجون فلا يقولنّ قائلكم إنّ كلام عليّ متناقض ، لأنّ الكلام عارض .

ولقد بلغني أنّ رجلا من قطّان المداين تبع بعد الحنيفيّة علوجه ، ولبس من نالة دهقانه منسوجه ، وتضمخ بمسك هذه النّوافج صباحه ، وتبخّر عود الهند رواحه ، وحوله ريحان حديقة يشم تفّاحه ، وقد مدّ له مفروشات الرّوم على سرره ، تعساً له بعدما ناهز السّبعين من عمره و حوله شيخ يدبّ على أرضه من هرمه وذايتمة تضوّر من ضرّه ومن قرمه ، فما واساهم بفاضلات من علقمه لئن أمكنني الله منه لأخضمنّه

خضم البرّ ، ولأُقيمنّ عليه حدّ المرتدّ ، ولأضربنّه الثمانين بعد حدّ و لأسدنّ من جهله كلّ مسدّ ، تعساً له أفلا شعر أفلا صوف أفلا وبر أفلا رغيف قفار الليل افطار معدم أفلا عبرة على خدّ في ظلمة ليالي تنحدر ولو كان مؤمناً لاتّسقت له الحجّة إذا ضيّع مالا يملك .

والله لقد رأيت عقيلا أخي وقد أملق حتّى استماحني من برّكم صاعه ، وعاودني في عشر وسق من شعير كم يطعمه جياعه ، ويكاد يلوى ثالث أيّامه خامصا مااستطاعه ورأيت أطفاله شعث الألوان من ضرّهم كأنّما اشمأزّت وجوههم من قرّهم ، فلمّا عاودني في قوله وكرّره أصغيت إليه سمعي فغرّه ، وظنّني اوتغ ديني فاتّبع ماسرّه أحميت له حديدة ينزجر إذ لا يستطيع منها دنوّاً ولا يصبر ، ثمّ أدنيتها من جسمه فضجّ من ألمه ضجيج ذي دنف يئنّ من سقمه ، و كاد يسبّني سفهاً من كظمه ، و لحرقة في لظى أضناله من عدمه فقلت له : ثكلتك الثّوا كل يا عقيل أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها لمدعبه ، وتجرّني إلى نار سجّرها جبّارها من غضبه ، أتئنّ من الأذى و لاأئنّ من لظى .

والله لوسقطت المكافاة عن الامم وتركت في مضاجعها باليات الرّمم لاستحييت من مقت رقيب يكشف فاضحات من الأوزار تنسخ فصبراً على دنيا تمرّ بلاء وائها كليلة بأحلامها تنسلخ ، كم بين نفس في خيامها ناعمة وبين أثيم في جحيم يصطرخ فلا تعجب من هذا .

وأعجب بلا صنع منّاً من طارق طرقنا بملفوفات زملها في وعائها و معجونة بسطها في إنائها فقلت له : أصدقة أم نذر أم زكاة وكلّ ذلك يحرم علينا أهل بيت النّبوة وعوضنا منه خمس ذي القربى في الكتاب والسنّة ، فقال لي : لاذاك ولاذاك ولكنّه هديّة فقلت له : ثكلتك الثّوا كل أفعن دين الله تخدعني بمعجونة عرقتموها بقندكم ، و خبيصة صفراء أتيتموني بها بعصير تمركم ، أمختبط أم ذوجنّة أم تهجر أليست النّفوس عن مثقال حبّة من خردل مسئولة ، فماذا أقول في معجونة اتزقمها معمولة والله لو أُعطيت الأقاليم السّبعة بماتحت أفلاكها واسترق لي قطانها مذعنة بأملاكها

على أن أعصى الله في نملة أسلبها شعيرة فألوكها ما قبلت ولا أردت ، و لدنيا كم أهون عندى من ورقة في فم جرادة تقضمها وأقذر عندى من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها ، وأمرّ على فؤادى من حنظلة يلوكها ذوسقم فيشتمها فيبشمها «فكيف أقبل ملفوفات عكمتها في طيّها ومعجونة كأنّها عجنت بريق حيّة أوقيئها .

اللّهم انّي نفرت عنها نفار المهرة من كيّها أريه السّها ويريني القمر . ءأمتنع من وبرة من قلوصها ساقطه، وأبتلع إبلاً في مبر كها رابطة، أدبيب العقارب من وكرها ألتقط، أم قواتل الرّقش في مبيتي ارتبط ، فدعوني أكتفى من دنيا كم بملحى وأقراصى، فبتقوى الله أرجو خلاصى ما العلى ّونعيم يفنى ولذّة تنحتها المعاصي سالقى وشيعتي ربّنا بعيون ساهرة وبطون خماص ليمحّص الله الّذين آمنوا ويمحق الكافرين ، ونعوذ بالله من سيّآت الأعمال ، وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين(١) .

بيان

مايحتاج الى التّوضيح و البيان من غريب ألفاظ هذه الرواية الّتي لم تتقدّم فى رواية الرضيّ فنقول وبالله التّوفيق :

« الحميم » الماء الحارّ الشّديد الحرارة يسقى منه أهل النّار وعن ابن عبّاس لوسقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها « و الغسّاق » بالتّخفيف و التّشديد ما يسيل من صديد أهل النّار وغسالتهم أو مايسيل من دموعهم و « العلقم » شجر مرّ ويقال للحنظل ولكلّ شيء مرّ : علقم .

والسم « الزّعاق » وزان غراب هو الّذى يقتل سريعاً ، والماء الزّعاق الملح الغليظ لايطاق شربه و « الدّهاق » وزان كتاب الممتلى و « الوهق » بالتحريك ويسكن الحبل يرى به في أنشوطة فيؤخذ به الدابة والانسان و « المدرعة » القميص وقوله « قذف الاتن » هو بضمتين جمع الاتان وهي الحمارة والتّشبيه بقذفها لكونها أشدّ امتناعاً للحمل من غيرها أولكونها أكثر قذفاً لجلّها و « غيابات الكرى » بالضم جمع غيابة وغيابة كلّ شيء ماسترك منه ومنه غيابات الجبّ ، وقال الجوهرى

(١) أقول : حيث كانت النسخة مغلوطة جداً وبعضها لايكاد يقرء ، صحّحت هذا الكلام الشريف عن نسخة البحار المطبوعة اخيراً ج ٤٠ ص٣٤٥ وهكذا من البيان ماكان موجوداً فى البحار «المصحح»

الغيابة كلّ شيء تظلّ الانسان فوق رأسه مثل السّحابة و الغبرة و الظلمة ونحو ذلك ، وفي بعض النسخ علالات الكرى بالضمّ أيضاً جمع علالة بقية كلّ شيء والكرى النعاس و النّوم أى من يسرى باللّيل يعرضه في اليوم النّعاس لكنّه ينجلى منه بعد النوم فكذلك يذهب مشقة الطاعات بعد الموت هكذا قال العلامة المجلسيّ قدّس سره وقال الميداني «عند الصباح يحمد القوم السرى» يضرب للرجل يحتمل المشقّة رجاء الراحة و « العبقرى » الدّيباج وقيل البسط الوشية .

وقوله « ولو اعتصمت نفس بقلة » أى بعد قذف الشررة لو التجأت نفس إلى رأس جبل لا نضج تلك النفس « و هج النّار » بسكون الهاء أى اتقادها و حرّها والضمير «في قلّتها» راجع إلى النّفس والاضافة للملابسة «والخسىء» الصاغر والمبعد و « الأطمار» جمع طمر بالكسر وهو الثوب الخلق البالى و « السّفا » التراب الذي تسفيه الرّيح و كلّ شجر له شوك وضمير سفاها راجع إلى الأرض بقرينة المقام .

وقوله « رويداً» أى قليلا و « الذّئاب » جمع الذّئب والضمير راجع إلى الدّنيا أى كما تختطف الذئاب في الدّنيا و « الشّجون » الطرق ويقال الحديث ذوشجون اى يدخل بعضه في بعض قال العلامة المجلسيّ قدّس سرّه : و المراد بالتّناقض هنا عدم التناسب .

و قوله « إنّ رجلا من قطان المداين » قال المجلسيّ : يحتمل أن يكون مراده به معاوية بل هو الظاهر ، فالمداين جمع المدينة لا النّاحية الموسومة بذلك ، و المراد بعلوجه آباؤه الكفرة شبّههم في كفرهم بالعلوج وهو جمع علج بالكسر الرّجل من كفّار العجم هكذا في القاموس و « النّالة » جمع النّائل وهو العطاء كالقادة والقائد و « الدّهقان » بالضمّ والكسر القوى على التصرّف مع عدّة ورئيس الاقليم معرّب ،والضّمير في «منسوجه» راجع إلى الدّهقان قال المجلسيّ قدّس سرّه أو راجع إلى النّالة بتأويل أي ليس من عطايا دهقانه أو ممّا أصاب وأخذ منهما نسجه الدهقان أو ما كان منسوجاً من عطاياه.

و « تضمّخ » بالطّيب تلطخ به و « النّوافج » جمع نافجة معرّب نافة و « دبّ » الشيخ دبيباً مشى مشياً رويداً والضمير في « أرضه » إما راجع إلى

الشيخ أو إلى الرجل و « تضوّر » فلان من شدة الحمّى أى تلوّى و صاح و تقلّب ظهراً لبطن و « الضّرّ » بالضمّ سوء الحال و « القرم » شدّة شهوة اللحم و « العلقم » الحنظل و كلّ شيء مرّ ، وإنّما شبّه ما يأكله من الحرام بالعلقم لسوء عاقبته و كثيراً مايشبه الحرام في العرف بسمّ الحيّة والحنظل.

و « الخضم » الأكل بأقصى الأضراس « و إقامة حدّ المرتدّ عليه » لانكاره بعض الضّروريات كما يشعر به ما تقدّم من قوله : وتبع بعدالحنيفية علوجه ، أو استحلاله دماء المسلمين إن كان المراد بالرّجل معاوية حسبما اشرنا إليه و « ضرب الثمانين » لشرب الخمر أوقذف المحصنة .

وقوله « ولأسدّن من جهله كلّ مسدّ » قال المجلسيّ قدّس سرّه : كناية عن إتمام الحجّة وقطع أعذاره أوتضييق الأمر عليه ، وقوله « أفلا رغيف » بالرفع ويجوز في مثله الرّفع و النّصب و البناء على الفتح و « القفار » بالفتح ما لا ادام معه من الخبز و اُضيف إلى اللّيل و هو صفة للرّغيف و « إفطار معدم » بدل من رغيف ، وفي بعض النسخ قفاراً بالنّصب على الحال لليل إفطار معدم باللاّم الجارّة وإضافة ليل إلى الافطار المضاف إلى المعدم أى الفقير .

و « الاتّساق » الانتظام و « الوسق » ستّون صاعاً وقوله « يكاد يلوى ثالث أيامه » لعلّه من لويت الحبل فتلته أى يلتفّ إحدى رجليه بالاُخرى من شدّة جوعه وقوله « خامصاً ما استطاعه » أى جائعا ماكان قادراً على الجوع و « القرّ » بالضمّ البرد و « عاوده » في مسألة مسألة مرّة بعد اخرى و « اوتغ » بالتاء المثناة والغين المعجمة من الوتغ بالتحريك وهو الهلاك و « السّفه » الجهل و خفة الحلم .

وقوله « من كظمه » أى من قلّة كظمه للغيظ وقوله « لحرقة » عطف على قوله سفها ، ولمّا لم يكن الحرقة مثل السّفه من فعل الساب أتى باللاّم للتعليل و « أضنا » أفعل من أضناه المرض أثقله من ضنى ضنا من باب رضي أى مرض مرضا ملازما حتّى أشرف على الموت أى كاد يسبّني لحرقة كانت أمرض له من فقره الذى كان به

ويحتمل أن يكون الواو في و لحرقة للقسم واللام فيها بالفتح أى والله لحرقة في نار جهنّم أو في هذه الحديدة المحماة أمرض له من عدمه .

وقوله « من مقت رقيب » الظاهر أنّ المراد بالرّقيب هنا هو الله تعالى لأنّه من جملة أسمائه الحسنى وفي الكتاب العزيز ـ فلمّا توفّيتني كنت أنت الرّقيب عليهم وأنت على كلّ شيء شهيد ـ وجملة « تنسخ » صفة أو حال من فاضحات أو من الأوزار قال تعالى ـ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون ـ أى نثبت ما كنتم تعملون أو نأخذ نسخته ، و قوله « فصبراً » الفاء للتفريع أى فاصبروا صبراً على دنيا تمرّ مع شدّتها مثل ليلة تنسلخ وتمضى مع أضغاث أحلامها ، وقوله « كم بين نفس » الاستفهام للتعجّب والضمير في «خيامها» راجع إلى الجنة المعلومة بقرينة المقام و «الاصطراخ » الصياح الشديد .

وقوله « بلا صنع منا » قال العلامة المجلسيّ قدّس سرّه حال من مفعول أعجب أى اعجب مما صدر من طارق منّا من غير أن يكون منّا فيما فعله مدخل و « زملها » أى لفّها و قوله « أم نذر » لعلّ المراد كفارة النذر و « الزّقم » اللقم الشديد والشرب المفرط والضمير في « املاكها » راجع إلى القطان أى معتقدة بأنى أملكها ، ويحتمل رجوعه إلى الأقاليم أى مذعنة بأنى أملك الأقاليم وليس لهم فيها حقّ .

و « اللّوك » العلك وهو دون المضغ قال العلّامة المجلسيّ قدّس سرّه وقبحه يدلّ على قبح العلك بطريق أولى و على قبح السلب أيضاً بغير انتفاع بطريق أولى لأنّ النفس قد تنازع السلب في صورة الانتفاع بخلاف غيرها كما قيل .

و « العراقة » بالضمّ العظم إذا أكل لحمه والضمير في « بها » راجع الى العراقة وفي « أجذمها » إلى الدّنيا أو العراقة بأدنى الملابسة ، وفي هذه الفقرة من المبالغات في التنفّر والتكير ما لايتصوّر فوقها ، و كذا في الحنظلة التى مضغها

ذو السقم فيشتمها أی يسبّها نفرة عنها و قال المجلسیّ أی لفظها بغضاً وعداوة لها فلفظه مع اختلال ذائقته يدلّ على كمال مرارته و ملفوظه أقذر من ملفوظ غيره لمرارة فيه ولتوهّم سراية مرضه أيضا، انتهى.

أقول: لا دلالة في شتمها على لفظها كما فی نسخة البحار ، ويحتمل أن يكون يشتمها من تحريف النساخ ويكون الأصل يسمها أی يأكلها على مرارتها مأخوذاً من المسمّ وزان مسنّ وهو الذی يأكل ماقدرعليه كما فی القاموس ولعلّ قوله : على فؤادی يؤيّد ذلك فانّ ذا السّقم إذا ابتلع الحنظلة يؤثّر مرارتها في باطنه ويفسد معدته و امعائـه ، و التخصيص بذی السّقم لأن صحيح المزاج لا يلوك الحنظلة ولا يلقمها.

و «عكمت» المتاع شددته بثوب والمراد بالطی مايطوی فيه الشیء أی المطوی على الشيء و « المهر » ولد الفرس .

وقوله « أُريه السّها ويرينی القمر » قال المجلسیّ أی انّی فی وفورالعلم ودقّة النّظر اری الناس خفايا الأُموروهم يعاملون معی معاملة من يخفی عليه أوضح الأُمور عند إرادة مخادعتی قال الزّمخشري فی مستقصی الأمثال : اريها السّها و ترينی القمر ، السّها كوكب صغير خفیّ فی بنات النعش و أصله أنّ رجلا كان يكلّم امرأة بالخفی الغامض من الكلام وهی تكلّمه بالواضح البين ، فضرب السها والقمر مثلا لكلامه و كلامها يضرب لمن اقترح على صاحبه شيئاً فأجابه بخلاف مراده قال الكميت :

شكونا إليه خراب السواد فحرّم علينا لحوم البقر
فكنّا كما كان من قبلنا أُريها السها و ترينی القمر

الضمير فی إليه راجع إلى الحجاج بن يوسف شكى إليه أُهل السواد خراب السواد و ثقل الخراج فقال : حرمت عليكم ذبح الثيران ، أراد بذلك أنها إذا لم تذبح كثرت واذا كثرت كثرت العمارة وخفّ الخراج، انتهى .

وقوله « ءامتنع اه » الاستفهام للتعجّب أوالانكار أی انّی لكمال زهدی أمتنع

من أحد وبرة ساقطة من ناقة فكيف أبتلع إبلاً رابطة في مربطها لملاكها و « القلوص» الشابة من النوق وقيل القلوص بفتح القاف من الابل الباقية من السير خصّها بالذكر لأنّ الوبر الساقط من الابل حين السير أهون عند صاحبها من السّاقط من الرابطة ومنه يظهر فايدة قيد الرّبط في الأخير .

وقوله « ادبيب العقارب من وكرها التقط » قال الجوهري : كلّما مشى على وجه الأرض دابّة و دبيب أى ألتقط العقارب الكبيرة التي تدبّ من وكرها أى جحرها مجازاً فانّها إذا اُريد أخذها من جحرها كان أشدّ لدغاً شبّه عليه السلام بها الأموال المحرّمة المنتزعة من محالها لما يترتّب على أخذها من الهلكات الاخروية .

وقال بعض الأفاضل: الدّبيب مصدر دبّ من باب ضرب إذا مشى ، وهو مفعول التقط وفي الكلام مجاز يقال : دبّ عقارب فلان علينا أى طعن في عرضنا ، فالمقصود ءأجعل عرضي في عرضة طعن الناس طعنا صادقا لاافتراء فيه وكان طعنهم صدقا وناشيا عن وكره ومحلّه لأنّ أخذ الرّشوة الملفوفات إذا صدر عن التارك لجميع الدّنيا للاحتراز عن معصيته في نملة من السفاهة بحيث لايخفى، انتهى .

و«الرّقش» بالضّم جمع الرّقشاء وهي الأفعي سمّيت بذلك لترقيش في ظهرها وهي خطوط ونقط و«الارتباط» شدّ الفرس ونحوه للانتفاع به ، وقوله «تنحتها المعاصي» هو من النّحت برى النّبل ونحوه استعارة وفي بعض النسخ تنتجها أى تفيدها وتثمرها وبالله التوفيق .

الترجمة

ازجملهٔ كلام بلاغت فرجام آنحضرتست درتنزيه نفس قدسى خود ازظلم كردن أنام مى فرمايد :

سوگند بخدا كه شب به روز آوردن من بر بالاى خار سعدان در حالتى كه بيدار باشم ، وكشيده شدن من در زنجيرها درحالتى كه دست و گردن بسته در بند باشم ، دوست تر است بمن از اينكه ملاقات نمايم خدا ورسول اورا درروز قيامت در حالتى كه ظلم نمايندهٔ بعض بندگان باشم و غصب كنندهٔ چيزى از متاع اين جهان

وچگونه ظلم کنم أحدی را ازبرای نفسی که سرعت می‌نماید بسوی پوسیدن باز گشتن او ، ودراز میشود در خاك نزول کردن آن .

قسم بخدا که دیدم برادرم عقیل را درحالتی که فقیر وبي‌چیزشده بود تا بحدّی که خواهش نمود ازمن ازگندم شما یکصاع ، ودیدم کودکان اورا پریشان مویها وغبار آلود رنگها ازغایت فقر گویا سیاه رنگ شده بود رخسارهای ایشان بارنگ نیل ، وآمد ورفت نمود نزد من درحالتي که تأکید کننده بود درخواهش خود ، و مکرر کرد برمن آن سخن را در حالتی که اعاده نماینده بود ، پس بر گرداندم بطرف او گوش خودرا پس گمان نمود که می‌فروشم باو دین خودرا ومتابعت می‌کنم افسار اورا درحالتي که مفارقت کننده باشم ازطریق عدالت خود چون اصرار ازأندازه گذرانید پس گرم کردم ازبرای او آهنی را بعدازآن‌نزدیك کردم آن آهن گرم را از بدن او تا عبرت بردارد بآن ، پس ناله کرد مثل ناله کردن‌صاحب مرض ازدرد آن ونزدیك بود که بسوزد از اثر آن آهن ؛ پس گفتم اورا که بنشینند درماتم توزنانی که بچه مردگان باشند ای‌عقیل آیا ناله میکنی ازآهنی که گرم کرده باشد آن‌را آدمی برای شوخی وبازیچه گی خود ، ومیکشی مرا بآتشی که افروزنده است آن را خداوند قهار آن برای غضب و خشم خود ، آیا ناله می کنی از اذیّت این آهن وناله نکنم من ازآتش‌سوزان جهنّم .

وعجب‌تر از این قصّهٔ عقیل اینست که آیندهٔ وقت شب آمد نزد ما با هدیهٔ پیچیده شده درظرفش و بامعجونی که دشمن داشتم آن را بأندازهٔ که گویاسرشته شده آن با آب دهن مار یا باقيء آن ، پس گفتم بأو آیا این عطیّه است یا زکاة است یاصدقه پس این حرام است برما أهل بیت رسالت ، پس گفت نه اینست و نه آن ولکن هدیه است که آورده‌ام ، پس گفتم گریان باد بتو چشم مادر بی‌پسرتو آیا از دین خدا آمدهٔ نزد من تا فریب دهی مرا ، آیا مرض خبط داری یا صاحب جنون هستی یا هذیان می گوئی ، قسم بخدا اگر عطا کرده شوم من اقلیمهای هفتگانه را با آنچه که در زیر افلاك آنهاست برآنکه معصیت نمایم خدا را در

حق مورچهٔ که بربایم از او پوست جویرا ، نمی کنم این کار را ، وبدرستی که دنیای شما نزد من هر آینه خوار تر است از برگی که در دهن ملخ باشد بخورد آن را ، چیست علي را بانعمت فانی و لذت غیر باقي ، پناه‌میبرم بخدا ازغفلت عقل وقباحت لغزش وبأو استعانت میکنم در امور دنیا وآخرت .

و من دعاء له عليه السلام وهو المأتان والثالث والعشرون من المختار في باب الخطب

أَللّٰهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسارِ ، وَلا تَبْذُلْ جاهِي بِالْإِقْتارِ ، فَأَسْتَرْزِقَ طالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرارَ خَلْقِكَ ، وَأُبْتَلىٰ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطانِي ، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرآءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطآءِ وَالْمَنْعِ ، إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللغة

(صانه) صونا وصيانا وصيانة حفظه فهو مصون و (الوجه) هنا بمعنى الجاه ومنه كان لعليّ عليه السلام وجه من النّاس حياة فاطمة أى جاه و عزّ قاله ابن الأثير و (البذل) كالابتذال ضدّ الصيانة ، والمبتذل بالكسر لابس البذلة وهو الثّوب الخلق و مالايصان من الثّياب و (القتر) والتقتير الرّمقة من العيش وقلّة النفقة وأقتر على عياله ضيّق في النفقة .

الاعراب

قوله عليه السلام : فأسترزق ، منصوب بأن مضمرة وجوباً لوقوعه في جواب الدّعاء وقوله : وأنت آه الجملة في محلّ النّصب على الحال وأنت مبتدء والظّرف خبره و وليّ خبر بعد خبر و يجوز كون وليّ خبره و الظّرف متعلّقا به متقدّما عليه للتّوسع فيكون ظرف لغو .

المعنى

اعلم أنّ مقصوده بهذا الدّعاء طلب الغنى و عدم الابتلاء بالفقر و لوازمه فقوله (اللهمّ صن وجهي باليسار) أى اجعل جاهى محفوظاً بالغنى والسّعة حتّى أستغنى عن مسألة المخلوقين ، ومراده عليه السلام به الكفاف وهوما يكفّ عن المسألة ويستغنى به فيكون مساوقاً لما ورد في الدّعاءالنبوىّ صلى الله عليه وآله وسلم المروىّ في الكافي : اللهمّ ارزق محمّداً و آل محمّدالكفاف ، وهو بالفتح ما لايحتاج معه ولا يفضل عن الحاجة فهو متوسّط بين الفقر والغنى وخير الامور أوسطها وإنّما سمّي بذلك لأنّه يكفّ عن النّاس ويغنى عنهم .

وفى الكافى أيضاعن النّوفلى عن السّكوني عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهمّ ارزق محمّداً و آل‌محمّد ومن أحبّ محمّدا و آل محمّد العفاف والكفاف وارزق من أبغض محمّداً و آل محمّد المال و الولد .

قال بعض شرّاح الحديث : العفاف بالفتح عفّة البطن والفرج عن الطّغيان أو العفّة من السّؤال عن الانسان أو الجميع ، و قال : لمّا كان شيء من المال ضروريّا في البقاء والعبادة وهوالكفاف الواقع بين الطرفين طرف الفقر الّذى فيه رائحة الكفر و العصيان ، وطرف الغنى الّذى فيه شايبة التّكبّر والطغيان ، طلبه صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه و لمحبّيه ، وطلب لمن أبغضهم طرف الغنى و الكثرة لأنّ مفاسده أكثر و أعظم و فتنته أشدّ وأفحم من مفاسد الفقر وفتنته كما قال عزّ وجلّ « إنّما أموالكم وأولادكم فتنة » وقال « إنّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى » .

وبالجملة لمّا كان حصول الكفاف مانعاً من دواعى طرفى التّفريط والافراط

و كان العبد معه مستقيم الأحوال على سواء الصّراط طلبه لنفسه ولمحبّيه .

قال الشّارح : واعلم أنّ الأحاديث مختلفة ففي بعضها طلب الغنى واليسار وفي بعضها طلب الكفاف ، وفي بعضها طلب الفقر ، وفي بعضها الاستعاذة من الفقر ، ووجه الجمع بينها أن يقال : المراد بطلب الغنى طلب الكفاف لأنّ الكفاف هو المطلوب عند أهل العصمة ، و ليس المراد به ما هو المتعارف عن أبناء الدّنيا من جمع المال وادخاره والاتّساع به فوق الحاجة ، فانّ ذلك مناف لما هو المعهود من حالهم من طلاق الدّنيا والزّهد فيها

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام :

علّل النّفس بالكفاف و إلاّ ... طلبت منك فوق مايكفيها
مالما قد مضى و لا للّذى لم ... يأت من لذّة لمستحلّيها
إنّما أنت طول مدّة ما ... عمرت كالسّاعة التي أنت فيها

ورواه في البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحة ، وقال أيضا من نظمه عليه السلام

دليلك أنّ الفقر خير من الغنى ... و أنّ قليل المال خير من المثرى
لقاؤك مخلوقاً عصى الله بالغنى ... و لم تر مخلوقاً عصى الله بالفقر

و هذا هو الذى أراد النّبىّ صلى الله عليه وآله بقوله : نعم المال الصّالح للعبد الصّالح والمراد بطلب الفقر طلب قدر الحاجه والكفاف لأنّ الكفاف فقر عند أهل الدنيا و إن كان يساراً عندهم عليهم السلام و المراد بالاستعاذة من الفقر الاستعاذة ممّا دون الكفاف وهو الفقر عندهم عليهم السلام وأقوى أفراده عند أهل الدّنيا هذا .

وقال المحدّث العلاّمة المجلسىّ قدّس سرّه : سؤال الفقر لم يرو فى الأدعية بل ورد فى أكثرها الاستعاذة من الفقر الذى يشقى به وعن الغنى الذى يصير سببا لطغيانه انتهى .

و كيف كان فقد ظهر بذلك كلّه أنّ غرضه عليه السلام بالسؤال صون جاهه وعزّه باليسار لاستلزام الغنى احترام صاحبه عند عامّة النّاس كاستلزام الفقر لمهانة المبتلى به عندهم .

ولذلك عقّبه بقوله (ولا تبذل جاهي بالاقتار) أي لا تجعل مروّتي وحرمتي ساقطة عند النّاس بضيق المعيشة وقلّة النفقة ، فانّ الاقتار يوجب الاستهانة والاحتقار واستخفاف النّاس بالمتّصف به .

ومن هنا قال الصّادق عليه السلام : لا تدعوا التّجارة فتهونوا .

وفي بعض الآثار أحسنوا تعهّد المال فانّه ما افتقر أحد قطّ إلاّ أصابه ثلاث خصال : رقّة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب من مروّته ، و الرابعة هي العظمى وهي استخفاف الناس به.

و في وصايا لقمان : يا بنيّ اكلت الحنظل وذقت الصّبر فلم يكن أمرّ من الفقر ، فان افتقرت فلا تحدّث النّاس كيلا ينتقصوك .

و ترك ابن المبارك دنانير وقال : اللّهمّ إنك تعلم أنّي لم أجمعها إلاّ لأصون بها حسبي وديني .

وقالت الحكماء : المال يرفع صاحبه وإن كان وضيع النّسب قليل الأدب وينصره وإن كان جباناً ، ويبسط لسانه وإن كان عيابة ، يظهر المروة ويتم الرياسة يصلك إذا قطعك النّاس ، وينصرك إذا خذلك الأقربون ، و لولاه ما مدح كريم ولا صين حريم .

وكان بعضهم يقول : النّاس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشّمس ، ومن الذّنب للمصر ، ومن الحكم للمقرّ ، وهو عندهم أرفع من السّماء وأعذب من الماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد ، خطاؤه صواب ، وسيئته حسنة وقوله مقبول ، و حديثه مغسول ، يغشى مجلسه ولا يملّ صحبته ، والمفلس عند النّاس أكذب من لمعان السّراب ، ومن سحاب تموز لا يسأل منه إن تخلّف ، ولا يسلّم عليه إن قدم إذا غاب شتموه و إن حضر طردوه و إذا غضب ضعفوه ، مصافحته تنقض الوضوء ، وقراءته تقطع الصّلاة أثقل من الامانة وأبغض من المبرم الملحف .

وقد أكثر الشعراء في نظمهم من هذا المعنى قال بعضهم :

فصاحة سحبان وخطّ ابن مقلة — وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت للمرء والمرء مفلس — فليس لـه قدر بمقدار درهم

وقال آخر:

و زيني للغني أسعى فاني — رأيت الناس شرّهم الفقير
و أبعدهم و أهونهم عليهم — و إن أمسى له حسب و خير
و يكرهه النّدى و تزدريه — خليلته و ينهره الصّغير
و يلقى ذو الغنى و له جلال — يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه و الذنب جمّ — و لـكن الغني ربّ غفور

وقال آخر:

ولم أر بعد الدّين خيراً من الغني — ولم أر بعد الكفر شرّاً من الفقر

وقال الزّمخشري :

لا تلمني إذا رقيت الأواقي — فالأواقي لماء وجهي اراقي

ثمّ المراد بالجاه أيضاً الذى سأل عليه السلام صونه باليسار وعدم ابتذاله بالاقتار ليس ما يقصد به الفخر والترّأس كما هو شأن أهل الدنيا بل ما يستعان بـه على القيام بطاعة الله وعبادته وأداء حقوقه اللازمة والذى من هو الله سبحانه به على الأنبياء و اشير إليه في قوله تعالى « يا مريم إنّ الله يبشّرك بكلمة اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة »

وفي الحديث النّبوى صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيامة دعى الله بعبد من عباده فيتوقّف بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله

وقوله عليه السلام (فأسترزق طالبى رزقك) الفاء للسّببيّة أى فيسبّب ابتذال جاهى بالاقتار أن أسترزق طالبى رزقك الذين من شأنهم أن يطلبوا منك الرزق لا أن يطلب منهم.

(وأستعطف شرار خلقك) أى أطلب العاطفة والافضال من شرار خلقك الذين ليسوا بأهل الاستعطاف ، وفي بيانـه لهذين السببين تأكيد للالتجاء بالله تعالى في

صيانته من الفقر واعانته من الابتذال اذ في استرزاق الخلق واستعطافهم من الذل والخضوع والتملق و المهانة للمسؤل منه ما يجب أن يتضرع إلى الله عز وجل في الوقاية منه .

وقد تواترت الأخبار والآثار وتطابقت الأشعار على ذم السؤال و كراهة بذل الوجه في الطلب من الخلق خصوصاً ممن لم يكن معروفاً بالمعروف .

فمن ذلك ما في الكافي عن عبدالأعلى بن أعين قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعز مذهبة للحياء واليأس مما في أيدي الناس عز للمؤمن في دينه والطمع هو الفقر الحاضر .

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله تبارك وتعالى أحب شيئاً لنفسه وأبغضه لخلقه أبغض لخلقه المسألة وأحب لنفسه أن يسأل وليس شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل فلا يستحي أحدكم أن يسأل الله عز وجل من فضله ولو شسع نعله .

وروى عنه عليه السلام اياكم و سؤال الناس فانه ذل في الدنيا وفقر تعجلونه وحساب طويل يوم القيامة .

وعن أبي جعفر عليه السلام لو يعلم السائل ما في المسألة ما سأل أحد أحداً ، ولو يعلم المعطى ما في العطية ما رد أحدٌ أحداً .

وفي البحار عن النبي صلى الله عليه وآله قال : قال الله عز وجل ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات و أسباب الأرض من دونه فان سألني لم اعطه و إن دعاني لما اجبه ، و ما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلا ضمنت السماوات و الأرض رزقه فان دعاني أجبته و إن سألنى أعطيته و إن استغفرني غفرت له .

و قال بعض السلف : من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق ، فان قضاها المسؤل استعبده بها و إن رده عنها رجع حراً و هما ذليلان هذا بذل اللؤم وذلك بذل الرد، ومن الشعر المنسوب إلى الحسين عليه السلام :

أغن عن الخلق بالخالق تغن عن الكاذب بالصّادق
و استرزق الرّحمة من فضله فليس غير الله من رازق

وقال محمود الورّاق :

سا و الملوك قصورهم وتحصّنوا من كلّ طالب حاجة أو راغب
فارغب إلى تلك الملوك ولا تكن بادى الضّراعة طالباً من طالب

و قال آخر :

لموت الفتى خير من البخل للفتى و للبخل خير من سؤال فقير
لعمرك ما شيء لوجهك قيمة فلا تلق إنساناً بوجه ذليل

ثمّ الظّاهر أنّ مراده عليه السلام بشرار الخلق فى قوله : وأستعطف شرار خلقك من لم يكن أهلا للمعروف ومن هو باللّوم موصوف ، فان طلب العاطفة والبرّ منهم أمرّ على ذوى الوجوه من طعم الحنظل والعلقم وأدهى وأضرّ من إدخال اليد فى فم الأرقم .

قال شارح الصّحيفة السّجادية : قد روى أنّ فى زبور داود عليه السلام إن كنت تسأل عبادى فاسأل معادن الخير ترجع مغبوطاً مسروراً ، ولا تسأل معادن الشرّ ترجع ملوماً محسوراً.

وروى المحدّث الجزايرى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قلت : اللّهمّ لا تحوجنى الى أحد من خلقك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تقولنّ هكذا فليس من أحد إلاّ وهو محتاج إلى النّاس ، قال : فكيف أقول يا رسول الله ؟ قال : قل : اللهمّ لا تحوجنى إلى شرار خلقك ، قال : قلت : يارسول الله ومن شرار خلقه ؟ قال : الّذين إذا اعطوا منّوا و إذا منعوا عابوا .

وفى الأثر أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى على نبيّنا وعليه السّلام لأن تدخل يدك فى فم التّنين إلى المرفق خير من أن تبسطها إلى غنىّ نشأ فى الفقر .

وفى كلامهم: لاشىء أوجع للأحرار من الرّجوع إلى الأشرار .

وقيل لأعرابى: ما السّقم الّذى لا يبرء والجرح الّذى لا يندمل؟ قال حاجة الكريم إلى اللئيم .

وأوصى بعضهم ابنه فقال: لا تدنّس عرضك ولا تبذلنّ وجهك بالطّلب إلى من ردّك كان ردّه عليك عيبا وان قضى حاجتك جعلها عليك منّا، واحتمل الفقر بالتنزّه عمّا فى أيدى النّاس والزم القناعة بما قد قسم لك .

وقال رجل لابنه: اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه

رأى الاصمعى كنّاسا يكنّس كنيفا وهو ينشد:

و اكرم نفسى انّنى ان أهنتها ... وحقّك لم تكرم على أحد بعدى

وقال: فقلت له: يا هذا إنّك والله لم تترك من الهوان شيئا إلاّ وقد فعلته بنفسك مع هذه الحرفة، فقال: بلى والله إننى صنتها عمّا هو أعظم من هذا من الهوان فقلت واىّ شىء هو؟ قال: سؤال مثلك، قال: فانصرفت عنه وأنا من أخزى النّاس .

وقال عمر بن أحمد الباهلى:

من يطلب المعروف من غير أهله ... يجد مطلب المعروف غير يسير
إذا أنت لم تجعل لعرضك جنة ... من الذّل سار الذل كلّ مسير

وقال آخر:

و إذا بليت ببذل ماء وجهك سائلا ... فابذله للمتكرّم المفضال
إنّ الجواد إذا حباك بموعد ... أعطاكه سلسا بغير مطال
ما اعتاض باذل وجهه بمطاله ... عوضا و لو نال المنى بسؤال
و إذا السّؤال مع النّوال قرنته ... رجح السّؤال و خفّ كلّ نوال

و قال آخر:

اسأل العرف إن سألت جوادا ... لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فاذا لم تجد من الذّل بدّاً ... فالق بالذل إن لقيت الكبارا
ليس إجلالك الكبير بذلّ ... إنّما الذّل أن تجلّ الصّغارا

وقال آخر :

إنّ الغنى عن لئام النّاس مكرمة و عن كرامهم أدنى إلى الكرم

وفي البحار من الكافي عن بكر الارقط أو ابن شبيب عن أبيعبدالله عليه السلام انّه دخل عليه واحد فقال له : أصلحك الله انّي رجل منقطع اليكم بمودّتي وقد أصابتني حاجة شديدة و قد تقرّبت بذلك إلى أهل بيتي و قومي فلم يزدني بذلك منهم الاّ بعداً ، قال عليه السلام : فما أتاك الله خير ممّا أخذ منك ، قال : جعلت فداك ادع الله أن يغنيني من خلقه ، قال عليه السلام إنّ الله تعالى قسّم رزق من شاء على يدي من شاء ، ولكن اسأل الله أن يغنيك عن الحاجة الّتي تضطرّك إلى لئام خلقه .

قال العلامة المجلسيّ قدّس سرّه : اللئام جمع اللّئيم يقال للشّحيح الدّني النّفس والمهين و نحوهم ، لأنّ اللّؤم ضدّ الكرم ، ويؤمي الحديث إلى أنّ الفقر المذموم ما يصير سببا كذلك وغير ممدوح وذمّه لأنّ اللّئيم لايقضي حاجة وربّما يلومه في رفع الحاجة إليه و إذا قضاه لا يخلو من منّه ، ويمكن أن يشمل الظالم والفاسق المعلن بفسقه.

و في كثير من الأدعية : اللّهم لاتجعل لظالم ولا فاسق عليّ يداً و لا منّة و ذلك لأنّ القلب مجبول بحبّ من أحسن إليه وفي حبّ الظّالم معاصي كثيرة كما في قوله تعالى « ولا تركنوا إلى الّذين ظلموا فتمسّكم النّار » هذا .

وفي عطف قوله عليه السلام (و أبتلى بحمد من أعطاني و أفتتن بذمّ من منعني) على ماسبق تاكيد آخر للاعانة من الاقتار الموجب لاسترزاق طالبي الرّزق واستعطاف شرار الخلق المستلزمين للابتلاء بثناء المعطي والافتتان بازراء المانع أي الميل إلى تعييبه دونه و الطّعن عليه لكون النّفوس مجبولة مفتونة بذلك بشهادة العيان و التّجربة .

و يشير إليه أيضاً قوله تعالى « ومنهم من يلمزك في الصّدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذاهم يسخطون » .

و إنّما أكّد عليه السلام التجاءه إلى الله تعالى بذكر هذين اللازمين لأنّ ابتلاء

العبد و افتتانـه بحمد المخلوق وذمّه معطيا وما نعا يوجبان انصرافه عن الخالق وعنايته بالمخلوق وهما خلاف وظيفة العبودية .

و قوله عليه السلام (و أنت من وراء ذلك كله ولیّ الاعطاء والمنع) قد قلنا إنّ الجملة حالية أی لاتبذل جاهی بالافتار فيلحقني بسببه مايلحقني من المكاره المعدودة والحال انّك من وراء ذلك الخلق كلّه القيّم بالاعطاء والمنع والقاهر القادر على التّيسير و التّقتير ، لأنّ أزمة الاُمور كلّها بيدقدرتك .

و المراد بكونه من وراء الخلق سلطانه عليهم واحاطته بهم كما قال تعالى : « بل الّذين كفروا فی تكذيب ✿ والله من ورائهم محيط » قال أمين الاسلام قدّس سرّه : معناه أنّهم فی قبضة الله وسلطانه لايفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوانبه لايمكنه الفوات والهرب وهذا من بلاغة القرآن .

وقوله عليه السلام (انّك على كلّ شیء قدير) مسوق في معرض التّعليل لكونه عزّ وجلّ وليّ الاعطاء والمنع ، أی أنت وليّهما بمقتضی عموم قدرتك على جميع الأشياء

تبصرة

هذا الدّعاء الّذی نسبه الرّضيّ قدّس سرّه إلی أمير المؤمنين عليه السلام قد روی عن عليّ بن الحسين عليهما السلام فی ضمن أدعية الصّحيفة الكاملة فی فقرات دعائه عليه السلام فی مكارم الأخلاق باختلاف يسير وهو قوله عليه السلام : اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد وصن وجهی باليسار ولاتبتذل جاهی بالاقتار فأسترزق أهل رزقك و أستعطی شرار خلقك ، فافتتن بحمد من أعطانی و ابتلی بذمّ من منعنی و أنت من دونهم وليّ الاعطاء والمنع ، هكذا وجدته .

تذييل

قد تقدّم في شرح الكلام السّادس والأربعين فصل مبسوط في فضل الدّعاء والتّرغيب عليه ومطلوبيته من طريق العقل والنّقل ومطالب نفيسة ينفعك مراجعتها في هذا المقام ، و أحببت أن اورد هنا بعض الأدعيّة الواردة في طلب الرزّق

فأقول وبالله التوفيق :

روى في البحار من العيون عن الرّضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أنعم الله عزّ وجلّ عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرّزق فليستغفر الله ، ومن حزنه أمر فليقل لاحول ولا قوّة إلاّ بالله .

وفيه من الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : الاستغفار يزيد في الرّزق .

وفيه من الكتاب العتيق الغروى دعاء اللهمّ كما صنت وجهى عن السجود إلاّ لك فصنه عن طلب الرّزق إلاّ منك ، اللهمّ قوّني على ما خلقتنى له ولاتشغلنى بما تكفّلت «تكفّلت ظ» لي به واعصمني ممّا تعاقبني عليه .

ومنه أيضاً دعاء في سجدة الشّكر لطلب الرّزق : اللهمّ يا من لايزيد ملكه حسناتي و لا تشينه سيّئاتي و لا ينقص خزائنه غناى ولا يزيد فيها فقرى صلّ على محمّد و آل محمّد وأثبت رجاءك في قلبي واقطع رجائي عمّن سواك حتّى لا أرجو إلاّ إيّاك ولا أخاف إلاّ منك ولاأثق إلاّ بك ولا أتّكل إلاّ عليك ، وأجرني من تحويل ما أنعمت به علىّ في الدّين والدّنيا والآخرة أيّام الدّنيا برحمتك ياأرحم الرّاحمين

وفيه من علل الشرايع عن سليمان بن مقبل قال : قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : لأىّ علة يستحبّ للانسان إذا سمع الأذان أن يقول كما يقول المؤذّن و إن كان على البول والغايط ؟ قال عليه السلام : إنّ ذلك يزيد في الرّزق

ومن الأمالى عن أحمد بن عامر عن الرّضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : من قال في كلّ يوم مأة مرّة لاإله إلاّ الله الحقّ المبين ، استجلب به الغنى و استدفع به الفقر وسدّ عنه باب النّار واستفتح له باب الجنّة .

ومن ثواب الأعمال عن محمّد بن عمر رفعه إلى أبيعبدالله عليه السلام قال : من كتب على خاتمه ماشاءالله لاقوّة إلاّ بالله استغفر الله ، أمن من الفقر المدقع .

ومن المحاسن عن النّوفلىّ عن السّكونى عن الصّادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من ألحّ عليه الفقر فليكثر لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ينفى الله عنه الفقر .

ومن تفسير العياشى عن النّوفلى عن السّكونى عن جعفربن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال : إنّ النّبى صلى الله عليه وآله : فقد رجلا فقال مابطأ بك عنّا ؟ فقال : السقم والعيال فقال صلى الله عليه وآله : ألا أعلّمك بكلمات تدعو بهنّ يذهب الله عنك السّقم وينفى عنك الفقر لاحول ولاقوّة إلاّ بالله العليّ العظيم توكّلت على الحيّ الذى لايموت الحمدلله الّذي لم يتّخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذّل و كبّره تكبيراً .

ورواه في الكافي عن أبيعبدالله عليه السلام نحوه وزاد في آخره فقال الرّجل : فوالله ماقلته إلاّ ثلاثة أيّام حتّى ذهب عنّي الفقر والسّقم ، وقد تقدّم تمامه بهذا الطريق في شرح الخطبة المأتين والثّالثة عشر

وفى البحار أيضاً من عدّة الدّاعي عن الصّادق عليه السلام لطلب الرّزق : يا الله يالله يالله أسألك بحقّ من حقّه عليك عظيم أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن ترزقني العمل بما علّمتني من معرفة حقّك وأن تبسط عليّ ما حظرت من رزقك

ومن الاختصاص عن القسم بن بريد عن أبيه قال دخلت على أبيعبدالله عليه السلام فقلت : جعلت فداك قدكان الحال حسناً وأنّ الأشياء اليوم متغيّرة ، فقال عليه السلام : إذا قدمت الكوفة فاطلب عشرة دراهم فان لم تصبها فبع وسادة من وسائدك بعشرة دراهم ثمّ ادع عشرة من أصحابك واصنع لهم طعاماً فاذا أكلوا فاسألهم فيدعوا الله لك ، قال : فقدمت الكوفة فطلبت عشرة دراهم فلم أقدرعليها حتّى بعت وسادتالي بعشرة دراهم كماقال عليه الصّلاة والسّلام وجعلت لهم طعاماً ودعوت أصحابي عشرة فلما اكلوا سألتهم أن يدعوا الله تعالى فما مكثت حتّى مالت عليّ الدّنيا ، هذا .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة مرويّة في كتب أصحابنا منقولة عن أئمّتنا عليهم صلوات الله الملك المنّان المبين ، ولنقتصر على ما أوردنا والله الموفّق وهو الرّزاق ذوالقوّة المتين .

الترجمة

ازجملۀ دعای آن امام است

بارالها حفظ بفرما قدر و منزلت مرا با غنا ووسعت معيشت ، ومبتذل مكن جاه و مرتبۀ مرا با فقر و تنگي روزى تا اينكه محتاج شوم بطلب كردن روزى از طالبان روزى تو ، و طلب كردن عاطفت واحسان از شريران خلق تو ، ومبتلا شوم بتعريف وتوصيف كسى كه بمن ريزش نمايد ، ومايل شوم بمذمّت آن كسى كه از من مضايقه كند، وحال آنكه تو ازپشت همۀ اين خلق متولّي إعطاء ومنع هستى ، بدرستيكه تو برهمه چيز قادر وقاهرى .

ومن خطبة له عليه السلام وهى المأتان والرّابعة والعشرون من المختار فى باب الخطب

و هي مرويّة في البحارمن كتاب عيون الحكمة و المواعظ باختلاف و زيادة كثيرة تقف عليها إنشاءالله بعد الفراغ من شرح ما أورده السّيد في المتن ، و هو قوله عليه السلام :

دارٌ بِالْبَلاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَ بِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ ، لا تَدُومُ أحْوالُها ، وَلا تَسْلَمُ نُزّالُها ، أحْوالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتاراتٌ مُتَصَرِّفَةٌ ، ألْعَيْشُ فيها مَذْمُومٌ ، وَالْأمانُ مِنْها مَعْدُومٌ ، وَ إنّما أهْلُها فيها أغْراضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ ، تَرْميهِمْ بِسِهامِها ، وَ تُفْنيهِمْ بِحِمامِها .

وَاعْلَمُوا عِبادَ اللهِ أَنَّكُمْ وَما أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنيا عَلىٰ سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضىٰ قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْماراً، وَأَعْمَرَ دِياراً، وَأَبْعَدَ آثاراً، أَصْبَحَتْ أَصْواتُهُمْ هامِدَةً، وَرِياحُهُمْ راكِدَةً، وَأَجْسادُهُمْ بالِيَةً، وَدِيارُهُمْ خالِيَةً، وَآثارُهُمْ عافِيَةً، فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمُشَيَّدَةِ، وَالنَّمارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ وَالْأَحْجارَ الْمُسَنَّدَةَ، وَالْقُبُورَ اللاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ، الَّتي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرابِ فِناؤُها، وَشُيِّدَ بِالتُّرابِ بِناؤُها، فَمَحَلُّها مُقْتَرِبٌ، وَساكِنُها مُغْتَرِبٌ، بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَراغٍ مُتَشاغِلِينَ، لا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطانِ، وَلا يَتَواصَلُونَ تَواصُلَ الْجِيرانِ، عَلىٰ ما بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوارِ، وَدُنُوِّ الدّارِ.

وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلىٰ، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنادِلُ وَالثَّرىٰ، وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلىٰ ما صارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذٰلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَناهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ، هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ.

اللغة

(سلم) المسافر يسلم من باب تعب نجا و خلص من الآفات و (تارات)

جمع تارة وهى مرّة واحدة و (الأغراض) جمع الغرض وهى الهدف الّذى يرمى إليه السّهام و (المستهدفة) بصيغة الفاعل أى منتصبة للرمى إليها ، و في بعض النّسخ بصيغة المفعول أى جعلت هدفاً و (همد) النّار هموداً من باب قعد ذهب حرّها ولم يبق منها شيء وهمدت الرّيح سكنت .

و (المشيّدة) بضمّ الميم وتشديد الياء وفتحها كما في قوله تعالى « ولو كنتم في بروج مشيّدة » أى قصور مصونة وقيل : مجصّصة وقيل : مزينة ، وفي بعض النّسخ المشيدة بفتح الميم وتخفيف الياء كما في قوله تعالى « وقصر مشيد » أى المعمول بالشّيد والجصّ يقال : شدت البيت من باب باع أى بنيته بالجصّ و شاده شيداً أى جصّصه .

و (النّمرق) و النمرقة بتثليث النّون و ضمّ الرّاء الوسادة وهى المتكاء ، و الجمع نمارق قال تعالى « و نمارق مصفوفة » و (المسنّدة) بتشديد النّون وتخفيفها من سند إلى الشّيء من باب قعد و تعب اعتمد عليه كاستند إليه و يعدّى بالهمزة و التّضعيف يقال اسندته إلى الشّيء وسندته فسند هو و (اللّطأ) بالأرض من باب منع و فرح لصق و (لحد) القبر و ألحده عمل به لحداً و (فناء) البيت بالكسر ما امتدّ من جوانبه .

و (موحشين) في بعض النّسخ بصيغة الفاعل من أوحش المكان وتوحش خلا من الانس وأوحش النّاس أى انقطع و بعد قلوبهم عن المودّة و الالفة وفي بعضها بصيغة المفعول من أوحش الأرض وجدها وحشة خالية من الانس كلّها مأخوذة من الوحش وهو ما لا يستأنس من دواب البرّ ويقال إذا أقبل اللّيل: استأنس كلّ وحشي واستوحش كلّ انسيّ .

و (الكلكل) و زان جعفر الصّدر و (الجندل) و زان جعفر أيضاً ما يقلّه الرّجل من الحجارة وقد تكسر الدّال و (بعثرت القبور) أى قلّبت ترابها واُخرج موتاها من بعثرت الشيء وبعثرته إذا استخرجته و كشفته .

الاعراب

قوله عليه السلام : دار ، خبر لمبتدء محذوف أى الدّنيا دار ، وقوله : أحوال مختلفة أيضا خبر محذوف المبتدء أى أحوالها أحوال مختلفة ، وقوله : الأمان منها معدوم ، في نسخة الشّارح المعتزلي وكذا البحراني بدل منها فيها ، وقوله : ترميهم بسهامها الباء للتّعدية إلى المفعول الثّاني أى ترمى إليهم سهامها ، وقوله : تفنيهم بحمامها الباء للآلة ، و قولـه : إنّكم و ما أنتم فيه ، الواو بمعنى مع ، وقوله : فاستبدلوا بالقصور ، الباء للمقابلة ، وقوله : قد بنى بالخراب ، الباء بمعنى على ، ويؤيّده ما في بعض النّسخ على الخراب بدله وهى للاستعلاء المجازى .

وقوله : بين أهل ، متعلّق بقوله : مغترب ، و على في قوله : على ما بينهم ، بمعنى مع كما في قوله تعالى « وآتى المال على حبّه » وقوله : « ان ربّك لذو مغفرة على النّاس على ظلمهم » و قوله : و قد طحنهم ، الجملة في محلّ النّصب على الحال ، و البلى فاعل طحن ، و قوله : كأن قد صرتم ، مخفّف كأنّ المشبّهة والاسم محذوف أى كأنّكم ، ويحتمل أن يكون ضمير شأن أى كأنّه قد صرتم وعلى التّقديرين فكأن هنا مفيدة للتّقريب لأنّ شباهة الأحوال بعضها ببعض تفيد قرب بعضها من بعض ، وقوله : فكيف بكم ، الفاء فصيحة و كيف اسم استفهام في محلّ الرّفع خبر لمبتدء محذوف أى فكيف الحال بكم .

المعنى

اعلم أنّ الغرض من هذه الخطبة الشريفة التّنفير عن الدّنيا والتّحذير منها والتّنبيه على مساويها و مخازيها الموجبة للتّنفرة والحذر ، قال عليه السلام (دار بالبلاء محفوفة) أى حفّت بالمكاره والبليّات وأحاطت بها من كلّ جانب الآلام والآفات وفي نسبة محفوفة إلى الدّار توسّع والمراد كون أهلها محفوفة بها .

(وبالغدر معروفة) قال الشّارح البحراني : استعار لفظ الغدر عمّا يتوهّم الانسان دوامها عليها من أحوالها المعجبة له كالمال والصحّة والشّباب فكأنّه في مدّة بقاء تلك الأحوال قد أخذ منها عهداً فكأن التغيّر العارض لها المستلزم لزوال

تلك الأحوال أشبه شيء بالغدر، انتهى.

أقول: مراده ﷺ أنّها مشهورة بالغدر والخداع، معروفة بالمكر والغرور غير مختفية حيلتها ومكيدتها على أهل البصيرة، لأنّها بكونها حلوة خضرة محفوفة بالشهوات ومهيّاة للآمال والامنيّات، أعجبت النّاس بشهواتها العاجلة وتحبّبت إليهم بلذّاتها الحاضرة، وتزيّنت بالغرور، فاغترّ بها كلّ من كان غافلا عن مكيدتها وافتتن بحبّها كلّ من كان جاهلا بحقيقتها، حتّى إذا أوقعتهم في حبائل محبّتها أبدت ما كان مضمراً في باطنها من مكرها وحيلتها، فلم يكن امرء منها في حبرة إلاّ أعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرّائها بطناً إلاّ منحته من ضرّائها ظهراً، ولم ينل أحد من غضارتها رغباً إلاّ أرهقته من نوائبها تعباً، فكم من واثق بها قد فجعته، وذى طمأنينة قد صرعته، وذى ابهة قد جعلته حقيراً، وذى نخوة قد ردّته ذليلاً.

و كفى في ايضاح غدرها ما قاله بعض قدماء أهل الحقيقة والبصيرة من أنها الآخذة ما تعطى و المورثة بعد ذلك التبعة، السالبة لمن تكسو والمورثة بعد ذلك العرى، الواضعة لمن ترفع و المورثة بعد ذلك الجزع، التاركة لمن يعشقها والمورثة بعد ذلك الشقوة، المغوية لمن أطاعها الغدّارة بمن ائتمنها، هي المحبوبة التي لا تحبّ أحداً، الملزومة التي لا تلزم أحداً يوف لها وتغدر، ويصدق لها وتكذب وينجز لها فتخلف، هي المعوّجة لمن استقام بها، و المتلاعبة بمن استمكنت منه بيناهى تطعمه إذ حولته مأكولا، وبيناهى تخدمه إذ جعلته خادما، وبيناهى تضحكه إذ ضحكت منه، وبيناهى تشتمه إذ شتمت منه، وبيناهى تبكيه إذ بكت عليه، وبيناهى قد بسطت يده بالعطية إذ بسطتها بالمسألة، و بيناهو فيها عزيز إذ أذلّته، وبينا هو فيها مكرّم إذ أهانته، وبيناهو فيها معظم إذ حقرته، وبينا هو فيها رفيع إذ وضعته، وبيناهى له مطيعة إذ عصته، وبينا هو فيها مسرور إذ أحزنته، و بينا هو فيها شبعان إذ أجاعته، و بينا هو فيها حيّ إذ أماتته.

فأُفّ لها من دار هذه صفتها تضع التاج على رأسه غدوة، وتعفّر خدّه بالتراب

عشية ، وتحلي الأيدي بالأسورة عشيّة ، وتجعلها في الأغلال غدوة ، وتقعد الرّجل على السرير غدوة ، وترمي به في السجن عشيّة ، تفرش له الدّيباج عشيّة ، وتفرش له التراب غدوة ، وتجمع له الملاهي والمعازف غدوة ، وتجمع عليه النوائح والنوادب عشيّة ، تحبّب إلى أهله قربه عشيّة ، وتحبّب إليهم بعده غدوة ، تطيب ريحه غدوة ، وتنتن ريحه عشيّة .

فهو في كلّ ساعة متوقّع لسطوتها غير آمن غدرها وخديعتها ، غير ناج من بلائها وفتنها ، تمتّع نفسه من أحاديثها ، و عينه من أعاجيبها ، و يده من جمعها ، ثمّ يصبح باكي العينين ، صفر اليدين ، في أودية الندامة والحسرة والخذلان حيران .

ومن ذلك كلّه علم أنها (لاتدوم أحوالها) بل يصير حياتها موتاً وغناؤها فقراً وفرحها ترحاً ، وصحتها سقماً ، وقوّتها ضعفاً ، وعزّها ذلا ، إلى غير هذه من حالاتها المتبدّلة المتغيّرة .

(ولاتسلم نزالها) أي لاتسلم النازل في تلك الدّار من آلامها وآفاتها وصدماتها بل هو في كلّ آن مترقّب لإصابة مكروه ، وجل من كلّ بلاء .

فانّ كلّ ذي جسد فيها لاينفكّ جسده من أنّ الحرّ يذيبه ، والبرد يجمده و السّموم يتخلّله ، و الماء يغرقه ، و الشّمس تحرقه ، و الهواء يسقمه ، و السّباع يفترسه ، والطّير تنقره ، والحديد يقطعه ، والصّدم يحطمه .

ثمّ هو معجون بطينة من ألوان الأسقام والأوجاع والأمراض ، فهو مرتهن بها مترصّد لها دائماً ، لكونه مخلوقاً من الأخلاط الأربعة الّتي لوغلب أحدها على الآخر أحدث أنواعاً من المرض ألا ترى إنّ أصحّ الأخلاط وأقربها إلى الحياة هو الدّم ، فاذا خرج عن حدّ الاعتدال يموت صاحبه بموت الفجأة و الطّاعون والاكلة والسّرسام .

هذا كلّه مع ماله من مقارنة الآفات السّبع الّتي لايتخلّص منها ذو جسد ، وهي الجوع ، والظّماء ، والحرّ ، والبرد ، والخوف ، والجوع «والمرض ظ» والموت .

أحوالها (أحوال مختلفة) إن جانب منها اعذوذب واحلولى أمرّ منها جانب فأوبى ، لم تطل على أحد فيها ديمة رخاء إلاّ هتنت عليه مزنة بلاء ، و لم يمس امرء منها في جناح أمن إلاّ أصبح على قوادم خوف .

(وتارات متصرّفة) يعني أنّ حالاتها تتغيّر بأهلها تارة بعد اخرى ، ومرّة بعد مرّة ، فانّهاتنقل أقواماً من الجدب إلى الخصب ومن الرّجلة إلى الرّكب ، و من البؤس إلى النّعمة ، ومن الشدّة إلى الرّخاء ، ومن الشّقاء إلى الرّاحة ، ثمّ تنقلب بهم فتسلبهم الخصب وتنزع منهم النّعمة والرّاحة .

ومحصّله أنّها دارتصرّف وانتقال وتقلّب من حال إلى حال صحّتها تتبدّل بالسّقم ، و شبابها بالهرم ، و غناها بالفقر ، و فرحها بالترح ، و سرورها بالحزن ، وعزّها بالذّل ، وأمنها بالخوف .

بينا ترى المرء فيها مغتبطاً محبوراً و ملكا مسروراً في خفض و دعة ونعمة ولذّة وأمن وسعة ، في بهجة من شبابه وحداثة من سنّه ، وبهاء من سلطانه ، و صحّة من بدنه إذا انقلبت بـه الدّنيا أسرّ ما كان فيها قلباً ، وأطيب ما كان فيها نفساً ، و أقرّ ماكان فيها عيناً ، و ألذّ ما كان فيها عيشاً ، فأخرجته من ملكها و غبطتها وخفضها ودعتها و بهجتها ، فأبدلته بالعزّ ذلاّ ، وبالسّرور حزنا ، و بالنّعمة نقمة ، وبالغنى فقراً ، وبالسّعة ضيقاً ، وبالشّباب هرماً ، وبالشّرف ضعة و بالحياة موتاً .

ففارق الأحبّة وفارقوه ، وخذله إخوانه وتركوه ، وصار ماجمع فيهامفرّقا وما عمل فيها متبّراً ، وما شيّد فيها خراباً وصار اسمه مجهولا ، و ذكره منسيّا ، وحسبه خاملا ، وجسده بالياً ، وشرفه وضيعاً ، ونعمته وبالاً ، وكسبه خساراً ، وورث أعداؤه سلطانه ، واستذلّوا عقبه ، واستباحوا حريمه ، وتملّكوا أمواله ، ونقضوا عهده وملكوا جنوده ، فأفّ وتفّ لدار حالها هذا ، وشأن ساكنها ذلك ، وفّقنا الله تعالى للزّهد فيها والاعراض عنها .

و بما ذكرنا ظهر أنّ (العيش فيها مذموم) وأراد بالعيش التّرفّه فيها والتنعّم بلذّاتها و الالتذاذ بشهواتها و إنّما كان مذموماً لكونه شاغلا عن التّوجّه

إلى الحقّ وعن الالتفات إلى الآخرة ، ومعقّبا للنّدم والحسرة الطّويلة والعذاب الشّديد يوم القيامة .

وقد وقع ذمّه في كتاب الله تعالى وعلى ألسنة الأنبياء والرّسل متجاوزاً عن حدّ الاحصاء، قال تعالى « اعلموا أنّما الحيوة الدّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يكون حطاماًوفي الآخرة عذاب شديد » وقال أيضا « من كان يريدالحيوة الدّنيا و زينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون ✿ أولئك الّذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النّار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون »

و قد وقع تشبيه المتنعّم باللّذات الدّنيويّة و المتلذّذ بشهواتها الملهية له عن التّوجّه إلى عاقبة أمره والالتفات إلى مآل حاله في كلام الحكماء برجل حمل عليه فيل مغتلم ، فانطلق مولّيا هاربا ، فاتّبعه الفيل فغشيه حتّى اضطرّه إلى بئر فتدلّى فيها وتعلّق بغصنين نابتين على شفير البئر ، فاذا في أصلهما جرذان يقرضان الغصنين أحدهما أبيض والآخر أسود ، فلمّا نظر إلى تحت قدميه فاذا رؤوس أربع أفاع قد طلعن من جحرهن ، فلمّا نظر إلى قعر البئر إذاً تنين فاعرفاه نحوه يريد التقامه ، فلمارفع رأسه إلى أعلى الغصنين إذاعليهماشيء من عسل النّحل فألهاه ما طعم منه وما نال من لذّة العسل وحلاوته عن الفكر في أمر الأفاعي اللواتى لا يدرى متى يبادرونه، وألهاه عن التّنين الّذي لايدرى كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته

أما الفيل فهو الأجل ، و أمّا البئر فالدّنيا المملوّة من الآفات و البلايا والشرور وأمّا الغصنان فالعمر ، و أمّا الجرذان فالليل والنّهار يسرعان في قطع العمر ، وأمّا الأفاعي الأربعة فالأخلاط الأربعةالّتي هي السّموم القاتلة من المرّة والبلغم والرّيح والدّم الّتي لا يدرى صاحبها متى تهيج به ، وأمّا التّنين الفاغرفاه ليلتقمه فالموت الرّاصد الطالب ، وأمّا العسل الّذى اغترّ بأكله فماينال النّاس من عيش الدّنيا ولذّتها وشهوتهاونعيمها ودعتها من لذّة الطّعام والشّراب واللباس والشّم واللّمس والبصر ، هذا هوالعيش المذموم .

وبقباله العيش الممدوح وهو العيش الهنيء الّذي اشير إليه في **الحديث** القدسي المروي في البحار من إرشاد القلوب للديلمي عن أمير المؤمنين عليه السلام إن الله تعالى شأنه قال للنّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة المعراج في جملة مخاطباته: يا أحمد هل تدرى أى عيش أهني وأىّ حياة أبقى؟ قال: اللهمّ لا، قال: أمّا العيش الهنيء فهو الّذى لايفتر صاحبه عن ذكرى ولا ينسى نعمتي ولا يجهل حقّي، يطلب رضائي في ليله ونهاره، وأمّا الحياة الباقية فهى الّتي تعمل لنفسه حتّى تهون عليه الدّنيا وتصغر في عينه وتعظم الآخرة عنده ويؤثرهواى على هواه، ويبتغى مرضاتي، ويعظّم حقّ عظمتي، ويذكر عملي به، ويراقبني بالليل والنّهار عند كلّ سيّئة أومعصية، وينقى قلبه عن كلّ ما أكره، و يبغض الشيطان ووساوسه، ولا يجعل لا بليس على قلبه سلطانا و لا سبيلا، فاذا فعل ذلك أسكنت قلبه حبّاً حتّى اجعل قلبه لي و فراغه واشتغاله و همّه و حديثه من النّعمة الّتي أنعمت بها على أهل محبّتي من خلقى وأفتح عين قلبه وسمعه حتّى يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي، واُضيّق عليه الدّنيا واُبغّض إليه مافيها من اللذات، واُحذّره من الدّنيا ومافيها كمايحذّر الرّاعى على غنمه مراتع الهلكة فاذا كان هكذا يفرّ من النّاس فراراً، و ينقل من دار الفناء إلى دار البقاء، ومن دار الشيطان إلى دار الرّحمن، ياأحمد لاُزيننّه بالهيبة والعظمة، فهذا هو العيش الهنيء والحياة الباقية، وهذا مقام الرّاضين، الحديث

(والأمان فيها معدوم) لأنها إذا كانت بالبلاء محفوفة و بالخديعة موصوفة مختلفة الحالات متصرّفة التارات حسبما عرفت تفصيلا وتوضيحاً فكيف يؤمن من بوائقها و يطمئنّ من طوارقها، و كيف يسلم من فجعتها و يستراح من خدعتها، ويتخلّص من غيلتها؟!.

فهى غرارة ضرارة حائلة زائلة نافذة بائدة أكالة غوّالة حيّها بعرض موت و صحيحها بعرض سقم، ملكها مسلوب، و مالها منهوب، و عزيزها مغلوب، وموفورها منكوب، كيف لاوقدرايتها تنكرها لمن أمن بها ودان لها واطمئنّ إليها حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبد هل زوّدتهم إلاّ السغب، أو أحلّتهم إلاّ الضنك،

أونوّرت لهم إلاّ الظلمة ، أو أعقبتهم الاّ الحسرة والندامة ، فبئست الدّار لمن لم يتّهمها ولم يكن فيها على وجل .

(وانما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها) قال الشارح البحراني استعار لفظ الأغراض ورشح بذكر الاستهداف و كذلك استعار لفظ الرّمى لايقاع المصائب بهم ورشح بذكر السهام .

أقول : بل هو استعارة مكنية تخييلية ترشيحية فانّه عليه الصلاة و السلام شبه الدّنيا بنبال ينصب غرضاً و يتّخذ هدفاً يرمى إليه بسهامه ، فطوى عن ذكر المشبّه به وذكر المشبّه كما هو شأن الاستعارة المكنية ، وأثبت له ماهومن لوازم المشبّه به تخييلا وهوالأغراض والسهام ، ورشح بذكر ماهومن ملايمات المشبّه بـه وهو الرّمى والاستهداف .

و محصّل المراد أنّ الناس في الدّنيا بمنزلة أغراض منصوبة للهدفية ترمى الدّنيا إليهم بسهامها أى مصائبها ومحنها وآلامها قال الشاعر :

رما ني الدّهر بالارزاء حتّى ... فؤادى في غشـاء من نبـــال
فصرت إذا أصابتنى سهـام ... تكسّرت النصـال على النصال

وقوله عليه السلام (وتفنيهم بحمامها) ترشح آخر أى تهلكهم بموتها .

ثمّ ذكرهم بالاعتبار بأحوال السلف الماضين وماجرت عليهم من تقلّبات الدّنيا وتصاريفها وتنكّر حالاتها واغتيالها لهم و ما صار إليه عاقبة أُمورهم ايضاحاً بذلك لما قدّمه سابقاً من غدر الدّنيا و عدم دوام أحوالها وسلامة نزالها و انتفاء الأمان فيها وإفنائها بحمامها وتنبيهاً به على أنّ الباقين فيها سيلحقون بالماضين ويحذون حذوهم وينقلون من القصور إلى القبور ، ويبدّلون السّرور بالويل والثّبور .

فقال عليه السلام (واعلموا عباداللّه أنكم وماأنتم فيه من هذه الدّنيا) من متاعها وحطامهاوزبرجها وزخارفها (علىسبيل من قد مضىقبلكم) من أهل الدّيارالخالية والربوع الخاوية (ممّن كانأطول منكم أعماراً)

منهم عوج بن عناق كان جباراً عدوأللّه وللاسلام ، وله بسطة في الجسموالخلق

و كان يضرب يده فيأخذ الحوت من أسفل البحر ثمّ يرفعه إلى السّماء فيشويه في حرّ الشّمس وكان عمره ثلاثة آلاف وستمأة سنة .

ومنهم عاد قوم هود فقد كانت بلادهم في البادية وكان لهم زرع و نخل كثير ولهم أعمار طويلة فعبدوا الأصنام و بعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الاسلام وخلع الأنداد فأبوا .

ومنهم شداد بن عاد الّذى بنى ارم ذات العماد في عدّة ثلاثمأة سنة و كان عمره تسعمأة سنة قال في إكمال الدّين : وجدت في كتب معمر أنّه ذكر عن هشام بن سعيد الرّحال ، قال : إنّا وجدنا حجراً بالاسكندريّة مكتوباً فيه : أنا شدّاد بن عاد أنا شيّدت إرم ذات العماد الّتي لم يخلق مثلها في البلاد ، وجنّدت الأجناد وشددت بساعدى الواد .

و منهم لقمان بن عاد و كان من بقيّة عادا لاُولى فقد روى أنّه عاش ثلاثة آلاف وخمسمأة سنة .

و منهم فرعون ذوالأوتاد قال في مجمع البيان : قال الضحّاك : انّه عاش أربعمأة سنة وكان قصيراً ذميماً وهو أوّل من خضب بالسّواد .

ومنهم عمرو بن عامر الملقّب بمزيقيا وماء السّماء ملك أرض سبا فقد عاش ثمانمأة سنة أربعمأة سنة سوقة في حياة أبيه وأربعمأة سنة ملكا وكان يلبّس كلّ يوم حليتين في سنيّ ملكه فاذا كان بالعشيّ مزق الحليتين حتّى لايلبسهما أحد غيره سمّي مزيقيّاً وسمّي بماء السّماء أيضاً لأنّه كان حياة أينما نزل كمثل ماء السّماء.

ومنهم أبوهبل بن عبدالله بن كنانة عاش ستمأة سنة .

و منهم جلهمة بن اودويقال له طيّ واليه تنسب قبيلة طيّ كلّها ، و كان له ابن أخ يقال له : بجابر بن ملك بن اود ، وقد عاش كلّ منهما خمسمأة سنة .

ومنهم عبيد بن الأبرص عاش ثلاثمأة سنة فقال :

فنيت و أفنانى الزّمان وأصبحت لديّ بنوالعشرون هنّ الفواقد

و منهم عزيز مصر الّذى كان في زمن يوسف و أبوه وجدّه و هم الوليدبن

الرّيان بن ذوسع وكان عمر العزيز سبعمأة سنة وعمر الرّيان ألف وسبعمأة سنة وعمر ذوسع ثلاثة آلاف سنة .

ومنهم الضحّاك صاحب الحيّتين عاش ألفاً ومأتى سنة .

ومنهم افريدون العادل عاش فوق ألف سنة .

و منهم الملك الذى أحدث المهرجان فقد زعمت الفرس انّه عاش ألفى سنة و خمسمأة .

إلى غير هؤلاء من المعمّرين الّذين لا نطول بذكرهم ، وانّما ذكرنا هؤلاء تاييداً لما قاله أمير المؤمنين عليه السلام وايضاحاً له ، لأنّ هؤلاء مع كونهم أطول أعماراً قد كانوا (أعمر دياراً وأبعد آثاراً) أيضا حسبما أشرنا إليه .

والمراد ببعد الآثار بعدها عن أن يقتدر على مثلها المخاطبون الّذين خاطبهم عليه السلام بهذه الخطبة وكفى بذلك شاهداً بناء الهرمين بمصر ، وهما إلى الآن باقيان وقد بناهما عزيز مصر وليد بن الرّيان كما نقله تفصيلا الصّدوق في كتاب اكمال الدّين

وقد اشير الى بعد آثار بعض من تقدّم ذكرهم في قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربّك بعاد ✿ إرم ذات العماد ✿ الّتي لم يخلق مثلها في البلاد ✿ وثمود الّذين جابوا الصخر بالواد ✿ وفرعون ذى الأوتاد ✿ الّذين طغوا في البلاد ✿ فأكثروا فيها الفساد ✿ فصبّ عليهم ربّك سوط عذاب » .

قال أمين الاسلام الطّبرسي: الآية خطاب للنّبى صلّى الله عليه وآله وتنبيه للكفّار على مافعله سبحانه بالأمم السّالفة لما كفرت بالله وبأنبيائه وكانت أطول أعمارا وأشدّ قوّة وعاد قوم هود .

و اختلفوا في إرم على أقوال :

أحدها أنّه اسم قبيلة وقيل إنّه جدّ عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام ابن نوح .

و ثانيها أنّه اسم بلد وهو دمشق وقيل : هو مدينة الاسكندريّة و قيل : مدينة شدّاد ابن عاد فلمّا أتمّها وأراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحة نزلت من السّماء

و ثالثها أنّه لقب عاد

وقوله « ذات العماد » معناه ذات الطول والشدّة وقيل : ذات الأبنية العظام المرتفعة ، و قال ابن زيد ذات العماد في احكام البنيان «التي لم يخلق مثلها » أي مثل أبنيتها « في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » أي قطعوا الصخر ونقبوها بالوادي الذين كانوا ينزلونه وهو وادي القرى .

قال ابن عباس : كانوا ينحتون الجبال فيجعلون منها بيوتاً كما قال تعالى « وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين »

« وفرعون ذي الأوتاد » قال عليّ بن إبراهيم القمّي عمل الاوتاد التي أراد أن يصعد بها إلى السماء .

وقال الطبرسي قيل في معناه أقوال:

أحدها أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها .

و الثاني انه كان يعذّب بالأوتاد و ذلك أنه إذا غضب على أحد و تد يديه ورجليه ورأسه على الأرض

والثالث أنّ معناه ذوالبنيان والبنيان أوتاد .

و الرّابع أنّه ذو الجموع والجنود الكثيرة بمعنى أنهم يشدّدون ملكه ويقوّون أمره كما يقوّى الوتد الشيء.

والخامس أنه سمّي ذوالأوتاد لكثرة جيوشه السائرة في الأرض و كثرة أوتاد خيامهم فعبر بكثرة الأوتاد عن كثرة الأجناد

و كيف كان فقد ظهر بذلك كلّه أنّ السلف الماضين كانوا طويلة الأعمار عامرة الدّيار بعيدة الآثار من أن يصفها الواصفون أو يقوى على إتيان مثلها الغابرون ومع اتّصافهم بهذه الابهة والعظمة والقوّة والجلال :

(أصبحت أصواتهم هامدة) وهذه الجملة استينافية بيانية فانه لما نبّه المخاطبين على أنهم على سبيل من قد مضى قبلهم فكان لقائل أن يستفهم و يقول : كيف كان حال الماضين و مآل أمرهم ؟ أجاب عليه السلام بأنّ أصواتهم العالية الجهورية بالأمر

والنّهى والحكم والالزام صارت ساكتة ذاهبة الاثر بالمرّة .

(ورياحهم راكدة) قال الشارح البحراني: ركود رياحهم كناية عن سكون أحوالهم وخمول ذكرهم بعد العظمة في الصّدور انتهى.

والأظهر أن يراد أنّ أعاصيرهم العاصفة الشديدة الهبوب التى كانت تهب بالرّتق والفتق والسّياسات صارت ساكنة .

(وأجسادهم بالية) بعد بضاضتها ونضارتها (وديارهم خالية) من أهلها بعد عمارتها (وآثارهم عافية) مندرسة بعد عظمتها وجلالتها .

(فاستبدلوا بالقصور المشيدة) المجصّصة الرّفيعة البنيان المحكمة القواعد والأركان (والنمارق الممهّدة) أى الوسائد المهيئة للمتكئين (الصخور والأحجار المسنّدة) اى المستندة بعضها إلى بعض أو أنها كانت لهم سناداً (والقبور اللاّطئة الملحدة) أى اللاصقة بالأرض المعمول لها اللّحد (التى قد بنى بالخراب فناؤها) أى على الخراب ، والمراد خراب نفس القبور وتسرّع انهدامها ، وانما نسب البناء إلى الفناء و لم يقل قد بنيت بالخراب ، لأنّه من باب الكناية باقتضاء البلاغة و قد عرفت في ديباجة الشرح في مبحث الكناية أنّهم يقصدون إثبات شيء لشيء فيتركون التصريح باثباته له ويثبتونه لمتعلّقه كما في قول الشّاعر :

إنّ المروّة و السّماحة و الندى　　في قبّة ضربت على ابن الحشرج

جعل الأوصاف الثلاثة في قبّة الممدوح و كنى به عن ثبوتها له　وقول الآخر في وصف الخمر

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها　　لو مسّها حجر مسّته سرّاء

كنى عن نفى الحزن عنها بنفيها عن ساحتها وهو أبلغ من التّصريح به

ويحتمل أن يكون المراد خراب الأبدان المدفونة فيها وفناؤها بالبلى (وشيّد بالتراب بناؤها) وفي وصفها بذلك أى بكون شيدها التراب دون الجصّ ايماء إلى هوانها وهوان من دُفن فيها

(فمحلّها مقترب وساكنها مغترب) يحتمل أن يكون المراد أنّ محلّ القبور ومكانها قريب من الأحياء ولكن ساكنها غريب عنهم، وأن يكون المراد أنّ محلّ كلّ منها قريب من الآخر ولكن ساكنوها غرباء، يعني أنّهم تدانوا في خططهم وقربوا في مزارهم وبعدوا في لقائهم.

(بين أهل محلّة موحشين) أي ذوي وحشة ليس بينهم مودّة ولا الفة و على كون موحشين بصيغة المفعول فالمعنى استيحاش الاحياء منهم، وحاصله أنّهم لا يستأنسون بأحد ولايستأنس بهم أحد لا من الأحياء ولا من الأموات

(و أهل فراغ متشاغلين) أي فراغ من الأمور الدّنيويّة متشاغلين بالأمور البرزخيّة من السؤال والجواب والثواب والعقاب

(لايستأنسون بالأوطان) كاستيناس الاحياء بأوطانهم

(ولايتواصلون تواصل الجيران) كتوصّل أهل الدّنيا بجيرانهم (على ما بينهم من قرب الجوار و دنوّ الدّار) و حاصله أنّهم جيران لايتأنسون و أحياء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التّعارف، و انقطعت منهم أسباب التّواصل، فكلّهم وحيدوهم جميع، وبجانب الهجران وهم جيران

(و كيف يكون بينهم تزاور) وتأنّس (وقدطحنهم بكلكله البلى) استعارة بالكناية شبّه البلى بالجمل الضّروس الّذي يرضّ ويدقّ ما يركب عليه بكلكله أي صدره فأثبت له الكلكل تخييلا، والطحن ترشيحاً، والجامع أنّ البلى يجعل الأجساد أجزاء دقاقاً مثل الدّقيق والطّحين، وكذلك يجعل الضّروس بكلكله ما برك عليه عند الصّيال، ومحصّله استبعاد تزاورهم مع اضمحلال أجسامهم وانحلالها بالبلى و كونهم ممزّقين كلّ ممزّق

(و أكلتهم الجنادل و الثرى) استعارة تبعيّة كما في قولهم: نطقت الحال، والمراد إفناؤها لهم، فاستعار لفظ الاكل للافناء أي كيف يكون بينهم تزاور و قد أفنتهم الجنادل والتّراب هذا.

و لا يخفى عليك أنّ إنكار التّزاور والتأنس إمّا مخصوص بغير المؤمنين

أومحمول على التزاور بالأجساد ، وهو الأظهر ، لأنّ المستفاد من الأخبار الكثيرة ثبوت التّزاور بين أرواحهم ، و قد مضت عدّة منها في أواخر التّذييل الثالث من شرح الفصل السّابع من فصول الخطبة الثانية والثّمانين فليراجع ثمّة .

ورويت هنامضافاً إلى ما سبق من البحار من المحاسن عن ابن محبوب عن إبراهيم بن إسحاق الجازى قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام أين أرواح المؤمنين ؟ فقال : أرواح المؤمنين في حجرات الجنّة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها و يتزاورون فيها و يقولون ربّنا أقم لنا السّاعة لتنجز لنا ما وعدتنا ، قال : قلت : فأين أرواح الكفار ؟ فقال : في حجرات النّار يأكلون من طعامها و يشربون من شرابها ويتزاورون فيها ويقولون : ربّنا لاتقم لنا السّاعة لتنجز لنا ماوعدتنا .

ومن المحاسن أيضا عن ابن فضّال عن حماد بن عثمان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ذكر الأرواح أرواح المؤمنين فقال : يلتقون ، قلت : يلتقون ؟ قال : نعم يتسائلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان .

وفيه من الكافي باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام إنّ الأرواح في صفة الأجساد في شجر الجنة تعارف وتسائل ، فاذا قدمت الرّوح على الأرواح تقول: دعوها فانها قدأقبلت من هول عظيم . ثمّ يسألونها ما فعل فلان ومافعل فلان ، فان قالت لهم : تركته حياً ارتجوه ، وإن قالت لهم : قد هلك ، قالوا : قد هوى هوى والاخبار في هذا المعنى كثيرة ولاحاجة إلى الاطالة .

ثمّ إنه عليه السلام لما ذكر المخاطبين بشرح أحوال الماضين وعظم ما حلّ بهم من احوال القبر ودواهيه عقّب عليه السلام ذلك بالتنبيه على قرب لحاقهم بهم فقال (وكأن قد صرتم إلى ماصاروا إليه) أى انتقلتم من ذروة القصور إلى وهدة القبور وبدّلتم النمارق الممهّدة بالأحجار المشيدة ، ودار الانس والعيش والسعة ببيت الوحدة والوحشة والضيق والغربة (وارتهنكم ذلك المضجع) أى أخذكم أخذ المرتهن لرهنه (وضمّكم ذلك المستودع) أى ضغطكم القبر الذى هومحلّ الاستيداع

قال الشارح البحراني : واطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيامة ، انتهى.

وقد تقدّم بيان ضغطة القبر تفصيلا وتحقيقاً مع الأخبار الواردة فيها في التذييل الثالث من شرح الفصل السابع من الخطبة الثانية والثمانين ولا حاجة إلى الاعادة .

ثمّ ذكّرهم عليه السلام بدواهي القيامة وأفزاعها فقال (فكيف بكم لوتناهت بكم الأمور) أي الامور البرزخية (وبعثرت القبور) أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها وجدّدوا بعد اخلاقهم وجمعوا بعد افتراقهم لنقاش الحساب ومعاينة الجزاء

وهذه اللفظة من ألفاظ الكتاب العزيز قال سبحانه « إذا السّماء انفطرت ۞ وإذا الكواكب انتثرت ۞ وإذا البحار فجّرت ۞ وإذا القبور بعثرت ۞ علمت نفس ماقدّمت وأخّرت » وقال أيضاً « أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ۞ وحصّل ما في الصّدور ۞ إنّ ربّهم بهم يومئذ لخبير » أي بحث عن الموتى فاخرجوا عنها يعني عند البعث .

(هنا لك تبلو كلّ نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله موليهم الحقّ وضلّ عنهم ماكانوا يفترون) اقتباس من الآية الشّريفة في سورة يونس أى في ذلك المقام يعني مقام البعث تختبر كلّ نفس ما قدّمت من عمل فتعاين نفعه و ضرّه ، و قرء بعضهم تتلو أى تقرء من التلاوة أو تتبع من التّلو ، وردّوا إلى الله موليهم الحقّ أي إلى ربّهم الصّادق ربوبيّته المتولّي لأمرهم على الحقيقة لاما اتّخذوه مولى وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ، أي ضاع عنهم ما كانوا يدعونه أنّهم شركاء الله وأنّهم تشفع لهم

روى فى البحار من كتاب مطالب السّؤول عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : انظروا إلى الدّنيا نظر الزّاهدين فيها فانّها والله عن قليل تشقى المترف ، وتحرّك السّاكن ، وتزيل الثّاوى ، صفوها مشوب بالكدر ، و سرورها منسوج بالحزن ، و آخر حياتها مقترن بالضعف ، فلا يعجبنّكم ما يغرّنكم منها فعن كثب تنقلون

عنها ، وكلّ ماهو آت قريب ، وهنالك تبلو كلّ نفس ما أسلفت وردّوا إلى الله موليهم الحقّ وضلّ عنهم ماكانوا يفترون .

تكملة

هذه الخطبة رواها المحدّث العلامة المجلسي قدّس سرّه في المجلد السابع عشر من البحار من كتاب عيون الحكمة والمواعظ لعليّ بن محمد الواسطي قال :

ومن كلام له عليه السلام : إنكم مخلوقون اقتداراً ، ومربوبون اقتساراً ، ومضمّنون أجداثا ، وكائنون رفاتاً ، ومبعوثون افراداً ، ومدينون جزاءً ، ومميّزون حساباً ، فرحم الله عبداً اقترف فاعترف ، ووجل فعمل ، وحاذر فبادر ، وعبّر فاعتبر ، وحذّر فازدجر ، وأجاب فأناب ، وراجع فتاب ، واقتدى فاحتذى ، فأسرع طلباً ، ونجا هرباً فأفاد ذخيرة ، وأطاب سريرة ، وتأهّب للمعاد ، واستظهر بالزّاد ، ليوم رحيله ، ووجه سبيله ، وحال حاجته ، وموطن فاقته ، تقدّم امامه لدار مقامه فمهّدوا لأنفسكم في سلامة الأبدان ، فهل ينتظر أهل غضارة الشّباب إلاّ حوانى الهرم ، وأهل بضاضة الصحّة إلاّ نوازل السّقم ، وأهل مدّة البقاء إلاّ مفاجاة الفناء ، واقتراب الفوت ودنوّ الموت ، وازوف الانتقال ، واشفاء الزّوال ، وحفى الأنين ، ورشح الجبين ، وامتداد العرنين ، وعلز القلق ، وفيض الرّمق ، وألم المضض ، وغصص الجرض .

واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدّنيا على سبيل من قد مضى ممّن كان أطول منكم أعماراً ، وأشدّ بطشاً ، وأعمر دياراً ، وأبعد آثاراً ، فأصبحت أصواتهم هامدة جامدة من بعد طول تقلبها ، وأجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، وآثارهم عافية ، واستبدلوا بالقصور المشيّدة ، والسّرر والنّمارق الممهّدة ، الصخور والأحجار المسندة ، في القبور اللاطئة الملحدة التي قد بين الخراب فنائها وشيد التراب بنائها ، فمحلّها مقترب وساكنها مغترب ، بين أهل عمارة موحشين وأهل محلّة متشاغلين ، لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدّار

و كيف يكون بينهم تواصل و قد طحنهم بكلكله البلى ، فأكلهم الجنادل والثرى ، فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً ، وبعد غضارة العيش رفاتاً ، فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب ، وظعنوا فليس لهم اياب ، هيهات هيهات « كلاّ إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون » .

وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار الموت ، وارتهنتم في ذلك المضجع ، وضمّكم ذلك المستودع ، فكيف بكم لوقد تناهت الامور ، وبعثرت القبور وحصّل ما في الصّدور ووقفتم للتحصيل بين يدى الملك الجليل ، فطارت القلوب لاشفاقها من سلف الذنوب ، هتكت منكم الحجب والأستار ، وظهرت منكم العيوب والأسرار « هنالك تجزى كلّ نفس بما كسبت » إنّ الله يقول « ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الّذين أحسنوا بالحسنى » .

اغتنموا أيّام الصحّة قبل السقم ، وأيام الشيبة قبل الهرم ، وبادروا بالتوبة قبل النّدم ، و لا يحملنّكم المهلة على طول الغفلة ، فان الأجل يهدم الأمل ، والأيّام موكلة بنقص المدّة ، وتفريق الأحبّة .

فبادروا رحمكم الله بالتوبة قبل حضور النوبة ، وبروز اللّعبة التى لا ينتظر معه الأوبة واستعينوا على بعد المسافة بطول المخافة .

فكم من غافل وثق لغفلته ، وتعلّل بمهلته ، فأمّل بعيداً ، وبنى مشيداً ؛ فنقص بقرب أجله بعد أمله ، فأجابه منيّته ، فصار بعد العزّ و المنعة والشرف والرفعة مرتهناً بموبقات عمله ؛ قد غاب فما رجع ، وندم فما انتفع ، وشقى بما جمع في يومه وسعد به غيره في غده ، وبقى مرتهناً بكسب يده ، زاهلا عن أهله وولده ، لا يغنى عنه ما ترك فتيلا ، ولا يجد إلى مناص سبيلا فعلهم عباد الله التعرّج والدّلج وإلى أين المفرّ و المهرب ، و هذا الموت في الطلب يخترم الأوّل فالأوّل ، لا يتحنّن على ضعيف ، ولا يعرّج على شريف ، والجديد ان يحثّان الأجل تحثيثاً ، ويسوقانه سوقاً حثيثاً ، و كلّ ماهو آت فقريب ، ومن وراء ذلك العجب العجب فأعدّوا الجواب يوم الحساب ، وأكثروا الزّاد ليوم المعاد ، عصمنا الله وإياكم بطاعته ، وأعاننا وإياكم

على مايقرّب إليه ويزلف لديه ، فانما نحن به و له

إنّ الله وقّت لكم الآجال ، وضرب لكم الأمثال ، وألبسكم الرّياش ، وأرفع لكم المعاش ، و آثركم بالنعم السوابغ ، وتقدم إليكم بالحجج البوالغ ، و أوسع لكم في الرفد الرافع ، فتنهزوا فقد أحاط بكم الاحصاء ، و ارتهن لكم الجزاء القلوب قاسية عن حظها ؛ لاهية عن رشدها ، اتّقوا الله تقيّة من شمّر تجريداً ، وجدّ تشميراً وانكمش في مهل ، و أشفق في وجل ، ونظر في كرّة الموئل ، و عاقبة الصبر ، ومغبة المرجع ، و كفى بالله منتقما ونصيراً ، و كفى بكتاب الله حجيجا و خصيما .

رحم الله عبداً استشعر الحزن، وتجلبب الخوف وأضمر اليقين ، وعرى من الشك في توهم الزّوال ، فهومنه على وبال ، فزهر مصباح الهدى في قلبه ، و قرّب على نفسه البعيد ، وهوّن الشديد ، فخرج من صفة العمى ، ومشاركة الموتى واجتازمن مفاتيح الهدى ، ومغاليق أبواب الرّدى ، واستفتح بما فتح العالم به أبوابه ، وخاض بحاره ، وقطع غماره ، و وضحت له سبيله ومناره ، واستمسك من العرى بأوثقها ، واستعصم من الحبال بأمتنها ، خواض غمرات ، فتاح مبهمات، دافع معضلات امة ولا مطية إلاّ قصدها

تنبيه

قد تقدّم أوايل فقرات هذا الكلام بهذه الرّواية إلى قوله وغصص الجرض في ضمن فقرات الخطبة الثانية والثمانين باختلاف أيضاً فانظر ماذا ترى وبماذكرناه في شرح هذه الخطبة والخطب المتقدّمة يتّضح لك قريب «غريب ظ» ما في هذه الرواية ولاحاجة إلى الاعادة هذا.

و يستفاد من بعض الرّوايات كون هذه الخطبة مع الكلام الثاني و الأربعين ملتقطين من خطبة طويلة ، وهو مارواه أيضاً في المجلّد السابع عشر من البحار في موضع آخر من مناقب ابن الجوزي قال : خطبة ويعرف بالبالغة .

روى ابن أبي ذئب عن أبي صالح العجلي قال : شهدت أمير المؤمنين كرّم الله وجهه وهو يخطب فقال بعد أن حمدالله تعالى وصلّى على محمّد رسوله ﷺ :

أيّها النّاس إنّ الله أرسل إليكم رسولاً ليربح به عليكم ، ويوقظ به غفلتكم وإنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل ، أمّا اتّباع الهوى فيصدّكم عن الحقّ ، وأمّا طول الأمل فينسيكم الآخرة ، ألا وانّ الدّنيا قدترحّلت مدبرة ، وإنّ الآخرة قدترحّلت مقبلة ، ولكلّ واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا ، فانّ اليوم عمل ولاحساب وغداً حساب ولاعمل .

و اعلموا أنّكم ميّتون ومبعوثون من بعدالموت و محاسبون على أعمالكم ومجازون بها ، فلا يغرّنّكم الحياة الدّنيا ولا يغرّنّكم بالله الغرور .

فانّها دار بالبلاء محفوفة ، وبالعناء والغدر موصوفة ، وكلّ مافيها إلى زوال ، وهي بين أهلها دول و سجال ، لا تدوم أحوالها ، و لا يسلم من شرّها نزّالها ، بينا أهلها في رخاء وسرور ، إذاهم في بلاء و غرور ، العيش فيها مذموم ، والرّخاء فيها لايدوم ، أهلها فيها أغراض مستهدفة ، كلّ حتفه فيها مقدور ، وحظّه من نوائبها موفور .

وأنتم عباد الله على محجّة من قد مضى ، وسبيل من كان ثمّ انقضى ، ممّن كان أطول منكم أعماراً وأشدّ بطشاً ، وأعمر دياراً ، أصبحت أجسادهم بالية ، وديارهم خالية ، فاستبدلوا بالقصور المشيّدة ، والنّمارق الموسّدة ، بطون اللّحود ، ومجاورة الدّود ، في دارساكنهامغترب ، ومحلّهامقترب ، بين قوم مستوحشين ، متجاورين غير متزاورين ، لايستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران ، على مابينهم من قرب الجوار ، ودنوّ الدّار .

وكيف يكون بينهم تواصل و قد طحنتهم البلى ، وأظلتهم الجنادل و الثرى ، فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً ، و بعد غضارة العيش رفاتاً ، قد فجع بهم الأحباب ، واسكنوا التّراب ، وظعنوا فليس لهم اياب ، وتمنّوا الرّجوع فحيل بينهم وبين مايشتهون

كلاّ إنّها كلمة هوقائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون .
قال وقد أخرج أبونعيم طرفاً من هذه الخطبة في كتابه المعروف بالحلية .

الترجمة

از جملهٔ خطب شريفهٔ آن حضرتست در تنفير أز دنيا وتنبيه بسرعت زوال آن مى‌فرمايد:

دنيا خانه‌ايست ببلا احاطه كرده شده ، و با مكر وحيله اشتهاريافته ، ثبات ندارد حالات آن ، و سلامت نميماند نازل شوندگان آن ، حالهاى آن حالتهاى مختلف است ، ومرّات متغيّر ومتبدّل تعيّش والتذاذ درآن مذموم است ،وأيمنى درآن معدوم است ، وجزاين‌نيست كه أهل دنيا دردنيا نشانگاهانى هستندكه نصب شده‌اند بنشانگي مي‌أندازد دنيا بايشان باتيرهاى خود ، و فانى مى‌سازد ايشان را با مرگ خود .

وبدانيد أى بندگان خدا بدرستى كه شما با چيزى كه هستيد درآن ازمتاع اين دنيا برطريقه وروش كسانى هستيدكه گذشته‌اند پيش ازشما از أشخاصى كه درازتر بودند ازشما ازحيثيّت عمرها ، ومعمورتر بودند ازحيثيّت خانها ، و دورتر بودند از حيثيّت أثرها ، گرديد آوازهاى ايشان خاموش ، و بادهاى غرور ايشان ساكن ، وبدنهاى ايشان پوسيده ، خانه‌هاى ايشان خالى ، وأثرهاى ايشان مندرس

پس‌عوض كردند بقصرهاى محكم شده باگچ ومتّكاهاى مهيا شده ، سنگها و حجرهاى تكيه كرده بهم قبرهاى‌هموار شده‌بزمين صاحب لحد را ، چنان قبرهائي كه بنا كرده شده برخرابى أطراف آنها ، وبخاك محكم كرده شد بناى آنها ، پس مكان آن قبرها نزديكست ، و ساكن آنها غريبست درميان أهل محله كه صاحبان وحشتند ، و در ميان أهل فراغتى كه مشغولند بهولهاى برزخ ، انس نميگيرند ايشان بوطنها ، ووصلت نمى كنند مثل وصلت كردن همسايها ، با وجود اينكه درميان ايشانست‌ازقرب همسايگى ونزديكى خانه .

وچگونه می‌شود درمیان ایشان زیارت کردن یکدیگر وحال آنکه مثل آرد کرده بدنهای ایشان را پوسیدگی بسینهٔ خود ، و خورده است ایشان را خاکها وسنگها ، وگویا گردیدید شما بسوی آنچه که گردیدند ایشان بسوی آن وبگرو گرفت شمارا آن خوابگاه قبر ، وفشار داد شمارا آن أمانت گاه .

پس چگونه باشد حال شما اگر بپایان برسد بشما کارها، وبیرون آورده شود مردهای قبرها ، در آن زمان امتحان می کند هر نفس آن چیزیرا که پیش فرستاده ورد کرده شوند بسوی خدا که مولای بحق ایشانست ، و گم شود از ایشان آنچیزیکه افترا می گفتند یعنی شریکی که قرار میدادند برای خدا .

و من دعاء له عليه السلام وهو المأتان والخامس والعشرون من المختار في باب الخطب

أَللّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الْآنِسِينَ لِأَوْلِيائِكَ ، وَ أَحْضَرُهُمْ بِالْكِفايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ ، تُشاهِدُهُمْ فِي سَرائِرِهِمْ ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمائِرِهِمْ وَ تَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصائِرِهِمْ ، فَأَسْرارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ ، إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْاِسْتِجارَةِ بِكَ ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصادِرَها عَنْ قَضائِكَ .

أَللّهُمَّ إنْ فَهِهتُ عَنْ مَسْئَلَتي، أوْ عَمِهْتُ عَنْ طِلبَتي، فَدُلَّني عَلى مَصالِحي، وَخُذْ بِقَلْبي إِلىٰ مَراشِدي، فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِداياتِكَ وَلا بِبِدْعٍ مِنْ كِفاياتِكَ، أَللّهُمَّ احْمِلْني عَلى عَفْوِكَ وَلا تَحْمِلْني عَلى عَدْلِكَ.

اللغة

(الانس) بالضمّ وبالتحريك ضدّ الوحشة اسم من آنست بالشيء انساً من باب علم وفي لغة من باب ضرب وفي القاموس من باب شرف أيضاً، والأنيس المونس وكلّ مايونس به ، والايناس ضد الايحاش وهو وجدان الشيء الّذي يونس به قال تعالى « آنس من جانب الطّور ناراً » أي أبصره و أحسّ به و استأنست به وتأنّست به أي ذهب التوحّش عنّي وسكن القلب ولم ينفر .

إذا عرفت ذلك فأقول : قوله عليه السلام : إنّك آنس الآنسين آنس بفتح النون على وزن افعل اسم تفضيل من الانس ، وآنسين بكسر النّون جمع انس اسم فاعل من انس بالشيء ، وأمّا ما قاله الشّارح المعتزلي من انّه كان القياس أن يقول إنّك آنس المؤنسين، لأنّ الماضي أفعل وانّما الآنسون جمع انس و هو الفاعل عن آنست بكذا فالرّواية الصّحيحة إذاً بأوليائك أي أنت أكثرهم انساً بأوليائك ، فلا يكاد يفهم له معنى محصّل .

و (لهف) لهفا من باب فرح حزن كتلهّف عليه وهو لهيف القلب و لاهفه وملهوفه أي محترقه و (الفهة) والفهاهة العيّ ، وقد فهه عيي ، وفهه الشيء نسيه و (العمه) الحيرة والتردّد مصدر عمه يعمه من باب فرح ومنع ، وفي بعض النسخ بدل عمهت عميت و (الطلب) بكسر اللاّم ما تطلبه و (النّكر) بالضمّ و بضمّتين المنكر .

و (البدع) بالكسر الأمر الّذي كان أولاً يقال فلان بدع في هذا الأمر أي هو

أوّل من فعله فيكون اسم فاعل بمعنى المبتدع والبديع فعيل منه وفيه معنى التّعجب ومنه قوله تبارك وتعالى « قل ما كنت بدعا من الرّسل » أى ما أنا بأوّل من جاء بالوحى من عند الله ونشر الشرايع والأحكام

الاعراب

قوله عليه السلام : لأوليائك ، متعلّق بآنس واللاّم هنا بمعنى الباء تفيد كون الأولياء مأنوساً بهم وتسمّى هذه اللاّم لام التّبيّن لتبيينه المفعول من الفاعل ، وضابطها أن تقع بعد فعل تعجّب أو اسم تفضيل مفهمين حبّاً أو بغضاً تقول ما أحبّني وماأبغضني فان قلت لفلان فأنت فاعل الحبّ و البغض و هو أعني فلان مفعولهما ، و إن قلت إلى فلان فالأمر بالعكس لأنّ إلى تفيد فاعليّة مجرورها بعد فعل التعجّب أواسم التفضيل المفيد ين للحبّ والبغض نحو ربّ السجن أحبّ إلىّ وفلان أمقت إلىّ.

وبماذكرناه علم أنّ ماقدّمنا نقله من الشّارح المعتزلي من قوله : فالرّواية الصّحيحة إذاً بأوليائك وهم هذا .

وانّما عدل عليه السلام عن الباء إلى اللاّم مع كون الباء أصرح وأقيس تضميناً للانس معنى الحبّ ، فانّ الانس بمعناه الحقيقي كالوحشة من صفات الاجسام لا يمكن اتّصافه تعالى به ، فيراد ما يلازمه و هو الحبّ و ستعرف الملازمة بينهما في بيان المعنى .

وقوله عليه السلام : آنسهم ذكرك من إضافة المصدر إلى المفعول أى ذكرهم ايّاك وقوله : علماً مفعول لأجله لقوله لجأوا .

المعنى

اعلم أنّه لمّا كان من جملة آداب الدّعاء تقديم المدحة لله عزّ وجلّ والثناء عليه قبل المسألة كما قال الصّادق عليه السلام : إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربّه وليمدحه فانّ الرّجل منكم إذا طلب الحاجة من سلطان هيّأ له من الكلام أحسن

مايقدرعليه ، فاذا طلبتم الحاجة فمجّدوا الله العزيز الجبّار وامدحوه وأثنوا عليه الحديث لاجرم قدّمعليه السلام قبل مسألته بقوله اللّهمّ إن فهمت ، وقوله اللّهمّ اجعلني على عفوك ، تمجيدالله تعالى وتعظيمه ، ووصفه بجملة من أوصاف كماله فقال :

(اللّهمّ إنّك آنس الآنسين لأوليائك) قد عرفت في شرح الفصل السّادس من الخطبة الاولى استحالة الاستيناس والاستيحاش على الله سبحانه ، فلابدّ من أن يراد بالانس المحبّة أى أنت أشدّ حبّاً لأوليائك من جميع المحبّين .

أمّا أولياؤه فهم الحائزون قصب السّبق في مضمار العرفان واليقين ، والبالغون إلى الغاية القصوى في حماية حمى الدّين ، وسلوك مسالك الشرع المبين ، و هم عباد الله المخلصون المتّصفون بالأوصاف المتقدّمة الذّكر في الخطبة السّادسة والثّمانين و الخطبة المأة و الثّانية و التّسعين ، والكلام المأتين و الثّامن عشر و غيرها .

وأمّا اتّصافه بالمحبّة لأوليائه المقرّبين فشواهده من النّقل متجاوزة عن حدّ الاحصاء قال تعالى في كتابه العزيز « إنّ الله يحبّ المحسنين » وقال « إنّ الله يحبّ التوّابين ويحبّ المتطهّرين » وقال « يحبّهم ويحبّونه » وقال « يحبّون أن يتطهّروا والله يحبّ المطّهّرين » وقال « إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم » إلى غيرهذه ممّا لا حاجة إلى ذكرها .

وفي الحديث القدسي : ماتحبّب إلىّ عبدي بشيء أحبّ إلىّ مما افترضته إليه ، وانّ عبدي ليتحبّب إلىّ بالنافلة حتّى أُحبّه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، الحديث .

و أما محبة الله لعبده فليس بالمعنى الذي يتصوّر في المخلوق إذ الحبّ في الاصطلاح عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق الملائم ، وهذا من صفات ذوي النفوس الناقصة المستفيدة بنيل المحبوب كمالاً فتلتذّ به ، و هذا محال على الله سبحانه إذ ليس له تعالى وتقدّس نفس فضلا عن كونه ناقصاً

و قد عرفت في تضاعيف الشرح في غير موضع أنّ ذات الله تعالى شأنه تامّ

فوق التمام ، و جميع صفات الجلال و الجمال و الكمال حاصلة له بالفعل وواجب الحصول أزلاً وأبداً ، ومن هذا شأنه فكيف يتصوّر أن يكون ناقصاً بذاته مستكملا بغيره ، فلابدّ أن يراد بمحبّة عزّ شأنه لعبده معنى آخر .

وقد اختلفوا في تقريره وبيانه بوجوه يقرب بعضها من بعض .

فقال صدرالمتألّهين : إنّ المحبة تابعة لادراك الوجود لأنه خيرمحض فكلّ ماوجوده أتم كانت خيريّته أعظم والادراك به أقوى والابتهاج به أشدّ ، فأجلّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل ، لأنه أشدّ إدراكاً لأعظم مدرك له الشرف الأكمل والنور الأنور والجلال الارفع ، فمحبة الله لعباده راجعة إلى محبّته لذاته ، لانه لما ثبت أنّ ذاته أحبّ الأشياء اليه تعالى وهوأشدّ مبتهج به و كلّ من أحبّ شيئاً أحبّ جميع أفعاله وحركاته وآثاره لذلك المحبوب ، و كلّ ما هو أقرب إليه فهو أحبّ إليه ، وجميع الممكنات آثارالحقّ وأفعاله فالله يحبّها لأجل ذاته ، وأقرب المجعولات إليه تعالى الرّوح المحمّدي صلّى الله عليه وآله فكان عليه السلام حبيب الله وأحبّ الخلق إليه ، انتهى .

و قال الغزالي بعد ما ذكر أنّ المحبّة عبارة عن ميل النّفس إلى الشيء الموافق مالفظه :

فأما حبّ الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا ، بل الأسامي كلّها إذا اطلقت على الله تعالى و على غيرالله تعالى لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى أنّ اسم الوجود الذى هو أعمّ الأسماء اشتراكاً لايشمل الخالق والخلق على وجه واحد ، بل كلّ ماسوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى ، فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع ، و إنما الاستواء في إطلاق الاسم ، فكان استعمال الأسامي في حقّ الخالق بطريق الاستعارة و التجوّز والنقل، والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملايم .

وهذا إنما يتصوّر في نفس ناقصة ، فانها تستفيد بنيل مايوافقها كمالاً فتلتذّ بنيله ، وهذا محال على الله تعالى ، فانّ كلّ كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن

في حق الالهية ، فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أزلاً وأبداً ، ولا يتصور تجدده ولا زواله ، فلا يكون له نظر إلى غيره من حيث إنه غيره ، بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط ، وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ، فلا يجاوز حبه ذاته و توابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته، فهو اذاً لا يحب إلا نفسه

وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه و إلى تمكينه إياه من القرب منه والى إرادته ذلك به في الأزل ، فحبه لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الارادة الأزلية اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب ،و إذا أضيف إلى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى : لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه .

فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب من قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه ، فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى قربه و هو قرب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا ثم صار قريبا فقد تغير ، فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعاً إذ صار قريباً بعد أن لم يكن و هو محال في حق الله تعالى ، إذ التغير عليه محال ، بل لايزال في نعوت الجلال على ما كان عليه في أزل الآزال و لا ينكشف هذا إلا بمثال في القرب بين الأشخاص .

فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا ، وقد يكون أحدهما ثابتاً فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر ، بل القرب في الصفات أيضا كذلك ، فان التلميذ يطلب من درجة استاده في كمال العلم وجماله ، و الاستاد واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول إلى درجة تلميذه ، و التلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم ، فلايزال دائما في التغير والترقي إلى أن يقرب من الاستاد ، والاستاد ثابت غير متغير

فكذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب ، فكلّما صار أكمل صفة وأتمّ علما وإحاطة بحقايق الامور وأثبت قوّة في قهر الشيطان وقمع الشهوات و أظهر نزاهة عن الرزائل صار أقرب من درجة الكمال و منتهى الكمال لله وقرب كلّ أحد من الله بقدر كماله .

نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاستاد وعلى مساواته وعلى مجاوزته ، وذلك في حق الله تعالى محال فانه لا نهاية لكماله و سلوك العبد في درجات الكمال متناه و لا ينتهى إلاّ إلى حدّ محدود ، فلا مطمع له في المساواة .

ثمّ درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لانهاية له أيضا ، لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال ، فاذاً محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصى عنه و تطهير باطنه من كدورات الدّنيا و رفع الحجاب من قلبه حتّى يشاهده كأنّه يراه بقلبه .

وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك ذلك الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق إلى مافاته وإذا أدرك منه شيئاً يلتذّ به ، والشّوق والمحبّة بهذا المعنى محال على الله ، انتهى كلامه ملخّصا .

ومحصّله ماقاله بعض المحقّقين من أنّ محبّة الله للعبد كشف الحجاب عن قلبه وتمكينه من أن يطأ على بساط قربه ، فانما يوصف به سبحانه باعتبار الغايات لا المبادى ، وعلامة حبّه للعبد توفيقه للتّجافي عن دار الغرور و الترقي إلى عالم النور والانس بالله والوحشة ممّن سواه وصيرورة جميع الهموم همّاً واحداً .

وقال بعض الشارحين للحديث القدسي : إذا أحببت عبدى كنت سمعه الذى يسمع به آه ، إنّ هذا مبالغة للقرب و بيان لاستيلاء سلطان المحبة على ظاهر العبد وباطنه وسرّه وعلانيته، فالمراد إني اذا أحببت عبدى جذبته إلى محلّ الانس وصرفته إلى عالم القدس ، فصيرته مستغرقا في عالم الملكوت ، وحواسّه مقصورة على اجتذاب أنوار الجبروت ، فتثبت حينئذ فى مقام القرب قدمه ، ويمتزج بالمحبّة لحمه ودمه

إلى أن يغيب عن نفسه ويذهل عن حبّه حتى أكون بمنزلة سمعه وبصره ، انتهى .

و قيل : محبّة الله صفة من صفات فعله فهي إحسان مخصوص يليق بالعبد وأمّا محبّة العبد لله فحالة يجدها في قلبه يحصل منها التّعظيم وايثار رضاه والاستيناس بذكره ، هذا .

و أنت بعد الخبرة بما ذكرناه فلا يخفى عليك معنى التّفضيل في قوله عليه السلام آنس الآنسين ، فإنّه إن كان المراد بالمحبّة المرادة بالانس على ما حقّقناه إدراك الكمال على ما حكيناه عن صدر المتألّهين كان معنى آنس أنّه عزّ وجلّ أكمل إدراكاً لكمال أوليائه المقرّبين إليه و أشدّ ابتهاجاً بعباده المخلصين ، لما لهم من مزيد القرب والكمال .

وان كان المراد بها تقريب العبد وتوفيقه للتّرقي إلى معارج الملكوت ومدارج الجبروت وجذبه إلى حظاير القدس ومحافل الانس ، كان معناه انّه أعظم قدرة على التّوفيق والتأييد وأكثر عناية ولطفاً في حقّ أوليائه .

قال أبو الدرداء لكعب الحبر : أخبرني عن أخصّ آية يعني في التّوراة فقال : يقول الله تعالى : طال شوق الأبرار إلى لقائي وانّي إلى لقائهم لأشدّ شوقاً .

وفي أخبار داود عليه السلام : إنّ الله تعالى قال : يا داود أبلغ أهل أرضي أنّي حبيب لمن أحبّني ، وجليس لمن جالسني ، ومونس لمن انس بذكري ، وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ، و مطيع لمن أطاعني ، ما أحبّني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلاّ قبلته لنفسي ، و أحببته حبّاً لا يتقدّمه أحد من خلقي ، من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني ، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها ، وهلمّوا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ، وآنسوا بي أؤانسكم واسارإلى محبّتكم فاني خلقت طينة أحبّائي من طينة إبراهيم خليلي وموسى نجيّي ومحمّد صفيّي ، وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي ، هذا .

وبما ذكرناه كلّه ظهر لك أنّ المراد بقوله عليه السلام : آنس الآنسين لأوليائك

انس الله تعالى بأوليائه لا انس أوليائه به كما زعمه الشّارح البحرانى وفصل الكلام في كيفيّة انسهم به .

(و أحضرهم بالكفاية للمتوكّلين عليك) يحتمل رجوع ضمير الجمع إلى الآنسين والى الأولياء ، و الأوّل أنسب إلى سياق العبارة ، و الثانى أقرب معنى ، والمراد واحد ، أى أنت اكمل حضوراً بالكفاية للمتوكّلين عليك منهم ، أى أبلغ إحضاراً لكفايتهم ، وانما كان كذلك لأنّه عزّ وجلّ الغنى المطلق الّذى لا ينقص خزائنه بالكرم والجود ، والعالم الذى لايعزب عن علمه شيء ، و القادر الّذى لا يعجزه شيء ، والجواد الذى لا بخل من جهته ولارادع من افضاله .

ومع اتّصافه بهذه الأوصاف فهو أقدر على بذل محاويج عباده ؛ والقيام بكفاية المتّكلين عليه بعد ما علم من حالهم حسن اتكالهم واعتمادهم في جميع اُمورهم عليه ، وانقطاعهم عمّن سواه ؛ و استعدادهم بالهم من التوكل لقبول إفاضاته و عناياته ؛ فيفيض كلا منهم مقدار كفايته من دون رادع ولا مانع ولا ابطاء ولا تأخير ؛ فكان أسرع إحضاراً لكفاية من استكفاه قال تعالى « ومن يتوكّل على الله فهو حسبه » وقال « أليس الله بكاف عبده » وهو وارد في معرض التقريع على منكر كفايته .

ثمّ لما كان من لوازم كونه تعالى أحضر كفاية علمه بأحوال المتوكلين و مكنونات قلوبهم فيما يخافون و يرجون حسبما اشرنا إليه أردفه عليه السلام بقوله (تشاهدهم في سرائرهم وتطلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم) أى أنت بصير بما يسرّونه ، و خبير بما يضمرونه ، محيط بهم علما لا يعزب عنك شيء من مكنونات قلوبهم ومخفيات صدورهم

(فأسرارهم) المخفية (لك مكشوفة) كما قال عزّ من قائل « و ان تجهر بالقول فانه يعلم السرّ وأخفى » السرّ ما أكننته فى نفسك و أخفى ما خطر ببالك ثمّ نسيته .

(وقلوبهم اليك ملهوفة) أى محترقة مشتعلة ، وهو إشارة إلى احتراق قلوبهم

بنار الاشتياق والمحبة للوصول إليه والحضور بين يديه والرّغبة بما لديه، و اليه أشار الشاعر بقوله :

و قالوا قريب قلت ما أنا صانع ... بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري

فمالي منه غير ذكر بخاطري ... يهيّج نار الحبّ والشوق في صدري

وقال آخر :

لا تخدعنّ فللمحبّ دلائل ... و لديه من تحف الحبيب و سائل

منها تنعّمه بمرّ بلائه ... و سروره في كلّ ما هو فاعل

و من الدّلائل حزنه و نحيبه ... جوف الظلام فما له من عاذل

و الشوق من لوازم المحبة، والمحبّ لله تعالى مضطرّ إلى الشوق إليه.

توضيح ذلك انّ كلّ محبوب فهو يشتاق اليه في غيبته لامحالة، فأما الحاضر الحاصل فلا يشتاق اليه، لأنّ الشوق طلب وتشوّف إلى أمر، والموجود لايطلب، و ذلك لأنّ الشوق إنما يتصوّر بالنسبة إلى شيء يكون مدركا من وجه غير مدرك من وجه، فأما مالايكون مدركا أصلا فلا يشتاق اليه، فانّ من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لايتصوّر اشتياقه اليه كما أنّ مايكون مدركا بكماله و بمرئى من المحبّ ومشهد منه لايتصوّر له أن يشتاق إليه أيضا، فالشوق لايتعلق إلاّ بما ادرك من وجه ولم يدرك من وجه.

و مثاله في عالم الظاهر أنّ من غاب عنه معشوقه وبقى في قلبه خياله فهو يشتاق إلى استكمال خياله بالرّؤية، فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله حتّى نسيه لم يتصوّر أن يشتاق إليه كما أنه لو رآه لم يتصوّر أيضا أن يشتاق إليه في وقت رؤيته، فمعنى شوقه تشوّف نفسه إلى استكمال خياله.

وقد يكون الاشتياق بأن يرى وجه محبوبه ولكنه لم ير ساير محاسنه فيشتاق إلى أن ينكشف له مالم يره من تلك المحاسن ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن رؤيتها ولكنه علم اجمالاً بأنّ له أعضاء جميلة مستورة فيكون مشتاقاً إلى إدراكها تفصيلا

بالرّؤية والمشاهدة .

والوجهان جميعاً متصوّران في حقّ المشتاقين إلى الله .

فانّ ما اتّضح للعارفين من المعارف الالهية مشوب بشوائب التخيّلات وكدورات الأوهام ، فهم مشتاقون دائماً إلى استكمال ذلك الوضوح ودفع مكدّرات المعارف ومنقصاتها عن ألواح ضمائرهم حتّى يحصل لهم الترقي من درجة علم اليقين إلى عين اليقين ، وهذا أحد وجهي الشوق إليه تعالى .

والوجه الثاني أنّ الكمالات الالهيّة لانهاية لها ، وانّما ينكشف لكلّ عبد من العباد بعضها على حسب قابليّته واستعداده ، ويبقى وراءه ما لاينتهى إلى غاية والعارف يعرف وجودها و يعرف أنّ ماغاب له منها أكثر ممّا حصل له ، فلا يزال متشو قاً إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل له من المعارف ، ولم يعرفه أصلا لامعرفة واضحة ولا معرفة غير واضحة .

والحاصل أنّ أولياء الله المحبّين له والآنسين به قلوبهم إليه تعالى ملهوفة ، وبنار الشّوق والمحبّة محترقة ولعلّ إلى هذا نظر من قال :

إليك إشاراتي و أنت مرادي ... و إيّاك أعني عند ذكر سعاد
وأنت مثير الوجد بين جوانحي ... إذا قال جاد أو ترنّم شاد
وحبك ألقى النار بين جوانحي ... بقدح وداد لا بقدح زناد ـ هذا

قال المحدّث الجزايري في الحديث عنه صلّى الله عليه وآله أنه بكى شعيب عليه السلام من حبّ الله عزّ وجلّ حتّى عمي ، فردّ الله عليه بصره ، ثمّ بكى حتى عمي فردّ الله عزّ وجلّ عليه بصره ، ثمّ بكى حتى عمي فردّ الله عليه بصره ، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا أبداً منك إن يكن هذا خوفاً من النار فقد اجرتك ، وإن يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتك فقال : إلهي وسيّدي أنت تعلم أنّي مابكيت خوفاً من نارك ولاشوقاً إلى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك ، فأوحى الله جلّ جلاله إليه أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران .

و قوله عليه السلام (إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك) يعني إن استوحشوا من غربتهم و غيبتهم عن أوطانهم الأصليّة و عن كونهم مسجونين في سجن الدّنيا استأنسوا بذكرك بلسانهم وجنانهم و بالتفكّر في ذاتك وصفاتك وجلالك وجمالك .

وهواشارة إلى اُنسهم بالله كما أنّ ماتقدّم من قوله عليه الصّلاة والسّلام : إنّك آنس الآنسين لأوليائك ، إشارة إلى اُنس الله تعالى بهم حسبما عرفت تفصيلا و تحقيقاً ، و الانس به تبارك و تعالى من صفات الأولياء المقرّبين و الكملين في محبّته عزّ وجلّ كما قال الشّاعر :

الانس بالله لا يحويه بطّال | وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلّهم نجب | و كلّهم صفوة لله عمّال

وقالت رابعة العدويّة :

اُحبّك حبّين حبّ الهوى | و حبّاً لأنّك أهل لذاكا
فأمّا الّذى هو حبّ الهوى | فشغلى بذكرك عمّن سواكا
و أمّا الّذى أنت أهل لـه | فكشفك لى الحجب حتّى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي | و لكن لك الحمد في ذا و ذاكا

وينبغي أن يعلم أنّ الانس بالله أيضاً من آثار المحبّة له تعالى كالشوق إليه عزّ وجلّ حسبما عرفت قريباً لكنّ هذين الأثرين يختلفان على المحبّ بحسب اختلاف حالاته .

فانّه إذا غلب عليه التّطلّع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الكمال واستشعر قصوره عن الاطّلاع على كنه الجلال انبعث القلب وانزعج له وهاج إليه و تسمّى هذه الحالة في الانزعاج شوقاً .

وإذا غلب عليه الفرح في القرب وكان نظره مقصوراً على مطالعة ما أدركه من الجمال غير ملتفت إلى مالم يدركه بعد استبشر القلب بملاحظة الجمال المدرك فيسمّى استبشاره اُنساً .

فمعنى الانس استبشار القلب و فرحه بمطالعة جمال الحقّ حتّى أنّه إذا تجرّد عن ملاحظة ما غاب عنه عظم انبساطه ولذّته ، ومن غلب عليه الانس لم تكن شهوته إلاّ في الانفراد والخلوة والاعتزال عن الخلق كما قال بعضهم :

تركت للنّاس دنياهم و دينهم ... شغلا بذكرك يا ديني و دنيائي

وذلك لأنّ الاُنس بالله يلازمه التّوحش عن غيرالله قال الله عزّوجلّ لداود عليه السلام : كن لي مشتاقاً وبي مستونساً وعن سواي مستوحشاً .

قال عبدالواحد بن زيد : مررت براهب فقلت له : يا راهب لقد أعجبتك الوحدة ، فقال : ياهذا لوذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك ، الوحدة رأس العبادة ، فقلت : يا راهب ما أقلّ ما تجده في الوحدة ؟ قال : الراحة من مداراة النّاس والسّلامة من شرّهم ، قلت : يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الذّوق بالله ؟ قال : إذا صفا الودّ وخلص المعاملة ، قلت : متى يصفو الودّ ؟ فقال : إذا اجتمع الهمّ فصارهمّا واحداً في الطاعة .

و قال بعض الحكما : عجباً للخلايق كيف أرادوا بك بدلا ، عجباً للقلوب كيف استأنست بسواك عنك .

وبالجملة الاُنس من آثار المحبّة ، والمحبّة مستلزمة لكمال الانس بمناجاة المحبوب و كمال الالتذاذ بالخلوة به ، والاستيحاش من كلّ ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذّة المناجاة .

وقد ورد في الحديث القدسي : كذب من زعم أنّه يحبّني وهو ينام طول ليله ، أليس كلّ حبيب يحبّ الخلوة مع حبيبه ، ياابن عمران لورأيت الّذين يصلّون في الدّجى و قد مثّلت نفسي بين أعينهم يخاطبو ني و قد جللت عن المشاهدة ، ويكلّمو ني وقد عزّزت عن الحضور ، ياابن عمران هب لي من عينك الدّموع ومن قلبك الخشوع ثمّ ادع لي في ظلم اللّيالي تجدني قريباً مجيباً .

فقد ظهر بذلك أنّه إذا غلب عليه الانس والحبّ صارت الخلوة والمناجاة قرّة عينه ، وألذّ الأشياء عنده ، كالّذي يخاطب معشوقه ويناجيه ، بل ربّما يستغرق

الانس و المحبّة قلبه حتّى لايشعر من اُمور الدّنيا شيئاً ما لم يتكرّر على سمعه مراراً ، مثل العاشق الولهان ، فانّه يكلّم النّاس بلسانه و انسه في الباطن بذكر حبيبه ، فالمحبّ من لا يطمئنّ إلاّ بمحبوبه ، ولا يسكن إلاّ إليه كما قال تعالى « للّذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكرالله ألابذكرالله تطمئنّ القلوب »

(وان صبّت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك) أي إن نزلت عليهم مصائب الدّهر ومكائده من الآلام والأسقام ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وغيرها اعتصموا بك واستندوا إلى طلب الأمان منك في دفعها ورفعها والوقاية عنها و إنّما يلجأون اليه تعالى لما لهم من وصف التوكل عليه والانقطاع عمّن سواه (علما) منهم (بأن أزمة الامور) الحادثة في الملك والملكوت كلّها و من جملتها المصائب المصوبة عليهم (بيد) قدرت (ك) وقبضة مشيّتك (و مصادرها عن قضائك) كما اشير اليه في قوله تعالى « و ان من شيء إلاّ عندنا خزائنه و ما ننزّله إلاّ بقدر معلوم » فالخزائن عبارة عمّا كتبه القلم الأعلى أولاً على الوجه الكلّي في لوح القضاء المحفوظ عن التّبديل الّذى منه يجرى ثانياً على الوجه الجزئي في لوح القدر الّذى فيه المحو والاثبات مندرجاً على التنزيل.

فالى الأوّل اشير بقوله « وان من شيء إلاّ عندنا خزائنه » و بقوله « عنده اُمّ الكتاب » والى الثّاني بقوله « وما ننزّله إلاّ بقدر معلوم » ومنه ينزل ويظهر في عالم الشّهادة كما قال تعالى « تنزّل الملائكة و الرّوح فيها باذن ربّهم من كلّ أمر » هذا .

ولمّا فرغ عليه السلام من مقدّمات الدّعاء والمسألة شرع في أصل غرضه منها فقال (اللّهمّ إن فههت) أى عجزت وعييت (عن مسألتي أوعمهت) أى تردّدت و تحيّرت (عن طلبتي) أى مطلوبي ومرادى وهو كناية عن عدم اهتدائه إلى وجوه المصالح (فدلّني على مصالحي) أى اهدني إلى ما هو صلاح لي في دنياى و آخرتي ممّا يقرّبني عن رضاك ويجنّبني من سخطك (و خذ بقلبي إلى مراشدى) أى مل به واصرفه إلى محالّ الرشاد وموارد الصّلاح والسّداد في المبدء والمعاد .

و هو فى معنى ماقاله السجّاد عليه السلام فى دعائه « اللهمّ صل على محمد و آله واجعل همسات قلوبنا و حركات أعضائنا و لمحات أعيننا و لهجات ألسنتنا فى موجبات ثوابك حتّى لا تفوتنا حسنة نستحقّ بها جزاءك و لا تبقى لنا سيئة نستوجب بها عذابك

(فليس ذلك بنكر من هداياتك و لا ببدع من كفاياتك) أى دلالتي على مصالحى وأخذ قلبي إلى مراشدى ليس بمنكر أى غير معروف من هداياتك و لا ببدع أى أوّل ماتكفيني من كفاياتك ، بل عاداتك التوفيق و الهداية ، و سجيّتك الكرم والكفاية .

قال الشّارح البحراني : هذا الكلام استعطاف بما في العادة أن يستعطف به أهل العواطف والرحمة من الكلام ، أى انّ هداياتك لخلقك إلى وجوه مصالحهم وكفاياتك لهم مايحتاجون إليه أمور متعارفة جرت عادتك بها و ألفها منك عبادك

(اللهمّ احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك) قال الشارح البحراني: قد سأل عليه السلام أن يحمله على عفوه فيما عساه صدرعنه من ذنب ولا يحمله على عدله فيجزيه بمافعل حرمانا أوعقوبة ، وهو من لطيف ماتعده النفس لاستنزال الرحمة الالهيّة ، انتهى .

ومحصّله أنّ منتهى العفو الكرم والثواب ومقتضى العدل الالهيّة المؤاخذة والعقاب ، فسأل عنه تعالى أن يعامله بعفوه ولا يعامله بعدله نظير ما ورد في دعاء آخر : اللهمّ عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك .

وقال سيّد السّاجدين عليه السلام في دعائه في اللّجاء إلى الله تعالى من أدعية الصّحيفة الكاملة : اللهمّ إن تشأ تعف عنا فبفضلك وان تشأ تعذّبنا فبعدلك ، فسهّل لنا عفوك بمنّك وأجرنا من عذابك بتجاوزك ، فانه لاطاقة لنا بفضلك ، ولا نجاة لأحد منا دون عفوك .

تذييل

أحببت أن أورد بمناسبة المقام عدّة من الأدعية النفيسة استطرفتها لجلالة

قدرها وعظم خطرها وعموم نفعها ضنّاً منّي بتركها وشحاحة بخلوّ الشرح منها

فمنها ما في زهر الرّبيع للمحدّث الجزائري قال : دعاء منقول عن النبي صلى الله عليه وآله من أراد أن لا يوقفه الله على قبيح أعماله و لا ينشر له ديواناً فليدع بهذا الدّعاء في دبر كلّ صلاة :

اللّهمّ إنّ مغفرتك لي أرجى من عملي ، وإنّ رحمتك أوسع من ذنبي ، اللهمّ إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تبلغني لأنّها وسعت كلّ شيء يا أرحم الرّاحمين .

ومنها ما في البحار من المكارم عن الحسين بن خالد قال : لزمني دين ببغداد ثلاثمأة ألف و كان لي دين أربعمأة ألف فلم يدعني غرمائي اقتضى ديني و اعطيهم قال : وحضر الموسم فخرجت مستتراً وأردت الوصول إلى أبي الحسن عليه السلام فلم أقدر فكتبت إليه أصف له حالي وما عليّ ومالي فكتب عليه السلام إليّ في عرض كتابي : قل في دبر كلّ صلاة :

اللهمّ إنّي أسألك يا لاإله إلاّ أنت بحقّ لاإله إلاّ أنت أن ترحمني بلا إله إلاّ أنت اللهمّ إنّي أسألك يا لا إله إلاّ أنت بحقّ لاإله إلاّ أنت أن تغفرلي بلا إله إلاّ أنت .

أعد ذلك ثلاث مرّات في دبر كلّ صلاة فريضة فانّ حاجتك تقضي إنشاءالله تعالى قال الحسين: فأدمتها فو الله ما مضت بي الاّ أربعة أشهر حتّى اقتضت ديني وقضيت ما عليّ واقتضت مأة ألف درهم .

ومنها ما في عدّة الدّاعي عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جدّه عن النّبي صلى الله عليه وآله انّ جبرئيل نزل عليه بهذا الدّعاء من السّماء ونزل عليه ضاحكاً مستبشراً ، فقال : السّلام عليك يا محمّد ، قال : وعليك السّلام يا جبرئيل ، فقال : إنّ الله عزّ وجلّ بعث إليك بهدية فقال : وما تلك الهدية يا جبرئيل ؟ قال : كلمات من كنوز العرش أكرمك الله بها ، فقال : وماهنّ يا جبرئيل ؟ قال : قل :

يامن أظهر الجميل وستر القبيح ، يامن لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر، ياعظيم العفو ، ياحسن التجاوز ، يا واسع المغفره ، يا باسط اليدين بالرّحمة ، يا صاحب كلّ نجوى ، ويا منتهى كلّ شكوى ، يا كريم الصّفح ، ياعظيم المنّ ، يا مبتدءاً بالنعم قبل استحقاقها ، يا سيّدنا ياربّنا ، يامولينا ، ياغاية رغبتنا ، أسألك ياالله أن لاتشوّه خلقي بالنّار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل: ماثواب هذه الكلمات ؟ قال : هيهات هيهات انقطع العمل لو اجتمع ملائكة سبع سماوات وسبع أرضين على أن يصفوا ذلك ما وصفوا إلى يوم القيامة ما وصفوا من كلّ ألف ألف جزء جزءاً واحداً .

إذا قال العبد : يامن أظهر الجميل وستر القبيح ، ستره الله ورحمه في الدّنيا وجمّله في الآخرة وستر الله عليه ستراً في الدّنيا و الآخرة .

و إذا قال : يا عظيم العفو ، غفر الله له ذنوبه ولوكانت خطيئته مثل زبد البحر .

واذا قال : ياحسن التّجاوز تجاوز الله عنه حتّى السّرقة وشرب الخمر وأهاويل الدّنيا وغير ذلك من الكباير .

واذا قال : يا واسع المغفرة فتح الله له سبعين باباً من الرّحمة فهو يخوض في رحمة الله عزّ وجلّ حتّى يخرج من الدّنيا .

واذا قال : يا باسط اليدين بالرّحمة بسط الله يده عليه بالرّحمة

واذا قال يا صاحب كلّ نجوى ويا منتهى كلّ شكوى ، أعطاه الله من الأجر ثواب كلّ مصاب وكلّ سالم وكلّ مريض وكلّ ضرير وكلّ مسكين وكلّ فقير وكلّ صاحب مصيبة إلى يوم القيامة .

واذا قال : يا كريم الصّفح أكرمه الله تعالى كرامة الأنبياء .

واذا قال : يا عظيم المنّ أعطاه الله يوم القيامة امنيّته وامنيّة الخلايق .

و اذا قال : يامبتدءاً بالنّعم قبل استحقاقها ، أعطاه الله من الأجر بعدد من شكر نعماءه .

واذا قال: ياربّنا وياسيّدنا قال الله تبارك وتعالى: اشهدوا ملائكتي انّي قد غفرت له وأعطيته من الأجر بعدد من خلقته في الجنّة والنّار والسماوات السبع والأرضين السّبع والشّمس والقمر والنّجوم وقطر الامطار وأنواع الخلايق والجبال والحصى والثّرى وغير ذلك والعرش والكرسي.

واذا قال: يا مولينا أملاء الله قلبه من الايمان.

واذا قال: يا غاية رغبتنا أعطاه الله يوم القيامة رغبة مثل رغبة الخلايق

واذا قال: أسألك يا الله أن لاتشوّه خلقي بالنّار، قال الجبّار جلّ جلاله: استعتقني عبدى من النّار اشهدوا ملائكتي أنّي قد اعتقته من النار واعتقت أبويه واخوته واخواته وأهله وولده وجيرانه وشفعته في ألف رجل ممّن وجبت لهم النار واجرته من النّار، فعلّمهن يامحمد المتّقين ولا تعلّمه المنافقين فانها دعوة مستجابة لقائلهن إنشاء الله تعالى وهو دعاء أهل البيت المعمور حوله إذا كانوا يطوفون به.

ومنها مافي البحار عن المكارم عن معاذ بن جبل قال: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم الى عبدالله بن سلام وعنده جماعة من أصحابه فحضر

فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا عبدالله أخبرني عن عشر كلمات علّمهنّ الله عزّ وجلّ ابراهيم يوم قذف في النّار أتجدهنّ في التوراة مكتوباً؟

فقال عبدالله: يانبيّ الله بأبي و امّي هل انزل عليك فيهنّ شيء فانّي أجد ثوابها في التوراة ولا أجد الكلمات، وهى عشر دعوات فيهنّ اسم الله الأعظم

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل علّمهنّ الله تعالى موسى؟

فقال: ماعلّمهنّ الله تعالى موسى غير ابراهيم الخليل

فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: وماتجد ثوابها في التوراة؟

فقال عبدالله: يا رسول الله و من يستطع أن يبلغ ثوابها غير أنّي أجد فى التّوراة مكتوباً مامن عبد منّ الله عليه وجعل هؤلاء الكلمات فى قلبه إلاّ جعل النور فى بصره، واليقين فى قلبه، وشرح صدره للايمان، وجعل له نوراً من مجلسه إلى

العرش يتلألاء و يباهى به ملائكته فى كلّ يوم مرّتين ، و يجعل الحكمة فى لسانه ويرزقه حفظ كتابه ، وان لم يكن حريصاً عليه ، ويفقّهه فى الدين ، ويقذف له المحبّة فى قلوب عباده ، و يؤمنه من عذاب القبر ، و فتنة الدّجال ، ويؤمنه من الفزع الأكبر يوم القيامة ويحشره فى زمرة الشّهداء ، ويكرمه الله ويعطيه مايعطى الأنبياء بكرامته ، ولايخاف إذا خاف النّاس ، ولا يحزن إذا حزن النّاس ، ويكتب عندالله من الصدّيقين ويحشر يوم القيامة وقلبه ساكن مطمئنّ ، وهو ممّن يكسى مع ابراهيم يوم القيامة ، ولا يسأل بتلك الدّعوات شيئاً إلاّ أعطاه الله ، ولو اقسم على الله لأبرّ قسمه و يجاور الرّحمن فى دار الجلال ، و له أجر كلّ شهيد استشهد منذ يوم خلقت الدنيا .

قال النّبى صلى الله عليه وآله : ومادار الجلال؟

قال : جنة عدن وهوموضع عرش الرّحمن ربّ العزّة وهو فى جوارالله .

قال ابن سلام : فعلّمنا يا رسول الله و منّ علينا كما منّ الله عليك ، قال النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم خرّوا سجّداً لله ، قال : فخرّوا سجّداً فلمّا رفعوا رؤوسهم قال النّبىّ صلى الله عليه وآله قولوا :

ياالله ياالله أنت المرهوب منك جميع خلقك يا نورالنّور أنت الّذى احتجبت دون خلقك فلا يدرك نورك نور ، ياالله ياالله ياالله أنت الرّفيع الّذي ارتفعت فوق عرشك من فوق سمائك فلا يصف عظمتك أحد من خلقك ، يانور النّور قد استنار بنورك أهل سمائك واستضاء بضوئك أهل أرضك ، ياالله ياالله ياالله أنت الّذى لاإله غيرك تعاليت عن أن يكون لك شريك ، وتعظّمت عن أن يكون لك ولد وتكرّمت عن أن يكون لك شبيه و تجبّرت عن أن يكون لك ضدّ ، فأنت الله المحمود بكلّ لسان ، و أنت المعبود فى كلّ مكان ، و أنت المذكور فى كلّ أوان وزمان ، يا نورالنّور كلّ نور خامد لنورك ، يامليك كلّ مليك يفنى غيرك ، يادائم كلّ حىّ يموت غيرك ، ياالله ياالله ياالله الرّحمن الرحيم ارحمنى رحمة تطفى بها غضبك ، وتكفّ بها عذابك ، وترزقنى بها سعادة من عندك ، وتحلّنى بها دارك الّتي تسكنها خيرتك من خلقك ياأرحم الراحمين

يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر يا عظيم العفو يا حسن التجاوز يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة يا صاحب كل نجوى ويا منتهي كل شكوى يا كريم الصفح يا عظيم المن يا مبتدءاً بالنعم قبل استحقاقها يا ربّاه يا ربّاه وياسيّداه ويا أملاه ويا غاية رغبتاه أسألك يا الله يا الله يا الله أن لاتشوّه خلقي بالنار .

قال : يارسول الله وماثواب من قال هذه الكلمات ؛ قال صلى الله عليه وآله هيهات هيهات انقطع القلم لو اجتمع ملائكة سبع سماوات وسبع أرضين على أن يصفوا ذلك إلى يوم القيامة لما وصفوا من ألف جزء جزءاً واحداً . و ذكر عليه السلام لهذه الكلمات ثواباً وفضايل كثيرة لايحتمل ذكرها ههنا اقتصرنا على ذكر المقصود مخافة التطويل

ومنها ما في البحار من مهج الدعوات قال : روينا باسنادنا إلى سعد بن عبدالله قال : حدّثنا أحمد بن محمد عن الحسن بن علي بن فضّال عن الحسن بن الجهم عمّن حدّثه عن الحسن بن محبوب أو غيره عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ عندنا ما نكتمه و لا يعلمه غيرنا أشهد علي أبي أنّه حدّثني عن أبيه عن جدّه قال : قال عليّ بن أبيطالب عليه السلام :

يا بنيّ انّه لابدّ أن تمضي مقادير الله وأحكامه على ما أحبّ وقضى ، وسينفذ الله قضاءه وقدره وحكمه فيك فعاهدني أن لاتلفظ بكلام أسرّه إليك حتّى أموت وبعد موتي باثني عشر شهراً ، واخبرك بخبر أصله عن الله تقول غدوة وعشيّة فتشغل به ألف ألف ملك يعطى كلّ مستغفر قوّة ألف ألف متكلّم في سرعة الكلام ، و يبنى لك في دار السلام ألف بيت في مأة قصر يكون لك جار جدّك ويبنى لك في جنّات عدن ألف ألف مدينة ويحشر معك في قبرك كتاباً بهذا الاسبيل عليك للفزع ولا للخوف ولا الزّلازل ولا زلّات الصّراط ولا لعذاب النار ولا تدعو بدعوة فتحبّ أن يجاب في يومك فيمسي عليك يومك إلّا أتتك كائنة ما كان «نتظ» بالغة ما بلغت في أيّ نحو كانت ولاتموت إلّا شهيداً وتحيى ما حييت وأنت سعيد لايصبك فقر أبداً ولا جنون ولابلوى ويكتب لك في كلّ يوم بعدد الثّقلين كلّ نفس ألف ألف حسنة ، ويمحى عنك ألف

ألف سيئة، ويرفع لك ألف ألف درجة، و يستغفر لك العرش والكرسي حتّى تقف بين يدى الله عزّ وجلّ، ولا تطلب لأحد حاجة إلاّ قضاها، ولا تطلب إلى الله حاجة لك و لا لغيرك إلى آخر الدّهر في دنياك و آخرتك إلاّ قضاها، فعاهدني كما أذكر لك.

فقال له الحسين عليه السلام: عاهدني يا أبا علي ما أحببت.

قال: أعاهدك على أن تكتم عليّ فاذا بلغ منيتك فلا تعلمه أحداً سوانا أهل البيت أو شيعتنا و أوليائنا و موالينا، فانك إن فعلت ذلك طلب النّاس إلى ربّهم الحوائج في كلّ نحو فقضاها فأنا أحبّ أن يتمّ الله بكم أهل البيت بماعلّمني ممّا اعلمك ماأنتم فيه فتحشرون لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون.

فعاهد الحسين عليّاً صلوات الله عليهما على ذلك ثمّ قال عليه السلام:

إذا أردت ذلك فقل:

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوّة إلاّ بالله، سبحان الله في آناء الليل و أطراف النّهار، سبحان الله بالغدوّ والآصال، سبحان الله بالعشيّ والابكار، سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السّموات والأرض وعشيّا و حين تظهرون يخرج الحيّ من الميّت و يخرج الميّت من الحيّ و يحيى الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون، سبحان ربّك ربّ العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين، و لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، سبحان الله ذى الملك و الملكوت، سبحان الله ذى العزّة والعظمة و الجبروت، سبحان الله الملك الحقّ القدّوس، سبحان الله الملك الحيّ الذى لايموت، سبحان القائم الدائم، سبحان الحيّ القيّوم، سبحان العليّ الأعلى، سبحانه وتعالى، سبّوح قدّوس ربّ الملائكة و الرّوح، اللهمّ إني أصبحت منك فى نعمة و عافية فأتمم عليّ نعمتك وعافيتك لي بالنجاة من النّار، وارزقني شكرك وعافيتك أبداً ما أبقيتني، اللهمّ بنورك اهتديت، و بنعمتك أصبحت وأمسيت، أصبحت أشهدك و كفى بك شهيداً

وأشهد ملائكتك وحملة عرشك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك وسماواتك وأرضك أنّك أنت الله لا إله إلاّ أنت وحدك لاشريك لك ، وأنّ محمّداً صلواتك عليه وآله عبدك ورسولك ، وأنت على كلّ شيء قدير ، تحيي وتميت وتميت وتحيي ، وأشهد أنّ الجنّة حقّ والنّار حقّ وأنّ الساعة آتية لاريب فيها وأنّ الله يبعث من في القبور ، و أشهد أنّ عليّ بن أبيطالب عليه السلام والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد و موسى بن جعفر و عليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والامام من ولد الحسن بن عليّ الأئمة الهداة المهديّون غير الضّالين و المضلّين ، وأنّهم أولياؤك المصطفون ، وحزبك الغالبون ، وصفوتك وخيرتك من خلقك ونجباؤك الذين انتجبتهم بولايتك واختصصتهم من خلقك واصطفيتهم على عبادك وجعلتهم حجّة على خلقك ، صلواتك عليهم والسّلام ، اللهمّ اكتب هذه الشهادة حتّى تلقينها وأنت عنّي راض يوم القيامة ، و قد رضيت عنّي انك على كلّ شيء قدير ، اللهمّ لك الحمد حمداً تضع لك السّماء أكنافها وتسبّح لك الأرض ومن عليها ، ولك الحمد حمداً يصعد ولاينفد ، وحمداً يزيد ولايبيد سرمداً مدداً لا انقطاع له ولانفاد أبداً ، حمداً يصعد أوله ولاينفد آخره ، ولك الحمد عليّ ومعي وفيّ وقبلي وبعدي وامامي ولديّ فاذا متّ وفنيت وبقيت يامولاي فلك الحمد إذا نشرت وبعثت ، ولك الحمد والشكر بجميع محامدك كلّها على جميع نعمائك كلّها ، ولك الحمد على كلّ عرق ساكن و على كلّ أكلة و شربة وبطشة وحركة ونومة ويقظة ولحظة وطرفة ونفس وعلى كلّ موضع شعرة ، اللهمّ لك الحمد كلّه ، ولك الملك كلّه ، و بيدك الخير كلّه . و إليك يرجع الأمر كلّه ، علانيته وسرّه ، وأنت منتهى الشّان كلّه ، اللهمّ لك الحمد على حلمك بعد علمك ، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ، اللهمّ لك الحمد باعث الحمد ، ووارث الحمد ، وبديع الحمد ، ومبتدع الحمد ، ووافي العهد و صادق الوعد عزيز الجند قديم المجد ، اللهمّ لك الحمد مجيب الدّعوات ، رفيع الدرجات ، منزّل الآيات من فوق سبع سماوات ، مخرج النّور من الظلمات ، مبدل السّيئات الحسنات ، وجاعل الحسنات

درجات ، اللهمّ لك الحمد غافر الذنب ، وقابل التّوب شديد العقاب ذي الطّول لا إله إلا أنت إليك المصير اللّهمّ لك الحمد في الليل إذا يغشى ، و لك الحمد في النهار إذا تجلّى ، لك الحمد عدد كلّ نجم و ملك في السّماء ، ولك الحمد عدد كلّ قطرة نزلت من السّماء إلى الأرض ، ولك الحمد عدد كلّ قطرة في البحار والعيون والأودية والأنهار ، ولك الحمد عدد الشّجر و الورق والحصى والثّرى و الجنّ والانس والبهائم والطير والوحوش والانعام و السّباع والهوام ، ولك الحمد عدد ما أحصى كتابك و أحاط به علمك حمداً كثيراً دائماً مباركاً فيه أبداً ، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو حيّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير **عشر مرات** أستغفر الله الّذي لا إله الاّ هو الحيّ القيّوم و أتوب اليه **عشر مرات** يا الله يا الله يا الله **عشر مرات** يا رحمن يا رحيم **عشر مرات** يا رحيم يا رحيم **عشر مرات** يا بديع السّموات والأرض ياذا الجلال والاكرام **عشراً** يا حنّان يامنّان **عشراً** ياحيّ ياقيّوم **عشراً** يا لا إله إلا أنت **عشراً** اللهمّ صل على محمّد و آل محمّد **عشراً** بسم الله الرحمن الرحيم **عشراً** آمين آمين افعل بي كذا و كذا

وتقول هذا بعد الصّبح مرّة وبعد العصر أُخرى ثمّ تدعو بما شئت .

ومنها ما في البحار من مهج الدّعوات أيضاً قال : روى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن النّبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال : نزل جبرئيل و كنت أُصلّي خلف المقام قال : فلما فرغت استغفرت الله عزّوجلّ لأُمّتي فقال لي جبرئيل : يا محمّد أراك حريصاً على أُمّتك والله تعالى رحيم بعباده ، فقال النّبي صلّى الله عليه وآله لجبرئيل : يا أخي أنت حبيبي وحبيب امّتي علّمني دعاء تكون امتي يذكروني من بعدي ، فقال لي جبرئيل أُوصيك أن تأمر أُمّتك أن تصوموا ثلاثة أيّام البيض من كلّ شهر : الثّالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، وأُوصيك يا محمّد أن تأمر أُمّتك أن تدعو بهذا الدّعاء الشّريف وأنّ حملة العرش يحملون العرش ببركة هذا الدّعاء وببركته انزل إلى

الأرض وأصعد إلى السّماء ، وهذا الدّعاء مكتوب على أبواب الجنّة وعلى حجراتها وعلى شرفاتها وعلى منازلها ، وبه تفتح أبواب الجنّة ، وبهذا يحشر الخلق يوم القيامة بأمر الله عزّوجلّ ومن قرءه ينجيه من عذاب النار .

ثمّ سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله جبرئيل عن ثواب هذا الدّعاء .

قال جبرئيل : يا محمّد قد سألتني عن شيء لا أقدر على وصفه و لا يعلم قدره إلاّ الله .

يا محمّد لو صارت أشجار الدّنيا أقلاماً والبحار مداداً والخلايق كتاباً لم يقدروا على ثواب قاري هذا الدّعاء ، ولا يقرء هذا عبد وأراد عتقه إلاّ أعتقه الله تبارك وتعالى وخلّصه من رقّ العبودية ، ولا يقرءه مغموم إلاّ فرّج الله همّه وغمّه ، ولا يدعو به طالب حاجة إلاّ قضاها الله عزّوجلّ له في الدّنيا والآخرة إنشاءالله تعالى ويقيه الله تعالى موت الفجأة وهول القبر وفقر الدّنيا ويعطيه الله تبارك وتعالى الشفاعة يوم القيامة ووجهه يضحك ويدخله الله ببركة هذا الدّعاء دار السلام ويسكنه الله في غرف الجنان ويلبسه من حلل الجنّة التي لاتبلى ، ومن صام وقرء هذا الدّعاء كتب الله عزّوجلّ له مثل ثواب جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى ومحمّد صلّى الله عليهم أجمعين .

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : عجبت من كثرة ما ذكر جبرئيل عليه السلام في فضل هذا الدّعاء وشرفه وتعظيمه وماذكر فيه من الثواب لقاريء هذا

ثمّ قال جبرئيل : يا محمّد ليس أحد من أُمّتك يدعو بهذا الدّعاء في عمره مرّة واحدة إلاّ حشره الله يوم القيامة ووجهه يتلألأ مثل القمر ليلة تمّه ، فيقول الناس من هذا أنبيّ هذا ؟ فتخبرهم الملائكة بأن ليس هذا نبيّ و لا ملك بل هذا عبد من عبيد الله من ولد آدم قرء في عمره مرّة واحدة هذا الدّعاء فأكرمه الله عزّوجلّ بهذه

ثمّ قال جبرئيل للنبيّ صلّى الله عليه وآله من قرء هذا الدّعاء خمس مرّات حشر يوم القيامة و أنا واقف على قبره و معي براق من الجنة ولاأبرح واقفاً حتّى يركب على ذلك

البراق ولاينزل عنه إلاّ في دار النعيم خالد مخلّد ولا حساب عليه في جوار إبراهيم وفي جوار محمّد وأنا اضمن لقارى هذا الدّعاء من ذكر أو أُنثى ان الله تعالى لايعذّبه ولو كان عليه ذنوب أكثر من زبد البحر وقطر المطر وورق الشجر وعدد الخلايق من أهل الجنّة وأهل النّار، وأنّ الله عزّ وجلّ يأمر أن يكتب بهذا الذى يدعو بهذا الدّعاء حجّة مبرورة وعمرة مقبولة.

يا محمّد و من قرء هذا الدّعاء وقت النوم خمس عشر مرّات على طهارة فانّه يراك في منامه وتبشّره الجنّة، ومن كان جايعاً أو عطشاناً ولا يجد ما يأكل و لا ما يشرب أوكان مريضاً فيقرء هذا الدّعاء فانّ الله عزّ وجلّ يفرج عنه ماهوفيه ببركته ويطعمه ويسقيه ويقضي له حوائج الدّنيا و الآخرة، ومن سرق له شيء أو أبق له عبد فيقوم ويتطهّر ويصلّي ركعتين أوأربع ركعات ويقرء كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة وسورة الاخلاص وهى قل هوالله أحد مرّتين فاذا سلّم يقرء هذا الدّعاء ويجعل الصحيفة بين يديه أوتحت رأسه فان الله تعالى يجمع المشرق و المغرب ويردّ العبد الآبق ببركة هذا الدّعاء انشاءالله تعالى، وانكان يخاف من عدوّ فيقرء هذا الدّعاء على نفسه فيجعله الله في حرز حريز ولايقدر عليه أعداؤه، ومامن عبد قرأه وعليه دين إلاّ قضاه الله عزّوجلّ و سهّل له من يقضيه عنه إنشاءالله تعالى، ومن قرأه على مريض شفاه الله تعالى ببركته، فان قرأه عبد مؤمن مخلص لله عزّ وجلّ على جبل يتحرّك الجبل باذن الله تعالى، ومن قرأه بنيّة خالصة على الماء لجمد الماء، ولا تعجب من هذا الفضل الذى ذكرته في هذا الدّعاء فانّ فيه اسم الله تعالى الأعظم وانّه إذا قرأه القارى وسمعه الملائكة والجنّ والانس فيدعون لقاريه وانّ الله يستجيب منهم دعاءهم و كلّ ذلك ببركة الله عزّوجلّ وببركة هذا الدّعاء، وأنّ من آمن بالله وبرسوله وبهذا الدّعاء فيجب أن لايغاش قلبه بما ذكر في هذا الدّعاء وأنّ الله تعالى يرزق من يشاء بغير حساب، ومن حفظه وقرأه أونسخه فالا «فلاظ» يبخل به على أحد من المسلمين

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما قرأت هذا الدعاء في غزوة إلاّ ظفرت ببركة هذا الدّعاء على أعدائي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من قرء هذا الدّعاء اعطى نور الأولياء في وجهه و سهّل له كلّ عسير ويسير ويسّر له كلّ يسير.

و قال الحسن البصري: لقد سمعت في فضل هذا الدّعاء أشياء مالا أقدر أن أصفه ولو أنّ من يقرءه ضرب برجله على الأرض تحرّكت الأرض.

وقال سفيان الثوري: ويل لمن لا يعرف حقّ هذا الدّعاء فانّ من عرف حقّه وحرمته كفاه الله عزّ وجلّ كلّ شدّة و سهّل له جميع الأمور ووقاه كلّ محذور ودفع عنه كلّ سوء ونجاه من كلّ مرض وعرض وأزاح الهمّ والغمّ عنه فتعلّموه وعلّموه فانّ فيه الخير الكثير وهو هذا الدّعاء الموصوف:

سبحان الله العظيم و بحمده من إله ما أقدره، وسبحانه من قدير ما أعظمه، وسبحانه من عظيم ما أجلّه، وسبحانه من جليل ما أمجده، وسبحانه من ماجد ما أرأفه وسبحانه من رؤوف ما أعزّه، وسبحانه من عزيز ما أكبره، و سبحانه من كبير ما أقدمه، وسبحانه من قديم ما أعلاه، وسبحانه من عال ما أسناه، وسبحانه من سنيّ ما أبهاه، وسبحانه من بهيّ ما أنوره، و سبحانه من منير ما أظهره، و سبحانه من ظاهر ما أخفاه، وسبحانه من خفيّ ما أعلمه، وسبحانه من عليم ما أخبره، وسبحانه من خبير ما أكرمه، وسبحانه من كريم ما ألطفه، و سبحانه من لطيف ما أبصره، وسبحانه من بصير ما أسمعه، وسبحانه من سميع ما أحفظه، و سبحانه من حفيظ ما أملاه، وسبحانه من مليّ ما أهداه، وسبحانه من هاد ما أصدقه. وسبحانه من صادق ما أحمده، وسبحانه من حميد ما أذكره، وسبحانه من ذاكر ما أشكره، وسبحانه من شاكر ما أوفاه، وسبحانه من وفيّ ما أغناه، وسبحانه من غنيّ ما أعطاه، وسبحانه من معط ما أوسعه، وسبحانه من واسع ما أجوده، وسبحانه من جواد ما أفضله، وسبحانه من مفضل ما أنعمه، و سبحانه من منعم ما أسيده، وسبحانه من سيّد ما أرحمه،

وسبحانه من رحيم ما أرشده ، وسبحانه من رشيد ما أقواه ، و سبحانه من قويّ ما أحكمه ، وسبحانه من حكيم ما أبطشه ، وسبحانه من باطش ما أقومه ، وسبحانه من قيّوم ما أحمده ، وسبحانه من حميد ما أدومه ، وسبحانه من دائم ما أبقاه و سبحانه من باق ما أفرده ، و سبحانه من فرد ما أوحده ، و سبحانه من واحد ما أصمده ، وسبحانه من صمد ما أملكه ، وسبحانه من مالك ما أولاه ، وسبحانه من وليّ ما أعظمه وسبحانه من عظيم ما أكمله ، وسبحانه من كامل ما أتمّه ، وسبحانه من تامّ ما أعجبه و سبحانه من عجيب ما أفخره ، وسبحانه من فاخر ما أبعده ، وسبحانه من بعيد ما أقربه ، وسبحانه من قريب ما أمنعه ، وسبحانه من مانع ما أغلبه ، وسبحانه من غالب ما أعفاه ، وسبحانه من عفوّ ما أحسنه ، وسبحانه من محسن ما أجمله ، وسبحانه من جميل ما أقبله ، وسبحانه من قابل ما أشكره ، و سبحانه من شكور ما أغفره وسبحانه من غفور ما أكبره ، وسبحانه من كبير ما أجبره ، وسبحانه من جبير ما أدينه ، وسبحانه من ديّان ما أقضاه ، وسبحانه من قاض ما أمضاه ، وسبحانه من ماض ما أنفذه ، وسبحانه من نافذ ما أرحمه ، وسبحانه من رحيم ما أخلقه ، وسبحانه من خالق ما أقهره ، وسبحانه من قاهر ما أملكه ، وسبحانه من مالك ما أقدره ، وسبحانه من قادر ما أرفعه ، وسبحانه من رفيع ما أشرفه ، وسبحانه من شريف ما أرزقه ، وسبحانه من رازق ما أقبضه ، وسبحانه من قابض ما أبداه ، وسبحانه من باد ما أقدسه وسبحانه من قدّوس ما أطهره ، وسبحانه من طاهر ما أزكاه ، وسبحانه من زكيّ ما أبقاه ، وسبحانه من باق ما أعوده ، وسبحانه من عواد ما أفطره ، وسبحانه من فاطر ما أوهبه ، وسبحانه من وهّاب ما أتوبه ، وسبحانه من توّاب ما أسخاه ، وسبحانه من سخيّ ما أبصره ، وسبحانه من بصير ما أسلمه ، وسبحانه من سلام ما أشفاه ، وسبحانه من شاف ما أنجاه ، وسبحانه من منجي ما أبرّه ، و سبحانه من بارّ ما أطلبه ، وسبحانه من طالب ما أدركه ، و سبحانه من مدرك ما أشدّه ، و سبحانه من شديد ما أعطفه ، وسبحانه من متعطّف ما أعدله ، وسبحانه من عادل ما أتقنه ، وسبحانه

من متقن ما أحكمه ، وسبحانه من حكيم ما أكفله ، وسبحانه من كفيل ما أشهده وسبحانه وهو الله العظيم وبحمده الحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر ولله الحمد ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم دافع كل بلية وهو حسبي ونعم الوكيل

قال سفيان الثوري : ويل لمن لا يعرف حرمة هذا الدّعاء فانّ من عرف حقّ هذا الدّعاء وحرمته كفاه الله عزّوجلّ كلّ شدة وصعوبة وآفة ومرض وغم فتعلّموه وعلّموه ففيه البركة والخير الكثير في الدّنيا والآخرة إن شاء الله تعالى .

ومنها ما في البحار أيضاً من مهج الدّعوات باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : من دعا بهذا الدّعاء مرّة واحدة في دهره كتب في رقّ العبوديّة ورفع في ديوان القائم عليه السلام ، فاذا قام قائمنا نادى باسمه واسم أبيه ثمّ يدفع إليه هذا الكتاب ويقال له : خذ هذا الكتاب العهد الذي عاهدتنا في الدّنيا وذلك قوله عزّ وجلّ « إلاّ من اتّخذ عند الرّحمن عهداً » وادع به وأنت طاهر تقول :

يا إله الآلهة يا واحد يا أحد يا آخر الآخرين ، يا قاهر القاهرين ، يا عليّ يا عظيم أنت العليّ الأعلى علوت فوق كلّ علوّ ، هذا يا سيّدي عهدي وأنت منجز وعدي فصل يا مولاي وعدي و أنجز وعدي ، آمنت بك و أسألك بحجابك العربيّ وبحجابك العجميّ و بحجابك العبرانيّ وبحجابك السّريانيّ و بحجابك الروميّ وبحجابك الهنديّ واثبت معرفتك بالعناية الأولى فانّك أنت الله لا ترى وأنت بالمنظر الأعلى وأتقرّب إليك برسولك المنذر صلى الله عليه وآله وسلم وبعليّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه الهادي ، وبالحسن السيّد ، و بالحسين الشّهيد سبطي نبيّك ، وبفاطمة البتول ، وبعليّ بن الحسين زين الثفنات ، ومحمّد بن عليّ الباقر عن علمك ، وبجعفر بن محمّد الصّادق الّذي صدّق بميثاقك وميعادك ، وبموسى بن جعفر الحصور القائم بعهدك وبعليّ بن موسى الرّضا الراضي بحكمك ، وبمحمّد بن عليّ الحبر الفاضل المرتضى في المؤمنين ، وبعليّ بن محمّد الأمين المؤتمن هادي المسترشدين ، وبالحسن بن عليّ الطّاهر الزكي خزانة الوصيّين ، وأتقرّب إليك بالامام القائم العدل المنتظر المهدي إمامنا وابن إمامنا صلوات الله عليهم أجمعين ، يا من جلّ فعظم و أهل ذلك فعفى

ورحم ، يامن قدر فلطف أشكو إليك ضعفي وما قصر عنه عملي من توحيدك و كنه معرفتك ، وأتوجّه إليك بالتسمية البيضاء وبالوحدانيّة الكبرى الّتي قصر عنها من أدبر وتولّى و آمنت بحجابك الأعظم و بكلماتك التامّة العليا الّتي خلقت منها دارالبلاء وأحللت من أحببت جنّة المأوى ، آمنت بالسّابقين والصّدّيقين أصحاب اليمين من المؤمنين الّذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ألاّ تولّيني غيرهم ، و لا تفرّق بيني وبينهم غداً إذا قدّمت الرّضا بفصل القضا آمنت بسرّهم وعلانيتهم وخواتيم أعمالهم فانك تختم عليها إذا شئت يا من أتحفني بالاقرار بالوحدانية ، و حباني بمعرفة الرّبوبيّة ، وخلّصني من الشّكّ والعمى ، رضيت بك ربّاً ، وبالأصفياء حججاً وبالمحجوبين أنبياء، وبالرّسل أدلاّء ، وبالمتّقين اُمراء ، وسامعاً لك مطيعاً

هذا آخر العهد المذكور كتب الله تعالى لنا في زمرة المعاهدين المخلصين ، وجعلنا من موالي أوليائه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين واللّعنة على أعدائهم وظالميهم والشّاكين فيهم إلى يوم الدّين .

الترجمة

ازدعاهای آن بزرگوار است:

بار پروردگارا بدرستی که تومونس‌ترین انس گیرندگانی ازبرای دوستان خود ، وحاضرترین ایشان هستی با کفایت کردن حاجتها ازبرای تو کل کنندگان برتو ، مشاهده میفرمائی ایشان‌را دربواطن ایشان ، ومطلع میباشی برایشان درضمایر ایشان ، و میدانی أندازهای بصیرت ایشانرا ، پس أسرار ایشان از برای تو هویدا وآشکار است ، وقلبهای ایشان بسوی تو بی‌قرار، اگرمستوحش کند ایشانرا غربت أزوصل تومونس ایشان گردد ذکرتو ، واگر ریخته شود برایشان مصائب روزگار ملتجی باشند بطلب أمان ازتو بجهت علم ایشان باینکه زمام جمیع کارها بید قدرت تواست ، وصدور آنها ازقضا وقدر تو است

بارخدایا پس اگرعجز برسانم ازسؤال خودم یا متحیر باشم ازطلب حاجت

خودم پس دلالت فرما مرا بمصالح من، وفرا گير قلب مرا بسوى موارد رشد وصلاح من ، پس نيست اين أمر غير معروف أز هدايتهاى تو، ونه عجب از كفايتهاى تو ، بارإلها معامله كن بامن باعفو وبخشش خودت ، ومعامله مفرما بامن باعدل وداد خود .

ومن كلام له عليه السلام وهو المأتان والسادس والعشرون من المختار فى باب الخطب

لِلّهِ بِلادُ فُلانٍ فَقَدْ قَوَّمَ الأوَدَ ، وَداوَى العَمَدَ ، خَلَّفَ الفِتْنَةَ ، وَأقامَ السُّنَّةَ ، ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوبِ ، قَلِيلَ العَيْبِ أصابَ خَيْرَها ، وَسَبَقَ شَرَّها ، أدَّى إلَى اللهِ طاعَتَهُ ، وَاتَّقاهُ بِحَقِّهِ ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ في طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ ، لا يَهْتَدي فِيها الضّالُّ ، وَلا يَسْتَيْقِنُ المُهْتَدي .

اللغة

قوله (لله بلاد فلان) اللّام للاختصاص وهو كلام يقال في معرض المدح مثل قولهم لله درّه ولله أبوه ولله ناديه أى البلاد التي تولّد فيها مثله جديرة بالانتساب إليه تعالى و تكون مخصوصة بـه عزّ وجلّ ، و كذلك الثّدى الذى ارتضع منه ، و الأب الّذى خرج من صلبه ، والمجلس الّذى ربّي فيه و روى لله بلاء فلان أى عمل حسن .

و (اود) الشيء اوداً من باب فرح اعوج و (عمد) البعير عمداً من باب فرح أيضاً انفضح داخل سنامه من ركوب وحمل مع سلامة ظاهره و قوله (اتّقاه بحقّه) قال الطريحى : أى استقبله به فكأنّه جعل دفع حقّه إليه وقاية له من المطالبة

و قوله (وتركهم) في نسخة الشّارح المعتزلي و تركتم بدله بصيغة الخطاب ، والبناء على المفعول .

الاعراب

قوله : لله بلاد فلان تقديم الخبر على المبتدء مبالغة في الحصر والتخصيص ، والباء في قوله : اتّقاه بحقه ، للآلة كما يوضحه ما نقلناه عن الطريحي آنفا ، أى أخذالوقاية منه لنفسه بأداء حقّه واستعانته ، وأمّاماقاله الشّارح المعتزلي من أنّ المراد أنّه اتّقى الله ودلّنا على أنّه اتّقاه بأداء حقّه فأداء الحقّ علة في علمنا بأنّه قداتّقى الله سبحانه فتكلّف بارد ، والواو في جملة وتركهم ، تحتمل العطف والحال وجملة لايهتدى آه مجرورة المحل على أنّها نعت لطرق .

المعنى

اعلم أنّه قد اختلف الشارحون في المشار إليه بهذاالكلام والمكنّى به عنه قال الشّارح المعتزلي : المكنّى عنه عمربن الخطاب ، وقد وجدت النّسخة الّتي بخطّ الرّضي جامع نهج البلاغة وتحت فلان : عمر ، حدّثني بذلك فخاربن معد الموسوى .

وسألت عن النقيب أبا «أبىظ» جعفر يحيى بن أبى زيد العلوى فقال لى: هو عمر، فقلت له أثنى عليه أمير المؤمنين هذا الثناء؟ فقال : نعم ، أمّا الاماميّة فيقولون : إنّ ذلك من التقية واستصلاح أصحابه، وأمّا الصّالحيون من الزّيدية فيقولون: انّه أثنى عليه حقّ الثّناء ولم يضع المدح إلاّ فى موضعه ونصابه ، وأمّا الجاروديّة من الزّيدية فيقولون : إنّه كلام قاله فى أمر عثمان أخرجه مخرج الذّم والتنقص لاعماله كما يمدح الآن الأمير الميّت فى أيّام الأمير الحيّ بعده ، فيكون ذلك تعريضاً به، فقلت له : إلاّ أنّه لايجوز التعريض للحاضر بمدح الماضى إلاّ إذا كان ذلك المدح صدقاً لايخالطه ريب ولا شبهة فاذا اعترف أمير المؤمنين بأنّه أقام السّنة وذهب نقيّ الثوب

قليل العيب وأنّه أدّى إلى الله طاعته واتّقاه بحقّه ، فهذا غاية مايكون من المدح فلم يجبنى بشىء وقال : هوماقلت لك ، قال :

وقال الرّاوندى إنّه عليه السلام مدح بعض أصحابه بحسن السيرة وأنّ الفتنة هى الّذى وقعت بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله من الاختيار والاثرة ، وهذا بعيد ، لأنّ لفظ أمير المؤمنين يشعر إشعاراً ظاهراً بأنّه يمدح والياً ذا رعيّة وسيرة .

ثمّ ذكر الشّارح مؤيّدات اُخرى لكون المراد به عمر إلى أن قال فى آخر كلامه :

وهذه الصّفات إذا تأمّلها المنصف وأماط عن نفسه الهوى علم أنّ أمير المؤمنين لم يعن بها إلاّ عمر لو لم يكن قد روى لنا توفيقاً ونقلا انّ المعنى بها عمر فكيف وقد رويناه عمّن لا يتّهم فى هذا الباب ، انتهى .

وقال الشارح البحرانى : إرادته لأبى بكر أشبه لارادته لعمر ، لما ذكر عليه السلام فى خلافة عمر وذمّها به فى الخطبة المعروفة بالشقشقية ، انتهى .

وأقول : أما ماقاله القطب الراوندى فاستبعاد الشارح المعتزلى له بموقعه ، وكذلك ما زعمه الشارح البحرانى فانه أيضاً بعيد ، وتقريبه له بأنه ذمّ خلافة عمر فى خطبة الشقشقية ، فيه أنه عليه السلام ذمّ هناك خلافة أبى بكر أيضاً حسبما عرفت أيضاً ولو لم يكن فيها إلاّ قوله عليه السلام : فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجى أرى تراثى نهباً ، لكان كافياً فى الطعن والازراء المنافى للمدح والثناء فضلا من المطاعن والمذامّ الواردة عنه عليه السلام فى مقامات اخر فى حقّ الأوّل كالثانى المتجاوزة عن حدّ الاحصاء وطور الاستقصاء .

وأما مازعمه الشارح المعتزلى من أنّ المراد به عمر ومبالغته فيه واستظهاره له بما فصله فى كلامه ، ففيه أنه إن كان هذا الرّجل الجلف هو المراد به و أبقينا الكلام على ظاهره على ماتوهّمه الظاهر من كون عمر أهلا للأوصاف المذكورة لاغير ، كان هذا الكلام مناقضاً صريحاً لما تقدّم عنه فى الخطبة الشقشقية من مثالب

عمر ومعايب خلافته ، فلاحظ المقام وانظر ماذا ترى .

بل كان منافياً لأصول مذهب الامامية رضوان الله عليهم المتلقّى عن أئمّتهم سلام الله عليهم ولأخبارهم المتواترة المأثورة عن أهل بيت العصمة والطّهارة المفصحة عن كفر الأوّل والثّاني كليهما وكونهما منشأ جميع الشّرور والمفاسد والبدعات الجارية في الأمّة المرحومة إلى يوم القيامة .

قال كميت بن زيد الأسدي فيما رواه عنه في البحار من الكافي : دخلت على أبي جعفر عليه السلام قلت : خبّرني عن الرّجلين ، قال : فأخذ الوسادة وكسرها في صدره ثمّ قال : والله يا كميت ما اهريق محجمة من دم وما اخذ مال من غير حلّه وما قلب حجر من حجر إلاّ ذاك في أعناقهما ، ونحوه أخبار كثيرة .

بل المستفاد من بعض الأخبار أنّ جميع الشّرور والمفاسد الواقعة في الدّنيا من ثمرات تلك الشّجرة الخبيثة ، وقد مرّت طائفة منها في شرح الخطبة المأة والخمسين .

فبعد اللّتيا واللّتى فاللاّزم على جعل المكنّي عنه عمر كما زعمه الشّارح هو صرف الجملات الآتية عن ظواهرها المفيدة للمدح والثّناء ، لتطابق اصول الاماميّة وقواعدهم المبنيّة على الذّم والازراء ، وعلى إبقائها على ظواهرها فلابدّ من جعل المكنّى عنه شخصاً آخر له أهليّة الاتّصاف بهذه الأوصاف .

وعليه فلا يبعد أن يكون مراده عليه السلام هو مالك بن الحرث الأشتر ، فلقد بالغ في مدحه وثنائه في غير واحد من كلماته .

مثل ما كتبه إلى أهل مصر حين ولى عليهم مالك حسبما يأتي ذكره في باب الكتب تفصيلا إنشاء الله .

ومثل قوله عليه السلام فيه لما بلغ إليه خبر موته : مالك وما مالك لو كان من جبل لكان فنداً ، ولو كان من حجر لكان صلداً ، عقمت النساء أن يأتين بمثل مالك

بل صرّح في بعض كلماته بأنّه كان له كما كان هو لرسول الله صلى الله عليه وآله ومن هذا

شأنه فالبتّة يكون أهل لأن يتّصف بالأوصاف الآتية بل بمافوقها .

والحاصل أنّه على كون المكنّى عنه عمر لابدّ من تأويل كلامه وجعله من باب الايهام والتّورية على ماجرت عليها عادة أهل البيت عليهم السلام في أغلب المقامات فانّهم لما رأوا من النّاس جمهورهم إلاّ النّادر من خواصّ أصحابهم الافتتان بمحبة صنمي قريش ، وأنّهم اشربوا قلوبهم حبّ العجلين ، وولعوا بعبادة الجبت والطاغوت سلكوا في كلماتهم كثيراً مسلك التّورية والتقيّة حقناً لدمائهم ودماء شيعتهم ، حيث لم يتمكّنوا من إظهار حقيقة الأمر .

ويشهد بذلك مارواه في البحار من الكافي باسناده عن فروة عن أبي جعفر عليه السلام قال : ذاكرته شيئاً من أمرهما فقال : ضربوكم على دم عثمان ثمانين سنة و هم يعلمون أنّه كان ظالماً فكيف يافروة إذا ذكرتم صنميهم .

وفيه من تقريب المعارف لأبي الصّلاح في جملة كلام له قال : ورووا عن بشير بن دراكة النّبال قال: سألت أباجعفر عليه السلام عن أبي بكر وعمر فقال: كهيئة المستهزء به ما تريد من صنمي العرب أنتم تقتلون على دم عثمان بن عفّان فكيف لو أظهرتم البراءة منهما لما ناظروكم طرفة عين

قال و رووا عن أبي الجارود قال : سئل محمّد بن عمر بن الحسن بن عليّ بن أبيطالب عن أبي بكر وعمر فقال : قتلتم منذ ستّين سنة في أن ذكرتم عثمان فوالله لو ذكرتم أبابكر وعمر لكان دماؤكم أحلّ عندهم من دماء السنانير .

بل كثيراً ماكانوا يتكلّمون عليهم السلام بكلمات موهمة للمدح والثّناء مماشاتاً للنّاس ومداراتاً لهم .

مثل ما روى من كتاب المثالب لابن شهر آشوب أنّ الصّادق عليه السلام سئل عن أبي بكر وعمر ، فقال : كانا إمامين قاسطين عادلين كانا على الحقّ ، وماتا عليه ، فرحمة الله عليهما يوم القيامة ، فلمّا خلى المجلس قال له بعض أصحابه : كيف قلت يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : نعم أمّا قولي : كانا إمامين فهو مأخوذ من قوله تعالى

« وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النّار » وأمّا قولي قاسطين فهو من قوله تعالى « وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً » وأمّا قولي : عادلين فهو مأخوذ من قوله تعالى : « والّذين كفروا بربّهم يعدلون » وأمّا قولي : كانا على الحقّ ، فالحقّ علي عليه السلام وقولي : ماتا عليه ، المراد أنّه لم يتوبا عن تظاهرهما عليه ، بل ماتا على ظلمهما إيّاه ، وأمّا قولي : فرحمة الله عليهما يوم القيامة فالمراد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ينتصف له منهما أخذاً من قوله تعالى « وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين » .

و إذا عرفت ذلك فاستمع لما يتلى عليك من وجوه التّورية و التأويل في فقرات كلامه فأقول وبالله التّوفيق والعصمة .

قوله عليه السلام (لله بلاد فلان) وإن كان بظاهره مفيداً للمدح حسبما بعّناه في بيان اللّغة إلاّ أنّه ليس بذلك ، فانّ اللاّم فيه كاللاّم في قوله تعالى « لله ملك السّموات والأرض »

والكناية عن عمر بلفظة فلان مأخوذ من قوله تعالى « يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول ياليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلا ✿ ياويلتي ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلا » فقد فسّر السّبيل في أخبار أهل البيت عليهم السلام بأمير المؤمنين و الظالم بأبي بكر و فلانا بعمر .

قال عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره « ويوم يعضّ الظالم على يديه » قال: الأوّل « يقول ياليتني اتّخذت مع الرّسول سبيلا » قال أبو جعفر عليه السلام يقول :ياليتني اتّخذت مع الرسول عليّاً « ياويلتي ليتني لم اتّخذ فلاناً خليلاً » يعني الثّاني « لقد أضلّني عن الذّكر بعد إذ جائني » يعني الولاية « وكان الشّيطان » وهو الثّاني كان « للانسان خذولا »

وروى مثله عن حمّاد عن حريز عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال « يوم يعضّ الظّالم » الآية يقول الأوّل للثّاني .

وروى عن الرّضا عليه السلام أيضا تفسير الآيتين بالأوّل والثّاني .

وقوله (فقد قوّم الاود) وإن كان ظاهره يدلّ على أنّه أصلح وعدل ما خرج من أُمور المسلمين عن حدّ الاعتدال وانحرف عن السّداد ، لكن المقصود بترويجه

للاعوجاج من قولهم : قامت السّوق أى نفقت وراجت ، فانّ عمر لعدوله عن الصّراط المستقيم الذى هو صراط أمير المؤمنين وغصبه للخلافة قد روّج العوج عن الدّين والانحراف عن نهج الشّرع المبين .

ويوضح ذلك مارواه في الطرايف عن قتادة عن الحسن البصرى قال : كان يقرء هذا الحرف صراط عليّ مستقيم ، فقلت للحسن: مامعناه ؟ قال : يقول : هذا طريق عليّ بن أبيطالب ودينه طريق ودين مستقيم فاتّبعوه وتمسّكوا به فانه واضح لاعوج فيه

وعلى إبقاء تقويم الاود على ظاهره فلا ملازمة له لمدح عمر أيضا لأنّ تقويم اعوجاج الناس ونظم أمر الرّعية إنما يكون ممدوحاً شرعاً إذا كان جاريا على وفق القوانين الشرعية ، وأما إذا لم يجر عليها كما هو رسم الجبابرة وسلاطين الجور فلا

كمايشير إلى ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام في الكلام الثامن و الستّين مخاطبا لأهل الكوفة ، و إني لعالم بما يصلحكم و يقيم اودكم ولكنّي لا أرى إصلاحكم بافساد نفسي

ولقدكان عمدة نظر عمر فى أحكامه وسياساته إلى نظم أمر خلافته و استحكام أركان رياسته وإن كان مخالفا لقانون الشرع .

كما يشهد بذلك ما روتـه الخاصة و العامة من تسوّره حايط بيت الرّجل الذي اتّهمه بشرب الخمر حتى اعترض عليه صاحب البيت بقوله : إن كنت أخطأتُ في واحدة فقد أخطأتَ فى ثلاث قال الله « ولاتجسّسوا » وقد تجسّست وقال «وأتوا البيوت من أبوابها » وقد تسوّرت و قال « إذا دخلتم بيوتا فسلّموا » وما سلّمت ، على ما تقدّم تفصيلا فى شرح الفصل الثانى من الخطبة الثالثة وغير ذلك مما رووا من سيره المخالفة للشريعة ، و قد ذكر الشارح المعتزلى شطراً منها فى شرح هذا الكلام .

وقوله (وداوى العمد) ظاهره أنه أصلح مافسد من الاُمور وخرج عن الصّحة

والسداد بمعالجات تدابيره ، و باطنه أنه عالج مرضه القلبي الذي كان عليه ، فقد استعير العمد الذي هو عبارة عن انشداخ سنام البعير لمرض القلب كما يستعار لمرض العشق يقال : فلان عميد القلب ومعمود ، قال قيس العامري في قصيدة عشقية مشحونة بأبيات العشق والمحبة .

يلومونني في حبّ ليلى عواذل و لكنّني من حبّها لعميد

والجامع بين المستعار منه والمستعار له كون كلّ منهما موجبا للآلام والأذى والمرض الذى كان في قلب عمر هو المرض المزمن والداء الدّوى أعني مرض الشك والنفاق ومعاداة النبيّ والوصيّ عليهما السلام فان قيح عداوتهما لاسيما عداوة أمير المؤمنين عليه السلام و بغضه كان يغلى في صدره كغلى القيح في سنام البعير لا يكاد يندمل حتى مضى النبي صلى الله عليه وآله إلى لقاء ربّه ، فعالج مرضه وداوى عمده بما مهّده في نفسه من صرف الخلافة عن أهل بيته و تغيير وصيته و إحراق بيت ابنته ، و تبديل قوانين شريعته ، فنال ما أبطن في قلبه وبلغ غاية المراد ومنتهى المرام .

وإلى هذا المرض اشير في قوله تعالى « ومن الناس من يقول آمنّا بالله واليوم الآخر وماهم بمؤمنين ✿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون ✿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون »

قال أمين الاسلام الطبرسي : المراد بالمرض في الآية الشكّ والنفاق بلاخلاف و إنما سمّي الشكّ في الدّين مرضاً لأنّ المرض هو الخروج عن حدّ الاعتدال ، فالبدن مالم تصبه آفة يكون صحيحاً سوياً و كذلك القلب مالم يصبه آفة من الشكّ يكون صحيحا ، وقيل : أصل المرض الفتور فهو في القلب فتوره عن الحقّ كما أنه في البدن فتور الأعضاء

و قال في الصافي : قوله تعالى « ومن الناس من يقول »الآية أقول : كابن أبيّ وأصحابه و كالأوّل والثاني و أضرابهما من المنافقين الذين زادوا على الكفر الموجب للختم و الغشاوة النفاق و لا سيّما عند نصب أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة والامامة .

وقال أيضاً قوله « في قلوبهم مرض » قيل : نفاق وشكّ وذلك لأنّ قلوبهم كانت تغلي على النّبيّ والوصيّ والمؤمنين حقداً وحسداً ، وفي تنكير المرض وايراد الجملة ظرفيّة إشارة إلى استقراره ورسوخه وإلاّ لقال مرض قلوبهم .

وقوله عليه السلام (أقام السّنة) ظاهره إقامته لسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وطريقته قولاً وفعلاً وتقريراً ولكنّه تورية عن السّنن العمرية وهي بدعاته وأحداثه الّتي سنّها قبال سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بمقتضى أهوائه الفاسدة

مثل تحريم المتعتين ، والعول في الفرايض ، وصلاة الضّحى وصلاة التراويح وهي فعل نوافل شهر رمضان بالجماعة ، ووضع الخراج على سواد العراق ، وترتيب الجزية ، و إسقاط حيّ على خير العمل من الأذان بايهامه أنّ هذه الكلمة تدعو النّاس إلى ترك الجهاد لأنّهم يزعمون إنّ الصّلاة أفضل من ساير الأعمال ولكنّ الدّاعي الحقيقي له إلى الاسقاط غير ذلك .

وهو ما ورد في رواية الصّادق عليه السلام من أنّ عمر سمع من النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ خير العمل هو ولاية عليّ بن أبيطالب فموّه على النّاس في تركه حتّى يترك ، إلى غير هذه ممّا مرّ في رواية الرّوضة المتقدّمة في شرح الخطبة الخمسين فليراجع هناك، وذكر شطراً منها الشارح المعتزلي في شرح هذا الكلام .

و قوله عليه السلام (وخلّف الفتنة) قال الشارح البحراني: تخليفه للفتنة موته قبلها ووجه كون ذلك مدحاً له هو اعتبار عدم وقوعها بسببه وفي زمنه لحسن تدبيره .

وأقول : هذا ظاهره وباطنه من أمض الذّم فانّه تورية عن توريثه الفتنة العظيمة الّتي انشعبت منها جميع الفتن وهي فتنة الشّورى كما صرّح به الشّارح المعتزلي أيضا في شرح الكلام المأتين و الرّابع حسبما حكينا عنه هناك حيث قال : إنّ ما فعله عمر من أمر الشّورى سبب كلّ فتنة وقع ويقع إلى أن تنقضي الدّنيا .

وتوضيحه أنّ عمر لو لم يجعل الخلافة شورى بين السّتّة لما أفضى الأمر إلى عثمان ولم تقع فتنة قتله حتّى يكون الطلب بدمه عنواناً لوقعة صفّين وفتن بني امية

الشوهاء المظلمة و لوقعة البصرة و خروج الخاطئة المشار إليهـا في قولـه تعالى « أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يريها » وفي قوله « وما جعلنا الرّؤيا الّتي أريناك إلاّ فتنة للنّاس و الشّجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً » .

ثمّ من التحكيم في صفّين نشأت فتنة المارقين وخروجهم إلى أن انجرّ إلى شهادة أمير المؤمنين واستيلاء معاوية على البلاد وإهراقه للدّماء واستحلاله للأموال وفشت المعاداة بين بني هاشم و بني اميّة حتّى انتهت إلى الرّزء الجليل و المصيبة العظمى والدّاهية الدّهياء المحرقة قلوب الشّيعة إلى يوم القيامة وهى وقعة الطّف و شهادة الحسين عليه السلام و أصحابه ، بل النّار الموقدة في الطّف لاحراق خيام آل الرّسول من قبسات النّار الّتى أوقدها عمر لاحراق باب فاطمة سلام الله عليها .

وبالجملة فجميع هذه الفتن من ثمرات الشجرة الخبيثة الّتى غرسها عمر .

قال العلاّمة الحلّى فى كتاب نهج الحقّ : روى البلادري قال : لمّا قتل الحسين كتب عبدالله بن عمر إلى يزيد بن معاوية لعنة الله عليهما وعلى أبيهما : أمّا بعد فقد عظمت الرّزية وجلّت المصيبة وحدث فى الاسلام حدث عظيم ولا يوم كيوم الحسين

فكتب إليه يزيد : أمّا بعد يا أحمق فاننا جئنا إلى بيوت مجدّدة و فرش ممهّدة ووسايد منضّدة فقاتلنا عنها ، فان يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا ، و إن كان الحقّ لغيرنا فأبوك أوّل من سنّ وابتزّ واستأثر بالحقّ على أهله .

وقوله عليه السلام (ذهب نقىّ الثوب) قال الشارح البحرانى استعار الثوب لعرضه ونقاه لسلامته عن دنس المذام .

وأقول: ربما يفرق بين النقى والتقى بأنّ التقى بالتاء من حسن ظاهره والنقى من حسن باطنه فيكون فى اضافـة النقى إلى الثوب تورية لطيفة عن أنّ اتّصافه بالنقاوة والنزاهة إنما كان بحسب ظاهره فقط ، وأما فى الباطن فقد كان مدنساً بأدناس

الجاهليّة وأقذار الشّك والنّفاق والحقد والحسد والسّخيمة لكونه رئيس المنافقين الّذين يظهرون بأفعالهم ويقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون وقد وصفهم عليه السلام في الخطبة المأة والثالثة والتسعين بهذا الوصف أى بحسن الظاهر وخبث الباطن حيث قال في تعداد صفاتهم : قلوبهم رديّة وصفاحهم نقيّة .

وقوله عليه السلام (قليل العيب) أراد به قلّة عيوبه الظاهرة بالاضافة إلى العيوب الكثيرة الّتي فى عثمان لأخذه بظاهر أحكام الشّريعة تخديعا للنّاس وللتّزوير والحيلة ، وأمّا فى الباطن فقد كان غريقاً فى بحر العيوب مغموراً فى تيّار الآثام و الذّنوب حسبما أشرنا ونشير إليه .

وقوله عليه السلام (أصاب خيرها وسبق شرّها)قال البحرانى أصاب ما فى الخلافة من الخير المطلوب و هو العدل و إقامة دين الله الّذى به يكون الثّواب الجزيل فى الآخرة والشّرف الجزيل فى الدّنيا ، وسبق شرّها أى مات قبل وقوع الفتنة فيها وسفك الدّماء لأجلها .

وأقول : بل المراد به أنّه نال خير الخلافة ولذّة الرّياسة بما مهّده له أبو بكر من بساطها وصيّرها له من دون معارض ومصادم ،فانقاد له الكلّ وأسلم له الجميع طوعاً وكرهاً و حصلت له الرّياسة العامة وفتح الأمصار ونفاذ الأحكام فى الأصقاع والبلدان كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد .

و المراد بسبقه الشّر الشّرور و المفاسد والفتن التى ظهرت فى زمن عثمان عليه اللعنة والنيران من حمله بنى اميّة ومروان على رقاب الناس وخضمهم مال الله خضم الابل نبتة الرّبيع حسبما عرفت تفصيلا فى الخطبة الشقشقية وشرحها إلى أن انجرّ الأمر إلى قتله وهلاكه، وظهرت فى خلافة أمير المؤمنين سلام الله عليه وآله أجمعين من الناكثين والقاسطين والمارقين لعنة الله عليهم ملاء السماوات والأرضين وقد عرفت فى شرح قوله : وخلف الفتنة أنّ جميع هذه الشرور والمفاسد من بركة البرامكة وثمرات الشجرة الخبيثة التى غرسها عمر .

وقوله عليه السلام (أدّى إلى الله طاعته واتّقاه بحقّه) أراد به مواظبته على مراسم الطاعة والتقوى وسلوكه مسالك الزهد والعبادة ، ولقد كان مجدّاً فيها ظاهراً لما نذكره من النكتة ، وأمّا في الباطن فلم يرفع يده كصاحبه عن الكفر وعبادة الصنم إلى أن مضى إلى سبيله .

و يشهد به مارواه في البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين في حديث طويل يذكر فيه شجاعته ونصرته لرسول الله صلّى الله عليه وآله وجبن الثلاثة و رعبهم عند الكريهة والقتال وساق الحديث إلى أن قال :

ولقد ناداه ابن عبدود باسمه يوم الخندق فحاد عنه ولاذ بأصحابه حتّى تبسّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لما رأى به من الرّعب، وقال : أين حبيبي علىّ تقدّم ياحبيبي يا عليّ ولقد قال لأصحابه الأربعة أصحاب الكتاب : الرّأى والله أن ندفع محمّداً برمّته ونسلم من ذلك حين جاء العدوّ من فوقنا ومن تحتنا كما قال الله تعالى « وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وظنّوا بالله الظنّونا ✩ وقال المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلّاغروراً » فقال صاحبه لا ولكن نتّخذ صنماً عظيماً نعبده لأنّالانأمن أن يظفر ابن أبي كبشة فيكون هلاكنا ، ولكن يكون هذا الصّنم لنا ذخراً ، فان ظهرت قريش أظهرنا عبادة هذا الصنم وأعلمناهم أنّا لن نفارق ديننا ، وإن رجعت دولة ابن أبي كبشة كنا مقيمين على عبادة هذا الصنم و أعلمناهم أنا لن نفارق سرّاً ، فنزل جبرئيل فأخبر النّبي صلّى الله عليه وآله بذلك، ثمّ خبّرني به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد عمرو بن عبدود، فدعاهما فقال : كم صنم عبدتما في الجاهلية؟ فقالا: يا محمّد لاتعيّرنا بمامضى في الجاهليّة ، فقال : فكم صنم تعبدا وقتكما هذا ؟ فقالا : والذى بعثك بالحقّ نبيّا ما نعبد إلاّ الله منذ أظهرنا لك من دينك ما أظهرنا ، فقال : ياعليّ خذ هذا السّيف فانطلق إلى موضع كذا و كذا فاستخرج الصنم الذي يعبدانه فاهشمه فان حال بينك وبينه أحد فاضرب عنقه ، فانكبّا على رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالا : استرنا سترك الله ، فقلت أنا لهما أضمنا لله و لرسوله ألاّ تعبدا إلاّ الله ولا تشركا به شيئاً ، فعاهدا رسول الله صلّى الله عليه وآله على هذا ،

وانطلقت حتّى استخرجت الصنم من موضعه وكسرت وجهه ويديه وجزمت رجليه ثمّ انصرفت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوالله لقد عرفت ذلك في وجههما حتّى ماتا

ويشعر بما قلناه ما رواه العياشى عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى « الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات اُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » انه قال فأعداء عليّ أمير المؤمنين هم الخالدون في النار وإن كانوا فى أديانهم على غاية الورع والزّهد والعبادة .

إلى غير هذه من الرّوايات التى لا نطيل بذكرها المفيدة لكون عبادة هذا الرّجل لله وزهده ورياضته تزويراً ورياء وسمعة ، بل الدلالة على أنه أبطن الكفر وأظهر الاسلام وصلة بذلك إلى رياسة المسلمين والسلطنة عليهم وإلى ما أضمره فى قلبه من هدم أساس الدين وتخريب سوارى اليقين ضمناً بقدر الامكان والتمكن وإلى صرف الناس واضلالهم عن الصراط المستقيم والمنهج القويم .

فانه لولم يسلك مسلك العبادة والرّياضة والزهد والقشف والضيق على نفسه والتوسعة على غيره وترك اللذات والشهوات رأساً لم يتمكّن من ذلك كما لم يتمكّن عثمان منه لعدم سلوكه هذا المسلك.

و قد صرّح نفسه بهذه النكتة و أظهر هذا السر إلى بطانته المشارك لـه فى الكفر والالحاد اللعين بن اللعين معاوية بن أبى سفيان فى العهد الطويل الذى رواه أصحابنا فى مؤلفاتهم

و هو العهد الذى أخرجه يزيد الملعون من خزانته وأبرزه لعبدالله بن عمر الملعونين لما جاء إلى الشام مستصرخا فى دم الحسين عليه السلام وثا ئراً فيه، فسكّته بذلك العهد الذى كان بخطّ أبيه عمر

فانــه بعد ما كتب فيه إلى معاوية صريحا كفره وإلحاده وبقاءه على عبادة اللاّت والعزّى و تكذيبه للرّسول صلى الله عليه وآله وماجاء به ونسبته له إلى السحر وأبرز عداوته المكنونة له صلى الله عليه وآله وسلم وآله وشرح صرفه الخلافة بتدبيراته و حيله عن وصيّه كتب فيه ما عين لفظه:

فبطل سحره ـ يعني سحر محمد ﷺ ـ وخاب سعيه وعلاها أبو بكر وعلوتها بعده وأرجو أن تكونوا معاشر بني امية عيدان أطنابها ، فمن ذلك قد وليتك وقلدتك اباحة ملكها ، وعرفتك فيها وخالفت قوله فيكم ، وما ابالي من تعريف شعره ونثره أنه قال يوحى إلي منزل من ربي في قوله : والشجرة الملعونة في القرآن فزعم أنها أنتم يابني امية فبين عداوته حيث ملك كما لم يزل هاشم وبنوه أعداء بني عبد شمس و أنا مع تذكيري إياك يا معاوية وشرحي لك ما قد شرحته ناصح لك ومشفق عليك من ضيق عطنك وحرج صدرك وقلة حلمك أن تعجل فيما وصيتك به ومكنتك منه من شريعة محمد وأمته أن تبدي لهم مطالبته بطعن أو شماتة بموت أو رداً عليه فيما أتى به أو استصغاراً لما أتى به فتكون من الهالكين ، فتخفض ما رفعت و تهدم ما بنيت ، و احذر كل الحذر حيث دخلت على محمد مسجده ومنبره وصدق محمداً في كل ما أتى به و أورده ظاهراً ، وأظهر التحرز والواقعة في رعيتك وأوسعهم حلماً وأعمهم بروايح العطايا ، وعليك باقامة الحدود فيهم وتضعيف الجناية منهم ، لسبا محمد من مالك ورزقك ولا ترهم أنك تدع لله حقاً ولا تنقص فرضاً ولا تغير لمحمد سنة فتفسد علينا الأمة بل خذهم من مأمنهم و اقتلهم بأيديهم وأبدهم بسيوفهم وتطاولهم ولا تناجزهم ،ولن لهم ولا تبخس عليهم ، وافسح لهم في مجلسك وشرفهم في مقعدك ، و توصل إلى قتلهم برئيسهم و أظهر البشر والبشاشة ، بل اكظم غيظك ، و اعف عنهم يحبوك و يطيعوك ، فما آمن علينا و عليك ثورة علي وشبليه الحسن والحسين ، فان أمكنك في عدة من الأمة فبادر ولا تقنع بصغار الأمور ، و اقصد بعظيمها واحفظ وصيتي اليك وعهدي واخفه ولا تبده ، وامتثل أمري ونهيي ، وانهض بطاعتي وإياك والخلاف علي واسلك طريق أسلافك. واطلب بثارك واقتص آثارهم فقد أخرجت إليك بسري وجهري ، وشفعت هذا بقولي:

معاوي إن القوم جلت أمورهم ... بدعوة من عم البرية بالوتر

صبوت إلى دين لهم فأرابني ... فأبعد بدين قد قصمت من ظهري

إلى أن قال :

توسل إلى التخليط في الملّة التي أتانا به الماضي والمموّه بالسحر
و طالب بأحقاد مضت لك مظهراً لعله دين عمّ كلّ بنى النفر
فلست تنال الثار الابد منّهم فتقتل بسيف القوم جند بنى عمر

فقد تحصّل بما ذكرناكلّه أنّ طاعة الرّجل ورياضته وتضييقه على نفسه وتوفيره الفيء والغنايم على غيره لم يكن إلاّ خديعة ومكيدة وإطفاءً لنورالله وهدماً لأساس الاسلام وإغواءً للمسلمين .

كالشيطان الذي أراد إضلال عابد بني إسرائيل وإغواءه فتقرّب إليه من جهة البرّ والعبادة لما يئس من ساير العبادات فانطلق إلى منزله فأقام حذاءه يصلّى وكان العابد ينام والشّيطان لاينام ، وهو يستريح والشيطان لايستريح ، فتحوّل إليه العابد وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله ، فقال يا عبدالله بأيّ شيء قويت على هذه الصّلاة ، فلم يجبه ، ثمّ عاد إليه فلم يجبه ، ثم عاد إليه فقال : إنّي أذنبت ذنباً وأنا تائب منه فاذا ذكرت الذّنب قويت عليها ، فاغترّ العابد المسكين بما أتى به من الصّلاة على أن يأتي بفاحشة ويتوب منها فتوصّل بكثر صلاته إلى إضلاله .

و هكذا كان حال الاعرابي الجلف فمثله كما قال الله تعالى « و من النّاس من يقول آمنّا بالله و باليوم الآخر وماهم بمؤمنين ✿ يخادعون الله والّذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم و مايشعرون ـ إلى قوله ـ و إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم انّما نحن مستهزؤن ✿ الله يستهزء بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون » هذا .

و قوله (رحل و تركهم في طرق متشعّبة لايهتدى فيها الضّال و لا يستيقن المهتدى) قال الشارح البحراني : إنّ المراد رحيله إلى الآخرة تاركاً للناس بعده في طرق متشعّبة من الجهات لا يهتدى فيها من ضلّ عن سبيل الله ، و لا يستيقن المهتدي في سبيل الله انّه على سبيله ، لاختلاف طرق الضّلال و كثرة المخالف له إليها .

أقول : هذا ظاهر معنى الكلام و أمّا باطنه فهو أنّ الأعرابي الجلف رحل عن الدّنيا وترك النّاس حيارى وأوقعهم بما أبدعه من سننه وسيره وبدعاته و حيله و مكايده و تمويهاته في الفتنة والضّلال و الخزي و النكال ، لاسيّما ما قرّره من الشّورى وجعلها بين السّتة أوجب تفرّق النّاس عن الصّراط المستقيم أيادي سبا وأيدي سبا .

فمنهم من قدكان اشرب قلبه حبّ الشيخين واستحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربّه فضلّ عن السّبيل المقيم وهوى أسفل درك الجحيم .

ومنهم من كان طالباً للهداية إلاّ أنّه نظر إلى اختلاف طرق الضّلال والهدى وكثرة السالكين إلى الاُولى وقلّتها إلى الاُخرى فبقى تائها متحيّراً بين السّبيلين فلم يتمكّن من تحصيل السّبيل ورفع الشك والتّحير من البين كما أشار إلى ذلك في الخطبة الخمسين بقوله :

إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولّى عليها رجال رجالا على غير دين الله ، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين ، ولكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فهنالك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الّذين سبقت لهم من الله الحسنى

و الحاصل أنّ عمر بتلبيسه الحقّ بالباطل والباطل بالحقّ وخلطه الصّالح بالسّيء وايقاعه الاشتباه بينهما أوقع النّاس في الشّك و الضّلال خصوصاً جعله أمير المؤمنين وباب علم النّبيين قريناً للخمسة الالواد ، وترشيحه كلاّ منهم بأهليّة الخلافة ألقى التفرقة بين الامّة وشقّ عصا الجماعة واختلف بذلك الآراء و تشتّت الأهواء وتشعّب الطّرق وتفرّقت السبل .

ويدلّ على ذلك صريحاً مانقله العلامة الحلّي في كتاب نهج الحقّ من كتاب العقد لابن عبد ربّه أنّ معاوية قال لابن أبي الحصين: أخبرني ما الّذي شتّت أمر

المسلمين و جماعتهم و فرّق ملأهم و خالف بينهم ؟ فقال : قتل عثمان ، قال : ما صنعت شيئاً قال : فسير علي عليه السلام إليك قال ماصنعت شيئاً قال : ما عندي غيرهذا يا أميرالمؤمنين فقال : فأنا اخبرك أنّه لم يشتّت بين المسلمين ولافرّق أهواءهم إلاّ الشّورى الّتي جعلها عمر في ستّة .

ثمّ فسّر معاوية ذلك في آخر الحديث فقال : لم يكن من الستّة رجل إلاّ رجاها لنفسه و رجاها لقومه و تطلّعت إلى ذلك أنفسهم ولوأنّ عمر استخلف كما استخلف أبوبكر ما كان في ذلك اختلاف ، انتهى .

فقد تحصّل بما ذكرنا كلّه أنّ المراد بتركه لهم في طرق متشعّبة اثارته الفتنة العامة بين المسلمين والضلالة العمياء التي لم ينج منها أحد الاّ المخلَصين فانّ عباد الله المخلَصين ليس له سلطان عليهم كأخيه الشيطان اللعين وإنما سلطانه على الذين يتولّونه و هم به مقتدون ، وهو الهادى و أنّهم المهتدون ، لعنه الله و من تبعه من الملعونين المردودين .

تنبيهان : الاول

اعلم أنّ الشارح المعتزلي قد أطال الكلام في شرح هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام وذكر من مناقب عمر على زعمه و مثالبه ومطاعنه والأخبار العامية الواردة في شأنه ومن سيره وأخلاقه و كلماته فصلا طويلا أورث الاطناب المملّ للمناظرين حتى صار شرح هذا الكلام مجلّداً منفرداً من مجلّدات شرحه للنهج و هو المجلّد الثاني عشر منه .

ولما رأيت أنّ نقل ما أتى به و جرحه والاعتراض عليه حسبما جرت عليه عادتنا في الشرح يحتاج إلى مجلّد مستقلّ و بسط بسيط يشمئزّ منه الطباع و يملّ الأذهان طوينا عن التعرّض له كشحا ولكنّي أقول إجمالا :

أما سير عمر وأخلاقه وأطواره فالعمر أعزّ وأنفس من أن يصرف إلى ذكرها ويضيع في بيان مثلها .

و أمّا مطاعنه و مثالبه فهي صحيحة لا ريب فيها و أجوبة قاضي القضاة عنها مندفعة بما اعترض به المرتضى عليها في الشافي حسبما حكاه تفصيلا .

وأمّا مناقشة الشّارح في بعض تلك الاعتراضات فقد رواها العلامة المجلسي «ره» في مجلّد الفتن من البحار ولا حاجة لنا إلى نقلها ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع إلى محالّه الّتي نبّهنا عليها .

وأمّا الأحاديث الّتي رواها في فضل عمر موضوعة مجهولة مجعولة، وآثار الوضع عليها ظاهرة واضحة وقد مرّ الاشارة إلى بعضها في شرح الكلام المأتين و التاسع

نعم قد ذكر الشارح في تضاعيف كلامه في المقام أخباراً عاميّة صريحة في حقيّة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وبطلان خلافة غيره ، واتبعها بكلام طويل جرى بينه وبين النّقيب أبي جعفر وهو كلام لطيف كاشف عن سوءآت عمر وفضايحه وعن كفره ونفاقه وكونه في مقام الاعتراض على مايقوله رسول الله صلى الله عليه وآله والمعارضة له وعن أنّ عمدة نظره فيما أسّسه وأتى به إنّما كانت إلى حبّ السلطنة والرّياسة لا الاشفاق على الاسلام و الامّة كما يزعمه العامّة ، فأحببت نقل هذا الكلام على طوله لأنّه من لسان من هواه مع عمر أثبت وأقوى وألذّ وأحلى فأقول :

قال الشّارح بعد ماذكر طائفة من الأخبار الدّالة على خلافة أمير المؤمنين ماهذا لفظه:

سألت النّقيب أبي «أباظ» جعفر يحيى بن محمّد بن أبي زيد وقد قرأت عليه هذه الأخبار فقلت له : ما أراها إلاّ تكاد تكون دالّة على النّص ولكنّي أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نصّ رسول الله على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة على ردّ نصّه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدّين

فقال : أبيت إلاّ ميلا إلى المعتزلة .

ثمّ قال : إنّ القوم لم يكونوا يذهبون إلى أنّها من معالم الدّين وانّها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصّلاة والصّوم ولكنّهم كانوا يجرونها مجرى الأمور

الدّنيويّة مثل تأمير الأمراء وتدبير الحروب وسياسة الرّعية وما كانوا بهذا الأمر و أمثال هذا من مخالفة نصوصه صلى الله عليه وآله إذا رأوا المصلحة في غيرها ألا تراه كيف نصّ على إخراج أبي بكر وعمر في جيش اسامة ولم يخرجا لمـا رأيا أنّ في مقامهما مصلحة لله وله صلى الله عليه وآله وللملّة وحفظاً للبيضة ودفعاً للفتنة .

و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخالف و هو حيّ في أمثال ذلك فلا ينكره ولا يرى به بأساً .

ألست تعلم أنّه نزل في غزوة بدر منزلا على أن يحارب قريشاً فيه فخالفته الأنصار وقالت له : ليس الرأى في نزولك هذا المنزل فاتركه وأنزل في منزل كذا فرجع إلي آرائهم .

وهو الّذي قال للأنصار عام قدم إلى المدينة : لا تو بروا النّخل، فعملوا على قوله فخاست نخلهم في تلك السّنة ولم تثمر حتّى قال لهم أنتم أعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينكم

و هو الذى أخذ الفداء من اسارى بدر فخالفه عمر فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلص الاسارى و رجعوا إلى مكّة .

وهو الّذي أراد أن يصالح الأحزاب على ثلث تمر المدينة فرجعوا عنه فأتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وخالفاه فرجع إلى قولهما .

و قد كان قال صلى الله عليه وآله لأبي هريرة : اخرج فناد في الناس من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنّة ، فأخبر أبو هريرة عمر بذلك فدفعه في صدره حتى وقع على الأرض فقال : لا تقلها فانّك إن تقلها يتكلوا عليها ويدعوا العمل فأخبر أبوهريرة رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال : لا تقلها وخلّهم يعملون فرجع إلى قول عمر .

و قد أطبقت الصّحابة إطباقا واحداً على ترك كثير من النصوص لما رأوا المصلحة في ذلك كاسقاطهم سهم ذوى القربى وإسقاطهم سهم المؤلفة قلوبهم و هذان الأمران أدخل في باب الدّين منهما في باب الدّنيا .

وقد عملوا بآرائهم أموراً لم يكن لها ذكر في السنّة، كحدّ الخمر فانهم عملوه اجتهاداً و لم يحدّ رسول الله صلى الله عليه وآله شاربي الخمر وقد شربها الجمّ الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم، ولقد كان أوصاهم في مرضه أن اخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتّى مضى صدر من خلافة عمر و عملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك واستصلاحهم، وهم الّذين هدموا المسجد بمدينة و حوّلوا المقام بمكّة وعملوا بمقتضى مايغلب في ظنونهم من المصلحة ولم يقفوا مع موارد النّص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجّح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة وصار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة.

قال النقيب: و اكثر ماكانوا يعملون بآرائهم فيمايجرى مجرى الولايات والتأمير والتدمير وتقرير قواعد الدّولة وماكانوا يقفون مع نصوص رسول الله صلى الله عليه وآله و تدبيراته اذا رأوا المصلحة في خلافها، كانهم يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظاً و لأنهم كانوا يفهمونه من قراين أحواله وتقدير ذلك القيد افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة.

فأما مخالفتهم فيما هو محض الشرع والدّين وليس بمتعلق بأمور الدّنيا، فانه يقل جدّاً نحو أن يقول: الوضوء شرط في الصلاة، فيجمعوا على ردّ ذلك ويجيزوا الصلاة من غير وضوء، أو يقول: صوم شهر رمضان واجب، فيطبقوا على مخالفة ذلك ويجعلوه شوالا عوضاً عنه، فانه بعيد إذ لاغرض لهم فيه ولايقدرون على اظهار مصلحة عثروا عليها خفيت عنه صلى الله عليه وآله

و القوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنّ العرب لاتطيع علياً، فبعضها للحسد، وبعضها للوتر و الثار، و بعضها لاستحداثهم سنه عليه السلام، وبعضها لاستطالته عليهم ورفعه عنهم، وبعضها كراهية اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد، وبعضها للخوف من شدة وطئه وشدته في دين الله، وبعضها الرجاء تداول قبايل العرب الخلافة اذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه فيكون رجاء كل حيّ لوصولهم إليها ثابتاً

مستمرّاً، وبعضها يبغضه لبغضهم من قرابته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم المنافقون من النّاس ومن في قلبه زيغ من أمر النّبوة.

فأصفق الكلّ اصفاقاً واحداً على صرف الأمر لغيره، فقال رؤساؤهم بانّا خفنا الفتنة وعلمنا أنّ العرب لاتطيعه وتتركه وتأوّلوا عند أنفسهم النّص وقالوا إنّه النّص ولكن الحاضر يرى مالايرى الغايب والغايب قديترك لأجل المصلحة الكليّة.

و أعانهم إلى ذلك مسارعة الأنصار إلى ادّعائهم الأمر و إخراجهم سعد بن عبادة من بيته وهومريض لينصبوه خليفة فيما زعموا، واختلط النّاس و كثر الخبط وكادت الفتنة أن يضطرم نارها فوثب رؤساء المهاجرين وبايعوا أبابكر وكانت فلتة كما قال قائلهم وزعموا أنّهم أطفأوا نائرة الأنصار.

فمن سكت من المسلمين واغضى ولم يتعرض فقد كفاهم أمر نفسه، و من قال سرّاً أوجهراً أو فلاناً قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكره أونصّ عليه أوأشار إليه أسكتوه في الجواب بأنّا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة.

و اعتذروا عنده ببعض ما تقدّم، إما أنّه حديث السّن، أو تبغّضه للعرب لأنّه وترها و سفك دماءها، أو لأنّه صاحب زهووتيه، أو كيف يجتمع الخلافة والنبوّة في غرس واحد.

بل قد قالوا في العذر ما هوأقوى منها وآكد قالوا: أبوبكر أقوى على هذا الأمر منه لاسيّما وعمر يعضده ويساعده والعرب يحبّ أبابكر ويعجبها لينه و رفقه وهوشيخ مجرّب للأمور لايحسده أحد ولا يحقد عليه أحد ولايبغضه أحد، و ليس بذي شرف في النسب فيشمخ على النّاس بشرفه، ولاذي قربى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيدلّ بقربه ودع ذا كلّه فانّه فضل مستغنى عنه.

قالوا: لو نصبنا عليّاً ارتدّ النّاس عن الاسلام وعادت الجاهليّة كماكانت فأيّما أصلح في الدّين الوقوف مع النّص المفضى إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهلية؟ أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الاسلام واستدامة العمل بالدّين وإن

كان فيه مخالفة النّص؟

قال : وسكت النّاس عن الانكار لأنّهم كانوا متفرّقين .

فمنهم من هو مبغض شاني‌ء لعليّ فالذى ثمّ من صرف الأمر عنه قرّة عينه وبرد فؤاده .

و منهم ذوالدّين وصحّة اليقين إلاّ أنّه لما رأى كبراء الصحابة قد اتّفقوا على صرف الأمر عنه ظنّ أنهم إنما فعلوا ذلك خلاف النصّ من رسول الله بنسخ ماقدكان سمعه من النصّ على أمير المؤمنين لاسيما مارواه أبوبكر من قول النّبي ﷺ الأئمة من قريش ، فانّ كثيراً من الناس توهموا أنه ما ينسخ النصّ الخاص وأنّ معنى الخبر أنكم مجازون في نصب إمام من قريش من أىّ بطون قريش كان فانه يكون إماماً ·

واكد أيضا في نفوسهم رفض النصّ الخاصّ ماسمعوه من قول رسول الله ﷺ ماروا‌ه«ر آه‌ظ» المسلمون حسنا فهو عندالله حسن ، وقوله: سألت الله أن لايجمع امتي على ضلال فأعطانيها فأحسنوا الظنّ بعاقدى البيعة وقالوا: هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله ﷺ من كلّ أحد فأمسكوا و كفّوا عن الانكار .

و منهم فرقة اُخرى و هم أكثرون الأعراب و جفاة طغام أتباع كلّ ناعق يميلون مع كل ريح ، فهؤلاء مقلّدون لايسألون ولاينكرون ولايبحثون و هم مع امرائهم وولاتهم لو أسقطوا عنهم الصّلاة الواجبة لتركوها .

فلذلك محق النصّ وخفى ودرس وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبي بكر .

وقواها زيادة على ذلك اشتغال عليّ و بني هاشم برسول الله ﷺ واغلاق بابهم عليهم و تخليتهم الناس يعملون ماشاؤوا و أحبّوا من غير مشاركة لهم فيماهم فيه ، لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعد مافات ، وهيهات الفايت لارجعة له .

وأراد عليّ بعد ذلك نقض البيعة فلم يتم له ذلك، وكانت العرب لاترى الغدر ولا ينقض البيعة صواباً كانت أوخطاءً ، وقدقالت له الأنصار وغيرها : أيها الرّجل لودعوتنا

إلى نفسك قبل البيعة لما عدلنا بك أحداً ولكنا قد بايعنا فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها .

قال النّقيب : وممّا جرء عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن عليّ عليه السلام مع ما كان يسمعه من الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم في أمره أنه أنكر مراراً على رسول الله أُموراً اعتمدها فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنكاره بل رجع في كثير منها إليه أشار عليه بأُمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته فأطمعه ذلك في الاقدام على اعتماد كثير من الأُمور التي كان يرى فيها المصلحة ممّا هي خلاف النّص .

وذلك نحو إنكاره الصّلاة على عبدالله بن أُبيّ المنافق ، وإنكاره فداء أُسارى بدر ، وإنكاره عليه تبرّج نسائه للنّاس ، وإنكاره قضية الحديبية ، وإنكاره أمان العباس لأبي سفيان بن حرب ، وإنكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة ، وإنكاره أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالنداء من قال: لا إله إلا الله دخل الجنّة ، وإنكاره أمره صلى الله عليه وآله وسلم بذبح النّواضح، وإنكاره على النساء هيبتهنّ له دون رسول الله إلى غير ذلك من أُمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث .

و لولم يكن إلاّ إنكاره قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه : ائتوني بدواة و كتب أكتب لكم مالا تضلّون بعدي ، وقوله ماقال وسكوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه و أعجب الأشياء أنّه قال ذلك اليوم : حسبنا كتاب الله ، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدّار فبعضهم يقول : القول ماقال عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كثر اللغط و علت الأصوات : قوموا عنّي فما ينبغى لنبيّ أن يكون عنده هذا التّنازع .

فهل بقى للنبوّة مزيّة أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين و ميل المسلمين بينهما فرجّح قوم هذا وقوم هذا أفليس ذلك دالا على أنّ القوم سوّوا بينه وبين عمر وجعلوا القولين مسألة خلاف ذهب كلّ فريق منهم إلى نصرة واحد منهما كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون

فمن بلغت قوّته وهمّته إلى هذا كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر لمصلحة رآها ويعدل عن النّص ومن الّذي ينكر عليه ذلك وهو في القول الّذى قاله للرسول ﷺ في وجهه غير خائف من الأنصار و لا أنكر عليه رسول الله ولا غيره و هو أشدّ من مخالفة النّص في الخلافة وأفظع وأشنع .

قال النّقيب: على أنّ الرّجل ما أهمل أمر نفسه بل أعدّ أعذاراً وأجوبة .

و ذلك لأنّه قال لقوم عرضوا له الحديث النّص أنّ رسول الله رجع عن ذلك باقامته أبابكر في الصّلاة مقامه وأوهمهم أنّ ذلك جار مجرى النّص عليه بالخلافة، وقال يوم السّقيفة: أيّكم يطيب نفساً أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول الله ﷺ في الصّلاة.

ثمّ أكّد ذلك بأن قال لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة: أنت صاحب رسول الله ﷺ في المواطن كلّها شدّتها ورخائها ، رضيك لديننا أفلا نرضاك لدنيانا .

ثمّ عاب عليّاً بخطبة بنت أبي جهل فأوهم أنّ رسول الله ﷺ كرهه لذلك ووجد عليه وأرضاه عمرو بن العاص فروى حديثاً افتعله واختلقه على رسول الله ﷺ قال : سمعته يقول: إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين فجعلوا ذلك كالناسخ لقوله ﷺ من كنت مولاه فهذا مولاه .

قلت للنقيب: أيصحّ النّسخ في مثل هذا أليس هذا نسخاً للشيء قبل تقضّى وقته ؟

فقال : سبحان الله من أين تعرف العرب هذا وأنّى لها أن يتصوّره فضلا عن أن تحكم بعدم جوازه فهل يفهم حذاق الأصوليّين هذه المسألة فضلا عن حمقى العرب ؟ هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة و يشتمالون بأضعف سبب و يبنى الامور معهم على ظواهر النّصوص وأوائل الأدلّة وهم أصحاب جمل وتقليد لا أصحاب تفصيل و نظر .

قال: ثمّ أكّد حسن ظنّ النّاس بهم أن خلعوا أنفسهم عن الأموال وزهدوا في

بمتاع الدّنيا وزخرفها وسلكوا مسلك الرّفض لزينتها والرّغبة والقناعة بالتّطفيف منزرمنها و أكلوا الخشن ولبسوا الكرابيس .

و لمّا ألقت إليهم أفلا ذ كبدها وفرّوا الأمول على النّاس وقسّموها بينهم لم يتدنّسوا منها بقليل ولا كثير فمالت إليهم القلوب وأحبّتهم النّفوس ، وحسنت بهم الظنّون و قال من كانت في نفسه شبهة منهم أو وقفة في أمرهم : لوكانت هؤلاء قد خالفوا النّص لهوى أنفسهم لكانوا أهل الدّنيا وبسط عليهم الميل إليها والرغبة فيها والاستيثار بها ، و كيف يجمعون على أنفسهم بين مخالفة النصّ و ترك لذّات الدنيا ومآربها، فيخسروا الدّنيا والآخرة، وهذا لايفعله عاقل وذولباب و آراء صحيحة.

فلم يبق عند أحد شكّ في أمرهم ولا ارتياب لفعلهم وثبت العقايد على ولائهم وتصويب أفعالهم ونسوا لذّة الرّياسة وأن أصحاب الهمم العالية لايلتفتون إلى الماكل والمشرب والمنكح وإنّما يريدون الحكم والرياسة ونفوذ الأمر كما قال الشاعر :

وقد رغبت عن لذّة المال أنفس   وما رغبت عن لذّة الأمر والنهى

قال : والفرق بين الرّجلين وبين الثالث ما اصيب الثالث و قتل تلك القتلة وخلعه النّاس وحصروه وضيّقوا عليه بعد أن توالي إنكارهم أفعاله في وجهه وفسّقوه وذلك لأنّه استأثر هو وأهله بالأموال وانغمسوا فيها واستبدّوا بها فكانت طريقته وطريقتهم مخالفة لطريقي الأوّلين ، فلم تصبر العرب على ذلك .

ولوكان عثمان سلك مسلك عمر فى الزّهد وجمع النّاس ، وردع الأمراء والولاة عن الأموال ، و تجنب استعمال أهل بيته ، ووفّر أعراض الدّنيا و ملاذها وشهواتها على الناس زاهداً فيها تاركاً لها معرضا عنها لما ضرّه شيء قطّ ولا أنكر عليه أحد قطّ ولو حوّل الصّلاة من الكعبة إلى بيت المقدس بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلاة الخمس واقتنع منهم بأربع .

و ذلك لأنّ همم الناس مصروفة إلى الدّنيا والأموال فاذا وجدوها سكتوا و إذا نفدوها هاجوا واضطربوا .

ألست ترى رسول الله صلى الله عليه وآله كيف قسّم قسايم هوازن على المنافقين وعلى أعدائه الّذين يتمنّون قتله و موته و زوال دولته فلمّا أُعطوه أحبّوه إمّا كلّهم أو أكثرهم ، ومن لم يحبّه منهم بقلبه جاهله وداره و كفّ عن إظهار عداوته والاجلاب عليه

ولو أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صانع أصحابه بالمال و إعطاء الوجوه و الرّؤساء لكان أمره إلى الانتظام أقرب ، ولكنّه رفض جانب التّدبير الذي بنواوآثر لزوم الدّين وتمسّك بأحكام الشّريعة ، والملك أمر آخر غير الدّين فاضطرب عليه أصحابه وهرب كثير منهم إلى عدوّه .

قال الشّارح المعتزلي : و قد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبي جعفر ولم يكن إماميّ المذهب ولا كان يبرء من السّلف ولايرتضي قول المسرفين من الشّيعة ، ولكنّه كلام أجراه على لسانه البحث والجدل بيني وبينه على أنّ العلوى لوكان كراميّاً لابدّ أن يكون عنده نوع من تعصّب و ميل على الصحابة وإن قلّ ، انتهى .

واقول : للهدرّ النقيب فلقد أجاد فيما أفاد وجانب العصبية والعناد وأبان عن مخّ ما يقوله الفرقة الحقّة الامامية وتذهب إليه و تدين به ببيان ليس فوقه بيان ، وقد اتّضح بما ذكره كلّ الوضوح أنّ عمر كان دائماً في مقام المعارضة لرسول الله صلى الله عليه وآله والطعن والازراء عليه والرّد لأقواله وأفعاله في حياته صلى الله عليه وآله وبعد موته ، وأنه أنكر النصّ على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وأوّله بتأويلات سخيفة بأحاديثه المختلقة المجعولة ومعاذيره الباطلة ، كما اتّضح أنّ نكتة زهده في الدّنيا إنما كانت حبّ الملك والرّياسة ونفوذ الأمر لا الزّهد الحقيقي الذي أوهمه للناس وظنه في حقّه الهمج الرّعاء ، فويل له ثمّ ويل له من ديّان يوم الدّين ، ولعنة الله على جميع الظالمين والغاصبين لحقّ آل محمد سلام الله عليهم أجمعين .

التنبيه الثاني

قد ظهر لك بما حققناه واتّضح لك كلّ الوضوح أن هذا الكلام الذي نحن في شرحه إن كان نظره عليه السلام فيه إلى عمر فليس هو ثناءًله كما توهّمه الشارح المعتزلي و غيره ، و إن كان إشارة إلى أبي بكر كما زعمه الشارح البحراني فلا يكون ثناء له أيضا .

وأقول تأكيداً لهذا المعنى : كيف يمكن أن يمدحهما أمير المؤمنين مع ما صدر عنهما من الالحاد والارتداد والشّقاق والنّفاق والمحادّة لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولأوليائه عليهم السلام واتيانه من الكبائر والجرائر العظيمة الّتي لايحصيها الألسنة والأفواه ولا يحيط بها الدّفاتر والأقلام وقد أفصح عنها أئمّتنا الأطهار في أخبارهم وصرّح بها علماؤنا الأبرار في زبرهم وآثارهم .

وأوّل من أبدى سوآتهما بعدالله وبعد رسوله هو أمير المؤمنين عليه السلام فاحتذى حذوه ذرّيته البررة وشيعته الطيّبة وسلكوا مسلكه وكلماته المتضمّنة للعنهما والطّعن والقدح والازراء عليهما والتّظلم والشكوى منهما في النّهج وغيره كثيرة جدّاً .

وأكثرها احتواء لذلك دعاؤه المعروف بدعاء صنمي قريش الّذي كان يواظب عليه السلام عليه في قنوته وساير أوقاته ، وقد رواه غير واحد من أصحابنا قدّس الله أرواحهم في مؤلّفاتهم ، وأحببت نقله هنا لكونه أنقض لظهر النّاصبين وأرغم أنف المعاندين وأبطل لزعم من توهّم ثناء أمير المؤمنين لهذين الذين لاحريجة لهما في الدّين .

فأقول وبالله التوفيق :

في كتاب البلد الأمين وجنّة الأمان الواقية المشتهر بالمصباح للشّيخ العالم الفاضل الكامل إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمّد الكفعمي رضى الله عنه إنّ هذا الدّعاء رفيع الشّأن عظيم المنزلة ، ورواه عبدالله بن عبّاس عن علي عليه السلام أنّه كان يقنت به وقال : إنّ الدّاعي به كالرّامي مع النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في بدر وأُحد وحنين بألف ألف سهم وهو :

اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد والعن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وافكيها وابنتيها اللّذين خالفا أمرك، و أنكرا وحيك وجحدا أنعامك، و عصيا رسولك، وقلّبا دينك، وحرّفا كتابك، وعطلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك وعاديا أولياءك، ووإليا أعداءك، وخرّبا بلادك، وأفسدا عبادك.

اللّهمّ العنهما واتباعهما وأولياءهما وأشياعهما ومحبّيهما فقد أخربا بيت النبوّة وردما بابه ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه وعاليه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأبادا أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيّه، ووارثا علمه، وجحدا إمامته، وأشركا بربّهما، فعظّم ذنبهما، وخلّدهما في سقر، وما أدريك ما سقر لا تبقى ولا تذر.

اللّهمّ العنهم بعدد كلّ منكر أتوه، وحقّ أخفوه، ومنبر علوه، و مؤمن ارجوه، ومنافق ولوه، وولي آذوه، وطريد آووه، وصادق طردوه، وكافر نصروه وإمام قهروه، وفرض غيّروه، وأثر أنكروه، وشرّ آثروه، ودم أراقوه، و خبر بدّلوه، و كفر نصبوه، وإرث غصبوه، و فيء اقتطعوه، وسحت أكلوه، و خمس استحلّوه، وباطل أسّسوه، وجور بسطوه، ونفاق أسرّوه، وغدر أضمروه، وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وأمان خانوه، وعهد نقضوه، وحلال حرّموه، وحرام أحلّوه، وبطن فتقوه، وجنين أسقطوه، وضلع دقّوه، وصك مزقوه، وشمل بدّدوه و عزيز أذلّوه، وذليل أعزّوه، وحقّ منعوه، و كذب دلّسوه، وحكم قلّبوه، وإمام خالفوه.

اللّهمّ العنهم بكلّ آية حرّفوها، وفريضة تركوها، وسنّة غيّروها، ورسوم منعوها، وأحكام عطّلوها، وبيعة نكثوها، ودعوى أبطلوها، وبينة أنكروها، و حيلة أحدثوها، و خيانة أوردوها، وعقبة ارتقوها، ودباب دحرجوها، وازياف لزموها، وشهادات كتموها، ووصيّة ضيّعوها

اللّهمّ العنهما في كمون السرّ و ظاهر العلانية لعناً كثيراً أبداً دائماً دائباً

سرمداً لا انقطاع لأمده ، و لا نفاد لعدده ، لعناً يغدو أوّله ولا يروح آخره ، لهم ولأعوانهم وأنصارهم ومحبّيهم ومواليهم والمسلمين لهم والمائلين إليهم و النّاهضين باحتجاجهم والمقتدين بكلامهم والمصدّقين بأحكامهم .

ثمّ قل أربع مرّات :

اللّهمَّ عذّبهم عذاباً يستغيث منه أهل النّار آمين ربّ العالمين .

بيان

قال الشّيخ عند نقله هذا الدّعاء من غوامض الأسرار و كرايم الأذكار وكان أمير المؤمنين عليه السلام مواظباً عليه في ليله ونهاره وأوقات أسحاره .

قال شارح هذا الدّعاء الشيخ العالم أبو السّعادات أسعد بن عبد القادر في كتابه رشح البلاء في شرح هذا الدّعاء : « الصّنمان » الملعونان هما الفحشاء و المنكر وإنّما شبّههما بالجبت و الطّاغوت لوجهين : إمّا لكون المنافقين يتبعونهما في الأوامر و النواهي الغير المشروعة كما اتّبع الكفّار هذين الصّنمين ، و إمّا لكون البراءة منهما واجبة لقوله تعالى : ـ فمن يكفر بالطّاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ـ .

وقوله « الّذين خالفا أمرك » إشارة إلى قوله تعالى ـ ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول ـ فخالفا الله ورسوله في وصيّه بعد ما سمعا من النّص عليه مالا يحتمله هذا المكان ، ومنعاه من حقّه فضلّوا وأضلّوا وهلكوا وأهلكوا

و « إنكارهما الوحي » إشارة إلى قوله تعالى ـ بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته ـ

و « جحودهما الانعام » إشارة إلى أنّه تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين ليتّبعوا أوامره ويجتنبوا نواهيه ، فإذا أبوا أحكامه وردّوا كلمته فقد جحدوا نعمته

وكانوا كما قال سبحانه ـ كلّما جائهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذّبوا وفريقاً يقتلون .

وأمّا « عصيانهما الرّسول صلى الله عليه وآله » فلقوله عليه السلام : ياعليّ من أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني ، وأمّا « قلبهما الدّين » فهو إشارة إلى ما غيّراه من دين الله كتحريم عمر المتعتين وغير ذلك ممّا لايحتمله هذا المكان .

وقوله « وحرّفا كتابك » يريد به حمل الكتاب على خلاف مراد الشّرع وترك أوامره ونواهيه ، « ومحبّتهما الأعداء » إشارة إلى الشجرة الملعونة بني اميّة ومحبّتهما لهم حتّى عهدالهم أمرا لخلافة من بعدهما ، وجحدهما الآلاء كجحدهما النّعماء وقد مرّ ذكره ، و « تعطيلهما الأحكام » يعلم ممّا تقدّم ويأتي وكذا إبطال الفرائض .

و«الالحاد في الدّين» الميل عنه و«معاداتهما الأولياء » إشارة إلى قوله تعالى إنّما وليّكم الله ورسوله ـ الآية ، و « تخريبهما البلاد وإفسادهما العباد » بما هدموا من قواعد الدّين وتغييرهم أحكام الشّريعة وأحكام القرآن وتقديم المفضول على الأفضل .

وقوله « فقد أخربا بيت النّبوة » إشارة إلى ما فعله الأوّل والثّاني مع عليّ وفاطمة من الايذاء وأرادا إحراق بيت عليّ بالنار وقادوه قهراً كالجمل المخشوش وضغطا فاطمة في بابها حتّى اسقطت بمحسن وأمرت أن تدفن ليلا لئلاّ يحضر الأوّل والثاني جنازتها وغير ذلك من المناكير .

وعن الباقر عليه السلام ما اهرقت محجمة دم إلاّ وكان وزرها في أعناقهما إلى يوم القيامة من غير أن ينتقص من وزر العالمين شيء ، وسئل زيد بن عليّ بن الحسين وقد أصابه سهم في جبينه : من رماك به ؟ قال : همارمياني هما ضلاني .

وأمّا «المنكرات التي أتوها » فكثيرة جدّاً وغير محصورة عدّاً حتّى روى

أنّ عمر قضى في الجدّة بسبعين قضيّة غير مشروعة ، وقد ذكر العلاّمة قدّس الله سرّه في كتاب كشف الحقّ و نهج الصّدق فمن أراد الاطلاع على جملة من مناكرهم وما صدر من الموبقات من أوّلهم إلى آخرهم فعليه بالكتاب المذكور و كذا كتاب الاستغاثة في بدع الثلاثة ، و كذا كتاب مطالب العواصب في مثالب النّواصب ، و كتاب الفاضح و كتاب صراط المستقيم و غير ذلك ممّا لايحتمل المكان ذكر الكتب فضلاً عما فيها .

و«الحقّ المخفي» إشارة إلى فضايل علي عليه السلام ومانصّ عليه النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغدير و كحديث الطّاير وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لأعطينّ الرّاية غداً الحديث وحديث السّطل والمنديل وهوى النّجم في داره ونزول هل أتى فيه وغير ذلك ممالايتسع لذكره هذا الكتاب.

و« ارجاؤهم المؤمن » إشارة إلى أصحاب عليّ عليه السلام كسلمان و مقداد وعمّاروأبي ذر، والارجاء التأخير ومنه قوله تعالى_ أرجه وأخاه_ مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقدم هؤلاء وأشباههم على غيرهم .

و « توليتهم المنافق » إشارة إلى معاوية وعمروبن العاص والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وعبدالله بن أبي سرح والنعمان بن بشير ، و« ايذاؤهم الوليّ » يعني علياً عليه السلام و «ايواؤهم الطريد» هو الحكم بن أبي العاص طرده النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلما تولّى عثمان آواه ، و « طردهم الصادق » إشارة إلى أبي ذر وطرده عثمان إلى الرّبذة وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حقه : ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء الحديث

و « نصرهم الكافر » إشارة إلى كلّ من خذل علياً وحادّ الله سبحانه ورسوله و هو سبحانه يقول _ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله _ الآية و « الامام المقهور » منهم يعني نفسه عليه السلام .

قوله عليه السلام : « وفرض غيّروه » تغييرهم الفرض اشارة إلي ماروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه رأى ليلة الاسرى مكتوباً على ورقة من آس: أني افترضت محبة عليّ على أمتك فغيّروا فرضه ومهّدوا المن بغضه وسبّه حتى سبّوه على منابرهم ألف شهر.

و «الاثر الذي أنكروه » إشارة إلى استيثار النبيّ علياً من بين أفاضل أقاربه وجعله أخاً ووصياً وقال له أنت منّي بمنزلة هارون من موسى أوغير ذلك ، ثمّ بعد

ذلك كلّه أنكروه .

و « الشرّ الذي آثروه » هو ايثارهم الغير عليهم وهو ايثار شرّ مجهول متروك على خير مأخوذ ومعلوم هذا مثل قوله صلى الله عليه وآله : عليّ خير البشر من أبى فقد كفر .

و« الدّم المهراق » هو جميع ما قتل من العلويّين لأنّهم أسّسوا ذلك كما ذكرنا من قبل من كلام الباقر عليه السلام ما اهرقت محجمة دم آه حتّى قيل : اريتكم إنّ الحسين اُصيب في يوم السّقيفة.

و « الخبر المبدّل » منهم عن النّبي صلى الله عليه وآله كثير كقولهم : أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة وغير ذلك ممّا هو مذكور في مظانّه ، و « الكفر المنصوب » هو أنّ النّبي صلى الله عليه وآله نصب علياً علماً للناس وهاديا فنصبوا كافراً وفاجراً ، و « الارث المغصوب » هو فدك فاطمة و إرثها من أبيها ، و كذا « الفيء المقتطع » هو فدك و « السّحت المأكول » هى التصرفات الفاسدة في بيت مال المسلمين ، و كذا ما حصلوه من ارتفاع فدك من التمر و الشعير فانها كانت سحتاً محضاً .

و « الخمس المستحلّ » هو الذي جعله سبحانه لآل محمّد فمنعهم إياه واستحلّوه حتى اعطى عثمان مروان بن الحكم خمس افريقية وكان خمسمأة ألف دينار بغيا وجوراً ، و « الباطل المؤسّس » هي الأحكام الباطلة التي أسّسوها و جعلوها قدوة لمن بعدهم و « الجور المبسوط » هو بعض جورهم الذي مرّ ذكره .

و« النفاق الذي أسرّوه » هو قولهم في أنفسهم لما نصب النبي صلى الله عليه وآله علياً علماً للخلافة قالوا : والله لا نرضى أن يكون النبوّة والخلافة في بيت واحد ، فلما توفّى النبي صلى الله عليه وآله أظهروا ما أسرّوه من النفاق ، ولهذا قال عليّ عليه السلام : والذى فلق الحبّة وبرء النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا أسرّوا الكفر فلما رأوا أعواناً عليه أظهروه .

و أما « الغدر المضمر » فهو ما ذكرناه من اسرارهم النفاق ، و « الظلم المنشور » كثير أوّله أخذهم الخلافة منه عليه السلام بعد فوت النبيّ صلى الله عليه وآله « والوعد المخلف » هو ما وعدوا النبى صلى الله عليه وآله من قبولهم ولاية عليّ والايتمام به فنكثوه و« الأمان الذى خانوه »

هو ولاية عليّ في قوله تعالى: إنّا عرضنا الأمانة على السموات و الأرض الآية، والانسان فيها هم لعنهم الله، و«العهد المنقوض» هو ماعاهدهم به النبيّ صلى الله عليه وآله يوم الغدير على محبة عليّ وولايته فنقضوا ذلك و« الحلال المحرّم » كتحريم المتعتين، وعكسه كتحليل الفقاع وغيرذلك .

و « البطن المفتوق » بطن عمار بن ياسر ضربه عثمان على بطنه فأصابه الفتق و « الجنين المسقط » هو محسن و « الضلع المدقوق والصكّ الممزوق » إشارة إلى ما فعلاه مع فاطمة عليها السلام من مزق صكّها ودقّ ضلعها، و « الشمل المبدّد » هو تشتيت شمل أهل البيت و كذا شتتوا بين التأويل و التنزيل و بين الثقلين الأكبر والأصغر .

و « إعزاز الذّليل » و عكسه معاوية و كذا الحقّ الممنوع قد تقدّم ما يدلّ عليه و « الكذب المدلّس » مرّ معناه في قوله: و خبر بدّلوه و « الحكم المقلّب » مرّ معناه في أوّل الدّعاء في قوله عليه السلام وقلّبا دينك .

و « الآية المحرّفة » مرّ معناه في قولـه : و حرّفا كتابك « والفريضة المتروكة » هي موالاة أهل البيت لقوله تعالى: قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى، و « السنّة المغيرة » كثيرة لا تحصى و « الرّسوم الممنوعة » هي الفيء والخمس ونحوذلك و « تعطيل الأحكام » يعلم ممّاتقدّم و « البيعة المنكوثة » هي نكثهم بيعته كما فعل طلحة والزّبير و « الدّعوى المبطلة » إشارة إلى دعوى الخلافة وفدك، و « البينة المنكرة » هي شهادة عليّ والحسنين عليهم السلام و أمّ أيمن لفاطمة فلم يقبلوها .

و « الحيلة المحدثة » هي اتّفاقهم أن يشهدوا على عليّ بكبيرة توجب الحدّ إن لم يبايع .

قوله « و خيانة أوردوها » إشارة إلى يوم السّقيفة لما احتجّ الأنصار على أبي بكر بفضايل، عليّ عليه السلام و أنّـه أولى بالخلافة فقال أبوبكر : صدقتم ذلك

ولكنّه نسخ بغيره لأنّي سمعت النّبي صلى الله عليه وآله يقول : إنّا أهل بيت أكرمنا الله بالنبوّة ولم يرض لنا الدّنيا وإنّ الله تعالى لايجمع لنا بين النبوّة والخلافة وصدّقه عمر وأبوعبيدة وسالم مولى حذيفة على ذلك وزعموا أنّهم سمعوا هذا الحديث من النّبي صلى الله عليه وآله كذباً وزوراً فشبهوا على الأنصار والامّة والنّبي صلى الله عليه وآله قال : من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّء مقعده من النّار .

وقوله « وعقبة ارتقوها » إشارة إلى أصحاب العقبة وهم أبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزّبير و أبوسفيان وعتبة بن أبي‌سفيان وأبوالأعور السّلمي و المغيرة بن شعبة وسعد بن أبي‌وقاص و أبوقتادة وعمروبن‌العاص وأبوموسى الأشعري لعنهم الله جميعاً اجتمعوا في غزوة تبوك على كؤد لا يمكن أن يجتاز عليها إلاّ فرد رجل أو فرد جمل ، وكان تحتهاهوّة على مقدار ألف رمح من تعدّى عن المجرى هلك من وقوعه فيها ، وتلك الغزوة كانت في أيام الصّيف والعسكر تقطع المسافة ليلا فراراً من الحرّ فلمّا وصلوا إلى تلك العقبة أخذوا د باباً كانواهيّئوها من جلد حمار ووضعوا فيهاحصى وطرحوها بين يدى ناقة النّبي صلى الله عليه وآله لينفروها به فتلقاه في تلك الهوّة فيهلك فنزل جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله بهذه الآية : يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد إسلامهم و همّوا بمالم ينالوا، الآية وأخبره صلى الله عليه وآله بمكيدة القوم فأظهر الله تعالى برقاً مستطيلا دائماً حتى نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى القوم فعرفهم .

و إلى هذه الدّباب التي ذكرناها أشار بقوله « ودباب دحرجوها » و سبب فعلهم هذا مع النبيّ صلى الله عليه وآله كثرة نصّه على عليّ عليه السلام بالولاية والامامة و الخلافة وكانوا من قبل نصّه أيضاً يسبونه لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سلّطه على كلّ من عصاه من طوايف العرب فقتل مقاتليهم و سبى ذراريهم فما من بيت إلاّ و في قلبه(١) فانتهزوا في هذه الغزوة الفرصة و قالوا إذا هلك محمد رجعنا إلى المدينة ونرى رأينا في هذا الأمر من بعده ، و كتبوا بينهم كتاباً فعصم الله نبيّه منهم و كان من فضيحتهم ماذكرناه .

١- الظاهر سقوط شيء من هنا. المصحح .

وقوله «وأزياف لزموها» الأزياف جمع زيف وهو الدّرهم الرديّ غير المسكوك الّذي لاينتفع به أحد شبّه أفعالهم الرديّة بالدّرهم الزيف الذى لايظهر في البقاع ولايشترى به متاع فلأفعالهم الفظيعة وأقوالهم الشّنيعة ذكرهم الله تعالى في قوله والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، الآية

و « الشهادات المكتومة » هي ما كتموا من فضايله ومناقبه الذى ذكره النّبيّ صلى الله عليه وآله وهي كثيرة جدّاً وغير محصورة عدّاً و « الوصيّة المضيعة » هى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اُوصيكم بأهل بيتى خيراً وأمرهم بالتمسك بالثقلين وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، وأمثال ذلك ، انتهى كلامه رفع الله مقامه .

اقول : و قد كان الشارح ذكر شرح فقرات الدّعاء بلا مراعاة الترتيب بينها فأوردته على ترتيب تسهيلا للأمر بلا تغيير وتبديل فيما أتاه ، هذا .

وقال المحدّث العلاّمة المجلسي في قوله : وأزياف لزموها، في بعض النسخ بالراء المهملة جمع ريف بالكسر و هى أرض فيها زرع و خصب و السعة في المأكل والمشرب وما قارب الماء من أرض العرب أو حيث الماء والخضر و الزّرع ولايخفى مناسبة الكلّ .

الترجمة

ازجملۀ كلام بلاغت نظام آن حضرتست مى‌فرمايد :

خدا راست شهرهاى فلان شخص ـ بقول بعض شارحين مراد ازاين عمر بن الخطاب است ، وبقول بعضى غير اوست ـ پس بتحقيق كه راست گردانيد كجى را ومداوا نمود مرض را ، وبرپا داشت سنّت را ، و بازپس انداخت فتنه را ، رفت بزير خاك درحالتى كه پاك لباس بود و كم عيب ، رسيد بخير خلافت ، وسبقت نمود بشرّ خلافت ، ادا كرد بسوى خداى تعالى طاعت وعبادت اورا ، وپرهيز كرد از او با

أدا كردن حقّ او ، ورحلت نمود از دنيا و واگذاشت مردمان را در طرق مختلفه وراههاى متفرّقه كه هدايت نمى‌يابد درآنها شخص گمراه ، ويقين تحصيل نميتواند بكند شخص طالب هدايت .

شارح گويد : اگر نظر إمام عليه السلام دراين كلام بعمر باشد و لفظ فلان كنايه ازاو باشد چنانچه بعض شرّاح همچنين فهميده‌اند بايد بتورية حمل نمود چنانچه عادت أئمه عليهم السلام در كلماتيكه درحقّ خلفاى جور وارد شده براين جاريست .

و من كلام له عليه السلام و هو المأتان والسابع و العشرون من المختار فى باب الخطب

في وصف بيعته عليه السلام بالخلافة وقد تقدّم مثله بألفاظ مختلفة

وَ بَسَطْتُمْ يَدي فَكَفَفْتُها ، وَمَدَدْتُمُوها فَقَبَضْتُها ، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِها يَوْمَ وِرْدِها ، حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ ، وَسَقَطَتِ الرِّدَاءُ ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ ، وَتَحامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ .

اللغة

(التّداكّ) الازدحام الشديد مأخوذ من الدّكّ وهو الدّقّ و(الهيم) بالكسر

العطاش و (الورد) بالكسر الشّرب أوالاشراف على الماء دخله أولم يدخله ، وفي بعض النسّخ يوم ورودها و (هدج) يهدج من باب ضرب مشى مشياً ضعيفاً مرتعشاً قال الفيروز آبادي : الهدجان محرّكة و كغراب مشية الشّيخ و (تحامل) في الأمر تكلّفه على مشقّة و (حسرت) أى كشفت عن وجهها وفي نسخة الشّارح البحراني و حسرت عن ساقها الكعاب و (كعب) الجارية تكعب من باب ضرب و قعد كعوباً نهد ثديها ، وجارية كعاب وزان سحاب النّاهدة الثدى والجمع كواعب قال تعالى « و كواعب أترابا».

الاعراب

فاعل بلغ محذوف و قوله : أن ابتهج أن مصدريّة و مدخولها في تأويل المصدر و محلّ النّصب بنزع الخافض ، و مفعول حسرت محذوف بقرينة الكلام وقوله : اليها متعلّق بقوله حسرت على تضمين معنى الشوق والرّغبة .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما قال الرّضيّ وارد (في وصف بيعته عليه السلام بالخلافة وقد تقدّم مثله بألفاظ مختلفة) الظاهر أنّ مراده بما تقدّم مامرّ في الكلام المأة والسّابع والثّلاثين من قوله : قبضت يدي فبسطتموها ونازعتكم يدى فجاذبتموها ، ويحتمل أن يكون مراده به مامرّ في الخطبة الثالثة والخمسين من قوله: فتداكّوا عليّ تداكّ الابل الهيم يوم ورودها ، و لم يتقدّم في الكتاب ما يشبه ألفاظ هذا الكلام غيرهذين .

نعم تقدّم منّا في شرح الخطبة السّادسة والعشرين رواية طويلة عن كتاب الغارات لابراهيم الثّقفي والأشبه أن يكون هذا الكلام ملتقطاً منها لكنّها مختلفة الألفاظ جدّاً كما يظهر بالرّجوع إلى ما تقدّم .

و كيف كان فهذا الكلام منه عليه السلام وارد مورد الاحتجاج على النّاكثين لبيعته

ومحصّله أنّكم قد كنتم على غاية الحرص والميل إلى بيعتي مع إباء منّي فمن كان هذا حاله فكيف ينكث وأشار إلى مزيد حرصهم عليها بقوله (وبسطتم يدي فكففتها) شوقاً منكم إلى البيعة و تمانعاً منّي (و مددتموها فقبضتها) رغبة منكم إليها واستنكافاً منّي (ثمّ تداككتم عليّ تداكّ الابل الهيم على حياضها يوم وردها) وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس أي ازدحمتم ازدحاما شديداً يدكّ بعضكم بعضا كما يدكّ الابل العطاش بعضها لبعض على الحياض عند شربها و وجه الشبه مزيد الازدحام.

قال الشّارح البحراني: و يمكن أن يلاحظ في وجه الشبه كون ما عنده من الفضايل الجمّة العلميّة و العملية تشبه الماء و كون المزدحمين عليه في حاجتهم وتعطّشهم إلى استفادة تلك الفضايل النّافعة لعلّتهم كالعطاش من الابل يوم ورودها انتهى، والأوّل أظهر وأشبه (١).

أقول: وفي تخصيص الصغير والكبير والعليل والكعاب بالذّكر زيادة توكيد وتقرير للغرض المسوق له الكلام، فانّ من شأن الصّغير على ماله من عدم التميز عدم الالتفات و التّوجه إلى كثير من الأمور، و من شأن الكبير على ما بـه من ضعف الكبر عدم المشي إليها، وكذلك المريض على ما فيه من ثقل المرض ومن شأن الكعاب الاستحياء عن كشف وجهها لاسيّما في منتدى الرّجال وبين ملاء النّاس فسرور الأوّل بالبيعة وسعي الثّانيين إليها بالتكلّف والمشقّة، وحسر الرابعة إليها كاشف عن فرط رغبة العامّة و حرصهم عليها فالبيعة الواقعة على هذا الوجه ليس لأحد أن يتخلّف أو ينكث عنه.

كما أشار عليه السلام إلى ذلك في كلامه الذى رواه في الارشاد عن الشعبي قال: لمّا اعتزل سعد بن أبي وقاص و عبدالله بن عمر و محمّد بن سلمة وحسّان بن ثابت واسامة بن زيد أمير المؤمنين وتوقفوا عن بيعته حمدالله وأثنى عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس إنّكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي، وانّما الخيار

---

(١) الظاهر سقوط شيء كثير من هنا. المصحح.

للنّاس قبل أن يبايعوا فاذا بايعوا فلا خيار لهم ، و إنّ على الامام الاستقامة و على الرّعيّة التسليم ، وهذه بيعة عامّة من رغب عنها رغب عن دين الاسلام واتّبع غير سبيل أهله ولم تكن بيعتكم إيّاى فلتة ، الحديث ، هذا

و قد تقدّم تفصيل كيفيّة بيعته عليه السلام في شرح الكلام الواحد و التّسعين فليراجع ثمة .

الترجمة

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن حضرتست در تعريف بيعت كردن خلق باو بخلافت مى فرمايد :

و كشاديد دست مرا بجهت بيعت پس نگاه داشتم من آنرا ، و كشانديد آنرا بسوى خودتان پس برچيدم من آنرا ، بعد از آن ازدحام كرديد برمن مثل ازدحام نمودن شتران عطشان برسر حوضهاى خود وقت آب خوردن آنها تا اينكه گسيخت بند كفشهاى من واز دوش افتاد عباى من و زيرپا ماند ضعيفان ورسيد كاراز شدّت شادى مردمان به بيعت من بمقامى كه خوشنود شد بآن بيعت بچّها ، ومشى مرتعشانه نمود بسوى آن پيرها ، ومشى نمود با مشقّت وزحمت بطرف آن مريضها ، ونقاب ازرو برداشت بجهت زيادت ميل ورغبت بآن دختران نارپستان ، والله أعلم بالصواب

ومن خطبة له عليه السلام وهى المأتان والثامنة والعشرون من المختار في باب الخطب

فَإنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدادٍ ، وَذَخيرَةُ مَعادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِ

مَلَكَةٍ ، وَ نَجاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ، بِها يَنْجَحُ الطّالِبُ ، وَ يَنْجُو الْهارِبُ وَتُنالُ الرَّغائِبُ ، فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَالدُّعاءُ يُسْمَعُ ، وَالْحالُ هادِئَةٌ ، وَالْأَقْلامُ جارِيَةٌ ، وَ بادِرُوا بِالْأَعْمالِ عُمْراً ناكِساً وَ مَرَضاً حابِساً ، أَوْ مَوْتاً خالِساً ، فَإِنَّ الْمَوْتَ هادِمُ لَذّاتِكُمْ ، وَ مُكَدِّرُ شَهَواتِكُمْ ، وَمُباعِدُ طِيّاتِكُمْ ، زائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَ واتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ .

قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبائِلُهُ ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوائِلُهُ ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعابِلُهُ ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ ، وَتَتابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشاكُمْ دَواجِي ظُلَلِهِ ، وَاحْتِدامُ عِلَلِهِ ، وَحَنادِسُ غَمَراتِهِ ، وَغَواشِي سَكَراتِهِ ، وَ أَلِيمُ إِرْهاقِهِ ، وَ دُجُوُّ أَطْباقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذاقِهِ ، فَكَأَنْ قَدْ أَتاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ ، وَ فَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ، وَعَفَّى آثارَكُمْ ، وَ عَطَّلَ دِيارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرّاثَكُمْ ، يَقْتَسِمُونَ تُراثَكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ ، وَ قَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ، وَآخَرَ شامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ .

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاِجْتِهادِ وَالتَّأَهُّبِ وَالْاِسْتِعْدادِ وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزّادِ ، وَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا كَما غَرَّتْ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ

الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَها، وَأَصابُوا غِرَّتَها، وَأَفْنَوْا عِدَّتَها وَأَخْلَقُوا جِدَّتَها، أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثًا، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا، لاَ يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلاَ يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلاَ يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ، فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا (١) فَإِنَّها غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لاَ يَدُومُ رَخَاؤُها، وَلاَ يَنْقَضِي عَنَاؤُها، وَلاَ يَرْكُدُ بَلاَؤُها.

منها فى صفة الزهاد كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِها، فَكَانُوا فِيها كَمَنْ لَيْسَ مِنْها، عَمِلُوا فِيها بِما يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيها ما يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرانَيْ أَهْلِ الآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيائِهِمْ.

اللغة

(السّداد) بالفتح الصّواب من القول و العمل و (ملكه) يملكه من باب ضرب ملكا مثلثة و ملكة بالتحريك احتواه قادراً على الاستبداد به و (النجح) بالضمّ الظفر بالمطلوب وأنجحه الله أى أظفر به و(الرّغائب) جمع الرّغيبة وهو الأمر المرغوب فيه و العطاء الكثير و (هدء) هدءاً من باب منع سكن و (نكسه)

---

(١) من قوله (ع): «كما غرت» إلى قوله «فاحذروا الدّنيا» هذه الجملات كانت ساقطة من النسخة فى الطبعة الاولى و كم له فى هذا الجزء من نظير أصلحناه، نبهنا عليه فى بعض المقام. **المصحح**.

قلّبه على رأسه كنكّسه بالتشديد والنكس بضمّتين المدرهمّون من الشّيوخ بعد الهرم أي السّاقطون كثيراً قال تعالى « ومن نعمّره ننكّسه » .

و (خلست) الشيء اختطفته و(الطية) بالكسر كالنيّة لفظاً و معنى و قال الشّارح المعتزلي : هي منزل السّفر و (القرن) بالكسر كفوك في الشّجاعة .

و (الواتر) القاتل والموتور القتيل الذي لم يدرك دمه مأخوذان من الوتر بالكسر و الفتح و هي الجناية الّتي يجنيها الرّجل على غيره من قتل أونهب أوسبي و قد وتره يتره وتراً ووتراً وترة أفزعه و أدركه بمكروه ، و وتره ماله نقصه إياه .

و (اعانتكم) في بعض النّسخ بغير همزة و (المعابل) جمع معبلة و زان مكنسة وهو النّصل العريض الطّويل و (العدوة) التّعدى و (نبا) السّيف عن الضريبة نبواً ونبوة كلّ ولم يؤثر و (يوشك) الأمر أن يكون وأن يكون الأمر بكسر الشّين أي يقرب ولا تفتح شينه إلاّ في لغة ردّية و(الظّلل) جمع ظلّة و هي السّحاب و(احتدم) النّار التهبت واشتدّ حرّها و (الحنادس) جمع حندس و زان زبرج الظلمة .

و (إرهاقه) بالرّاء المهملة مصدر أرهقته أي أعجلته ويقال أرهقه طغياناً أغشاه إيّاه و الحق ذلك به ، و في بعض النّسخ بالزاء المعجمة من زهق الشّيء بطل و (أطباقه) بالفتح جمع الطّبق بالتحريك غطاء كلّ شيء وفي بعض النسخ بالكسر مصدر أطبقه أي غطاه .

و(جشب) الطّعام من باب ضرب جشوبة صار جشيباً وهو السّيء الماكل والخشن الغليظ البشع من كلّ شيء والجشب بالضمّ قشور الرّمان ، و في بعض النّسخ وخشونة مذاقه بالخاء المعجمة والنون و (الدرة) بالكسر كالدّر بالفتح اللّبن و كثرته و (الجدّة) بكسر الجيم كالجد الرّزق والعظمة و (حفل) القوم حفلا اجتمعوا و المحفل و زان مجلس و مقعد محل الاجتماع ، والاحتفال بالشيء

الاعتناء به والمبالغة فيه .

و (تقلب) في بعض النسخ على البناء على الفاعل من باب التفعل و حذف إحدى التائين وفي بعضها على البناء على المفعول وفلان بين ظهري القوم و(ظهرانيهم) بفتح النون وبين أظهرهم أى في وسطهم وفي معظمهم .

الاعراب

قوله : مفتاح سداد(١)وقوله : بها متعلّق بقوله ينجح و تقديمه عليه لقصد الحصر والفاء في قوله فاعملوا فصيحة ، وجملة و العمل يرفع في محلّ النصب على الحال والباء في قوله بالأعمال للمصاحبة ، والفاء في قوله : فانّ الموت للتعليل ، وقوله : زائر خبر رابع لأنّ ترك العاطف لحسن الوصف الذي هو من صناعة البلاغة .

و جملة قد أعلقتكم في محلّ الانتصاب على الحال و قوله :فكأن قد أتاكم مخففة من المثقلة مفيدة للتقريب و اسمها ضمير شأن مستتر ، و قوله : بين حميم متعلّق بقوله يقتسمون لا بقوله أتاكم بغتة كما توهّمه الشارح البحراني وقوله : فعليكم بالجدّ اسم فعل أى خذوه والزموه قال نجم الأئمة الرّضي : يقال عليك زيداً أى خذه كان الأصل عليك أخذه و قوله : أصبحت مساكنهم فعل ناقص بمعنى صارت والجملة استينافيّة بيانيّة ومثلها جملة لا يعرفون من أتاهم .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة من محاسن خطبه عليه السّلام و فيهـا من نكات البلاغة وفنون البديع ما لا يخفى على المصقع البارع ، ومدارها على فصلين:

الفصل الاول منها

في الحثّ على البرّ و التقوى و أخذ الزاد ليوم المعاد بالتذكير بالموت

---

(١) الظاهر سقوط شيء من هنا . **المصحح** .

الذي هو هادم اللذات و قاطع الامنيات و التحذير من الدّنيا التي هي دار الغرور والمكاره والآفات وهوقوله :

(فانّ تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد) وقد تقدّم تحقيق معنى التقوى وما يترتّب عليهامن الثمرات الدّنيوية والاُخروية في شرح الخطبة الرّابعة والعشرين وغيرها فليراجع هناك

و أقول هنا توضيحا لكلامه عليه السلام: إنّ التقوى لما كانت عبارة عن اتّخاذ الوقاية من العقوبات و الحذر من الموبقات الاُخروية و بهـا يحصل التجنّب من المعاصي و الاتيان بالواجبات المتّصفة بالصلاح و السداد لاجرم استعار لها المفتاح الذي يوصل به إلى ما في البيت قال تعالى « يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله و قولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم و من يطع الله و رسولـه فقد فازفوزاً عظيماً».

قال أمين الاسلام الطبرسيّ ره أمر الله سبحانه أهل الإيمان و التوحيد بالتقوى والقول السديد فقال « ياأيّها الذين آمنوا اتّقوا الله » أي اتّقوا عقاب الله باجتناب معاصيه وفعل واجباته « وقولوا قولا سديداً»أي صواباً برّياً من الفساد خالصاً من شائب الكذب و اللّغو موافق الظاهر للباطن ، و قال الحسن وعكرمة صادقاً يعني كلمة التوحيد لاإله إلاّ الله « يصلح لكم أعمالكم»معناه إن فعلتم ذلك يصلح لكم أعمالكم بأن يلطف لكم فيها حتّى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد ويوفقكم لما فيه الصلاح والرشاد « ويغفرلكم ذنوبكم » باستقامتكم في الأقوال والأفعال « ومن يطع الله ورسوله » في الأوامر والنواهي «فقد فازفوزاً عظيماً» أي فقد أفلح افلاحا عظيما ، وقيل فقد ظفر برضوان الله و كرامته .

و أما انها ذخيرة معاد فواضح لأنها أنفس ذخيرة معدّة لفاقة الآخرة و بها ينجى من أليم العذاب و يفاز عظيم الزلفي والثواب قال تعالى « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنّم مثوى للمتكبّرين ✿ وينجّى الله

الذين اتّقوا بمفازتهم لا يمسّهم السّوء ولاهم يحزنون» وقال « للّذين اتّقوا عند ربّهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهّرة و رضوان من الله والله بصير بالعباد » .

(وعتق من كلّ ملكة) قال الشّارح البحراني : استعار لفظ العتق لخلاص النفس العاقلة من استيلاء حكم شيا طينها المطبقة بها كخلوص القلب من استيلاء سيّده ثمّ جعل التقوى نفسها عتقاً إطلاقاً لاسم السّبب على المسبّب انتهى

ومحصّله أنّ التقوى سبب الخلاص من قيد رقيّة نفس الأمارة وعبودية الهوى ومملوكيّة الشيطان فانه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والّذينهم به مشركون .

(ونجاة من كلّ هلكة) أي سبب للنّجاة من الهلكات الدّنيويّة والأخروية فاطلق عليها النّجاة مبالغة من قبيل زيد عدل قال تعالى « ومن يتّق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » أى مخرجاً من كلّ كرب في الدّنيا والآخرة .

وفى مجمع البيان عن النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قرأها و قال : مخرجاً من شبهات الدّنيا ومن غمرات الموت وشدائد الآخرة .

وفى البحار من الدّعوات للرّاوندى قال النّبىّ صلّى الله عليه وآله: من اتّقى الله عاش قوياً وصار فى بلاد عدوّه آمنا .

(بها ينجح الطالب) للآخرة أى يفوز بمطلبه قال تعالى « إنّ للمتّقين لحسن مآب ٭ جنات عدن مفتّحة لهم الأبواب » **وقال** رسول الله صلّى الله عليه وآله: خصلة من لزمها أطاعته الدّنيا والآخرة وربح الفوز بالجنّة ، قيل : وماهى يارسول الله ؟ قال : التّقوى من أراد أن يكون أعز النّاس فليتّق الله عزّ وجلّ ثمّ تلا « ومن يتّق الله » الآية .

(وينجو الهارب) «١» الراهب من سخط الله و عقابه فانّ أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، ومن يتّق الله يكفّر عنه سيئاته ويعظم له أجراً .

(وتنال الرّغائب) أى العطايا الكثيرة و الخيرات الدّنيوية و الأخروية التى ترغب إليها النفوس .

---

(١) لا يخفى أن بين هذه الفقرة وسابقتها من محاسن البديع حسن الطباق والجناس اللاحق والسجع المتوازى ومثلها الفقرتان السابقتان عليها وأما الاوليان ففيهما السجع المتوازى فقط ، منه.

أمّا الدّنيويّة فقد قال الصّادق عليه السلام : من أخرجه الله تعالى من ذلّ المعصية إلى عزّ التقوى أغناه الله بلا مال، وأعزّه بلا عشيرة، وآنسه بلا بشر ، أي من غير أنيس من البشر بل الله مونسه .

وأما الاُخروية فقد قال الله تعالى « مثل الجنّة التي وعد المتّقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من ماء لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ✿ وأنهار من عسل مصفّى ولهم فيها من كلّ الثمرات ومغفرة من ربّهم » وقال عزّ وجلّ « ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ✿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب و أكواب و فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون » هذا

ولما نبّه على ثمرات التقوى وكانت التقوى ملازمة للعمل رتّب عليه الحثّ على العمل فقال (فاعملوا والعمل يرفع) أي اعملوا صالحاً فانّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنّات لهم ما يشاؤن عند ربّهم ذلك هو الفضل الكبير ، ومعنى قوله : والعمل يرفع إنّ العمل الصّالح يرفع الله إليه ويقبله من فاعله .

وقد اُشير إلى ذلك في قوله عزّوجلّ « إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه » قال أمين الاسلام الطبرسي: معنى الصعود القبول من صاحبه والاثابة عليه، و كلّما يتقبله الله سبحانه من الطاعات يوصف بالرّفع والصّعود لأنّ الملائكة يكتبون أعمال بني آدم ويرفعونها إلى حيث شاء الله ، وهذا كقوله « إنّ كتاب الأبرار لفي علّيّين » والكلم الطيّب الكلمات الحسنة من التعظيم والتقديس وأحسن الكلم لا إله إلاّ الله والعمل الصّالح يرفعه قيل فيه وجوه : أحدها أنّ الكلم الطيّب يرفعه العمل الصالح فالضمير يعود إلى الكلم ، والثاني أنه على القلب من الأوّل (١).

---

(١) هذا آخر ما وفق الشارح المصنف العلامة الهاشمي الخوئي أعلا الله مقامه بشرحه و برز من قلمه الشريف و آخر المجلد السابع حسب تجزأته «قد» على ما في الطبعة الاُولى ، وتتمة ما نقله هنا عن الطبرسي «قد» هكذا:

أي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيّب ، والمعنى أنّ العمل الصالح لا ينفع إلاّ إذا صدر عن التوحيد عن ابن عباس، والثالث أنّ المعنى العمل الصالح يرفعه الله لصاحبه ، أي يقبله عن قتادة ، وعلى هذا فيكون ابتداء اخبار لا يتعلّق بما قبله . **المصحح .**

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصّلاة على رسوله وآله يقول العبد المحتاج إلى رحمة ربّه أبو الحسن المدعوّ بالشعراني عفي عنه إني لما وقفت على هذا الشّرح النّفيس الجامع لشتات اللّطائف، الحاوي لطرايف الظرائف ورأيت أنّ صاحبه لم يتمكّن من اتمامه وتوقّف على شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام : والعمل يرفع، علمت أنّ عاقبته إلى رفع العمل والقبول كما ان ختم كلامه إليه وهذا وان كان فالاحسن للشارح لكن الناظرين يرون عمله أبتر إذلم يكمل شرح الكتاب بل الخطبة التي شرع في شرحها فرأيت أن اعلّق عليه شيئاً يتمّ به شرح الخطبة الأخيرة وأضمّ عملي إلى عمله المقبول و أتطفل في تحصيل الثواب الحاصل له وسلكت فيه مسلكه من الاقتصار على ما يسهل تناوله بعون الله وحسن توفيقه وأقول (والعمل يرفع) في كلام أمير المؤمنين عليه السلام جملة حالية في محلّ النصب و كذلك مايتلوها إلى قوله عليه السلام: والأقلام جارية

أي اعملوا في هذا الوقت الذي يرفع العمل وأنتم أحياء في دار الدّنيا

وأما بعد ذلك فلا يرفع العمل إذلا عمل بعد الموت حتّى يرفع وهذا طريقة العرب في كلامهم يقول شاعرهم : على لاحب لايهتدى بمناره يعني على طريق لامنار فيها حتى يهتدى به .

قوله (والتوبة تنفع) أي اعملوا في هذه الحال التي تنفع التوبة قبل الموت فاذا مات ابن آدم انقطع عمله و لم يقبل منه التّوبة إذ لا تقع منه حتّى تقبل (والدعاء يسمع) في حال الحياة يسمع الدّعاء . وأمّا بعد الموت فلا يسمع والمقصود الدّعاء الذي يصير سبباً للنجاح والسعادة وغفران الذنوب ورفع الدّرجات .

وأمّا الدّعاء بمعنى آخر فقد يقع في الآخره ويسمع و قد ورد في القرآن

الكريم (و الحال هادئـة) في الحياة الدّنيا و سكون الحال كناية عن السلامـة والقدرة والاختيار بحيث يتمكن من فعل الخيرات (والأقلام جارية) و الملائكة تكتب أعمال العباد في الحياة الدّنيا أي اغتنموا الحياة واعملوا فيها ثمّ أكّد عليه السلام ذلك بقوله (و بادروا بالأعمال عمراً ناكساً) يعني لايتمكّن أحد من العمل في الحياة إذا هرم وشاخ وضعف فبادروا بالعمل قبل أن يمنعكم منه الهرم (ومرضاً حابساً) يسلبكم النشاط (أوموتاً خالساً) يعرض بغتة فلا يبقى لكم فرصة التوبة والاستغفار (فانّ الموت هادم لذاتكم ومكدّر شهواتكم) الدنيوية (ومباعد طياتكم) و الطية ما يطويه الانسان في ضميره من العزائم و النيات يعني عليه السلام يباعد الموت عنكم نياتكم و عزائمكم فكم عزم للانسان يريد نفاذه وحال بينه وبين عزمه الموت وإن فسر الطيات بمنازل السفر فالمعنى يرجع إلى ما ذكر أيضاً .

(زائر غير محبوب و قرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب) أي قاتل لا يطلبه أحد حتى يقتصّ منه (قد أعلقتكم حبائله) شبه الانسان وعدم قدرته على التخلص من الموت بطير وقع في حبالة الصياد وقد علق برجله وعنقه الحبل (وتكنفتكم غوائله) أحاطت بكم مصائبه (و أقصدتكم معابله) أصابتكم نصال الموت و معبلة بالفارسية پيكان ـ (و عظمت فيكم سطوته) واضح (و تتابعت عليكم عدوته) أي تراكمت عليكم الظلمة فوق الظلمة وهو كناية عن شدّة الهول و المصيبة أو تكرر منه التعدي و المجاوزة على أحبابكم و أصدقائكم وأقاربكم و المعنى الأول أنسب وأولى (وقلّت عنكم نبوته) قل أن يتفق لأحدكم أن يعرض له الموت ويبدو عليه آثاره ثمّ يفلت عنه فان انفلت فسوف يعترض ثانية .

(فيوشك أن تغشاكم دواجى ظلله) الموت قريب منكم كادأن يحيط بكم ظلمات من ظلل الموت والظلة هي السحاب (و احتدام علله) و يحيط بكم التهاب أمور لابدّ للموت أن ينزل معها (وحنادس غمراته) ظلمات يكتنفكم من غمرات الموت (و غواشي سكراته) السكرة حالة كالغشي تعرض عند الاحتضار (و أليم ارهاقه) مجيئه عاجلاً أليم (ودجوّ اطباقه) الدجوّ الدّجى والظلمة والمعنى تراكم

الظلمات طبقا بعد طبق (و جشوبة مذاقه) طعم الموت غير مطبوع لو فرض كونه مذوقا .

(فكأن قد أتاكم بغتة فأسكت نجيّكم) أسكت متكلّمكم فبينما هو يتكلّم إذا سكت (وفرّق نديّكم) أى محفلكم (وعفّى آثاركم) العفا في الأصل التراب و هنا كناية عن الاندراس والمحو لأنّ المنزل إذا رحل عنه سكانه عملت الرياح والتراب في محو آثارهم (و عطل ديار كم) الدّيار جمع الدّار وتعطيلها خلوها عن أهلها.

(وبعث وراثكم) نسبة البعث إلى الموت مجازا لأنه سبب لبعث الوراث نظير بنى الأمير المدينة (يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع) الوراث على ثلاثة أقسام بعضهم حميم قريب من أقربائكم يحبّكم و يريد دفع الموت عنكم ولا يقدر عليه كالأب والأمّ (و) الثّاني (قريب محزون لم يمنع) يهمه أمركم ويحزنه موتكم لكن لا مثل الأوّل كالأخ و الأخت و العمّ و لا يقدر أن يمنع عنكم الموت والثالث قوله (و آخر شامت لم يجزع) يفرح لموتكم و لا يجزع عليكم كالولد العاق ينتظر موت أبيه الهرم حتى يفوز بميراثه ويتخلّص من القيام بخدمته خصوصاً إذا طال مرضه ولو لم يكن هذا تقسيماً للوارث فقط بل الجميع من يعرفك و تعرفه كان المعنى أنهم على ثلاثة : الصديق والقريب والعدوّ

(فعليكم بالجدّ والاجتهاد) ولعلّ الفرق بين الجدّ والاجتهاد أنّ الأوّل صفة للعزم والنية و الثّاني للعمل (والتأهّب والاستعداد) الفرق بينهما نظير الفرق بين الجدّ والاجتهاد فالتأهّب للعزم والاستعداد للعمل (والتزوّد في منزل الزاد ولا تغرّنكم الدّنيا كما غرّت من كان قبلكم من الامم الماضية والقرون الخالية) معناه ظاهر (الذين احتلبوا درتها) الدّرة اللبن استعارة للمنافع والاحتلاب إخراج اللبن من الضرع والثدى استعارة للفوز والانتفاع (وأصابوا غرّتها) أى اغتنموا فرصة غفلة الدّنيا عنهم فاستمتعوا بمنافعها و لو لم تكن غافلة عنهم لاختطفتهم، شبههم بسارق ينتظر غفلة صاحب المتاع عن متاعه فيختلسه حين غفلته كذلك هؤلاء انتظروا

غفلة الدّنيا و أصابوا وقت غفلتها فانتفعوا بها (و أفنوا عدّتها) الافناء عبارة عن الانتفاع اذ لا ينتفع غالباً بما في الدّنيا إلاّ بافنائـه فأفنوا عدة منافعها (و أخلقوا جدّتها) و هذا أيضاً عبارة عن الانتفاع ببعض متاع الدنيا كاللّباس الجديد يخلق بالاستعمال .

(أصبحت مساكنهم أجداثاً) أى قبوراً (و أموالهم ميراثاً) و هو ظاهر (لايعرفون من أتاهم ولا يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم) معناه واضح

فان قيل: كيف الجمع بين هذا الكلام وماروى في التلقين وزيارة القبور فقد قال أبوعبدالله عليه السلام على ما روى في الكافي والتهذيب والفقيه « إذا افرد الميّت فليتخلّف عنده أولى الناس به فيضع فمه عند رأسه ثمّ ينادى بأعلى صوته يافلان بن فلان أو يافلانة بنت فلان هل أنت على العهد الذي فارقتنا عليه من شهادة أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له و أنّ محمّداً عبده ورسوله سيّد النبيّين و أنّ عليّاً أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين و أنّ ماجاء به محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم حقّ و أنّ الموت حقّ وأنّ البعث حقّ وأنّ الله يبعث من في القبور فيقول منكر لنكير انصرف بنا عن هذا فقد لقن حجّته انتهى وفي معناه أخبار اخر .

ولولم يكن إلاّ هذا لسهل الجمع لكن **ورد** في زيارة القبور في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال :إنّهم يأنسون بكم فاذا غبتم عنهم استوحشوا وهذا ينافي بظاهره قول أمير المؤمنين عليه السلام: لايعرفون من أتاهم .

وروى في الفقيه عن محمّد قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام الموتى نزورهم ؟ فقال نعم ، فقلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ فقال : إى والله إنهم يعلمون بكم و يفرحون بكم ويستأنسون إليكم قال :قلت: فأيّ شيء تقول آه .

وفى الكافى عن إسحاق بن عمار عن أبي الحسن عليه السلام قال قلت : المؤمن يعلم من يزور قبره ؟ قال : نعم لايزال مستأنساً به مادام عند قبره فاذا قام وانصرف عن قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة .

وفى الفقيه قال الصّادق عليه السلام إذا قبضت الرّوح فهى مظلة في الجسد روح

المؤمن وغيره ينظر إلى كلّ شيء يصنع به فاذا كفن ووضع على السرير وحمل على أعناق الرّجال عادت الرّوح ودخلت فيه فيمدّ له في بصره فينظر إلى موضعه من الجنة أو من النار فينادي بأعلى صوته إن كان من أهل الجنّة : عجّلوني عجّلوني ، وإن كان من أهل النّار ردّوني ردّوني و هو يعلم كلّ شيء يصنع به و يسمع الكلام ، انتهى .

وردّ الرّوح إلى الجسد المحمول على الجنازة نظير ردّ الرّوح إليه في القبر لسؤال منكر ونكير ولا ينبغي أن يتعجّب من خفاء ذلك عن الأحياء كالمشيّعين .

كما روى في الكافي في حديث عن عليّ بن الحسين عليهما السلام بعد أن نقل تكلّم الميّت لحملته قال ضمرة وهو أحد الحاضرين : يا أبا الحسن إن كان هذا يعني الميّت يتكلّم بهذا الكلام يوشك أن يثب على أعناق الذين يحملونـه قال : فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : اللّهمّ إن كان ضمرة هزء من حديث رسولك صلى الله عليه وآله وسلم فخذه أخذة اسف ، قال : فمكث أربعين يوماً ثمّ مات فحضره مولى له فلما دفن أتى عليّ بن الحسين عليهما السلام فجلس إليه فقال له : من أين جئت يا فلان ؟ قال: جئت من عند قبر ضمرة فوضعت وجهي عليه حين سوى عليه فسمعت صوته والله أعرفه كما كنت أعرفه وهو حيّ يقول : ويلك يا ضمرة بن معبد اليوم خذلك كلّ خليل وصار مصيرك إلى الجحيم فيها مسكنك ومبيتك والمقيل قال : فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : اسأل الله العافية هذا جزاء من يهزء من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومثل ذلك كثير في الروايات . فما وجه كلام أمير المؤمنين عليه السلام ؟

و الجواب أنّ كلامه عليه السلام لأهل الدّنيا المغترّين بها ، و غرضه عليه السلام قطع طمعهم عن الدّنيا وبيان انقطاع لذاتها وانصرام شهواتها ومفارقة الخلاّن فيها، ولا ريب أنّ الموت يهدم اللذات و يُفرّق بين الجماعات ولا يحسّ الأموات بسمعهم الدنيوى وأبصارهم الجسمانية شيئاً من هذا العالم المادّى، بل الميّت جماد مثل سنّك إذا قلعت وشعر رأسك إذا حلق، وأظافيرك إذا قصت وبهذا الاعتبار قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا يعرفون من أتاهم ولا يحفلون من بكاهم

وأمّا بالنظر إلى أنّ للانسان حسّاً برزخياً يسمع ويبصر ويتلذّذ ويتألم به من غير وساطة عصب ودماغ وجارحة ولا يمنعه حجاب اللحد وظلمة القبر وبعد المنازل شرّع التلقين وورد ما ورد من الروايات ذكرناها أولم نذكرها .

وبالجملة فكلام أمير المؤمنين عليه السلام ناظر إلى الحسّ الدّنيوى وما ورد فى تلك الروايات ناظر إلى الادراك الاخروى ولا منافاة بينهما ولا يريدون أنّ الميّت لم يمت ولا أنّه إذا مات فات والروح مدرك بذاته والبدن مدرك بالروح والمدرك بالذات أقوى وأشدّ فى الادراك من المدرك بالغير كما فى كلّ صفة .

والطبيعيون يزعمون أنّ الادراك عبارة عن تأثر العصب من المحسوس الخارجى كتأثر عصب البصر عن النور ، فاذا لم يكن عصب لم يكن إدراك ولذلك إذا خدر الأعصاب بالأدوية المخدّرة زال البصر وكلّ حس آخر .

و الجواب أنّه لوكان الأمر كذلك لم يكن الله تعالى والملائكة المقرّبون مدركين عالمين بشىء إذ لا عصب لهم و لا انفعال والعصب لايستطيع أن يدرك إلاّ بواسطة الروح و إذا تقطعت العلاقة بين العصب والروح زال الادراك عن العصب لا عن الروح كالشمس إذا غاب عن الجدران زال الضوء عن الجدران لا عن الشمس فلم يزل الادراك عن الميّت مطلقا بل بمقدار أن لايكون دفنه فى التراب أوالقائه فى البحر ظلماً واجحافاً عليه وتعذيباله كالقاء الاحياء فى البحر .

(فاحذروا الدّنيا فانها غدّارة غرّارة خدوع معطية منوع ملبسة نزوع) وزن فعول إذا كان بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر والمؤنّث ولذلك وصف به الدّنيا (لايدوم رخاؤها ولا ينقضى عناؤها و لاير كد بلاؤها) و هذا الكلام بالغ فى البلاغة غايتها فى وصف الدّنيا والتزهيد عنها والوصف بعينه مما يعرفه أصحاب الهوى والقائلون بالطبائع وأمثالهم ويجعلونه عذراً فى لزوم اللّذات ومتابعة الشهوات ويقولون إذا كانت الدّنيا منقلبة غير ثابتة لا تدوم أحوالها وجب اغتنام الفرصة مهما أمكن فى الاستمتاع باللذات والمبادرة إلى الشهوات لئلا يفوت الفرصة ويحرم الانسان منها فمادام حياً شاباً ذا قدرة و مقدرة يتسرّع إلى ما لا يتمكن منه بعد ذلك و أمّا

أمير المؤمنين عليه السلام جعل هذه الصفة بعينها موجباً لتنفير النّاس و سبباً لتزهيدهم قال طرفة :

ألا أيهذا اللائمي احضر الوغى وان اشهد اللّذات هل أنت مخلدى

يعني إذا لم يكن الانسان خالداً في الدّنيا فعليه أن يشهد اللذات لئلاّ يفوته وأن يحضر الوغي لينتقم عن أعدائه ويظفر بالمال بالاغارة ومثله كثير في أشعارهم بالعربية والفارسيّة خصوصا في أشعار الخيام ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام إنها غرّارة خدوع و لذاتها ليست لذّة بل عذاب أليم و يخدع بها الجهال وليس شيء منها دائماً فلا ينبغي أن يعرج العاقل عليه .

وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يفيد أرباب العقول و أصحاب الأديان القائلين بالآخرة و الحياة الدّائمة فيها يستبدلون اللّذة الخالصة الباقية باللّذة المكدّرة الفانية وأمّا أصحاب الطبائع الذين لا يعترفون بالآخرة يقولون: اللّذة الفانية غير الدائمة أولى من عدم اللّذة مطلقا .

ومما يناسب ذلك في أنّ خصلة واحدة يجعلها كلّ أحد دليلا على شيء يقتضيه طباعه الحديث المروى عن الحسن بن علىّ عليهما السلام : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، حمله أهل الدّين على الأمر بالمسامحة والتعلّل وعدم الحرص فى الدّنيا ، لأن من يزعم أنه يعيش أبداً لايتعجّل فى الأمور ، وحمله أهل النفاق والمتجدون على الأمر بالحرص فى الدّنيا لأنّ الذي يعلم أنه يعيش أبداً يسعى فى جمع المال وعمارة مسكنه وتدبير ماله واجادة معاشه أكثر ممن يعلم أنه سيرحل عن منزله .

الفصل الثانى

(**منها فى صفة الزهاد** : كانوا قوما من أهل الدّنيا وليسوا من أهلها فكانوا فيها كمن ليس منها) ومنه اخذ أبوعلى بن سينا كلامه فى وصف العارفين : فكأنهم وهم فى جلابيب أبدانهم قد نضوها وتجرّدوا عنها وقال السعدى :

هر گز وجود حاضر وغائب شنيدهٔ　　　　من درميان جمع ودلم جاى ديگر است

(عملوا فيها بما يبصرون) الفرق بين أهل الدنيا و أهل الآخرة أنّ بناء الأولين على الشكّ و بناء الآخرين على اليقين كما قال تعالى في صفة الدهريّة: «وقالوا إن هى إلاّ حياتنا الدّنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلاّ الدّهر مالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنّون» فانهم يشكّون في الله وملائكته و كتبه ورسله واليوم الآخر والجنّة والنّار ويعملون عمل المستيقن بالعدم والشاك في شيء حقّه أن يحتاط كمن يشكّ في وجود سبع في الطريق أوبئر في ظلمة إذ لا يجوّز له العقل الاقتحام في المهلكة وأصحاب الدّهر مالهم علم بالعدم إن هم إلاّ يظنّون ودليلهم انالانؤمن بما لا نحسّ مع أنّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود و هذا بخلاف أهل الآخرة فانهم آمنوا بالدليل اليقيني والبرهان العلمي فعملوا بمايبصرون.

(وبادروافيهامايحذرون) سبقواالموت إلى فعل الخيرات أى خافوا أن يفجاهم الموت فبادروا (تقلب أبدانهم بين ظهرانى أهل الآخرة) لا يجالسون غيرهم و لا يخالطون أحداً سواهم (يرون أهل الدّنيا يعظمون موت أجسادهم) يعدون موتهم عظيماً شديداً إذ يسلبهم مشتهياتهم و يمنعهم التمتع بلذاتهم (و هم) أهل الآخرة (أشدّ إعظاماً لموت قلوب أحيائهم) إذ يسلبهم مشتهياتهم الحقيقيةويمنعهم التمتع باللّذات الدّائمة.

و اعلم أنّ أهل الدّنيا يظنون أن لا موجود وراء الجسم و لا دليل على شيء غيرالحسّ ويكدون كلّ كدّهم و يجدون جدّهم لعمارتها والتمتع بها، و العقلاء عرفوا بعقولهم و بما أخبرهم أصحاب الوحى أنّ وراء هذا العالم المحسوس عالما آخر بل عوالم اُخرى لا يحصى عددها إلاّ الله.

ونظيرذلك أنّ جماعة زعموا أنّ الشمس واحدة، وقد ورد في الأخبار وأثبتت الارصاد أن وراء هذه الشمس شموساً لايحصي عددها إلاّ الله تعالى

وقد فتح الله على عقول المتوسطين باباً إلى بعض تلك العوالم غيرالمحسوسة وهى باب الرؤيا الصادقة فانّ الانسان في منامه قد يطلع على اُمور غائبة لا يمكن

أن يطلع عليها أحد بحواسه و عقله لعدم وجودها بعد ، كموت زيد بعد سنة مثلا وليس العلم به وانتقاش ذهن أحد بمثله ممكنا في زمان الرؤيا إلاّ أن يكون صوراً ونقوشا مسطورة في ذهن عال من موجود عالم بالغيب غيرنا وغير من في عالمنا ، فيدرك الانسان بعقله أن في الوجود عالماً غير عالمنا و في ذلك العالم علماء بما لم يوجد بعد وليس ما رآه النّائم في منامه إلاّ مأخوذاً من ذلك العالم و ليست الرؤيا أوهاماً وخيالات باطلة لا أصل لها دائماً إذ لو كان كذلك لم يكن ينطبق على الحقيقة ولم يكن للرؤيا تعبير أصلا وبالجملة أدرك الانسان بحسّه المشترك عالماً آخرغيرهذا العالم الجسماني ، وعرف أنّ نفسه يناسب ذلك العالم في الجملة حيث يرتبط به ويأخذ منه ، وهذا باب واسع حقّقه الحكماء خصوصا الشيخ أبوعليّ بن سينا في الاشارات .

ثمّ بعد الاعتقاد بوجود عالم ما غير هذا العالم المادى المحسوس زال الاستعجاب من كلّ ما أخبرنا به الأنبياء وأصحاب النواميس الالهية من بقاء الرّوح ودخولها في عالم آخر وتمتّعها باللذات وانتفاعها بالمشتهيات هناك ولايتصوّر أن يكون سعادة الموجود الكامل الرّوحاني أدنى و أقلّ من الانسان المخلوط من الرّوح و الجسم كما أنّ سعادة الانسان المخلوط ليس أقلّ من سعادة الجمادات ، فان عرف الانسان انه مستعدّ لادراك تلك السعادة العظمى اشتدّت حسرته من فواته وخاف من موت قلبه المانع من النيل بتلك السعادة أشدّ من خوف أهل الدّنيا من الموت الطبيعي ، و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام عليهم : وهم أشدّ إعظاماً لموت قلوب احيائهم .

و إذا انتهينا إلى ذلك حقّ لنا أن نختم الكلام بالدّعاء لجميع من تصدّى لترويج الدين وتعليم المؤمنين بالتوفيق والسداد ، ولم نذكر مما اختلج في الذّهن حين قراءة الخطبة من نكتة علمية ودقّة عقلية لئلاّ نخرج من سياق الكتاب ، فان الشّارح رحمه الله اكتفى بماهو سهل الوصول قريب المأخذ من رواية تاريخية وحكاية أدبية اوحديث في الأخلاق وتفسير يتعلّق بظواهر الألفاظ وغير ذلك مما يفيد أكثر الناس

وأما التحقيق العميق والبحث الدّقيق فممّا ينفر الطباع .

الترجمة

بدرستيكه پرهيز كارى كليد صلاح است وتوشهٔ آخرت و آزادى از بند بندگى ورهائى ازدام هلاكت ، آنكه خواهنده خير است بتقوى بمقصود نائل آيد وآنكه ازشر گريزان است بتقوى از آن رهائى جويد مقاصد مردمان بتقوى حاصل گردد پس اكنون كه عمل صالح بدرگاه الهى بالا ميرود و گناهكاران را توبه سود دارد آرامش حال برقرار و قلم فرشتگان بنوشتن اعمال بندگان روان است بكوشيد وبشتابيد پيش از آنكه عمر ازشما روى بگرداند وپشت كند وبيمارى مانع عمل شود ومرگ ناگهان فرود آيد .

مرگ لذات شما را تباه سازد وشهوات شمارا مكدّر كند و شما را از مقاصد خود باز دارد ، بديدن آيد آنكه دوستش نداريد ، وباشما بكشتى در آويزد آنكه هرگز پشتش بزمين نيايد، خون ريزد وكسى بكين او برنخيزد دامهاى او درشما آويخته ومصائب اوشمارا احاطه كرده است پيكان او بنشانه رسيده و حملهٔ او برشما گران است وتاختن او پى درپى ، كم افتد كه ضربت او نافذ نشود بزودى ابرهاى تيرهٔ مرگ شما را فرا گيرد وبيمارى ها ازجوانب درآيند و امواج تاريك آن بر گرد شما احاطه كند و سكرات موت شما را ازخود بازگيرد وبشتاب ببرد وبحسرت براند در ميان طبقات تاريك و طعم آن بسيار ناگوار است ، گوئى اينك شما رادريافته گويندهٔشما را خاموش كرد وانجمن شما را پراكنده ساخت وآثارشمارا محو كردوسراهاىشمارا خالى گذاشت وارثان را برانگيخت تاميراث شمارا تقسيم كردند ، يكى دوست نزديك شماست اما سود بحال شماندارد، ديگرى خويشاست وازمرگ شما اندوهناك اما دفع مرگ نميتواند كرد، وسيمىاز مرگ شما شاداست وجزع نمى كند .

برشما است كه بجان بكوشيد و آماده گرديد و در جائى كه بايد توشه

گرفت توشه گیرید و زندگی دنیا شمارا فریب ندهد چنانکه پیش از شما بسیار فریب داد ، ازپستان اوشیر خوردند ودرغفلت اوفرصت جستند وآنچه آماده کرده بود تباه ساختند وجامه‌های نوآنرا کهنه وفرسوده کردند آخرمسکن آنها گور شد ومال آنهارا بمیراث بردند .

بی‌وفاست و مکار و فریبنده، می‌دهدو می‌ستاند ، می‌پوشاند وبرهنه میسازد آسایش او پیوسته نماند وسختی آن نگذرد وبلای آن ثابت نماند .

ودرصفت زاهدان فرمود : گروهی بودند ازاهل دنیا اما اهل دنیا نبودند در دنیا بودند مانند کسی که دردنیا نبود بآنچه دیدند ودانستند عمل کردند واز آنچه میترسیدند درگذشتند تن آنها میان أهل آخرت میگردد چون دیدند مردم این‌جهان‌ازمرگ تن میترسند آنها ازمرگ دل درحال زندگی‌ترسان گشتند

✿ ✿ ✿

ثمّ إنّ حضرة الفاضل الأديب العالم الأريب الجامع بين العلوم العقلية و النّقلية و الحائز للملكة العلمية و العملية الشيخ المؤتمن الشيخ حسن الآملي ضاعف الله قدره و أجزل أجره تصدّى لشرح باقي كتاب نهج البلاغة وهوالحري به والمتوقّع منه وهو كماقال بعض الأنصار كما قيل: عذيقها المرجب وجذيلها المحكك فقدجرّبته سنوات عند قراءة مختلف العلوم عليّ حتى حاز الرتبة القصوى وفاز بالقدح المعلى ونرجو من الله له التوفيق ولنا　　　　**العبد أبوالحسن الشعراني**

هذا آخر المجلد الرابع عشر من هذه الطبعة الجديدة القيمة ، و تم تصحيحه وترتيبه وتهذيبه بيد العبد ـ السيد ابراهيم الميانجي ـ عفي عنه وعن والديه وذلك في ـ ٢٥ ـ من الربيع المولود ـ١٣٨٣ـ ويليه انشاءالله الجزء الخامس عشر وأوله :

«ومن خطبة له (ع) خطبها بذي قار» والحمدلله ربّ العالمين

فهرس الجزء الرابع عشر من شرح نهج البلاغة

العنوان	الصفحة
المقام الثامن في الاخبار الواردة في ذم الصوفية	
وفيه ثلاث وعشرون حديثاً	٢
بيان في ذكر جماعة ادّعوا البابية والسفارة لصاحب الزّمان عجّل الله تعالى فرجه .	١٩
خاتمة في أن مذاهب الصّوفيّة كلّها مخالفة لمذهب المتشرّعة الامامية الحقّة	٢١
الترجمة	**٢٣**
المختار المأتان والتاسع	
في اختلاف النّاس و تقسيم أهل الحديث على أربعة أقسام .	٢٤
و ينبغي تذييل المقام بامور مهمة	
الاول	
في وضع الأحاديث وأصناف الواضعين	٣٥
الثاني	
في أنّ أكثر الأحاديث الموضوعة قد وضعت في زمن بني أُميّة و كلام الشارح المعتزلي في ذلك واعتراضات الشارح المصنّف « قد » على بعض كلامه .	٣٩
الثالث	
في الاشارة إلى جملة من الأخبار الموضوعة	

العنوان	الصفحة
أما الاخبار الخاصية	**٤٨**
وأما الاخبار العامية	**٥٠**
احتجاج أبي جعفر عليه السلام على المأمون في بعض ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .	٥٠
احتجاج المأمون على جماعة من أهل الحديث والكلام بأنّ علياً عليه السلام خير البشر بعد النّبي صلى الله عليه وآله وسلم .	٥٢
الرابع	
في جواز نقل الحديث بالمعني .	٥٧
تكملة	
في نقل المختار على رواية غير السيّد « ره »	٥٨
الترجمة	**٦٢**
المختار المأتان والعاشر	
في إظهار عظمة الله تعالى و كمال قدرته في خلق السماوات و الأرض والجبال .	٦٥
الترجمة	**٧٣**
المختار المأتان والحادى عشر	
في استنهاضه عليه السلام أصحابه إلى جهاد أهل الشّام .	٧٤
الترجمة	**٧٩**
المختار المأتان و الثاني عشر	
يشتمل على فصلين :	
الفصل الاول : في تمجيدالله تعالى وتعظيمه .	٨١
الفصل الثاني : في ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم	٨٤
الترجمة	**٨٦**
المختار المأتان والثالث عشر	
في وصف حال عباد الله الصّالحين المستحفظين علمه ، ويختم بالموعظة والنصيحة .	٨٧
تذييل	
في الاشارة إلي جماعة من الصحابة فى أنسابهم طعن و إشارة إجمالية إلى نسب عمر .	١٠٧
الترجمة	**١١٠**
المختار المأتان والرابع عشر	
دعاء كان عليه السلام يدعوبه كثيراً	١١٢
الترجمة	**١١٩**
المختار المأتان والخامس عشر	
وشرحه في فصلين :	
الفصل الاول : فى الحقوق وحقّ الوالى على الرّعية والعكس .	١٢٠

العنوان	الصفحة
تذييلان :	
الاول : في ذكر جملة من الأخبار والآثار الواردة في الحقوق ،	١٣٠
التذييل الثاني : في ذكر رسالة عليّ ابن الحسين عليهما السلام المعروفة برسالة الحقوق .	١٣٤
الترجمة	**١٣٦**
الفصل الثاني : في بيان أنّ أسخف حالات الولاة حبّ الفخر و التكبّر وبراءة ساحته المقدّسة عن ذلك .	١٤٨
تكملة	
في نقل المختار على رواية الكليني «قد»	١٥٩
بيان ما في رواية الكليني «قد»	١٦٣
الترجمة	**١٦٨**
المختار المأتان والسادس عشر	
في اقتصاص مجلس الشورى والتظلّم من إزواء الخلافة عنه عليه السلام إلى عثمان والتشكّى إلى الله عزّ وجلّ وذكر السايرين إلى البصرة .	١٦٩
تنبيه	
في نقل كلام للشارح المعتزلي .	١٧٤
اعتراضات الشّارح المصنّف « قد » على الشّارح المعتزلى .	١٧٧
الترجمة	**١٨٣**
المختار المأتان و السابع عشر	
قاله عليه السلام بعد انقضاء حرب الجمل عند تطوافه على القتلى .	١٨٤
تنبيه	
في مارواه العلامة المجلسي « قد » في البحار والمفيد « قد » في الارشاد في ذلك .	١٨٨
الترجمة	**١٩١**
المختار المأتان والثامن عشر	
فى صفات العارف الكامل و كيفية سلوكه و ذكر شرايط السالك ووظايفه .	١٩٢
ماقيل فى البروق اللآمعة .	١٩٩
ماقيل فى تفسيرقوله تعالى : اهدنا الصّراط المستقيم .	٢٠٢
الترجمة	**٢٠٦**
المختار المأتان والتاسع عشر	
قاله عليه السلام بعدتلاوة: ألهيكم التكاثر	٢٠٧
وشرحه في فصول :	
الفصل الاول: فى الموعظة والنصيحة وايقاظ المخاطبين من سبات الغفلة	٢٠٧
الترجمة	**٢٢٠**

العنوان	الصفحة
الفصل الثاني : في شرح حال الموتى في البرزخ وبيان فظايعهم .	٢٢٢
الترجمة	**٢٣٢**
الفصل الثالث : في التنبيه على شدايد الموت و حالات الميّت عند الاشراف على الموت والاحتضار .	٢٣٣
الترجمة	**٢٤٣**
المختار المأتان والعشرون	
قاله عليه السلام عند تلاوة : رجال لاتلهيهم تجارة .	٢٤٥
تفسير الآية الشريفة .	٢٤٩
في أنّ مدار هذا المختار على فصول ثلاثة :	
الفصل الاول : في التنبيه على فضيلة الذكر .	٢٥٢
الفصل الثاني: في وصف حال المذكّرين و كيفية تذكيرهم .	٢٥٣
الفصل الثالث : في بيان أهل الذّكر وأوصافهم .	٢٥٨
الترجمة	**٢٦٥**
المختار المأتان والحادى والعشرون	
قاله عليه السلام عند تلاوته : ياأيها الانسان ماغرّك بربّك الكريم ، مسوق في مقام الموعظة والنصيحة .	٢٦٧
تفسير الآية الشريفة .	٢٧٣
الترجمة	**٢٨٤**
المختار المأتان والثاني والعشرون	
في زهده عليه السلام وإعراضه عن الدّنيا .	٢٨٧
قصّته عليه السلام مع أخيه عقيل و الحديدة المحماة وقصة الطارق .	٢٩٢
كلام صاحب كشف الغمّة في زهده عليه السلام .	٢٩٧
تكملة	
في نقل الكلام على رواية العلاّمة المجلسي « قد » .	٢٩٨
بيان ما في رواية العلاّمة المجلسي «قد»	٣٠١
الترجمة	**٣٠٦**
المختار المأتان والثالث و العشرون	
دعاء له عليه السلام في طلب الغنى .	٣٠٨
ذكر بعض الأخبار والآثار الواردة في ذمّ السؤال خصوصاً ممن لم يكن معروفاً بالمعروف .	٣١٣
تذييل	
في ذكر بعض الأدعيّة الواردة في طلب الرّزق .	٣١٧

العنوان	الصفحة
الترجمة	**٣٢٠**
المختار المأتان والرابع والعشرون	
فى التنفير عن الدّنيا والتحذير منها والتنبيه على مساويها ومخازيها .	٣٢٠
تذكيره عليه السلام بالاعتبار بأحوال الماضين و ما حلّ لهم ممّن كانوا أطول أعماراً وأعمر دياراً وذكر نبذ من المعمّرين .	٣٢٩
تكملة	
فى نقل المختار على رواية العلاّمة المجلسي « قد » .	٣٣٧
تنبيه	
فى نقل المختار على رواية اخرى	٣٣٩
الترجمة	**٣٤١**
المختار المأتان والخامس والعشرون	
دعاء له عليه السلام وثناء على الله تعالى .	٣٤٢
بيان معنى محبة الله تعالى لعبده	٣٤٥
فى الشوق و أنّه من لوازم محبّة العبد لله تعالى .	٣٥١
فى أنس العبد بذكره تعالى ومعناه .	٣٥٣
تذييل	
فى ذكر عدّة من الأدعية الواردة النفيسة .	٣٥٦
الترجمة	**٣٧٠**
المختار المأتان والسادس والعشرون	
ثناؤه عليه السلام على رجل مجهول واختلاف الشراح فى تعيينه .	٣٧١
قصّة الصّنم الذى كان الشّيخان يعبدانه	٣٨٢
العهد الذي كتبه عمر إلى معاوية .	٣٨٣
تنبيهان :	
الاول في نقل كلام لطيف جرى بين الشارح المعتزلى وبين أبى جعفر المقيب .	٣٨٧
التنبيه الثانى فى ذكر الدّعاء المعروف بدعاء صنمى قريش .	٣٩٧
شرح ما فى دعاء صنمى قريش من الجملات.	٣٩٩
الترجمة	**٤٠٥**
المختار المأتان والسابع والعشرون	
فى وصف بيعته عليه السلام بالخلافة .	٤٠٦
الترجمة	**٤٠٩**

العنوان	الصفحة
المختار المأتان والثامن والعشرون في الحث على البر والتقوى .	٤٠٩
ومدار هذا المختار على فصلين :	
الفصل الاول : في الحث على البر والتقوى وأخذ الزاد ليوم المعاد بالتذكير بالموت الذي هو هادم اللذات .	٤١٣
الفصل الثاني في صفة الزهاد .	٤٢٣
الترجمة	٤٢٦
الفهرس	٤٢٨